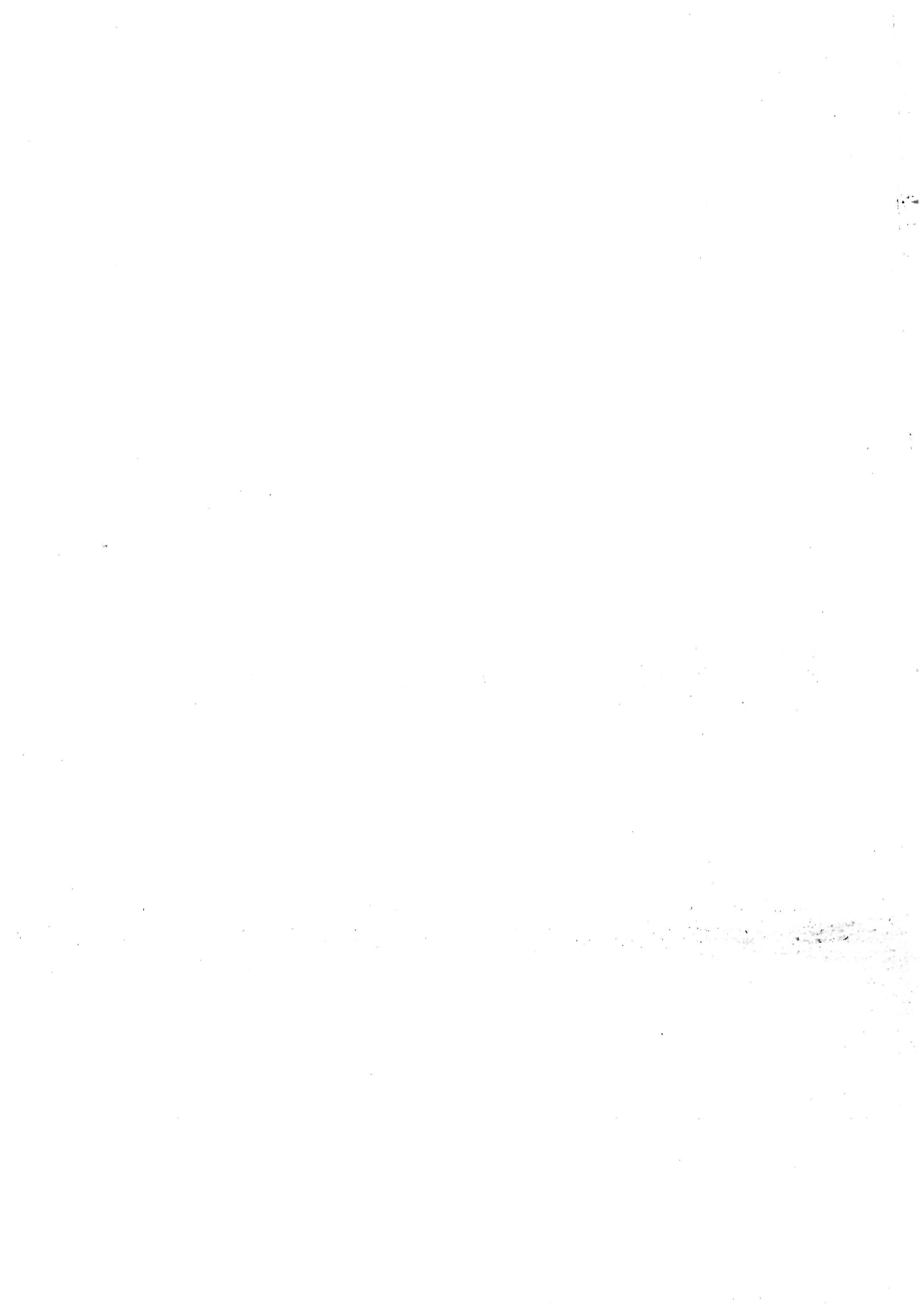
بسم الله الرحمن الرحيم



المجموع الرائق

من أزهار الحدائق

تأليف

السيد هبة الله بن أبي محمد الحسن الموسوي

المجلد الثاني

تحقيق

حسين درگاهي

الموسوی، هبةالله بن ابی محمد

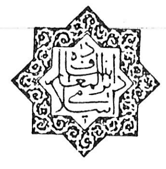
المجموع الرائق من ازهار الحدائق / تألیف السید هبةالله بن ابی محمد الحسن الموسوی؛ تحقیق حسین درگاهی ـ تهران: وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی، سازمان چاپ و انتشارات، بنیاد دائرةالمعارف اسلامی، ۱۳۷۵

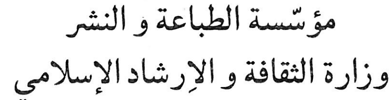
۲ ج.

۱. اصول فقه شیعه. الف. درگاهی، حسین، مصحح. ب. ایران. وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی. سازمان چاپ و انتشارات. ج. بنیاد دائرةالمعارف اسلامی. د. عنوان.

۲۹۷/۳۱۲ BP ۱۵۸/۷ م







مؤسّسة الطباعة و النشر
وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي

مؤسسة دائرةالمعارف الاسلامية

المجموع الرائق من أزهار الحدائق

المجلد الثاني

تأليف السيّد هبةالله بن أبي محمّد الحسن الموسوي

تحقيق حسين درگاهي

الطبعة الاولى: ۱٤۱۷ هـ.ق، العدد ۱۰۰۰ نسخة

التوزيع: طهران ـ میدان حسن آباد ـ شارع استخر ـ بناية رقم ۳

الهاتف: ٦۷۲٦۰٦ و ٦۷٥۸۸۲ و ٦۷۱٤٥۹ ـ ص.ب ۱۵۸۱۵/۱۳۱۱

مؤسسة دائرةالمعارف الاسلامية: طهران ـ شارع فلسطين ۱۳۰ ص.ب ۱۱۳٦٥/۳۸۸٥

هاتف المؤسسة: ٦٥۳۷۷۸ و ٦٥۳۷٦۸

الفهرس

﴿ الباب الخامس ﴾

المقنع في الإمامة

تصنيف الشّيخ الرّئيس المفيد العالم عبيدالله بن عبدالله السّد آباديّ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ نقلاً من الكتاب المتقدّم ذكره، وهو كتاب «جمل العلم والعمل» في ملكة السّيّد الكبير خلف السّلف الطّاهر النّجم الزّاهر عَلَم الهدىٰ ذي المجدين المرتضىٰ ـ قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه ـ من نسخة في آخر الكتاب وجدتُ عليها بخطّ كاتبها ما صورته: وقع الفراغ منه في شوّال سنة إحدىٰ وثمانين وخمسمائة بمشهد مقابر قريش علىٰ ساكنها السّلام.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ذي البيان الجليّ، والبرهان القويّ، والحكمة البالغة، والنّعمة السّابغة، وصلّى الله علىٰ ناسخ كلّ ملّة مشروعة، وفاسخ كلّ نحلة متبوعة، مصباح كلّ ديجور، ومفتاح كلّ ميسور، المنتخب من أغصان الحسب، والمنتجب من اعيان العرب؛ محمّد فخر الفاخرين، وسيّد الأوّلين والآخرين، وعلىٰ أهل بيته الطّيّبين الطّاهرين وسلّم وكرّم.

والحمد لله الّذي جعلنا ممّن ينصر الحقّ ويتبعه، ويقهر الباطل ويقمعه، ويعرف فضل ذوي الفضل ويسلك سبيلهم، ويقتفي أثرهم، وينتهج دليلهم، ويميّز بين الفاضل والمفضول، ويفرّق بين المقبول والمرذول، وينظر بعين الإنصاف، ويرفض عيب ذوي العيب والخلاف، ويتوكّل عليه سبحانه فيما يأتي ويذر، ويورد ويصدر، ولا تأخذه حميّة الجاهليّة فيحكم بالهوى، ويميل إلىٰ الدّنيا، ويبيع الآخرة الباقية بالدّنيا الفانية. وصلّى الله علىٰ محمّد نبيّ الرّحمة وآله أئمّة الهدىٰ، ومصابيح الدّجى كما اهتدينا به إلىٰ رحمته، وجعله دليلنا إلىٰ جنّته، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

هذا كتاب صنّفته في الإمامة واختصرته غاية الاختصار، إشفاقاً من الملالة والإضجار. سلكت فيه غير مسلك المتكلّمين في تدقيق الكلام رجاء أن

يلطف ويقرب فهمه، وجمعت فيه ما لا يمكن إنكاره. لأنّه ظاهر مشهور لا خافٍ مغمور، وسمّيته بـ «المقنع في الإمامة» والله تعالىٰ وليّ التّوفيق والهداية إلىٰ سواء الطّريق؛ إنّ الخير بيده، والرّحمة من عنده، وربّما تكرّر الكلام في فصل فيظنّ ظانّ أنّ ذلك من سهو أو نسيان! وليس كذلك، إنّما أُكرّر القول ليفهم من لم يفهم الكلام الأوّل، فإذا تكرّر سمعه بلفظَين مختلفَين في معنى واحد فهمه ولم يصعب عليه.

﴿ فصل ﴾

في ماهيّة الإمامة

إن قال قائل: ما معنى قولكم الإمامة؟

قيل: هي التّقدّم في ما يقتضي الطّاعة لصاحبه في ما تقدّم فيه الإيضاح والبيان.

﴿ فصل ﴾

في منفعة وجود الإمام

إنّ وجود الإمام لطف من الله تعالىٰ بعبيده، لأنّه بكونه بينهم يجتمع شملهم، ويتّصل حبلهم، وينتصف الضّعيف من القويّ، والفقير من الغنيّ، ويرتدع الجاهل، ويتيقّظ الغافل. فإذا عدم بطل الشّرع وأحكام الدّين كالحجّ، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وجميع أركان الإسلام. إلّا أن يكون الإمام خائفاً علىٰ نفسه؛ فقد ظهر عذره.

ويوجب العقل أن يكون الإمام أفضل الأُمّة. لأنّ عبء الإمامة ثقيل، وخطبها جليل، وأمرها عظيم، وخطرها جسيم، لأنه حافظ الشّرع. ولأنّه عند أهل الحقّ والعدل يجب أن تجتمع فيه خصال الخير المتفرّقة في غيره، لا يحتملها إلّا مَن كان كامل الأدوات، حاوياً لأسباب الخيرات؛ مثل: العلم بكتاب الله وسنّة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ والفقه في دين الله، والجهاد في سبيل الله، والرّغبة فيما عند الله، والزّهد فيما بيد خلق الله.

وليس يوصل إلىٰ معرفة هذه الخلال[١] المحمودة والخصال المعدودة إلّا بوحي من الله تعالىٰ إلىٰ رسوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فإذا ظهر الوحي وجب علىٰ الرّسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ أن ينصّ علىٰ من يخلفه من بعد وفاته.

ويقتضي العقل أن يكون هذا النّصّ منه ـ صلّى الله عليه وآله ـ علىٰ معصوم. لأنّه ـ تقدّس اسمه ـ عصم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ من الزّيغ والزّلل، والخطأ والخطل، في القول والعمل ونزّهه عن أن يحكم بالهوى، أو يميل إلىٰ الدّنيا.

والنّصّ علىٰ ضربين: قول وفعل.

فالقول؛ قول رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «هذا عليّ وزيري، وخليفتي علىٰ أُمّتي، وقاضي ديني، والمبلّغ عنّي»[٢]. في أشباه ذلك.

وأمّا الفعل؛ فكفعله ـ صلّى الله عليه وآله ـ به ـ عليه السّلام ـ أنّه ولّاه

(١) «ع»: الخلائق.

(٢) لم نعثر عليه بعينه فيما حضرنا من المصادر ولكن ورد مؤدّاه في البحار ج٣٧ و٣٨، أبواب النصوص الدالّة على الخصوص على إمامة أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

علىٰ سراياه وجيوشه ولم يولّ عليه أحداً[٣]، بل ولّاه علىٰ جميع أصحاب جيوشه، وسيّرهم تحت رايته ولم يكن كمن سار تحت راية عمرو بن العاص، وأُسامة بن زيد، وزيد بن ثابت، وغيرهم. وقد علم أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه كان أميراً في حياته غير مؤمَّر عليه.

﴿ فصل ﴾

اختلف النّاس في الإمامة بعد مضيّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فكانوا فرقتين: فرقة علويّة، وفرقة بكريّة، فقالت الفرقة العلويّة: الإمام بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ بنصّه عليه وإشارته إليه، ثمّ بالعصمة. ومعنى قولهم العصمة: أنّه ـ عليه السّلام ـ لم يهمّ بمعصية قطّ، ولا اختارها في حالَتي صغره وكبره، ولا عبد صنماً ولا وثناً.

وقالت الفرقة البكريّة: إنّ الإمام أبو بكر؛ باختيار بعض النّاس له واجتماعهم عليه. وهذه الفرقة لا تنزّه الأنبياء والأوصياء عن المعاصي، وتجوّز عليهم الخطأ والغلط. وهم الحشويّة وبعض المعتزلة والزّيديّة أيضاً تتبعها في إبطال العصمة.

وأظهر الجاحظ في سنة عشرة ومائتين من الهجرة ذكر فرقة أُخرى وسمّاها بالرّاونديّة وسمّاها أيضاً العبّاسيّة تقرّباً إلى المأمون، وحكى عن هذه الفرقة أنّها

(٣) انظر: الإرشاد: ٤٣، إحقاق الحق ٨: ٥٢٣ ـ ٥٢٨، فضائل الخمسة ٢: ٣٢٩ ـ ٣٣٣، طبقات ابن سعد ٣: ١٤.

تقول: إنّ الإمام بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ العبّاس بن عبد المطّلب ـ رضي الله عنه ـ لأنّه عمّه وعصبته، وأنّه حاز الإمامة بالميراث. ولّما هلك الجاحظ في سنة خمس وخمسين ومائتين بطلت هذه المقالة وهلك من كان يقول بها، وبقيت الفرقتان العلويّة والبكريّة.

وإذا قلنا إنّ الإمامة تكون بالعصمة بعد النّصّ، فقد خرج منها أبو بكر والعبّاس، لأنّ من يدين بإمامتها لا يرىٰ عصمتها، وتثبت(٤) الإمامة لمن يدان بعصمته وهو أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

وأمّا قولهم إنّ أبا بكر إمام باختيار بعض الاُمّة له واجتماعهم عليه، فهو أيضاً باطل، لأنّ ٱلّذي يختاره للإمامة يجب أن يكون أفضل منه ومن جميع الاُمّة، فإذا تساوى الإمام والمأموم افتقروا إلىٰ إمام. وهذا يفضي إلىٰ ما لا نهاية له، وصار لكلّ قبيلة [أن](٥) تختار لأنفسها إماماً، فيجتمع أئمة لا يحصون كثرة. وفي هذا بطلان ما ادّعوه. لأنّ إمامين لا يجتمعان بإجماع المسلمين، ومعلوم أنّ من جاز له أن يختار إماماً جاز له أن يختار نبيّاً، لأنّ الإمام خليفة النّبيّ، فعلىٰ هذا تبطل الشّرائع الّتي شرّعها الأنبياء الّذين جاؤوا من عند الله تعالىٰ. ولو أنّ عشرة نفر كانت بهم علّة واحدة لم يجز لأحدهم أن يداوي البقيّة، لأنّ العلّة الّتي بهم موجودة فيه، فيحتاج طبيبهم إلىٰ طبيب، ويُعلَم ضرورة حاجتهم إلىٰ طبيب ليس فيه ما فيهم حتّى يداويهم. وهذا ما لا يخفى علىٰ ذي فضل. ولولا العصبيّة والبغضة لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ لما اختاروا أبا بكر. فلّما انتهت مدّة أبي بكر

(٤) «ر»: وثبتت.

(٥) أضفناه لاستقامة السّياق.

خالف الأُمّة وترك الاختيار ونصّ علىٰ عمر. ولّما انتهت مدّة عمر خالف أبا بكر وجعل الأمر بعده شورى في ستّة أحدهم أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

أنشدني الرّئيس أبو يحيى بن الوزير المغربيّ لنفسه ـ رضي الله عنه ـ يشرح حال القوم:

إذا كان لا يعرفُ الفاضلينَ
إلّا شبيهُهُمُ في الفضيله

فمِنْ أينَ للأُمّةِ الاختيارُ
لولا عقولُهمُ المُستحيله

وإن كان إجماعُهُم حجّةً
فلِمْ ناقَضَ الشّيْخُ فيهم دليلَه

وعادَ إلىٰ النّصِ يُوصي بِهِ
ومِنْ قَبْلُ خالفَ فيه رسولَه

وقام الخليفةُ مِنْ بعدِهِ
يسنُّ الضَّلالَ ويَهدي سبيلَه

ويزعُمُ بيعتَهُ فَلْتةً
ويصدق لا صدّق اللهُ قيلَه

وعقد عمر وأبو عبيدة بن الجرّاح لأبي بكر البيعة في سقيفة بني ساعدة. فلمّا ولّي عمر بنصّ أبي بكر عليه قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة من عاد إلىٰ مثلها فاقتلوه ـ وفي بعض الرّوايات ـ فاضربوه بالسّيف[٦]

(٦) مسند أحمد ١: ٥٥، الإيضاح: ١٣٤ ـ ١٣٨، غاية المرام: ٥٦٠، تشييد المطاعن ١: ١٢٤ ـ ١٤٧، الصّراط المستقيم ٢: ٣٠٢.

تمام القطعة:

ويجعلُها بعدُ في ستّةٍ
مُعَلَّقةً بشروطٍ طَويلَه

فيذرَأُ عنْ سالِمٍ شَكَّهُ
وَقد كانَ أحرى بسُوءِ الدَّخيلَه

ويُوقِعُه فيهُمُ شُبهَةً
ليُبردَ بالغَيْظِ مِنْهُم غَليلَه

وما كان أعرَفَهُ بالإمام
ولكنّ تضليلَه عنه حيلَه

فلو رخّصَ اللهُ في دينه
لأوشك من مكرِهِ أن يُزيلَه

ولكنْ أُتيحَ له حينه
وعاجَلَهُ اللهُ بالفَتْكِ غِيلَه

وغادَرَ مِنْ فِعْلِهِ سُبَّةً
يجرُّ الزَّمانُ علَيْها ذيولَه

كان عمر بن الخطاب يقول: نحن عشرة نفر شهد لنا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بالجنّة[٧]؛ يعني نفسه، وأبا بكر، وعثمان، وعبد الرّحمن بن عوف، وطلحة، والزّبير، وسعداً، وسعيداً، وأبا عبيدة بن الجراح ـ وأبو عبيدة هو أمين

(٧) انظر: الإفصاح: ٢٢، ٢٦ والظّاهر وجود اختلاف في أسماء هؤلاء العشرة، فقد أورد الشيّخ المفيد فيه بدل أبي عبيدة اسم سعد بن أبي وقّاص.

القوم للصّحيفة المودعة عنده ـ والعاشر أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، فلمّا جعل الأمر شورى أظهر الشّكّ فيهم وهم الّذين شهد لهم بالجنّة. ولم يشكّ في عبد النّمير بن واسط، فقال: لو كان سالم حيّاً ما تخالجني فيه شكّ. ففضله[٨] علىٰ جميع أصحاب النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ الّذين يشهد لهم بالجنّة، ثمّ يشكّ فيهم على ما ترى.

وإذا قلنا: إنّ العقل دالّ علىٰ أنّ الإمام واجب كونه أفضل ضرورة بأن يكون أكمل، وأعقل، وأعلم، وأفهم، وأزهد، وأعبد، وأشجع، وأورع من المأموم، لأنّه يقبح في العقول تقديم الجاهل علىٰ العاقل، والمفضول على الفاضل، والنّاقص علىٰ الكامل، ومن لا علم له بما يحتاج إليه رعيّته من أحكام الشّرع حتّىٰ يستفتي غيره فيما هو مقدّم فيه لأجله علىٰ غيره؛ مثال ذلك: لو أنّ رجلاً حفظ عشر مسائل من الفقه علىٰ مذهب أبي حنيفة أو مالك أو الشّافعيّ، لم يجمل أن يُقدَّم علىٰ أحد ممن سمّيناه[٩] من أئمّتهم، لأنّهم أعلم منه وأفهم، وكذلك لو حفظ عشر مسائل من النّحو كان قبيحاً أن يُقدَّم علىٰ سيبويه والمازني والمبّرد، لأنّهم أعرف بالنّحو منه. ولو أنّ إنساناً حفظ كتاب الفصيح لم يحسن أن يُقدَّم علىٰ الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء والأصمعيّ، ولو حفظ نسب قبيلة واحدة من قبائل عدنان أو قحطان لم يجمل أن يُقدَّم علىٰ أبي عبيدة وأبي عبيد ومؤرّخ السّدوسيّ والزّبير بن بكار. وإذا كان هذا هكذا صحّ ما ذكرناه، ووجب تقديم الفاضل علىٰ المفضول.

---

(٨) «ر»: فضّله.

(٩) «ح»: أسميناه.

﴿ فصل ﴾

في الكلام في الإمامة من وجوه ثلاثة

أحدها: من طريق العقل ـ وقد تقدّم الكلام فيه ـ.

والثّاني: ما طريقه القرآن.

والثّالث: ما طريقه الخبر.

فأمّا القرآن: فإنّا وجدنا الله تعالىٰ يخبر عن نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه لم يكن من المتكلّفين الّذين يفعلون ما لا يُؤمَرون به.

قال الله ـ سبحانه ـ حاكياً عن نبيّه محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِيْن﴾(١٠).

وقال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾(١١).

وقال ـ تقدّس اسمه ـ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(١٢).

ثمّ قال ـ تعالىٰ ـ في فرض طاعته وتجنّب معصيته: ﴿مَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا﴾(١٣).

قال أهل العدل: وجدنا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لما آخى بين أصحابه ضمّ كلّ شكل إلىٰ شكله، وكلّ إنسان إلىٰ مثله، وكلّ نظير إلىٰ نظيره؛ فضمّ أبا بكر إلىٰ عمر وعثمان إلىٰ أبي عبيدة بن الجرّاح، وطلحة إلىٰ الزّبير،

---

(١٠) صٓ: ٨٦.

(١١) الأحقاف: ٩.

(١٢) النّجم: ٣، ٤.

(١٣) الحشر: ٧.

وسعد بن أبي وقّاص إلىٰ سعيد بن نفيل. وآخى بينهم علىٰ هذا المثال، وآخى بينه وبين أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليهما ـ[١٤]. ولما جاءه نصارىٰ نجران وطال بينهم الخطاب ووقع من[١٥] بعض أصحابه الارتياب، أوحى الله تعالىٰ إلىٰ نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ بأن تباهل فقال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ﴾[١٦].

فقال للنّصارىٰ: «إنّ ربّي ـ عزّ وجلّ ـ أمرني بالمباهلة». وواعدهم إلىٰ غد ذلك اليوم. فظنّ النّصارىٰ ومن ارتاب بالنّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ من الصّحابة أنّه يباهل بهم وبعدّة النّصارىٰ وهم سبعون رجلاً، وهم المعروف بالسّيّد والعاقب. فلمّا غدوا إليه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أمر أمير المؤمنين عليّاً ـ عليه السّلام ـ بأن يدعو الحسن والحسين وأُمّهما ـ عليهم السّلام ـ فلمّا حضروا أدخلهم تحت أغصان شجرة وجلّلهم بالعباءة الّتي كانت علىٰ فاطمة ـ عليها السّلام ـ وأدخل منكبه الأيسر معهم، وقال للنّصارىٰ: إنّي مباهل.

فقالوا: احكم[١٧] يا أبا القاسم ولا تباهل، فإنّا راضون بحكمك.

فقرّر عليهم ما يؤدّونه في كلّ سنة، فلمّا خرجت الزّهراء وولداها وبعلها ـ عليهم السلام ـ من تحت الشّجرة، قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ:

---

(١٤) انظر: صحيح التّرمذيّ ٢: ٢٩٩، سنن ابن ماجة: ١٢، خصائص النّسائيّ ٣: ١٨، الطّبقات الكبرى ١: ٢٣٨، مستدرك الصّحيحين ٣: ١١١.

(١٥) «ب» «ح»: في.

(١٦) آل عمران: ٦١.

(١٧) «ر» «ع»: احتكم.

والّذي نفس محمّد بيده، لو باهلوني لأضرم الله الوادي عليهم ناراً[١٨]

قال أهل العدل: كانت نفسُ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ نفسَ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآلـه ـ ولـداه الحسن والحسين ولداهما، ونساؤهم فاطمةَ ـ عليها السّلام ـ[١٩].

ولمّا نزلت سورة براءة، سلمّها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلىٰ أبي بكر، فأوحىٰ الله ـ تعالىٰ ـ إليه أن لا يؤدّيها إلّا أنت أو مَنْ هو منك. فدفعها إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ لأنّه أفضل الأمّة. ومعنىٰ قولنا أفضل الأمّة: أنّه أكثر ثواباً، وأعظم درجة عند الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ من غيره، وأنّه لا فرق بينه وبين رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلّا درجة النّبوّة، لقوله ـ صلّى الله عليه وآلـه ـ: أنـا وعليّ كهاتين ـ يعني السّبّابتين: سبّابتي يمينه ويساره ـ لا أقول كهاتين ـ يعني السّبّابة والوسطى ـ لأنّ إحداهما تفضل على الأخرىٰ، إلّا أنهّ لا نبيّ بعدي[٢٠].

وفي بعض الرّوايات: ولو كان بعدي نبيّ لكنته. ومعلوم أنّ النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ إذا كان كاملًا لم يؤاخ ناقصاً، لأنّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ منزّه

(١٨) انظر: صحيح مسلم ٧: ١٢٠، مسند أحمد ١: ١٨٥، المستدرك للحاكم ٣: ١٥٠، أحكام القرآن للجصّاص ٢: ١٦، تفسير الطّبريّ ٣: ١٩٢، ومن طريق الخاصّة انظر: الاختصاص: ١١٢ ـ ١١٦، الإرشاد: ٨٩ ـ ٩١، تفسير القمّيّ ١: ١٠٤، تفسير العيّاشيّ ١: ١٧٦ ـ ١٧٧، مسار الشّيعة: ٢٢، الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ١٦، ١٧، أمالي الطّوسيّ: ١٦٢، ١٦٣، ١٧٠، ١٩٣، إحقاق الحق ٣: ٤٦ ـ ٧٥ وج٩: ٧٠ ـ ٩١ وج١٤: ١٣١ ـ ١٤٨.

(١٩) انظر المصادر نفسها.

(٢٠) روى شطراً منه ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب ٢: ٨، والصّدوق في عيون أخبار الرّضا ـ عليه السّلام ـ ٢: ٥٨ الحديث ٢١٥، وكمال الدّين ١: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

أن يكون مؤاخياً لجاهل غير كامل؛ ومعلوم أنّ الّذي فعله رسول الله ـ صلّى الله عليه وآلـه ـ بأمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ من المؤاخاة والمباهلة وتسليم سورة براءة بأمر الله ـ تعالىٰ ـ وأمره غير مردود، ومن خالف رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ خرج من الإيمان، واستحقّ الخلود في النّيران.

فإن قال قائل: «إنّه فعل به ذلك محاباة وأثرة له»، واعتقد ذلك فقد صرّح بالكفر بما جاء به رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

فإن قال قائل: فأيّ فائدة في دفع السّورة إلىٰ أبي بكر ثمّ ارتُجِعت منه قبل أدائها[٢١]، وإلّا دُفِعت في الابتداء إلىٰ أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ.

قيل: الفـائدة في ذلك ظهور فضل أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وأنّ الرّجل الّذي سُلّمت إليه ابتداءاً لا يصلح لما صلح له أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

فإن قال قائل: إنّ الاُمّة اختارت أبا بكر ورضيت به إماماً.

قيل له: قد استخفّ القوم بما أنزل الله ـ تعالىٰ ـ على نبيّه ـ صلّى الله عليه وآلـه ـ واستهـانـوا بأمـره، ولم يرضوا بما رضي الله ـ تعالىٰ ـ لهم. لأنّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أمر نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ بمؤاخاته، والمباهلة به، وتسليم سورة براءة إليه ليؤدّيها عنه، فهلّا اختاروا من اختار الله ـ تعالىٰ ـ لنبيّه مؤاخياً، وبه مباهلاً، وعنه مؤدّياً؟[٢٢] ومن كان في حياة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ

(٢١) انظر: مسند أحمد ١: ٣٣١، ١٥٠، ١٥١، وج٣: ٢١٢، ٢٨٣، أنساب الأشراف للبلاذريّ: ١٥٥، إحقاق الحق ٤: ٤٤٥ وج ١٤: ٤٩٩، ٥٠٠، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٤٢، غاية المرام: ٣٦٤.

(٢٢) انظر: سنن ابن ماجة ١: ٤٤ الحديث ١١٩، تذكرة الخواص: ٤٢ نقلًا عن التّرمذيّ، غاية

أميراً مؤمّراً علىٰ جيوشه وسراياه ومغازيه لم يُؤمَّر عليه أحد في حال حياة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ومعلوم أنّ الله ـ تعالىٰ ـ أعلم بمصالح عبيده فيما يأمر به نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أن يفعله مع وليّ من أوليائه من تقديمه علىٰ من سواه، وهذا ما لا ينكره إلّا ملحد كافر، لا يرى أنّ المصلحة فيما رآه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ويتوّهم أنّ عقله أوفى وأصحّ من عقل الرّسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ. وفي هذا بطلان الشّريعة، لأنّه متى اعتقد معتقد أنّه أعلم بمصادر الأمور ومواردها من الله ـ تعالىٰ ـ ومن رسوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقد نبذ الدّين وراء ظهره ـ نعوذ بالله من الخذلان، والحيرة في الدّين، ونسأله ستراً جميلاً ـ.

وما أحسن قول منصور النّمريّ حيث قال:

ما كان ولّى أحمدُ والياً
على عليٍّ فتولَّوا عليهْ

بل كان إن وُجِّه في عسكرٍ
فالأمرُ والتّدبيرُ فيه إليهْ

قُلْ لأبي القاسِم إنَّ الّذي
ولَّيتَ لم يُترَك وما في يديهْ

وله أيضاً من أبيات:

هل في رسولِ الله من أُسوةٍ
لو يقتدي القومُ بما سنَّ فيهْ

المرام: ٦٦، عيون أخبار الرّضا ـ عليه السّلام ـ ٢: ٦١، إحقاق الحق ٥: ٢٧٤.

أخـوكَ قد خُولِـفَ فيهِ كما
خالَـف موسـىٰ قومُـه في أخـيهْ

اجتمعت الطّائفة الإماميّة علىٰ أنّ النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ نصّ علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ في مواقف كثيرة؛ منها: ما رواه أبو هارون العبديّ، عن أبي سعيد الخدريّ، أنّه قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يوماً لأصحابه: معاشر أصحابي، إنّ عليّ بن أبي طالب وصيّي وخليفتي عليكم في حياتي وبعد موتي؛ وهو الصّدّيق الأكبر، وهو الفاروق الّذي يفرق بين الحقّ والباطل، وهو باب الله[٢٣] الّذي يؤتى منه، وهو السّبيل إليه والدّليل عليه، من عرفه فقد عرفني، ومن أنكره فقد أنكرني. ومن تبعه فقد تبعني؛ سنّة جرت فيَّ من أبي إبراهيم ـ عليه السّلام ـ[٢٤].

ومنها: ما رواه أبو داود السّبيعيّ، عن زيد بن شراحيل الأنصاريّ، أنّه قال لنا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ونحن بين يديه: أخبروني بأفضلكم؟

فقلنا: أنت يا رسول الله.

فقال: صدقتم أنا أفضلكم، ولكن أخبركم بأفضلكم. أفضلكم أقدمكم سلمًا، وأكثركم علمًا، وأعظمكم حلمًا: عليّ بن أبي طالب. ما استُودِعت شيئاً إلّا وقد استودعته. ولا عُلّمت شيئاً إلّا وقد علّمته، ولا أُمرت بشيء إلّا وقد أمرته به. ولا وُكِّلْتُ بشيء إلّا وقد وكّلته به. ألا وإنّي قد جعلت أمر نسائي بيده. وهو

(٢٣) «ع»: الباب.

(٢٤) لم نعثر عليه بعينه في ما حضرنا من المصادر ولكن رواه الفيض الكاشاني في منهاج النجاة/٣٩ وعنه إثبات الهداة ٢٠١/٢ ح١٠١٤. وورد مؤدّاه في البحار ج٣٧ و٣٨، أبواب النصوص الدالّة على الخصوص على إمامة أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

خليفتي عليكم بعدي. فإن استشهدكم فاشهدوا له(٢٥).

ومنها: ما رواه أنس بن مالك وأمّ سلمة وغيرهما أنّ النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: هذا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وسيّد الوصيّين، أخي ووزيري وخليفتي في أُمّتي، وقاضي ديني، ومنجز وعدي. من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله تعالىٰ، ومن عصى الله تعالىٰ كانت النّار مثواه(٢٦).

وقال ـ عليه السّلام ـ: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعاد من عاداه(٢٧).

وقال ـ عليه السّلام ـ: عليّ منّي، وأنا من عليّ(٢٨).

وكان آخر قوله ـ صلّى ٱلله عليه وآلـه وسلّم ـ في غدير خمّ بعد مرجعه من حجّة الوداع وقد نزل جبرئيل ـ عليه السّلام ـ عليه ـ صلّى الله عليه وآله ـ بهذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾(٢٩) وعلم سبحانه أنه ـ صلّى الله

(٢٥) بصائر الدّرجات: ٣١٤ الحديث ٩ بتفاوت يسير في اللّفظ.

(٢٦) عنه إثبات الهداة ١٩٩/٢ صدر ح١٠٠٣. ولم نعثر عليه بعينه في المصادر المتقدّمة عليه ولكن فقراتها موجودة في البحار ج٣٧ و٣٨، أبواب النصوص الدالّة على الخصوص على إمامة أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

(٢٧) سنن ابن ماجة ١: ٤٥ الحديث ١٢١، الكافي ١: ٢٢٧، الإرشاد: ٩٤، ١٨٥، أنساب الأشراف للبلاذريّ ٢: ١١٢، غاية المرام: ٦٨، تذكرة الخواص: ٣٥، إحقاق الحق ٦: ٢٢٥ ـ ٣٠٤، فضائل الخمسة ١: ٣٤٩.

(٢٨) سنن ابن ماجة ١: ٤٤ الحديث ١١٩، صحيح البخاريّ ٥: ٢٢، أمالي الصّدوق: ٢٢، أمالي المفيد: ٣٤.

(٢٩ ـ ٣١) المائدة: ٦٧.

عليه وآله ـ يتّقي أصحابه، فأوحى إليه ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣٠] بعد أن قال له: ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[٣١] ولّما أخبره ربّه أنّه قد عصمه منهم قام خطيباً فيهم وأخذ بيد أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وقال بعد كلام في خطبة له: من كنت مولاه فعليّ مولاه. اللّهمّ والِ من والاه، وعاد من عاداه ـ في كلام تقدّم بعضه ـ فاستأذنه حسّان بن ثابت في ذكر ذلك المقام، فأذن له في ذلك، فقال وشرح الحال:

يُناديهمُ يوم الغدير نبيُّهُمْ
بخُمٍّ فأسْمِعْ بالنّبيِّ مُناديا

يقولُ فَمَنْ مَولاكُمُ ووليُّكُمْ
فقالوا ولم يبدوا هناك التَّعاميا

إلٰهُك مولانا وأنت وليُّنا
ولن تَجِدَنْ منّا لأمرِكَ عاصيا

فقال له قم يا عليُّ فإنّني
رضيتُك مِنْ بَعدي إماماً وهاديا

فقال عمر بن الخطّاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة[٣٢].

في أخبار كثيرة إن ذكرتها طال بها الكتاب وخرج عن الغرض المقصود.

---

(٣٢) الإرشاد: ٩٤، إحقاق الحق ٦: ٣٦١ ـ ٣٦٧، فضائل الخمسة ١: ٣٨٤ ـ ٣٨٦، بحار الأنوار ٣٧: ١٥٩.

وربّما قال بعض المعاندين: لم يكن للشّيعة الإماميّة في ما سلف من الزّمان من يدّعي لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ولولده من بعده ما تدّعيه الآن الإماميّة، وإنّهم كانوا قليلين لا يُعتَدّ بهم.

فيقال[٣٣] لهم: كيف لم يكن لنا من يدّعي لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ولولده[٣٤] ـ عليهم السّلام ـ وقد كان في ما مضى من الزّمان قوم تدّعي فيه الرّبوبيّة، حتّىٰ أحرقهم وقتلهم ولم يرجعوا عنه.

وأمّا قولهم: إنّهم كانوا قليلين.

فيقال لهم: ما تنكرون على من قال لكم من الملحدين ومن اليهود والنّصارىٰ لم تصحّ عندنا نبوّة محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ لأنّ اُمّتنا كانت أكثر من اُمّتكم، وإنّما كثرتم الآن فادّعيتم المعجزات لنبيّكم بعد موته ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

فإن قالوا: «ما روى لنا أسلافنا ما تروونه أنتم الآن» ، يقال لهم: وهكذا لم يروِ أسلافنا ما تروونه الآن أنتم ونحن فينا المعصومون من أهل بيت النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وفيكم من كان يبغض أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ لما وترهم في الله تعالىٰ من قتل أبنائهم وآبائهم وإخوانهم، فتمالوا عليه وحسدوه وبغوا عليه لّما مضى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولو نابذهم ارتدّوا علىٰ أعقابهم، لأنّ أكثرهم كان حديث عهد بالإسلام، هذا ما لا يدفعه إلّا جاحد أو كافر أو[٣٥] معاند.

---

(٣٣) «ب» «ح» «ر» «ع»: يقال.

(٣٤) «ب» «ح» «ر» «ع»: وولده.

(٣٥) ليست في «ر».

﴿ فصل ﴾

وأمّا العلم بكتاب الله تعالىٰ وسنّة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فهو من شرائط الإمام، فيشهد المخالف والمؤالف والقالي والغالي له أنّه لم يستفت أحداً من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في شيء من الفقه والقرآن والتّأويل في التّنزيل، وكان جميع الصّحابة تستفتيه وترجع إليه في جميع المشكلات، وفي إيضاح ما يغمض علمه؛ حتّىٰ قال عمر بن الخطّاب: «لولا عليّ لهلك عمر»[٣٦]، ومن قبل عمر أخوه أبو بكر حين قدم عليه في إمارته نفر من اليهود والنّصارىٰ.

فأمّا اليهود؛ فحدّثني أبو الحسن عليّ بن المظفّر العلّامة البندنيجيّ بها في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، قال: حدّثني أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكريّ بها في سنة تسع وسبعين[٣٧] وثلاثمائة، قال: حدّثني أبو بكر محمّد ابن دريد الأزديّ بالبصرة سنة خمس عشرة وثلاثمائة، قال: حدّثني العكلي، عن ابن عائشة، عن حميد، عن أنس بن مالك أنّه قال: لّما قُبض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وجلس أبو بكر أقبل يهوديّ في نفر حتّى دخل المسجد، فقال: أين وصيّ محمّد؟

فأشار القوم إلىٰ أبي بكر، فوقف عليه وقال: اُريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ.

---

(٣٦) الإيضاح: ١٩٢، ١٩٤، التّهذيب ٦: ٣٠٦ الحديث ٥٦، مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٦٢، المناقب للخوارزميّ: ٣٩، فضائل الخمسة ٢: ٢٧٤، ٢٨٠.

(٣٧) «ر»: وتسعين.

فقال أبو بكر: سل عمّا بدا لك.

فقال اليهوديّ: أخبرني عمّا ليس لله، وعمّا ليس عند الله، وعمّا لا يعلمه الله؟

فقال أبو بكر لليهوديّ: هذه مسائل الزّنادقة يا يهوديّ.

وهم أبو بكر والمسلمون به، فقال ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ: إن كان عندكم جوابه وإلّا فاذهبوا به إلىٰ من يُجيبه، سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يقول لعليّ بن أبي طالب: اللّهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه.

فقام أبو بكر ومن حضره حتّىٰ أتوا عليّاً ـ عليه السّلام ـ فاستأذنوا عليه، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّ هذا اليهوديّ سألني عن مسائل الزّنادقة.

فقال عليّ ـ عليه السّلام ـ: يا يهوديّ، ما تقول؟

فقال: أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ.

فقال ـ عليه السّلام ـ: قل.

فردّ المسائل، فقال ـ عليه السّلام ـ: أمّا ما لا يعلمه الله فذلك قولكم ـ يا معاشر[٣٨] اليهود ـ إنّ العزير ابن الله، والله لا يعلم له ولداً. وأمّا قولك أخبرني عمّا ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد، وأمّا قولك بما ليس لله فليس لله شريك.

فقال اليهوديّ: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وأنّك وصيّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

---

(٣٨) «ر»: معشر.

فقال أبو بكر والمسلمون لعليّ ـ عليه السّلام ـ: يا مفرّج الكرب[٣٩].

وأمّـا النّصارىٰ؛ فحُكي عن سلمان الفارسيّ ـ رحمه الله ـ أنه قال: لّما جلس أبو بكر وغلب علىٰ الأمر، قدم المدينة في أوّل خلافته جاثليق النّصارى في جماعة من قومه فقال له: يا أبا بكر، قد فاتنا نبيّكم ونحن نعلم أنّ كلّ نبيّ من الأنبياء لا يخرج من الدّنيا حتّى ينصّ علىٰ من يخلفه في أُمّته من بعده؛ تقتبس الأُمّة منه ما أشكل عليها، أفأنتوصيّه فأسألك عمّا أحتاج إليه؟

فقال عمر بن الخطّاب: هذا خليفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فسله[٤٠].

فقال له الجاثليق: أخبرني[٤١] أيّها الخليفة عن فضلك علينا في الدّين[٤٢]؟

فقال ابو بكر: نحن مؤمنون وأنتم كافرون، والمؤمن خير من الكافر، والإيمان خير من الكفـر، فقـال الجـاثليق: هذه دعـوى تحتـاج إلىٰ حجّـة. فخبرني[٤٣] أنت مؤمن عند الله أم عند نفسك؟

فقال أبو بكر: أنا مؤمن عند نفسي ولا علم لي بما عند الله تعالىٰ.

قال: فهل أنا كافر عندك علىٰ مثل ما أنت مؤمن عند نفسك، أم أنا كافر

---

(٣٩) الفضائل لابن شاذان: ١٣٢، وعنه بحار الأنوار ١٠: ٢٦. وورد بعضه في التوحيد: ٣٧٧ ح٢٣ وصحيفة الرضا: ٢٥٩ ح١٩٣ والعيون ١/ ١٤١ ح٤٠ عن الحسين عن عليّ ـ عليهما السّلام ـ، وعنها بحار الأنوار ١٠: ١١، ح٥.

(٤٠) «ر»: فاسأله.

(٤١) «ب» «ح» «ر» «ع»: خبّرنا.

(٤٢) «ب»: الدّنيا.

(٤٣) «ب»: فأخبرني.

عند الله تعالى؟

فقال أبو بكر: أنت عندي كافر ولا علم لي بما لك عند الله تعالى.

فقال الجاثليق: فما أراك إلّا شاكّاً في نفسك وفيَّ أيضاً، ولست علىٰ يقين من دينك - في كلام طويل ضربت عنه إشفاقاً من الملالة، فمن التمسه علىٰ صفته[٤٤] وجده في كتابي الموسوم بـ «لوامع السّقيفة والدّار والجمل وصفين والنّهروان» فقد استوفيت فيه نكت الأخبار - فقال له الجاثليق: أخبرني، ألك عند الله منزلة في الجنّة بما أنت عليه من الدّين تعرفها؟

فقال أبو بكر: لي منزلة في الجنّة أعرفها بالوعد ولا أعلم هل أصل إليها أم لا.

قال الجاثليق: أفَترجو أن تكون لي منزلة في الجنّة أناها؟

قال: أجل، أرجو ذلك.

قال الجاثليق: فما أراك إلّا راجياً لي وخائفاً من نفسك، فما فضلك عليّ في العلم.

ثمّ قال: أخبرني هل احتويت علىٰ جميع علم النّبيّ المبعوث إليكم؟

قال: لا ولكنّني أعلم ما قُضي لي علمه.

قال: فكيف صرت خليفة النّبيّ - صلّى الله عليه وآله - وأنت لا تحفظ علم ما تحتاج إليه أمّته من علمه؟ وكيف قدّمك قومك علىٰ من هو أعلم منك؟

قال: فجرّد عمر بن الخطّاب وقال: كفّ يا نصرانيّ عن هذا العبث وإلّا أبحنا دمك.

---

(٤٤) «ر»: صيغته.

فقال الجاثليق: ليس هذا جواب من جاءكم مسترشداً ـ في كلام ـ[٤٥].

قال سلمان الفارسيّ ـ رضيّ الله عنه ـ: فشنّع عليهم الجاثليق وقال: يا قوم، دلّوني علىٰ من أسترشد به.

فمضيت وعرّفت أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ذلك، فجاء بأبي وأمّي هو حتّىٰ جلس وسأله الجاثليق وأخبره بكلّ ما كان ويكون. فأسلم هو أصحابه، فأمر عمر بن الخطّاب أن لا يُذكر هذا المجلس. وقد استوفيته واضفته إلى أخبار السّقيفة وما كان فيها من الأمور الّتي دلّت علىٰ فساد أهل الأديان الّذين تمالوا على أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ[٤٦].

حُكي عن أبي هارون العبديّ أنّه قال: لّما مات أبو بكر وجلس عمر بن الخطّاب اجتمع المسلمون حوله. فأتاه يهودي في نفر منهم. قال: يا عمر، أنت خليفة محمّد في أهله، وأنت أعلم هذه الأمّة بكتاب نبيّها؟

قال: فسكت عنه ساعة، ثمّ قال: لا.

قال: فمن أعلم هذه الأُمّة بكتاب نبيّها، ومن خليفته في أهله؟

فأشار عمر بيده إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ.

فقال اليهوديّ: يا عليّ، أنت خليفة محمّد في أهله، وأعلم أُمّته بكتاب نبيّها؟

قال: نعم، فسل عمّا بدا لك.

قال: أخبرني عن أوّل حجر وُضع على الأرض، وأوّل شجرة أُنبتت علىٰ

(٤٥) «ب»: كلامه.

(٤٦) أمالي الطّوسيّ ١: ٢٢٢.

الأرض، وأوّل عين نبعت علىٰ الأرض.

فقال ـ عليه السّلام ـ: أنتم تزعمون أنّ أوّل حجر وُضع علىٰ الأرض الصّخرة الّتي في بيت المقدس. وما هو كذلك، ولكنّه الحجر الأسود في بيت الله تعالىٰ؛ أخذ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عليه مواثيق العباد ثمّ ألقمه إيّاها. فمِن ثَمَّ المؤمنون يتعاهدون مواثيقهم.

قال: صدقت يا عليّ.

قال ـ عليه السّلام ـ: وأمّا أوّل شجرة أُنبتت علىٰ الأرض فتزعمون أنّها الزّيتونة. وليس كذلك. ولكنّها النّخلة نزل بها جبرئيل ـ عليه السّلام ـ علىٰ آدم ـ عليه السّلام ـ من الجنّة.

قال: صدقت.

قال ـ عليه السّلام ـ: وأما قولك أوّل عين نبعت علىٰ الأرض؛ فأنتم تزعمون أنّها العين الّتي في بيت المقدس. وليس كذلك، ولكنّها عين الحياة كان فيها سمك دخل بعضها بحراً وأُخفيت العين. ولا يعرفها إلّا الله ـ تعالىٰ ـ ومن يُطلِعه عليها.

قال: صدقت يا عليّ وبررت.

قال: فأخبرني، كم للمسلمين من إمام هدى لا يستوحشون من خالفهم ولا يبالون من ناوأهم؟

قال: هم والله اثنا عشر إماماً سكّان[٤٧] محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ في جنّته. ولا يساكنه فيها غيرهم.

---

(٤٧) «ر»: مكان.

قال : صدقت وبررت.

أخبرني عن خليفة محمّد أيموت موتاً أو يُقتَل قتلًا، وكم يعيش من سنة بعد محمّد؟

قال ـ عليه السّلام ـ: يعيش بعد محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ ثلاثين سنة وأشهراً. ولا يموت والله موتاً، ولكن يُقتَل قتلًا، وما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم، والله ليفعلنّه؛ علم سابق من علم الله ـ تعالىٰ ـ وعهد معهود وقد خاب من افترى.

قال: صدقت وبررت.

ثمّ أخرج صحيفة كانت معه وقال لأصحابه اليهود: أنشدكم الله أتعلمون أنّي من ولد هارون، وأنّ عمّي موسى ـ عليه السّلام ـ؟

قالوا: نعم، قال: أتعلمون أنّ هذه الصّحيفة نتوارثها كابراً عن كابر؟

قالوا:نعم.

قال: هذا والله إملاء موسىٰ وخطّ هارون بيده نتوارثه.

ثمّ أسلم ومن كان معه. وشهد مع أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ الجمل وصفّين. وقُتِل بين يديه بصفّين ـ رضي الله عنه ـ[٤٨].

فهذا من بعض علمه، وقد عرف من عرفهم أنّهم لم يعرفوا قليلًا ولا كثيراً مما علّمه الله تعالىٰ.

وأمّا الشّجاعة الّتي هي من شروط الإمام[٤٩] وبها ينتظم أمر الإمامة؛ فلم

(٤٨) الغيبة للنّعماني: ٩٧ ـ ٩٩، كمال الدّين ١: ٢٩٤ ـ ٢٩٦، الكافي ١: ٤٤٥ الحديث ٥.

(٤٩) «ر» الإمامة.

تكن لأحد من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قتيل في الإسلام، ولا موقف في الجهاد يذكر، ولا فعل يُحمَد، ولم يوصف بالشّجاعة والفتك بأعداء الله ورسوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ غير مبير الكفّار، وقاتل الفجّار، وقسيم الجنّة والنّار؛ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ. قتل بسيفه أحداً وعشرين رجلاً من وجوه قريش وصناديدها وفرسانها من سائر قبائلها من تيمها وعديّها وأُميّتها ومخزومها وعبد دارها ومن بني عبد شمسها. فمن ذلك اليوم تمالؤوا عليه وكتبوا صحيفة بينهم وأودعوها أبا عبيدة بن الجرّاح أنّه:إن مات النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ أو قُتِل لم يجعلوا الإمامة في أهل بيته ـ عليهم السّلام ـ حتّى لا تجتمع لهم النّبوّة والخلافة.

وفي يوم بدر قال عبد الله بن أبي رواحة يذكر ما فعله أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ:

ليُهْنِ عليّاً يومَ بدرٍ حضورُهُ
ومشهدُهُ بالحنو ضرباً مُرعبلا
كأيِّنْ له من مشهدٍ غير خاملٍ
يظلُّ له رأسُ الكميِّ مُجدّلا
وغادرَ كبش القومِ في القاعِ ثاوياً
يخالُ عليه الزّعفرانَ المُعلّلا
صريعاً يَبُوءُ القَشْعمانُ برأسِهِ
ويدنُو إلَيْهِ الضَّبْعُ طوراً ليأكُلا

وقالت هند بنت عتبة ـ أمّ معاوية ـ تذكر من قتل أمير المؤمنين ـ عليه

السّلام - من رجالها يوم بدر:

أبي وعمّي وشقيق بكري
أخي ٱلّذي كان كضوءِ البدرِ
بهم كسرتَ يا عليُّ ظهري

فلمّا قالت هند هذه الأبيات قال حسّان بن ثابت يهجوها ويهجو أبا سفيان:

أشرتْ لكاعٍ وكان عادتها
لُؤماً إذا أشرت مع الكفرِ

لعنَ الإلهُ وزوجَها معَها
هندَ الهنودِ طويلةَ البَظْرِ

أقبلتِ ثائرةً مبادرةً
بأبيكِ وابنكِ يومَ ذي بدرِ

وبعمِّكِ المسلوبِ بَزَّتَهُ
وأخيكِ منعفِرَيْنِ في الجَفْرِ

ونسيتِ فاحشةً أتيتِ بها
يا هندُ ويحكِ سُبَّةَ الدَّهْرِ

فَرَجَعْتِ صاغرةً بلا تِرَةٍ
منّا ظفرتِ بها ولا وتْرِ

زَعَمَ الولائِدُ أنّها وَلَدَتْ

ولداً صغيراً كان من عُمَرِ[٥٠]

وقالت أمّ الحكم بنت الزّبير تردّ علىٰ هند يوم بدر وتذكر عليّاً ـ عليه السّلام ـ:

إن كُنتِ غيرَ خبيرةٍ فاستخبري

يا هندُ عن أبوَيْكِ حين علاهُما

وسلي أبا حسنٍ عليّاً عنهُما

وعن الوليد فسائلي فهُما هُما

وقال عليّ بن الحسين ـ عليهما السّلام ـ يذكر يوم بدر والغدير:

وَمَنْ شَرَّفَ الأقوامَ يوماً برأيهِ

فإنّ عليّاً شرَّفَتْهُ المناقبُ

وقال رسولُ اللهِ والحقُّ قولُه

وإنْ رغمتْ منهُم أنوفُ كَواذِبُ

فإنّكَ منّي يا عليّ مؤالفاً

كهارونَ من موسىٰ أخ لي وصاحبُ

دعاهُ ببدرٍ فاستجابَ لأمرِهِ

وسارعَ في ذاتِ الإلهِ يضاربُ

فما زالَ يعلوهُمْ بهِ وكأنَّهُ

شهابٌ تلقّاهُ القوابسُ ثاقبُ

---

(٥٠) «ر» عمْر.

كيف يحبّون من قتلهم وساداتهم في طاعة الله ـ تعالىٰ ـ.

وما أحسن قول دعبل ـ رحمه الله ـ:

وكـيفَ يُحِبُّـونَ الـنّـبـيَّ ورَهْـطَهُ

وهُـمْ تركُـوا أحـشـاءَهُـمْ وَغِـرَاتِ

وقتل ـ عليه السّلام ـ في يوم أُحد لّما انهزم أبو بكر وعمر وعثمان وجلّة أصحاب النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ. وأمّا عثمان فإنّه جاءه بعد ثلاثة أيّام فقال له النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «لقد ذهبت فيها عريضة»، ويقال: «عرضاً». ولم يثبت مع النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ غير أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وثمانية نفر من بني هاشم منهم العبّاس وولده الفضل في بقيّة من بني أبيه. فقتل مبارزة أربعة عشر فارساً واحداً بعد واحد؛ أكثرهم أصحاب ألوية المشركين[٥١].

وقال الحجّاج بن علاط في يوم أُحد:

لله أيّ مذبّـب عن حرمـة

أعـني ابـنَ فاطمـةَ المعمّ المخـولا

ظفـرت يداكَ بضـربـةٍ مشـهـورةٍ

تركـت أمـيّة للجـبـين مجدّلا

وعـلوت سيفـك بالـنـجيع ولم تكـن

لتردّه عطشـان حتّـىٰ يَنهـلا

فشـددتَ شدّةَ ماجـدٍ فكـشـفـتَهُـمْ

بالجـرّ إذ يهوُن أحـول أحـولا

---

(٥١) انظر: الإرشاد: ٤٥، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٤٣.

وقال المعروف بابن رميم يحرّض قريشاً علىٰ قتله ـ عليه السّلام ـ:

في كلّ مجمعِ غايةٍ أخزاكُمُ
جذعُ أبرُّ على المذاكي القُرَّحِ

لله درّكُمُ ألَمّا تَأنَفُوا
قد يدفعُ الضّيم الكريم ويستحي

هذا ابنُ فاطمةَ الّذي أفناكُمُ
ذبحاً وحدُّ غرارِهِ لم يصفَحِ

أينَ الكهولُ وأين كلُّ دعامةٍ
في المعضلاتِ وأينَ زينُ الأبَطَحِ

وقال مالك بن عبادة الغافقيّ يمدح أمير المؤمنين عليّاً ـ عليه السّلام ـ:

رأيت عليّاً لا يلبّث قرنه
إذا ما دعاهُ حاسراً أو مُسرْبلا

وكم قد أذاقَ الموتَ من ذي حفيظةٍ
رئيساً معمّاً في العشيرةِ مُخولا

فأصبحَ تَقْتاتُ الضّباعُ عظامَهُ
وآخَر بيْنَ العسكرَيْنِ مُجَدَّلا

فمن تأمّل هذه الاُمور وتفكّر فيها علم أنّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وتر تيماً وعديّاً واُمّية وسائر قريش برؤسائهم وساداتهم، وأوردهم النّار، وألبسهم العار في مرضاة الله ـ تعالىٰ ـ فلذلك أبغضوه وغصبوه حقّه عند[52] قدرتهم،

(٥٢) «ع»: «بغضوه وغصبوا حقّه حين» بدل «أبغضوه... عند».

وكانوا يظهرون مودّته جهراً ويبطنون عداوته سرّاً، فلمّا وجدوا أعواناً علىٰ دفعه عن حقّه تألّبوا عليه. ولو أنه بارزهم بالعداوة ارتدّوا علىٰ أعقابهم. لأنّ أكثرهم كان حديث عهد بالإسلام؛ على أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كان أوصىٰ إليه ـ عليه السّلام ـ وقال: يا أخي عليك بالصّبر[٥٣]، إلّا أن تجد أعواناً وأنصاراً. فاشهر سيفك حينئذ. فإن لم تجد أعواناً وأنصاراً فاحقن دمك، فإنّ القوم لم ينسوا قتل ساداتهم في مواقفك الّتي شرّفك الله تعالىٰ بها في نصرة دينه[٥٤].

وقتل ـ عليه السّلام ـ في يوم الخندق عمرو بن عبد ودّ العامريّ فارس قريش، وذلك بعد أن نادى عمرو أصحاب النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ للمبارزة، وبعد أن عبر الخندق فنكل النّاس أجمعون عنه واستتر بعضهم ببعض وعمرو يقول:

ولقد بُححْتُ من النّداءِ بجمعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبارِزْ
وَوَقَفْتُ إذْ جَبُنَ الشّجاعُ بموقِفِ البَطَلِ المُناجِزْ
إنّي كذلِكَ لم أزَلْ مُتَسَرِّعاً نَحْوَ الهَزاهِزْ
إنَّ الشَّجاعَةَ في الفَتى والجودَ مِنْ خَيرِ الغَرائِزْ

ويروى أنّ عمراً رأى بيد عمر بن الخطّاب قوساً وسهمًا، فقال: يا ابن صهاك، واللّات والعزّى لئن رميت لأقتلنّك.

فولّى هزيماً يستتر بأبي بكر، فقام أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ لّما رأى

(٥٣) «ر»: بالتّصبّر.

(٥٤) غاية المرام: ٥٥٢.

عجزهم وخذلانهم فقال:

لا تعجلنَّ فَقَدْ أتاكَ مُجيبُ صوتِك غير عاجِزْ
ذو نِيَّةٍ وبَصيرَةٍ والصّدقُ مَنْجى كُلِّ فائِزْ
إنّي لأرْجُو أن أقِيمَ عليكَ نائِحَةَ الجَنَائِزْ
من طَعْنَةٍ نَجْلاءَ يَبْقَى ذِكْرُها عِنْدَ الهَزاهِزْ

فلما قتله قال ـ عليه السّلام ـ:

اليومَ تَمْنَعُني الفِرارَ حفيظَتي
ومُصَمَّمٌ في الهامِ لَيْسَ بنابِ
فَعَفَفْتُ عَنْ أثوابِهِ وَلَوَ انَّني
كُنْتُ المُجَدَّلَ بَزَّني أثْوَابي

وروى أصحاب السّير أنّ عمر بن الخطّاب قال لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: ألا أخذت درعه، فإنّها تساوي ثلاث آلاف درهم؟

فقال ـ عليه السّلام ـ: لّما علوته بالسّيف كشف لي عن فرجه. فاستحييت من ابن[55] عمّي أن أُظهر سوءته للعيون.

قال: ووقفت ابنته أمّ كلثوم، ويقال: أُخته غمرة عليه وقالت: ما قتله إلّا كريم حيث لم يسلبه.

فقيل لها: قتله عليّ بن أبي طالب.

فقالت: بخٍ بخٍ، قتله كفوٌ كريم.

وقالت:

---

(٥٥) «ب» «ح»: بني.

لو كانَ قاتـلَ عمـروٍ غير قاتـلِهِ
لكُـنْـتُ أبـكـي عليهِ سَالِـفَ الأَبَـدِ

لكـنَّ قاتِـلَهُ مَنْ لا يُعـابُ بِهِ
مَنْ كانَ يُدعَـى قَدِيمـاً بَيْضَـةَ الـبَلَدِ

وفي بعض الرّوايات: أنّ غمرة لّما قالت في أخيها البيتين قالت: لا رقأت دمعتي إن أهرقتها عليه، لأنّه قتل الأبطال، وبارز الأقران، وكانت منيّته على يد كفوٍ كريم. ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر.

وقيل: إنّها قالت بعد هذا القول البيتين، ثمّ قالت: والله لا ثأرت قريش بأخي ما حنّت النّيب.

وروي عن أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ أنّه قال: لّما نهضت إلىٰ عمرو سمعت قائلاً يقول:

قتـل عليّ عمـرا قصـم عليّ ظهـرا
أبـرم عليّ أمـرا هتـك عليّ سترا

فقلت: الحمد لله الّذي أظهر الإسلام، وقمع الشّرك(٥٦).

وأجمعت الرّواة أنّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ لّما قتل عمرو بن عبد ودّ قال حسّان بن ثابت:

أمسـى الـفَتىٰ عمـروُ بنُ عَبْـدٍ يَبْتَغي
بجـنـوب يثـربَ غارةً لم تنْـظرِ

(٥٦) انظر: الإرشاد: ٥٧.

وَلَقَدْ وَجَدْتَ سيوفَنا مشهورةً
ولقد وجَدْتَ خيولَنا لَمْ تُقْصَرِ
ولقد رأيتَ غداةَ أُحْدٍ عُصْبَةً
ضَرَبُوكَ ضَرْباً غيرَ ضربِ المحسرِ
أصبحتَ لا تُدعَى ليومِ عظيمَةٍ
يا عمروُ أو لجسيمِ أمرٍ منكرِ

فأجابه رجل من بني عامر يكذّبه في افتخاره ويجعل الفخر لمن قتله من قريش، فقال:

بسيفِ ابن عبدِ اللهِ أحمدَ في الوَغى
بكَفِّ عَليٍّ نِلْتُمُ ذاكَ فاقْصرُوا
ولم تقتلوا عَمْرو بنَ عبدٍ بحولِكُمْ
ولكِنَّهُ الكُفؤُ الكريمُ المظفّرُ
ببدرٍ خَرَجْتُمْ لِلْبراز فَرَدَّكُمْ
شيوخ قريشٍ جَهْرَةً وتأخّرُوا
فقامَ إليهِمْ حَمْزَةٌ وَعُبيدَةٌ
وَجَاءَ عَلِيٌّ بِالُمهنَّدِ يخطرُ
فليس لكم فخرٌ علينا بغيرِنا
وليس لكم فخرٌ يُعَدّ ويُذكَرُ

ولّما قتل في بني قريضة رجالهم قال حسّان بن ثابت:

لله أيّ كريهة أبليتها ببني قريضة والنّفوسُ تطلعُ

أردىٰ رئيسَهُمُ وآبَ بتسعةٍ طوراً يشلّهُمُ وطوراً يدفَعُ

وقتل ـ عليه السّلام ـ في خيبر مرحباً، وذلك بعد انهزام أبي بكر وجرير ابن عبدالله البجلي، ثمّ انهزام عمر بن الخطّاب ورجوعه يجبن أصحابه ويجبّنونه، وكان عليّ ـ عليه السّلام ـ أرمد، فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «لأعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، لا يرجع حتّىٰ يفتح الله علىٰ يديه». فتطاولت أعناق أصحابه ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلىٰ أخذ الرّاية، وقال بعضهم: «أمّا عليّ فقد كفيتموه، لأنّه أرمد ما يبصر بين يديه»، وبلغ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ قول النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال: «اللّهمّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت»، فسمعت امرأة عجوز قوله ـ عليه السّلام ـ فقالت: «أحرى أن يفوز بها ابن أبي طالب»، فلمّا أصبح رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ دعاه، فجاءه وهو لا يبصر بين يديه، فتفل في عينه ـ صلّى الله عليه وآله ـ ودفع إليه الرّاية، وقال: اللّهمّ اكفه الحرّ والبرد واشفه، فإنّه عبدك ووليّك وانصره[٥٧].

وقال حسّان بن ثابت لمّا دفع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ الرّاية إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ يوم خيبر:

وكان عليٌّ أرمدَ العينِ يَبتغي
دواءً فلمّا لم يحسَّ مُداويا

---

(٥٧) انظر: سنن ابن ماجة ١: ٤٣، مسند أحمد ١: ٣٣١ وج٥: ٣٥٨، مجمع الزّوائد ٦: ١٤٧، عيون أخبار الرّضا ـ عليه السّلام ـ ٢: ٦٤ الحديث ٢٧٩، الإرشاد: ٣٦، الإفصاح: ٢٤، أنساب الأشراف ٢: ٩٣ ـ ٩٤، إعلام الورىٰ: ١٠٧.

شفاهُ رسولُ ٱللهِ منهُ بتفلَةٍ
فبُورِكَ مرْقِيّاً وبُورِكَ راقِيا
وقالَ سأُعطي الرّايةَ اليومَ صارماً
كَمِيّاً مُحبّاً للرّسولِ مُواليا
يُحبُّ إلهي والإلهُ يُحبُّهُ
بهِ يفتحُ اللهُ الحصونَ الأوابيا
وأصفى بها دونَ البَرِيَّةِ كُلّها
عليّاً وسمّاه الوزيرَ المؤاخيا

قال أصحاب التّواريخ: فما رمدت عيناه ـ عليه السّلام ـ قطّ. ولّما دفع الرّاية إليه لم يتوقّف حتّى يتكامل الجيش. وهرول مسرعاً حتّى عبر خندق خيبر. فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ليتني كنت قلت له يا أخي من دخل تحت النّخل أمن.

قال أصحاب التّواريخ: فما تكامل الجيش عنده حتّى قتل مرحباً وقلع الباب وٱنهزم أكثر اليهود إلىٰ تحت النّخل، فلم يروّعهم ـ عليه السّلام ـ وأنفذ إلىٰ النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وقال له: «إنّ الله تعالىٰ قد نصرك وقتل عدوّك» فسار النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ نحو الخندق، ونزل أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ الخندق وجعل باب خيبر جسراً عليه وقصر عنه فأتمّه ـ عليه السّلام ـ بساعده حتّى عبر المسلمون عن آخرهم. ثمّ دحا بالباب أذرعاً من الأرض. فاجتمع رجال على قلعه من مكانه فعجزوا حتّىٰ اجتمع أربعون رجلاً فقلعوه[٥٨].

(٥٨) انظر: الإرشاد: ٦٧ وفيه: عشرون رجلاً.

ولـو أنّي ذكـرت مبلغ من قتله ـ عليه السّـلام ـ من المشركين خرج الكتاب عمّا قصدت له. وفي هذا القدر كفاية لمن أنصف من نفسه.

﴿ فصل ﴾

إن قال قائل: لِمَ صبر أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ علىٰ ظلم من ظلمه ولم يطلب حقّه بسيفه.

قيل: لو وجد أعواناً وأنصاراً لَطَلَبَ ولم يترك حقّه في يدي غيره. ولّما وجد أنصاراً طلب حقّه حتّىٰ هلك بسيفه من هلك.

حكى أصحـاب السّـير عن الأشعث بن قيس أنّه قال: سألت أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ فقلت: سمعتك تقول: مازلت مظلوماً منذ قُبض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فما منعك[٥٩] من طلب ظلامتك والضّرب دونها بسيفك؟

فقال ـ عليه السّلام ـ: منعني ما منع هارون بن عمران؛ إذ قال لأخيه موسىٰ: إنّي خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل. وذلك لأنّه قال حين مضى لميقات ربّه:«إن رأيت قومي قد اتّبعوا غيرك فنابذهم وجاهدهم إن وجدت أعواناً. وإن لم تجد فاحقن دمك واكفف يدك»، وكذلك قال لي أخي رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأنا غير مخالفه، وإذا ضننت بنفسي علىٰ الموت فماذا أقول إذا لقيته فقال: «ألم أقل لك أن تحقن دمك وتكفّ يدك»؟ فهذا منعني[٦٠].

وروي أنّ عمر قال لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ في بعض قوله: كيف

(٥٩) «ر»: يمنعك.

(٦٠) انظر: كتاب سليم بن قيس: ٦٠، كمال الدّين وتمام النّعمة: ٢٦٢ ـ ٢٦٤، الإفصاح: ١٣.

تحبّك قريش وقد قتلت من ساداتهم سبعين سيّداً بردّ أنفهم قبل شفاههم[٦١].

فلو أنّ أمـير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بارزهم وطلب حقّه ارتدّوا علىٰ أعقابهم. فلهذا السّبب أمسك عنهم.

فصل

كانت العرب في أمره ـ عليه السّلام ـ علىٰ ستّ طوائف: فطائفة قتل آباءها وأبناءها وساداتها في سبيل الله تعالى. فكانت تنتهز فرصة حتّىٰ تظهر ما في أنفسها وتطلب بثأرها، كما فعل خالد بن الوليد بأهل العميطاء قدم عليهم وهم يصلّون في رحالهم ويؤذّنون فاعتزلهم إلىٰ وجه الشّجر وقتلهم وأولادهم وسبى ذراريهم، فبلغ ذلك النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فرفع يده إلىٰ ٱلله تعالىٰ وقال: يا ربّ إنّي بريء من فعل خالد. فإنّه طلبهم بعمّه الفاكه بن المغيرة. وأنفذ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ حتّىٰ وداهم[٦٢] وغرم لهم ما أتلفه عليهم، حتّىٰ غرم ثمن مَيْلَغَة الكلب، فقالوا لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: يا أبا الحسن غرمت كل شيء حتّىٰ ميلغة كلابنا فما أردت بذلك؟

فقال ـ عليه السّلام ـ: رضا الله ـ تعالىٰ ـ ورسوله. فإنّ خالد أسخط الله ورسوله.

فقالوا: جزى الله رسوله وجزاك خيراً[٦٣].

---

(٦١) انظر: المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٢٢٠، أمالي الصّدوق: ١٤٦ بتفاوت يسير.

(٦٢) أي: أعطاهم الدّية.

(٦٣) أمالي الصدوق: ١٤٦ بتفاوت في اللّفظ.

والطّائفة الثّانية: مرتدّة قد أذلّها الإسلام. فهي تربّص بالمسلمين ريب المنون.

والطّائفة الثّالثة: هي الحَسَدَة الّتي لا تؤثر أن تجتمع النّبوّة والإمامة في مغرس واحد، وهي تحبّ أن ينتقل العزّ من قبيلة إلىٰ قبيلة بغياً وحسداً لرسول الله ـ صلّى ٱلله عليه وآله ـ.

والطّائفة الرّابعة: طائفة تميل إلىٰ الدّنيا؛ تأخذ العاجل من منافعها، ولا تعتقد أن لله تعالىٰ داراً يجازي فيها كلّ عامل بعمله.

والطّائفة الخامسة: رعاع همج لا بصيرة لها ولا علم عندها كالأنعام السّائمة؛ إذا اجتمعت غلبت، وإذا تفرّقت لم تُعرَف، تميل مع كلّ ريح ميلة.

والطّائفة السّادسة: قوم مؤمنون مستضعفون قد عرفوا حقّ الإمامة إلّا أنّهم قليلون، وخيار كلّ زمان أقلّهم عدداً وأكثرهم فضلاً، فلهذه العلّة أمسك ـ عليه السّلام ـ عن طلب حقّه. ولّما وجد أنصاراً وأعواناً علىٰ طلحة والزّبير وأحلافهما النّاكثين، وعلىٰ معاوية وعمرو بن العاص وأحلافهما القاسطين طلب الحق بالسّيف[٦٤] حتّىٰ أهلك الله تعالىٰ بسيفه من أوردهم النّار. ولّما مرقت المارقة ووجد أعواناً علىٰ جهادها جاهدهم حتّىٰ قُتل منهم من قُتل وصار في النّار بسيفه ـ عليه السّلام ـ.

هذه أُمور إذا تأمّلها منصف علم وجوه التّلبيس فيها، وعرف الأغراض في الإنحراف عن صاحب الأمر، والله ـ تعالىٰ ـ يكافئ ذا الإحسان بإحسانه والمسيء بعداوته[٦٥].

(٦٤) «ع»: بسيفه.

(٦٥) «ر»: بعدائه.

﴿ فصل ﴾

فيه طرف مما جرى في أمر السّقيفة، ليعلم أيضاً كيف بنى القوم أمرهم علىٰ دفع وليّ الأمر وصاحب الحقّ عن حقّه ـ عليه السّلام ـ.

أجمع أصحاب السّير أنّه لّما قُبض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ اشتغل أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بغسله وتجهيزه وكان المهاجرون والأنصار وغيرهم من قريش ينتظرون ما يكون من أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ. فتصوّر لهم إبليس، ـ لعنه الله ـ في صورة المغيرة بن شعبة أعور ثقيف، وقال لهم: ما تنتظرون؟

قالوا: ما يكون من بني هاشم.

فقال لهم: امضوا ووسّعوها تتّسع، فوالله لئن وقفتم إلىٰ فراغهم لتصيرنّ فيهم وتصير[٦٦] قيصرانيّة وكسرويّة.

هذا وقد كان نفر من قريش من قبل ذلك كتبوا صحيفة بينهم وأودعوها أبا عبيدة بن الجرّاح وضمّنوها أنّه إن قُبض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أو قُتل عُدل بالإمامة عن بني هاشم حتّى لا تجتمع لهم النّبوّة والخلافة[٦٧]. ثمّ جاء إبليس ـ لعنه الله ـ وحثّهم وزيّن لهم ما آتوه. فنهضوا إلى سقيفة بني ساعدة وجعلوا الأمر في الظّاهر لعمر، وفي الباطن لأبي بكر، حتّىٰ تمّ لهم ما عزموا عليه ولم يصلّ علىٰ النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ، الاّ خمسة نفر، منهم سالم مولىٰ أبي حذيفة، وقد بقيت جنازته علىٰ وجه الأرض ثلاثة أيّام بلياليها. لأنّ هؤلاء النّفر

---

(٦٦) «ر»: فتصير.

(٦٧) «ع»: الإمامة.

كانوا مشتغلين بطلب الإمارة، فاختلف النّاس في الدّين وأحلّوا حراماً وحرّموا حلالاً وأمسكوا عن إرشاد العرب وتعليمهم ما فرض الله ـ تعالىٰ ـ عليهم من الزّكاة والجهاد وغيرهما من أُصول الدّين، وإلىٰ يومنا هذا لا يُرَى أعرابيّ يؤدّي زكاة أو يصلّي صلاة كما فرض الله عليه إلّا من عصمه الله تعالىٰ، وصار الدّين غريباً والمتمسّك به ممقوتاً. وأنا أشرح بمشيئة الله ـ تعالىٰ ـ وعونه طُرفاً ممّا جرى في السّقيفة لابدّ منه ولا غنى عنه؛ حتّىٰ يُعلَم كيف استهانوا بالدّين، وكيف خولف صاحب الشّرع ـ صلوات الله عليه وآله ـ.

أخبرني أبو الحسن بن زنجيّ اللّغويّ البصريّ بها في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة عن أبي عبد الله النّمريّ(٦٨)، عن ابن دريد الأزديّ، وأخبرني أبو الحسين عليّ بن المظفّر العلّامة البندنيجيّ بها، عن أبي أحمد بن عبد الله بن سعيد العسكريّ، عن ابن دريد الأزديّ، عن أبي حاتم السّجستانّي، عن الأصمعيّ، عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال: قال أبو ذؤيب الهذلّي: بلغنا أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عليل فأوجس ذلك خيفة وأشعرنا جزعاً وغمّاً، فبتّ بليلة ثابتة النّجوم، طويلة الآناء، لا ينجاب ديجورها، ولا يطلع نورها، فبقيت(٦٩) أُقاسي طولها ولا أُفارق غولها؛ حتّى إذا كان دون المسفر وقرب السّحر هتف هاتف، فقال:

خطبٌ جليلٌ فَتَّ في الإسلامِ
بينَ النَّخيلِ ومَعْقدِ الأصنامِ

---

(٦٨) «ر»: النّميريّ.

(٦٩) «ب» «ح» «ر» «ع»: فغبرت.

قُبِضَ النّبيُّ محمّدُ فعيونُنا
تذري الدُّموعَ عَلَيْهِ بالسِّجامِ

قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومي مزؤداً، فنظرت إلىٰ السّماء فلم أر إلّا سعد الذّابح، فتفأّلت وقلت: ذبحاً وقتلاً يقع في العرب، فعلمت أنّ النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ قُبض أو هو مقبوض في علّته تلك، فركبت ناقتي وسرت؛ حتّى إذا أصبحت طلبت شيئاً أزجر عليه فعنّ[٧٠] لي شَيْهم[٧١] قد لزم على صلّ وهو يتلوّىٰ والشيهم يقضمه، حتّىٰ أكله، فتفأّلت ذلك شيئاً مهمّاً، وقلت تلوّي الصّل انفتال النّاس عن الحقّ إلىٰ القائم بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ. ثمّ تأوّلت قضم الشّيهم قضمه للأمر وضمّه إليه. فحثثت راحلتي حتّىٰ قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلّوا بالإحرام.

فقلت: مَهْ.

فقيل: قُبض رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

فجئت إلىٰ المسجد فوجدته خالياً، وأتيت بيت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فأصبت بابه مرتّجاً وقد خلا به أهله، فقلت: أين النّاس.

فقيل: هم في سقيفة بني ساعدة صاروا إلىٰ الأنصار.

فجئت إلىٰ السّقيفة. فأصبت أبا بكر وعمر والمغيرة بن شعبة وأبا عبيدة ابن الجرّاح وجماعة من قريش. ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة[٧٢] ومعه

---

(٧٠) «ع»: فعرض.

(٧١) وهو الذّكر من القنافذ.

(٧٢) «ب» «ح» «ر»: دلهم.

شعـراؤهم أمـامهم حسّـان بن ثابت، فآويت إلىٰ الأنصـار فأضلّوا ولم يأتوا بالصّواب، ثمّ بايع النّاس أبا بكر ـ في كلام طويل ـ قال: ثمّ انصرف أبو ذؤيب إلىٰ ساريته(٧٣). ومات في أيّام عثمان بن عفّان(٧٤).

وبهذا الإسناد أنّ النّابغة الجعديّ خرج من منزله وسأل عن حال النّاس فلقيه عمران بن حصين وقيس بن صرمة وقد عادا من السّقيفة، فقال: ما وراءكما؟

فقال عمران بن حصين:

إن كنـت أدري فعـليٌّ بدنـه
من كثـرة التّـخـليط أنّي من أَنَـه

قال قيس بن صرمـة:

أصـبحـت الأُمّـةُ في أمـرٍ عجـبْ
والمـلكُ فيهـم قد غدا لمن غلبْ
قد قلتُ قولاً صادقـاً غير كذبْ
إنّ غداً يهلك أعـلام العـرب

قال(٧٥) النّابغة: فما فعل أبو حسن علّي؟

فقيل: مشغول بتجهيز النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

---

(٧٣) «ع»: مأدبته، «ب» «ح» «ر»: باديته.

(٧٤) انظر خبر السّقيفة مفصّلًا في: إثبات الوصيّة: ١٢٣، السّقيفة وفدك: ١ ـ ٩٤، مسند أحمد ١: ٢١، ٥٥، الفصول المختارة ٢: ٧٦، الاختصاص: ١٨٥ ـ ١٨٧.

(٧٥) «ر»: فقال.

فقال:

قولا لأصلع هاشمٍ إنْ أنتُما
لاقيتُماهُ لقد حَلَلْتَ أرومَها

وإذا قريشٌ بالفخارِ تَساجَلَتْ
كُنْتَ الجديرَ بِهِ وكُنْتَ زعيمَها

وعليك سلّمتِ الغداة بإمرةٍ
للمُؤمنينَ فما رَعَتْ تسليمَها

نكثتْ بنو تيمٍ بن مرّةَ عهدَهُ
فتبوّأتْ نيرانَها وجحيمَها

وتخاصَمَتْ يومَ السّقيفةِ والّذي
فيه الخصامُ غداً يكون خصيمَها

وفي هذا اليوم قال النّعمان بن زيد صاحب وغاية(٧٦) الأنصار يبكي علىٰ الإسلام وعلىٰ خلافهم النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ:

يا ناعيَ الإسلامِ قُمْ وانْعِه
قدْ ماتَ عرفٌ وأتى منكرُ

ما لقريشٍ لا علا كعبها
مَنْ قدَّموا اليومَ ومَنْ أخَّروا

مثل عليٍّ مَنْ خفى أمرُهُ
عليهِمُ والشّمسُ لا تُسْتَرُ

(٧٦) «ع»: وغامة.

وَلَـيْسَ يطوى علَمٌ باهـرٌ
سامٍ يد الله له تُنْشَـرُ
حتّـىٰ يزيلوا صدعَ ململمـةٍ
والـصّـدعُ في الـصّـخـرةِ لا يُجبَـرُ
كبشُ قريشٍ في وغـىٰ حربِهـا
فارُوقـهـا صدّيقُـهـا الأكـبـرُ
وكـاشـفُ الـكَـرْبِ إذا خطبُـهُ
أعـيا على واردِهـا المـصـدرُ
كـبرَّ للهِ وصـلّـىٰ ومـا
صلّى ذوو الـعـيث ولا كبّروا
تدبـيرُهُـمْ أدّى إلـىٰ ما أتـوا
تبّـاً لهم يا بِئْسَ ما دَبَّـرُوا

وقال العبّاس بن عبد المطّلب ـ رضي الله عنه ـ:

عجـبـتُ لقـومٍ أمَّـرُوا غيرَ هاشـمٍ
علىٰ هاشـمٍ رَهْطِ الـنّـبـيّ محمّـدِ
وَلَـيْسُـوا بأكـفـاءٍ لُهمْ في عظيمـةٍ
ولا نُظراء في فعـال وسُـؤدَدِ

وقال عتبة بن أبي سفيان بن عبد المطّلب:

وكـان ولـيّ الأمـر من بعـد أحمـدٍ
عليٌّ وفي كلّ المـواطـنِ صاحـبـه

وصيّ رسول اللهِ حقّاً وصهره
وأوّل من صلّىٰ ومن لان جانبه

وقال عتبة بن أبي لهب بن عبد المطّلب:

تَوَلَّتْ بَنُو تيمٍ علىٰ هاشم ظلما
وذادوا عليّاً عن إمارته قدما
ولم يحفظوا قُربى نبيٍّ قريبة
ولم ينفسوا في من تولاّهُمُ علما

وقال عبادة بن الصّامت في يوم السّقيفة:

يا للرّجال أخّروا عليّا
عن رُتبةٍ كان لها مرضيّا
أليسَ كان دونَهُمْ وَصِيّا
في أبيات..............

وقال عبد الرّحمن بن حنبل حليف بني جمح:

لعَمْري لَئِنْ بايعتمُ ذَا حَفيظةٍ
علىٰ الدّين معروف العفافِ مُوفّقا
عفيفاً عنِ الفحشاءِ أبيضَ ماجداً
صَدوقاً وللجبّارِ قدماً مُصدِّقا
أبا حَسَنٍ فارضوا به وتَبايَعُوا
فليسَ كَمَنْ فيه لذي العيب مرتقا

عليّاً وصـيّ المـصـطفـى ووزيره
وأوّل من صلّىٰ لذي الـعـرش واتّـقـى

رجـعـتم إلىٰ نَهْجِ الْهـدىٰ بعـد زَيْغِكُمْ
وجَمَـعْـتُـمُ مِنْ شَمْـلِهِ ما تَمَزَّقـا

وكـانَ أمـيرُ المـؤمـنـين ٱبن فاطمٍ
بكـم إنْ عَرى خطبٌ أبـرّ وأرفـقـا

وقال زفر بن الحارث بن حذيفة الأنصاريّ(٧٧):

فحـوطـوا عليّاً وانـصـروه فإنّـه
وصـيّ وفي الإِسـلام أوّل أوّلِ

فإن تخذلـوهُ والحـوادِثُ جّمةٌ
فليسَ لكُمْ(٧٨) في الأرضِ مِنْ مُتَحـوِّلِ

وقال أبو سفيان صخر بن حرب بن اُميّة يوم السّقيفة:

بني هاشـمٍ مَا بالُ ميراثِ أحمـدٍ
تنـقّـل عنـكُـمْ في لقـيطٍ وخـامـلِ

أعـبـد منـافٍ كيفَ ترضـون ما أرىٰ
وفـيكـم صدورُ الْمـرهَفـاتِ الأواصـلِ

فدىً لكـمُ أُمّـي اثبـتـوا وثقـوا بنـا
وبـالنّصـرِ منـاّ قبـلَ فَوْتِ المخـاتـلِ

(٧٧) «ر»: الأسديّ.

(٧٨) «ر»: بكم.

متىٰ كانَتِ الأحسابُ تعدو ثيابكم
متىٰ قُرِنت تيم بكم في المحافلِ
يُجازي بها تيم عديّاً وأنتُمُ
أحقّ وأولىٰ بالأُمور الأوائلِ

وقال أيضاً:

وأضحتْ قريشٌ بعد عزٍّ ومِنْعَةٍ
خضوعاً لتيمٍ لا لضربِ القَواضِبِ
فيالَهْفَ نَفسي للّذي ظفرَتْ بهِ
ومازال فيها[79] فائزاً بالرّغائِب

وقال أيضاً:

بني هاشم لا تُطمِعُوا النّاسَ فيكُمُ
ولا سيّما تيم بن مرّة أو عدي
فما الأمرُ إلاّ فيكُمُ وإليكُمُ
وليسَ لها إلاّ أبو حَسَنٍ علي
أبا حسنٍ فاشدد لها كفّ حازمٍ
فإنّك بالأمرِ الّذي يُرتجى ملي

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشّهادتين ـ رضي الله عنه ـ يوم السّقيفة:

ما كنتُ أحسبُ هذا الأمر منتقلاً
عن هاشمٍ ثمّ منها عن أبي حسنِ

(٧٩) «ع»: فينا.

أليسَ أوّلَ من صلّى لقبلتِكُمْ
وأعلَمَ النّاس بالقرآنِ والسُّنَنِ
وآخر النّاس عهداً بالنّبيّ ومَنْ
جبريلُ عونٌ لهُ في الغُسلِ والكَفَنِ
ماذا الّذي رَدَّكُمْ عنهُ فنعرِفُهُ
ها إنَّ بيعتكُمْ مِنْ أغبَنِ الغَبَنِ

وقد نسب قوم هذه الأبيات إلىٰ عتبة بن أبي لهب بن عبد المطّلب.

والخزيمة أيضاً يخاطب عائشة بنت أبي بكر:

أعائِشُ خَلّي عن عليٍّ وعَتْبِهِ
بما ليسَ فيه إنّما أنتِ والده
وصيّ رسولِ اللهِ مِنْ دون أهلِهِ
وأنتِ علىٰ ما كان من ذاكَ شاهده

وقال النّعمان بن عجلان الأنصاريّ في يوم السّقيفة ويعرّض بعمرو بن العاص:

وقلتُمْ حَرَامٌ نَصْبُ سعدٍ ونصبكُمْ
عتيقَ بن [عمر وكان حلا][٨٠] أبا بكرِ
فأهلُ أبو بكر لها خير قائمٍ
وإنَّ عليّاً كان أجدَرَ بالأمرِ

(٨٠) كذا في النّسخ، والصّحيح ـ كما في المصدر ـ: عثمان حلال. انظر: شرح نهج البلاغة ٦: ٣١.

فكــانَ هوانــاً في عليٍّ وإنَّــهُ

لَأهْــلٌ لها يا عمــروُ مِنْ حَيْثُ لا تدري

قال(٨١): لّما استوثق الأمر لأبي بكر ونزل من السّقيفة علىٰ الصّفة الّتي نزلها تكلّم عمرو بن العاص في الأنصار قادحاً فيهم وواضعاً منهم ومصغّراً لأمرهم وأظهر ما كان يكتمه في نفسه ويستره من بغضهم في حياة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فبلغ ذلك أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ فدخل المسجد وصعد المنبر وذكر فضل الأنصار وما أنزله الله ـ تعالىٰ ـ فيهم من القرآن، وما يجب علىٰ المسلمين من إكرامهم ومعرفة حقوقهم، فقالوا لحسّان بن ثابت: يجب أن تذكر فضل عليّ وسبقه، وندموا على ما كان منهم يوم السّقيفة.

فقال حسان:

جزى اللهُ خيراً والجـزاءُ بكـفِّـهِ

أبـا حَسَـنٍ عنّـا ومَـنْ كأبي حَسَـنْ

سَبَـقْـتَ قُرَيْشـاً بالّـذي أنتَ أهلُهُ

فصـدرُكَ مشـروحٌ وقـلبُـكَ مُمْتَـحَـنْ

تَمَنَّـتْ رِجَـالٌ مِنْ قُرَيشٍ أعـزّةٌ

مكـانَـكَ هيهـاتَ الهـزالُ مِنَ ٱلسِّمَنْ

وأنـتَ من الإسـلامِ في كلِّ مَوْطِـنٍ

بمنـزلـةِ الـدّلـوِ البطينِ من الـرَّسَنْ

---

(٨١) «ر»: قالوا.

غضبتَ لنا إذْ قامَ عمروٌ بخصلةٍ
أماتَ بها التّقوى وأحيا بها الإِحَنْ
وكنت المُرجَّا مِنْ لُوَيٍّ بن غالبٍ
لَما كان فيهِ والّذي بعدُ لم يكنْ
حفظتَ رسولَ اللهِ فينا وعهدَهُ
إليكَ ومَنْ أولى بها منك مَنْ ومَنْ
ألستَ أخاهُ في الهُدى ووصيَّهُ
وأعلَمَ فهرٍ[٨٢] بالكتابِ وبالسُّنَنْ

قالوا: ومن الدّليل على أنّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ هو الإمام المنصوص عليه: قول قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريّ في صفّين:

قلتُ لّما بغى العدوُّ علينا حسبُنا ربُّنا ونعمَ الوكيلُ
حسبُنا ربُّنا الّذي فتحَ البصرةَ بالأمسِ والحديثُ طويلُ
وعليّ إمامُنا وإمامٌ لسوانا أتى به التّنزيلُ
حين قال النّبيُّ من كنتُ مولاهُ فهذا مولاهُ خطبٌ جليلُ
إنّما قالَهُ النّبيُّ على الأُمّة حتمٌ ما فيه قالٌ وقيلُ

وهذا من خيار الصّحابة يشهد له بالإمامة وأنّه منصوص عليه وأنّه قد خولف.

وقال الكميت بن زيد يصدّق قول قيس بن سعد بن عبادة وقول حسان:

(٨٢) «ع»: فهمًا.

ويومُ الـدّوحِ دوحُ غديرِ خُمٍّ
أبـانَ له الـولايةَ لو أُطـيعا

ولـكـنَّ الـرّجـالَ تبـايعُـوهَـا
فَلَمْ أرَ مثـلَهـا خَطَراً مَنـيعـا

وقال السّيّد ابن محمّد الحميريّ يصحّح قول الجميع:

قالـوا لَهُ لَوْ شِئْـتَ أعـلَمْـتَـنَـا
إلـىٰ مَنِ الـغـايةُ والمـفـزَعُ

فقـامَ في خُمّ الـنّـبـيّ ٱلّـذي
كان بما قيلَ له يصـدعُ

فقـال مأمـوراً وفي كفِّـهِ
كفُّ عليٍّ لَهُمُ تَلْمَـعُ

مَنْ كُنـتُ مولاهُ فهـذا لَهُ
مولـىً فلم يرضـوا ولم يَسـمـعـوا

وقـال ابن أخت جرير بن عبد الله البجليّ لجرير لّما كتب إليه أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ يدعوه إلىٰ البيعة وهو مقيم بثغر همدان من قبل عثمان ٱبن عفّان:

جرير بن عبـد اللهِ لا تردد الهُـدى
ولا تأبَ قولي إنّـني لَكَ ناصـحُ

فإنّ عليّاً خيرُ من وطِـئ الحـصَـا
سوىٰ أحمـدٍ والمـوتُ غادٍ ورائـحُ

ودعْ عنكَ قولَ النّاكثينَ فإنَّما
أُولاك أبا عمرو كلاب نوابحُ
أبى اللهُ إلاّ أنّه خير خلقِهِ
وأفضل من ضُمّتْ عليه الأباطحُ

فأجابه جرير بأبيات منها:

فصلَّى المليكُ علىٰ أحمدٍ
رسولِ المليك تمام النّعمْ
وصلّى علىٰ الطّهرِ من بعدِهِ
خليفتِهِ القائمِ المدّعَمْ
عليّاً عنيتُ وصيَّ النّبيّ
يُجالدُ عنه غُواةَ الأُمَمْ

وكتب رجل من السّكون إلىٰ الأشعث بن قيس وكان مقيماً بثغر آذربايجان من قبل عثمان بن عفّان يحثّه علىٰ بيعة أمير المؤمنين عليّ ـ عليه السّلام ـ وكان ـ عليه السّلام ـ خائفاً منه:

أبْلغِ الأشعثَ المعُصّبَ بالتَّاجِ
غُلاماً وقد عَلاهُ القتيرُ
يا ابن ذي التّاجِ والمبجّلِ من كِنْدَةَ
ترضى بأن يُقالَ أميرُ
فاقبل اليومَ ما يقولُ عليٌّ
ليسَ في ما يقولُهُ تخييرُ

واقبل البيعةَ الّتي ليسَ للنّاسِ
سِواها من أمْرِهِمْ قِطْميرُ
ولَهُ الفَضلُ في الجِهادِ وفي الهجرةِ
والدّين ذاكَ فضلٌ كبيرُ

وكتب الأشعث بن قيس إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ:

أتانا الرّسولُ رسول الوصيّ
عليّ المهذّب من هاشمِ
وزيرُ النّبيّ وذو صهرِهِ
وخير البريّة والعالَمِ

وقال له أيضاً ـ عليه السّلام ـ:

أتانا الرّسول رسولُ الوصيّ
فُسُرَّ بمقدَمِهِ المُسلِمُونا
رسولُ الوصيّ وصيّ النّبيّ
له الفضلُ والسّبقُ في المؤمنينا
فكم بطلٍ ماجدٍ قد أذاقَ
منيّة حتفٍ من الكافرينا

وروى أصحاب السّير عن الأسود الدّئليّ أنّه قال: حدّثني من سمع أمّ أيمن ـ رضي الله عنها ـ تقول: سمعت في اللّيلة الّتي [تلت نهار اليوم الّذي][83] بويع فيه أبو بكر هاتفاً يقول ولا أرى شخصه:

(٨٣) أضفناه من «ر».

لقد ضَعْضَعَ الإسلامَ فُقدانُ أحمدٍ
وأبكى عليهِ فيكُمُ كلَّ مُسْلِمِ
وأحزَنَهُ حزناً تمالؤ صَحْبِهِ الـ
ـغواة علىٰ الهادي الرّضيّ المكرّمِ

وصيّ رسول الله أوّل مسلمٍ
وأعلم من صلّى وزكّى بدرهمِ
أخي المصطفىٰ دون الّذين تأمّروا
عليه وإن بزّوه فضلَ التّقدُّمِ

قد أوردنا نظماً ونثراً يستدلّ به العاقل علىٰ أنّ القوم عاملوا أمير المؤمنين - عليه السّلام - بما عمل بنو إسرائيل بهارون أخي موسى - عليهما السّلام - حذو النّعل بالنّعل، فصار حكم أمير المؤمنين - عليه السّلام - وحكم هارون - عليه السّلام - واحداً.

وما أحسن قول محمّد بن نصر بن بسّام الكاتب:

إنّ عليّاً لم يزل محنةً
لرائحِ الدّينِ ومغبونِ
أنَزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ المُصطفىٰ
منزلَةً لم تكُ بالدّونِ
صَيَّرَهُ هارونَ في قومِهِ
لعاجلِ الدُّنيا وللدّينِ

فارجـع إلـىٰ الأعـراق حتّـىٰ ترىٰ
ما فَعَـلَ الـقـومُ بهارونِ

وممّا يدلّ على صحّة دعوى من يقول إنّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ مغصوب حقّه من[٨٤] إمامته، رسالة أبي بكر إلى أُسامة بن زيد لّما نزل من السّقيفة:

من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلىٰ أسامة بن زيد، أمّا بعد: فإنّ المسلمين فزعوا إليّ واستخلفوني وأمّروني عليهم بعد وفاة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، في كلام طويل ـ فإذا قرأت كتابي هذا فادخل في ما دخل فيه المسلمون وائذن لعمر بن الخطّاب في خلفه[٨٥] عنك، فإنّه لا غناء بي عنه. وتوجّه إلى الوجه الّذي وجّهك رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

فكتب إليه أُسامة بن زيد:

من أُسامة بن زيد مولىٰ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلىٰ أبي بكر ابن أبي قحافة، أمّا بعد: فقد أتاني كتاب منك ينقض آخره أوّله. ذكرت في أوّل كتابك أنّك خليفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ثمّ قلت إنّ المسلمين استخلفوك وفزعوا إليك وأمّروك عليهم، ولو كان ذاك كذلك لكانت بيعتهم في مسجد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لا في سقيفة بني ساعدة. وسألت أن آذن لعمر بن الخطّاب في تخلّفه عنّي لحاجتك إليه، فقد أذن لنفسه قبل أن آذن له،ومالي أن آذن له ولا لأحد أمره رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بالشّخوص

---

(٨٤) «ب» «ح»: من.

(٨٥) «ز»: تخلّفه.

معي إلىٰ من أشخصني إليه، وما أمرك في تخلّفك وأمر عمر في تخلّفه إلّا واحد، وليس بينك وبينه فرق. ومن عصى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بعد وفاته فهو بمنزلة من عصاه في حياته، وقد علمت أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أمرك وأمر عمر بالمسير معي، ورأيه لكما خير من رأيكما لأنفسكما، وما خفي عليه موضعكما، وقد ولّاني عليكما ولم يولّكما عليَّ، وعصيانه نفاق[٨٦] في كلام أضربت عنه ها هنا وأوردته مستوفى في كتابي الموسوم بـ «عيون البلاغة في أُنس الحاضر وبلغة المسافر».

﴿ فصل ﴾

قد تقدّم في صدر هذا الكتاب أنّ الإمامة تكون بالنّصّ والعصمة، وإذا كان هذا هكذا فإنّ الإمام المعصوم لا يخرج من دار الدّنيا حتّىٰ ينصّ علىٰ من يخلفه في حفظ كتاب الله وشريعة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأوّل الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بنصّ الرّسول ـ صلّى الله عليه وآلـه ـ وإشارته إليه، وقد أجمعت الطّائفة الإماميّة [على][٨٧] أنّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ لم يخرج من الدّنيا حتّىٰ نصّ علىٰ الحسن والحسين ـ عليهما السّلام ـ وأنّ الحسن ـ عليه السّلام ـ لم يخرج من الدّنيا حتّى نصّ علىٰ أخيه الحسين كما نصّ جدّه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وأبوه أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ. ونصّ الحسين على ولده عليّ. ونصّ عليّ علىٰ ولده محمّد. ونصّ محمّد

---

(٨٦) انظر: الإيضاح: ٣٦١.

(٨٧) أضفناه لاستقامة المعنى.

على ولده جعفر. ونصّ جعفر علىٰ ولده موسىٰ. ونصّ موسىٰ علىٰ ولده عليّ. ونصّ عليّ علىٰ ولده محمّد. ونصّ محمّد على ولده عليّ. ونصّ عليّ على ولده الحسن. ونصّ الحسن على ولـده الخلف الصّالح ـ صلّى الله عليهم أجمعين ـ. وجعل الحسن ـ عليه السّلام ـ وكيله أبا محمّد عثمان بن سعيد العمريّ الوسيط بينه وبين شيعته في حياته، فلمّا أدركته الوفاة أمره ـ عليه السّلام ـ فجمع شيعته وأخبرهم أنّ ولده الخلف صاحب الأمر بعده ـ عليه السّلام ـ وأنّ أبا محمّد عثمان بن سعيد العمريّ وكيله وهو بابه والسّفير بينه وبين شعيته، فمن كانت له حاجة قصـده كما كان يقصده في حال حياته. وسلّم إليه جواريه. فلمّا قُبض ـ عليه السّـلام ـ تكلّم أخوه جعفر وادّعى الإمامة لنفسه. وبذل للمعتمد بذلاً شاع ذكره، فلم يصحّ له. فقال له وزير المعتمد: قد كان المتوكّل وغيره يروم فسخ ناموس أخيك فلم يصحّ لهم. فاستمل أنت شيعته بما تقدر عليه.

فلمّا لم يبلغ غرضه، سعى بجواري أخيه ـ عليه السّلام ـ وقال: في هذه الجواري جارية إذا ولدت ولداً يكون ذهاب دولتكم علىٰ يده.

فأنفذ المعتمد إلى عثمان بن سعيد وأمره أن ينقلهنّ إلىٰ دار القاضي أو بعض الشّهود حتّى يستبرئهنّ بالموضع. فسلّمهنّ إلىٰ ذلك العدل. فأقمن عنده سنة، ثمّ ردّهنّ إلىٰ عثمان بن سِعيد، لأنّ الولد المطلوب ـ عليه السّلام ـ كان قد وُلد قبل ذلك بستّ سنين، وقيل: بخمس، وقيل: بل بأربع. وأظهره أبو الحسن ـ عليه السّلام ـ لخاصّة شيعته وأراهم شخصه، وعرّفهم بأنه الّذي يقصد إليه منه، فلمّا تسلّم عثمان بن سعيد الجواري وفيهنّ أُمّ صاحب الأمر ـ عليه السّلام ـ نقلهنّ إلىٰ مدينة السّلام، وكانت الشّيعة تقصده من كلّ بلد بقصص وحوائج،

وكانت الأجوبة تخرج إليهم علىٰ يده فلمّا دنت وفاته جمع من كان بقي من شيوخ الشيّعة، وأخبرهم أنّه ميّت، وأنّ صاحب الأمر ـ عليه السّلام ـ قد أمره بأن ينصّ علىٰ ولده أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمريّ، فمن كانت له حاجة قصده. وتوفّي ـ رحمه الله ـ وهو أوّل أبواب صاحب الأمر ـ عليه السّلام ـ وكانت الشّيعة يأتونه من كلّ بلد سحيق وفجّ عميق؛ وكانت الأجوبة تخرج إليهم علىٰ يده.

فلمّا حضرته الوفاة خبّر الشّيخ الشّيعة أنّه مقبوض، وأنّه قد أُمر بأن يقيم أبا القاسم الحسين بن روح النّوبختيّ مقامه، وكان النّوبختي كاتب عثمان بن سعيد، وقال: «فمن كانت له حاجة قصده». وتوفيّ ـ رحمه الله ـ وهو الباب الثّاني من أبواب صاحب الأمر ـ عليه السّلام ـ [وكانت الشّيعة يأتونه وكانت الأجوبة تخرج إليهم علىٰ يده][٨٨].

فلمّا حضرته الوفاة جمع شيوخ الشّيعة وعرّفهم موته، وأنّه قد أُمر أن يقيم أبا الحسن عليّ بن محمّد بن سهل السّمريّ مقامه، فمن كانت له حاجة قصده. وتوفّي النّوبختيّ ـ رحمه الله ـ وكان الباب الثّالث من أبواب صاحب الأمر ـ عليه السّلام ـ وكانت الشّيعة تختلف إليه وتقصده.

فلمّا حضرته الوفاة اجتمع إليه من كان بقي من شيوخ الشّيعة وقالوا له: عرّفنا من لنا بعدك.

فلم يجبهم عن كلامهم، فلمّا طال خطابهم وتكرّر مرّة بعد ثانية قال لهم: ما أُمرت بشيء وليس بعدي باب يُقصَد.

---

(٨٨) ليست في «ب» «ح» «ع».

وذكّرهم الخبر المأثور عن الأئمة ـ عليهم السّلام ـ إنّ الله ـ تعالىٰ ـ إذا أراد إظهار صاحب الأمر ستر ـ تعالىٰ ـ أبوابه، فاعترفوا بالخبر وصحّته، ثمّ قال: والأمر قريب.

ولـوكانت الأبواب المقصودة باختيار الشّيعة لم تنقطع إلىٰ وقت ظهور صاحب الأمر ـ عليه السّلام ـ فعُلم أنّ من تقدّم من الأبواب كان بنصّ صاحب الأمر ـ عليه السّلام ـ على واحد واحد.

﴿ فصل ﴾

وأمّا اعتقاد الإماميّة في الأئمّة وأنّهم اثنا عشر إماماً ـ عليهم السّلام ـ. فلهم في ذلك طريقان معروفان: أحدهما من رواية العامّة، والآخر من رواية الخاصّة.

فأمّا طريق العامّة؛ فهو ما رووه عن مسروق أنّه قال كنّا عند ابن مسعود في المسجد بين المغرب والعشاء الآخرة وقرأنا القرآن وقلنا له: يا أبا عبد الرّحمن، هل سألتم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ كم الخلفاء بعده؟

فقال: بلى، قد سألناه، فقال لنا: هم اثنا عشر علىٰ عدد نقباء بني إسرائيل[٨٩].

ومثله ما رووه عن جابر بن سمرة أنّه قال: كنت مع والدي عند رسول الله ـ صلّى ٱلله عليه وآله ـ فقال: يملك هذا الأمر بعدي اثنا عشر كلّ منهم هادٍ مهديّ[٩٠].

---

(٨٩) انظر: كمال الدّين وتمام النّعمة ١: ٢٧٩ الحديث ٢٦، الغيبة للنّعماني: ١٠٦ الحديث ٣٧.

(٩٠) انظر: صحيح البخاريّ ٩: ١٠١، سنن أبي داود ٤: ١٠٦ الحديث ٤٢٧٩ ـ ٤٢٨١.

وأمّا روايات الخاصّة ـ وهم الإماميّة ـ فالخبر المجمع عليه خبر اللّوح، وهو ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ مع عليّ بن الحسين ـ عليهما السّلام ـ بأنّه رأى في يد الزّهراء ـ عليها السّلام ـ لوحاً أخضر من زمرّدة خضراء فيه كتابة بيضاء، فقال جابر: قلت لها ـ عليها السّلام ـ: ما هذا اللّوح يا بنت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ؟

فقالت ـ عليها السّلام ـ: لوح أهداه الله تعالى إلى أبي، وأهداه أبي إليّ؛ فيه اسم أبي واسم بعلي والأئمّة من ولدي.

قال جابر: فنظرت في[٩١] اللّوح فرأيت فيه ثلاثة عشر اسماً، كان فيهم محمّد في أربعة مواضع[٩٢].

ومثله خبر سلمان ـ رضي الله عنه ـ أنّه قال: دخلت علىٰ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يوماً والحسين بن عليّ ـ عليه السّلام ـ علىٰ فخذه، قال لي: يا سلمان، إنّ ابني هذا سيّدابن سيّد، أبو سادة حجّة ابن حجّة، وأبو حجج، إمام، وابن إمام، وأبو أئمّة تسعة من ولده؛ تاسعهم قائمهم.

ثمّ ما يروونه عن إمام بعد إمام من نصّ أئمّتهم يخبرون بعددهم، كذلك فهذه أدلّتهم علىٰ كون النّصوص واجبة. وقد ذكرت من دلائلهم ـ عليهم السّلام ـ ودلائل صاحب الأمر ـ عليه السّلام ـ في كتابي الّذي سمّيته بـ «التّاج

---

(٩١) «ر»: إلى.

(٩٢) انظر: الكافي ١: ٤٤٧ الحديث ٩، إثبات الوصيّة: ١٤٣، كمال الدّين وتمام النّعمة ١: ٣٠٨ ـ ٣١٣، الغيبة للطّوسيّ: ٩٢، إحقاق الحق ١٣: ٥٥، بحار الأنوار ٣٦: ١٩٣، أمالي الطّوسيّ ١: ٢٩٧، الإمامة والتّبصرة: ١٠٣، الغيبة للنعماني: ٦٢، الاختصاص: ٢١٠.

الشّرفيّ في معجزات النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ ودلائل أمير المؤمنين والأئمّة ـ عليه وعليهم السّلام ـ» ولّخصته حتّى يُحفَظ ولا يُلفَظ.

قال بعض أهل العلم: السّيرة سيرتان: سيرة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في المشركين، وسيرة أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ في الموحّدين، والقتال قتالان: قتال التّنزيل، وقتال التّأويل، وقد خصّ ٱلله ـ تعالىٰ ـ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بفضيلة لم يدن لها أحد من الصّحابة في الأمرين جميعاً بشهادة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بذلك دون كلّ أحد(٩٣) من الصّحابة. فمن اقتدى به نجا. ومن خالفه هلك وطغى.

يتلوه ما نقل من ثاني كتاب «كمال الدّين في الإمامة» أيضاً عن محمّد بن موسىٰ بن المتوكّل ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا محمّد بن يعقوب، قال: حدّثنا أبو محمّد القاسم بن العلاء، قال: حدّثني القاسم بن مسلم، عن أخيه عبد العزيز بن مسلم وحدّثنا أبو العبّاس محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطّالقاني ـ رضي الله عنه ـ قال: حدّثنا أبو أحمد القاسم بن محمّد بن عليّ الهرويّ(٩٤)، قال: حدّثني أبو حامد عمران بن موسىٰ بن إبراهيم، عن الحسن بن القاسم الرّقّام، قال: حدّثني القاسم بن مسلم، عن أخيه عبد العزيز بن مسلم، قال: كنّا مع الرّضا ـ عليه السّلام ـ بمرو فاجتمعنا في الجامع في بدايه مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا اختلاف النّاس فيها. فدخلت علىٰ سيّدي ـ عليه السّلام ـ فأعلمته خوضان النّاس، فتبسّم ـ عليه السّلام ـ ثمّ قال: يا عبد العزيز، جهل القوم

---

(٩٣) «ب»: واحد.

(٩٤) في كمال الدّين: المروزيّ.

وخُدِعوا عن أديانهم؛ إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ لم يقبض نبيّه ـ عليه السّلام ـ حتّىٰ أكمل له الدّين وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء؛ بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج النّاس إليه كملاً، فقال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٩٥] وأنزل في حجّة الوداع ـ وهي آخر عمرة له ـ عليه السّلام ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً﴾[٩٦]، وأمر الإمامة من تمام الدّين، ولم تمض مدّته ـ عليه السّلام ـ حتّىٰ بيّن لامّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم علىٰ قصد الحقّ، وأقام لهم عليّاً ـ عليه السّلام ـ عَلَماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الامّة إلّا بيّنه. فمن زعم أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر. هل تعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الامّة فيجوز فيها، اختيارهم؟!

إنّ الإمـامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، واعلىٰ مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن تبلغها النّاس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، ويقيموا إماما باختيارهم.

إنّ الإمامة خصّ الله تعالىٰ بها إبراهيم الخليل ـ عليه السّلام ـ بعد النّبوّة والخلّة مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه بها وشاد بها ذكره، فقال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[٩٧]. فقال الخليل ـ عليه السّلام ـ سروراً بها: ﴿وَمِن

(٩٥) الأنعام: ٣٨.

(٩٦) المائدة: ٣.

(٩٧) البقرة: ١٢٤.

ذُرِّيَّتِي﴾؟[٩٨] قال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينْ﴾[٩٩]. فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلىٰ يوم القيامة، وصارت في الصّفوة، ثمّ أكرمه الله ـ عزّ وجلّ ـ بأن جعلها في ذرّيّته أهل الصّفوة والطّهارة، فقال: ﴿ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً [وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ][١٠٠] وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينْ﴾[١٠١]. فلم تزل في ذرّيّته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتّىٰ ورثها النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ [فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ ٱلـمُؤْمِنِينْ﴾[١٠٢] فكانت له خاصّة. فقلّدها ـ صلّى الله عليه وآله ـ][١٠٣] عليّاً ـ عليه السّلام ـ بأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ علىٰ رسم ما فرضها الله ـ عزّ وجلّ ـ فصارت في ذرّيّته الأصفياء الّذين آتاهم الله ـ عزّ وجلّ ـ العلم والإيمان لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُو ٱلعِلْمَ وَٱلإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ ٱللهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلبَعْثِ﴾[١٠٤] فهي في ولد عليّ ـ عليه السّلام ـ [خاصّة][١٠٥] إلىٰ يوم القيامة؛ إذ لا نبيّ بعد محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ، فمن أين يختار هؤلاء الجهّال الإمام وهو بمنزلة الأنبياء ووارث الأوصياء!

(٩٨) البقرة: ١٢٤.

(٩٩) البقرة: ١٢٤.

(١٠٠) أضفناه من المصدر.

(١٠١) الأنبياء: ٧٢ ـ ٧٣.

(١٠٢) آل عمران: ٦٨.

(١٠٣) أضفناه من المصدر.

(١٠٤) الرّوم: ٥٦.

(١٠٥) أضفناه من المصدر.

إنّ الإمامة خلافة الله ـ عزّ وجلّ ـ وخلافة الرّسول، ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين ـ عليهما السّلام ـ.

إنّ الإمامة زمام الدّين، ونظام المسلمين، وصلاح الدّنيا، وعزّ المؤمنين.

الإمام أسّ الإسلام النّامي، وفرعه السّامي، بالإمام تمام الصّلاة والزّكاة والصّيام والحجّ والجهاد،وتوفّر الفيء والصّدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثّغور والأطراف.

الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله ويدعو إلىٰ سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة بالحجّة[١٠٦] البالغة.

الإمام كالشّمس الطّالعة للعالم وهي في الاُفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير، والسّراج الزّاهر، والنّور السّاطع، والنّجم الهادي في غياهب الدّجى والبلد القفر ولجج البحار.

الإمام الماء العذب علىٰ الظّماء، والدّالّ علىٰ الهدى، والمنجي من الرّدىٰ.

الإمام النّار علىٰ اليفاع[١٠٧]، حار لمن اصطلىٰ، والدّليل علىٰ[١٠٨] المهالك[١٠٩]، من فارقه فهالك.

الإمام السّحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشّمس [المضيئة، والسّماء][١١٠]

(١٠٦) في المصدر: والحجّة.

(١٠٧) اليَفاع: ما ارتفع من الأرض. مجمع البحرين ٤: ٥٨٠ (يفع).

(١٠٨) في المصدر: في.

(١٠٩) في العيون: المسالك.

(١١٠) أضفناه من المصدر.

الظّليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والرّوضة.

الإمام الأمين الرّفيق، والوالد الشّفيق، والأخ الشّقيق، ومفزع العباد في الدّاهية.

الإمام أمين الله في خلقه، وحجّته علىٰ عباده، وخليفته في بلاده، والدّاعي إلىٰ الله ـ عزّ وجلّ ـ، والذّابّ عن حرم الله ـ عزّ وجلّ ـ.

الإمام المطهّر من الذّنوب، المبرّأ من العيوب، مخصوص بالعلم، موسوم بالحلم، نظام الدّين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اكتساب[(١١١)] من المفضّل الوهّاب؛ فمن ذا الّذي يبلغ معرفة[(١١٢)] الإمام أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات؛ ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت[(١١٣)] الألباب، وحسرت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألبّاء، وكلّت الشّعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضل[(١١٤)] من فضائله، فأقرّت بالعجز والتّقصير. وكيف يوصف أو يُنعَت بكنهه أو يفهم بشيء من أمره، أو يقوم أحد مقامه ويغني غناه؟ لا كيف وأنّىٰ! وهو بحيث النّجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟! وأين العقول عن هذا؟! وأين يوجد مثل

---

(١١١) في المصدر: اختصاص.

(١١٢) «ب»: مرتبة.

(١١٣) «ب» زيادة: أُولوا.

(١١٤) في المصدر: فضيلة.

هذا؟! أتظنّ[١١٥] أنّ ذلك يوجد في غير آل الرّسول؟ [كذّبتهم][١١٦] والله أنفسهم ومنّتهم الباطل، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً[١١٧] تزلّ عنهم أقدامهم. راموا إقامة الإمام بعقول حائرة دائرة متناقصة وآراء متناقضة. فلم يزدادوا منه إلّا بعدا. قاتلهم الله أنّىٰ يؤفكون؟!

لقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة؛ إذ تركوا الإمام عن بصيرة وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل وكانوا مستبصرين، رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله إلىٰ اختيارهم والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١١٨].

وقال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١١٩].

وقال: ﴿مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينْ﴾[١٢٠]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[١٢١] ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

---

(١١٥) في المصدر: ظنّوا.

(١١٦) «ب» «ح» «ر»: تنهيهم وكيف تنهيهم، «ز» «ع»: وكيف تهنيهم. وما أضفناه من المصدر.

(١١٧) «ب» «ح»: رخصاً، «ر»: ورخصاً.

(١١٨) القصص: ٦٨.

(١١٩) الأحزاب: ٣٦.

(١٢٠) القلم: ٣٧ ـ ٤١.

(١٢١) محمّد: ٢٤.

يَفْقَهُونَ﴾[١٢٢]، أم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[١٢٣]، أم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[١٢٤]. قل هو ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١٢٥].

فكيف لهم باختيار الإمـام والإمام عالم لا يجهل، راع لا ينكل، معدن القدس والطّهارة، والنّسك والزّهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرّسول، و[هو][١٢٦] نسل الطّهر البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه [دنس، له المنزلة الأعلىٰ لا يبلغها][١٢٧] ذو حسب في خلاصة[١٢٨] البيت من قريش، والذّروة من هاشم، والعـترة من[١٢٩] الـرّسـول، والرّضا من الله شرف الأشراف، والفرع من[١٣٠] عبد مناف، باقي[١٣١] العلم، كامل الحلم، مطّلع بالإمامة، عالم بالسّياسة، مفروض الطّاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله، إنّ الأنبياء [والأئمّـة ـ عليهم السّلام ـ][١٣٢] يوفّقهم [الله][١٣٣] ويؤتيهم من مخزون علمه

(١٢٢) التّوبة: ٨٧.

(١٢٣) الأنفال: ٢١ ـ ٢٣.

(١٢٤) البقرة: ٩٣.

(١٢٥) الحديد: ١ ٢.

(١٢٦) (١٢٧) اضفناه من المصدر.

(١٢٨) ليست في المصدر.

(١٢٩) و(١٣٠) في المصدر زيادة: آل.

(١٣١) في المصدر: نامي.

(١٣٢) (١٣٣) أضفناه من المصدر.

وحكمه[١٣٤] ما لا يؤتيه غيرهم؛ فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله ـ جلّ وتعالىٰ ـ: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١٣٥].

وقوله تعالىٰ ﴿وَمَنْ يُؤْتَى ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[١٣٦].

وقوله تعالىٰ في طالوت: ﴿إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١٣٧].

وقال لنبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[١٣٨].

وقال في الأئمة من أهل بيته وعترته: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾[١٣٩].

إن العبد إذا اختاره الله ـ عزّ وجلّ ـ شرح لذلك صدره، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً؛ فلم يَعْيِ بعده بجواب، ولا يحر فيه[١٤٠] عن الصّواب. وهو معصوم مؤيّد موفّق مسدّد. قد أمن الخطأ والزّلل والعثار.

---

(١٣٤) في المصدر: وحكمته.

(١٣٥) يونس: ٣٥.

(١٣٦) البقرة: ٢٦٩.

(١٣٧) البقرة: ٢٤٧.

(١٣٨) النّساء: ١١٣.

(١٣٩) النّساء: ٥٣ ـ ٥٤.

(١٤٠) «ر»: يحرفه.

فخصّه[١٤١] الله بذلك ليكون حجّته[١٤٢] علىٰ عباده، وشاهده علىٰ خلقه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١٤٣]. فهل يقدرون علىٰ مثل هذا فيختاروه، أو يكون مختارهم[١٤٤] بهذه الصّفة فقدّموه[١٤٥]؟! تعدّوا وبيت الله الحقّ. ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كأنّهم لا يعلمون، وفي كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ الهدى والشّفاء. فنبذوه واتّبعوا أهواءهم. فذمّهم الله ومقتهم وأتعسهم. فقال ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾[١٤٦].

وقال: ﴿فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[١٤٧].

وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللَّهِ وَعِنْدَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[١٤٨].

وممّا ورد عن حذيفة بن اليمان نقلاً من الكتاب المذكور أيضاً عن عبد الله بن سلمة أنّه قال: كان حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ أميراً علىٰ المدائن من قبل عثمان بن عفّان، فلمّا قُتل وولي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب

(١٤١) في المصدر: يخصّه.

(١٤٢) في المصدر: «لتكون حجّته البالغة» بدل «ليكون حجته».

(١٤٣) الحديد: ٢١.

(١٤٤) في المصدر: خيارُهم.

(١٤٥) في المصدر: فيقدّموه.

(١٤٦) القصص: ٥٠.

(١٤٧) محمّد: ٨.

(١٤٨) غافر: ٣٥. كمال الدّين وتمام النّعمة: ٦٧٥، حديث ٣١، عيون أخبار الرّضا ـ عليه السّلام ـ ١: ١٧١، الحديث ١، من الباب ٢٠.

ـ صلّوات الله عليه وآله ـ الأمر بعده كتب إلىٰ حذيفة بن اليمان كتاباً يقرّه علىٰ عمله، ويجدّد له به الولاية. وكتب إليه كتاباً يأمره أن يقرأه علىٰ النّاس. فصعد حذيفة بن اليمان المنبر وحمد الله وأثنى عليه وخطب خطبة بليغة ثمّ قال: الحمد لله الّذي أحيا الحقّ، وأمات الباطل، وجاء بالعدل، ودحض الجور، وكبت الظّالمين. أيّها النّاس إنّه قد وليكم والله أمير المؤمنين حقّاً حقّاً، وخير من نعلمه بعد نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ فأنيبوا إلىٰ الطّاعة لأولي الأمر سلماً، وأحقّهم بالأمر، وأقولهم بالحقّ، وأقربهم إلىٰ الصّدق، وأرشدهم إلىٰ العدل، وأهداهم سبيلاً، وأدناهم إلىٰ الله وسبيله، وأمسّهم برسول الله رحماً، أنيبوا إلىٰ طاعة أوّل النّاس سلماً، وأكثرهم علماً، وأقصدهم(١٤٩) طريقة،وأسبقهم إيماناً، وأحسنهم يقيناً، وأكثرهم معروفاً، وأقدمهم جهاداً؛ أخي رسول الله، وابن عمّه، وأبي الحسن والحسين، وزوج الزّهراء البتول سيّدة نساء العالمين. فقوموا أيّها النّاس فبايعوا علىٰ كتاب الله وسنّة رسوله. فإنّ لله في ذلك رضاً، ولكم فيه منفع وصلاح.

فقام النّاس فبايعوا لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ أحسن بيعة وأجمعها فلمّا استتمّت البيعة قام إليه أخو أبي الهيثم بن التّيّهان فقال: أيّها الأمير، إنّا سمعناك تقول في أوّل كلامك قد وليكم والله أمير المؤمنين حقّاً حقّاً. فعرّفنا معنى ذلك يرحمك الله ولا تكتمنا. فإنّك ممّن شهدتَ وغبنا، والله شاهد عليك إلّا ما بذلت لنا النّصيحة؟

فقال حذيفة ـ رحمه الله ـ : اعلم أن كلّ من تسمّى بإمرة المؤمنين قبل عليّ بن أبي طالب وبعده سمّاه المسلمون. وأمّا عليّ بن أبي طالب ـ عليه

---

(١٤٩) «ر»: وأصدقهم.

السّلام ـ فإنّ جبريل[١٥٠] سمّاه بهذا الاسم عن الله تعالىٰ، وشهده رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وكان أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يدعوه به في حال حياة رسول الله. ولم يدع غيره بهذا الاسم في حياته.

قال الرّجل: خبّرنا كيف ذلك يرحمك الله؟

فقال حذيفة: اعلم أنّ النّاس كانوا يدخلون علىٰ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآلـه ـ أيّ وقت شاؤوا. فنهـاهم أن يدخل أحد منهم عليه وعنده دحية الكلبيّ، وكان جبرئيل ـ عليه السّلام ـ يدخل علىٰ النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ في صورة دحية الكلبيّ. ولذلك نهى النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ أن يدخلوا عليه إذا كان عنده دحية الكلبيّ.

قال حذيفة بن اليمان: فأقبلت يوماً لبعض أُموري رجاء أن أجد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ خالياً. فلمّا صرت بالباب وإذا شملة قد سُدِلت علىٰ الباب فرفعتها فإذا بدحية الكلبيّ قاعد ورسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ نائم ورأسه في حجر دحية الكلبيّ. فلمّا رأيته عدت إلىٰ ورائي وانصرفت. فلقيني عليّ ـ عليه السّلام ـ. فقال: يا ابن اليمان من أين أقبلت؟

فقلت: من عند رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

قال: ماذا صنعت؟ فقلت: أردت الدّخول إليه في كذا وكذا فوجدت عنده دحية الكلبيّ فرجعت.

فقال: ارجع معي.

فرجعت، فلمّا صرنا بالباب رفع عليّ ـ عليه السّلام ـ الشّملة ودخل.

---

(١٥٠) «ر»: جبرئيل.

فسمعت دحية الكلبيّ يقول له: «السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ادن فخذ رأس ابن عمّك فإنّك أولىٰ النّاس به»، فقا له عليّ ـ عليه السّلام ـ: «وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته»، ثمّ أخذ رأس النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فوضعه علىٰ ركبته، فاستيقظ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال له: يا أبا الحسن، مِنْ حجر مَنْ أخذت رأسي؟

قال: من حجر دحية الكلبيّ.

فقال له: بل ذلك جبرئيل ـ عليه السّلام ـ، فما قلت له، وما قال لك؟

قال: يا رسول الله، حين دخلت سلّمت عليه فقال لي: وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين.

فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بخ بخ لك يا ابن أبي طالب. سلّمت عليك ملائكة الله وسكّان سمواته بإمرة المؤمنين قبل أن يسلّم عليك أهل الأرض.

ثمّ أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أمر جميع المسلمين(١٥١) أن يسلّموا علىٰ عليّ ـ عليه السّلام ـ بإمرة المؤمنين. فدخل أبو بكر وعمر فأمرهما أن يسلّما عليه بإمرة المؤمنين. فقالا: من الله ورسوله؟

قال: نعم.

ثمّ دخل طلحة وسعد فسلّما. فقال لهما رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: سلّما علىٰ عليّ ـ عليه السّلام ـ بإمرة المؤمنين.

فقالا: عن الله ورسوله؟

(١٥١) «ح»: المؤمنين.

فقال: نعم.

فقالا: سمعاً وطاعة.

ثمّ دخل سلمان وأبو ذرّ فقال لهما: سلّما علىٰ عليّ بإمرة المؤمنين.

فسلّما ولم يعترضاه ولم يسألاه، ثمّ دخل خزيمة بن ثابت ذو الشّهادتين وأبو الهيثم بن التّيّهان، فأمرهما بالسّلام عليه فسلّما ولم يقولا شيئاً، ثمّ دخل عمّار والمقداد فسلّما ولم يقولا شيئاً، ثمّ دخل عثمان بن عفّان وأبو عبيدة بن الجرّاح فسلّما علىٰ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ. فقال: سلّما علىٰ عليّ بإمرة المؤمنين.

فقالا: أعن الله ورسوله؟

قال: [نعم][١٥٢].

ثمّ دخل جماعة من المهاجرين والأنصار كلّ ذلك يقول لهم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ سلّموا علىٰ عليّ بإمرة المؤمنين، فبعض سلّموا ولم يعترضوا، وبعض يقول للنّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «أعن الله ورسوله»؟ فيقول: «نعم»، حتّى غصّ المجلس بأهله.

قال بريدة فأمرني رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بالسّلام علىٰ عليّ بإمرة المؤمنين فقمت فسلّمت عليه، ثمّ أقبل علينا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال: إنّي أمرتكم أن تسلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين، فاعترضني منكم رجال وقالوا «أعن أمر من الله ورسوله»؟ فقلت: نعم، ما كان لمحمّد أن يأتي أمراً من تلقاء نفسه، بل بوحي من ربّه. والّذي نفسي بيده، لئن ارتبتم به أو نقضتموه

(١٥٢) أضفناه لاقتضاء السّياق.

لتكفرون. فمن شاء منكم أن يؤمن ومن شاء فليكفر.

قال بريدة: فلمّا خرجنا سمعنا أحد هؤلاء الّذين أُمروا بالسّلام عليه بإمرة المؤمنين يقول لأصحابه وقد التفّت بهم طائفة من الجفاة البطاة: «أما رأيت ما صنع محمّد بابن عمّه من التّشريف وعلوّ المنزلة»؟ فقال له صاحبه: لا يكبرنّ عليك، فلو فقدنا محمّداً لتركنا قوله تحت أقدامنا.

قال حذيفة: فقال الرّجل: كان ذلك؟

فقال حذيفة: أجل كان ذلك.

فقال الفتى: قد كنت أُحبّ أن أتعرّف هذا الأمر؟

فقال حذيفة: أنا أُخبرك؛ اعلم أنّ الله تعالىٰ أمر رسوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في سنة عشر من مهاجرته أن يحجّ ويحجّ بالنّاس معه، فأذّن في النّاس بالحجّ لقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(١٥٣). فأمر المؤذّنين أن يؤذّنوا في أهل السّافلة والعالية؛ ألا إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قد عزم علىٰ الحجّ في عامه هذا ليقيم للنّاس حجّهم ويعلّمهم مناسكهم. فلم يبق أحد ممّن دخل في الإسلام إلاّ حجّ مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ليشهدوا مناسكهم ويعلّمهم حجّهم. فخرج بالنّاس ونساؤه معه وهي حجّة الوداع، ثمّ هبط جبرئيل ـ عليه السّلام ـ بأوّل سورة العنكبوت، فقال: اقرأ يا محمّد:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا

(١٥٣) الحج: ٢٧.

ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُون﴾[١٥٤].

فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يا أخي جبرئيل، وما هذه الفتنة؟

فقال: يا محمّد، إنّ الله تعالىٰ يقرئك السّلام ويقول لك: إنّي ما أرسلت رسولاً نبيّاً إلّا أمرته عند انقضاء أجله أن يستخلف على أُمّته بعده من يقوم مقامه ويحيي فيهم سنّته وأحكامه، والمطيعون لله تعالىٰ فيما أمرهم به ورسوله هم الصّادقون، والمخالفون عليه هم الكاذبون، وقد دنا يا محمّد مصيرك إلىٰ الله تعالىٰ وهو يامرك أن تنصب لأُمّتك من بعدك عليّ بن أبي طالب. فهو الخليفة القائم برعيّتك إن أطاعته الأُمّة وإن عصته، وأنّ الله يأمرك أن تعلّمه جميع ما استودعك يا محمّد، إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول لك: إنّي اخترتك من عبادي واخترته لك وصيّاً.

فدعا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عليّاً فخلا به يومه ذلك وليلته. واستودعه العلم والحكمة الّتي آتاه[١٥٥] الله إيّاها. ثمّ سار النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآلـه ـ مجدّاً في سيره ليدخل المدينة فينصّب عليّاً ـ عليه السّلام ـ خوفاً من المنافقين وحسدهم لعليّ ـ عليه السّلام ـ. فسار يومين وليلتين. فلمّا كان في اليوم الثّالث هبط عليه جبرئيل ـ عليه السّلام ـ بآخر سورة الحجر، فقال: اقرأ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[١٥٦].

---

(١٥٤) العنكبوت: ١ ـ ٤.

(١٥٥) «ب»: هداه.

(١٥٦) الحجر: ٩٢ ـ ٩٥.

قال: فرحل رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ عجلاً ليدخل المدينة لينصّب عليّاً ـ عليه السّلام ـ. فلمّا كانت اللّيلة الرّابعة هبط جبرئيل ـ عليه السّلام ـ في آخر اللّيل، فقرأ عليه ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في عليّ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ﴾(١٥٧).

فقال له النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ما تراني يا جبرئيل كيف أحثّ المسير مجدّاً فيه لأدخل المدينة فأفرض ولاء عليّ علىٰ الشّاهد والغائب؟

فقال جبرئيل ـ عليه السّلام ـ: إنّ الله تعالىٰ يأمرك أن تفرض ولاء عليّ من الغد.

فقال: نعم، غداً أفعل ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

وأمر النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ بالرّحيل من وقته وساروا حتّىٰ نزلوا بغدير خمّ، فأمرهم أن يجتمعوا إليه وعمدوا إلىٰ أقتاب الجمال فعمل منبراً ورقىٰ عليه، ووقف والرّمضاء تحرق النّاس وإنّ أحدنا ليوقي رجليه بثوبه من حرّ الرّمضاء، ثمّ قال: أيّها النّاس إنّني قد قمت فيكم خطيباً عن أمر الله تعالىٰ فاجتمعوا واسمعوا ما أقول.

وخطب ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال:

الحمد لله الّذي علا في توحيده، ودنا في تقريبه، وجلّ في سلطانه، وعظم في أركانه، وأحاط بكلّ شيء عدداً، وخشية وهو في مكانه، وقهر جميع الخلائق بقدرته وبرهانه، باريء المسموكات، وداحي المدحوات، سبّوح قدّوس، ربّنا وربّ

---

(١٥٧) المائدة: ٦٧.

الملائكة والرّوح، مفضّل على ما برأه، متطوّل على ما ذرأه، يرى كلّ شيء والعيون لا تراه، كريم عليم حليم ذو أناة إله صنع كلّ شيء بعظمته، وذلّ كلّ شيء لعزّته، واستسلم كلّ شيء لقدرته، وخضع كلّ شيء لهيبته، ملك الأملاك، ومدبّر[١٥٨] الأفلاك، ومجري الشّمس والقمر، يسيّرهما في البروج، كلّ يجري لأجل مسمّى، يكوّر اللّيل على النّهار، ويكوّر النّهار على اللّيل يطلبه حثيثاً، قاصم كلّ جبّار عنيد وشيطان مريد، لم يكن له ضدّ ولا معه ندّ، واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، إلهاً واحداً، وربّاً ماجداً، يشاء فيمضي، ويريد فيقضي، ويعلم ويحصي، ويميت ويحيي، ويضحك ويبكي، ويدبّر ويغني، ويمنع ويعطي، له الملك وله الحمد، بيده الخير كلّه وهو على كلّ شيء قدير.

أُوصيكم عباد الله بلزوم طاعته. وأُعرّفكم أنّ يومنا[١٥٩] هذا يوم عظيم شريف، وهو يوم العيد الأكبر، والنّور الأزهر، والمشهد الأنور، يوم أخذ الله ميثاق الأنبياء والمرسلين فيه.

معاشر النّاس، إنّ جبرئيل ـ عليه السّلام ـ هبط إليّ وأمرني عن السّلام المؤمن المهيمن وأمره حتم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في عليّ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[١٦٠]. فهذه الآية تدلّ على تهديد، وتنبىء عن أمر شديد، وأكرمني[١٦١] أن أقوم في هذا المشهد وأُبلّغ كلّ أبيض

(١٥٨) «ب» «ح»: ومدوّر.

(١٥٩) «ب»: يومكم.

(١٦٠) المائدة: ٦٧.

(١٦١) «ر»: وألزمني.

وأسود، وكلّ دانٍ وقاصٍ أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أخي ووزيري وخليفتي، والإمام من بعدي، وقاضي ديني، والّذي أنزل الله تعالىٰ فيه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١٦٢) وأنّ عليّ بن أبي طالب أقام الصّلاة وآتى الزّكاة وهو راكع وساجد؛ ما يريد غير الله. وقد سألت جبرئيل أن يستعفي الله لي من تبليغ ذلك إليكم لقلّة المؤمنين وكثرة المنافقين والّذين في قلوبهم مرض؛ الّذين وصفهم الله تعالىٰ في كتابه أنّهم ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(١٦٣) ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾(١٦٤).

معاشر النّاس، اعلموا وافهموا أنّ ٱلله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً مفترضاً طاعته، حقّاً موالاته، واجبة محبّته، فرض ولايته علىٰ المهاجرين والأنصار وعلىٰ التّابعين لهم بإحسان، وعلىٰ الأعجميّ والعربيّ، والحرّ والعبد، والصّغير والكبير، وعلىٰ كلّ مسلم بأمر من العليّ العظيم. مَن حكمه جائز، وأمره نافذ. وقمت في هذا المشهد فاسمعوا وأطيعوا ما يقال لكم في أمر وليّكم، فإنّ ٱلله ـ عزّ وجلّ ـ إلهكم، وأنا رسول إليكم؛ القائم الخاطب المخبر لكم، وعليّ بن أبي طالب وليّكم وإمامكم قائم فيكم بأمر ربّكم.

معاشر النّاس(١٦٥)، ما من علم إلّا وقد علّمته عليّاً وفهّمته إيّاه بأذن الله. فهو هاديكم بأمر الله بقوله لي على لسان أخي جبرئيل: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ

(١٦٢) المائدة: ٥٥.

(١٦٣) الفتح: ١١.

(١٦٤) النّور: ١٥.

(١٦٥) «ر»: المسلمين.

قَوْمٍ هَادٍ﴾(١٦٦). فقلت له: يا أخي، أنا المنذر فمن الهادي بعدي؟ فقال لي: عليّ ٱبن أبي طالب هو الهادي لأمّتك، فهو يهدي إلىٰ الحقّ ويعمل به، ويزيل الباطل وينهى عنه، لا تأخذه في الله لومة لائم، أوّل من آمن بالله ورسوله، وأوّل من فدى رسول الله بنفسه، والّذي كان مع رسول الله ولا أحد معه.

معاشر النّاس، اقبلوه فقد قبله الله ورسوله، واسمعوا منه فقد نصبه الله لكم إماماً وقائماً. ولا يتوب الله علىٰ أحد أنكر ولايته. فاحذروا أن تخالفوه فتُصْلَوا ناراً وقودها النّاس والحجارة أُعدّت للكافرين.

معاشر النّاس، أنا البشير النّذير، أنا خاتم النّبيّين والمرسلين، أنا الحجّة علىٰ جميع العالمين من أهل السّماوات والأرضين، من شكّ فيَّ فهو كافر كفر الجاهليّة الأُولىٰ، ومن شكّ في شيء من قولي فقد شكّ في الكلّ، والشّاكّ في قولي هو في النّار.

معاشر النّاس، فضّلوا عليّاً بعدي، فهو أفضل النّاس بعدي من ذكر وأُنثىٰ.

معاشر النّاس، ملعون ملعون من ردّ قولي، هذا أخي جبرئيل ـ عليه السّلام ـ عن الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ يأمرني بتبليغكم هذا، فلتنظر نفس ماذا تقدّم لها، واتّقوا الله أن تخالفوه.

معاشر النّاس، من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله ـ صلّى الله عليك وسلّم ـ إلينا!

فقال: أوليس أنا أولىٰ منكم بأنفسكم؟

---

(١٦٦) الرّعد: ٧.

قالوا: بلى.

قال: فمن كنت نبيّه فعليّ وليّه، ومن كنت مولاه فعليّ مولاه. ومن كنت أنا إليه رسول فعليّ له إمام. وهو الهادي[١٦٧] المهتدي الّذي يهدي إلىٰ الحقّ. فهو أمين الله وحجّته عليكم.

ثمّ قال: معاشر النّاس، هذا جبرئيل قد هبط عليَّ يقول: اقرأ عليهم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً﴾[١٦٨] بولاية عليّ.

ثمّ قال: اللّهمّ أنت أنـزلت الإمامة لعليّ بن أبي طالب، وأكملت دين عبادك بولايته، وأتممت عليهم نعمتك ورضيت لهم الإسلام ديناً وشريعة ارتضيتها لبريّتك لتهديهم. اللّهمّ إنّي بلّغت وأُشهدك عليهم، فاشهد علىٰ إقرارهم، اغضب علىٰ من أنكر منهم؛ إنّك بكلّ شيء عليم.

معاشر النّاس، إنّ إبليس أخرج أباكم من الجنّه بالحسد فلا تحسدوا عليّاً فتحبط أعمالكم، وتزلّ أقدامكم. فإنّ إباكم آدم أُهبط إلىٰ الأرض بخطيئة واحدة وهو صفوة الله، فكيف وأنتم عباده؟!

معاشر المسلمين. ما يبغض عليّاً إلّا شقيّ، ولا يوالي عليّاً إلّا تقيّ، ولا يؤمن به إلّا مخلص موافق، ولا يضادّه ويتخلّف عنه إلّا كافر منافق.

معاشر النّاس، إنّي رسول الله وهذا الإمام بعدي، ولا إمام إلّا منه ومن عقبه وهو والدهم.

---

(١٦٧) «ب» زيادة: المهديّ.

(١٦٨) المائدة: ٣.

أيّها النّاس، هذا أخي ووارثي والخليفة من بعدي عليكم؛ الهادي إلىٰ سبيل الرّشاد، والمنتقم من الظّالمين، وفاتح الفتوح من أهل الشّرك والضّلال، والقائم المهديّ من عقبه.

معاشر النّاس، هل رضيتموه؟

فضجّ النّاس جميعاً بقولهم: «نحن راضون يا رسول»، فلمّا سكتوا أمرهم بمبايعته، فبايعه النّاس جميعاً ولم يتخلّف منهم أحد، وكان أبو بكر وعمر قد تقدّماه إلىٰ الجحفة. فبعث إليهما فردّهما وقال لهما: بايعا عليّاً بالولاية من بعدي.

فقالا: أمر من الله ورسوله؟

فقال: وهل يكون مثل هذا من غير أمر الله؟ نعم هو من أمر الله ورسوله.

فبايعاه وقالوا: رضينا وأطعنا وسمعنا وأقررنا.

ثمّ أقبل عمر على عليّ وقال له: بخ بخ لك يا أبا الحسن؛ أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة.

ثمّ نزل النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ من المنبر.

وحيث رأىٰ العبّاس يوم السّقيفة أنّ الأمر خارج عن بني هاشم وكونهم قد همّوا بالعدول عن مستحقّه إلى غير مستحقّه قال لعليّ ـ عليه السّلام ـ وهو يغسّل النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «يا ابن أخ، مدّ يدك لأُبايعك، لا يختلف[١٩٦] عليك اثنان»، نظر العبّاس ـ رضي الله عنه ـ على ظاهر الأمر ولم يقف علىٰ باطنه. ثمّ إنّه أيضاً قصد الوفاء بعهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ الّذي أخذه علىٰ جميع المسلمين لعليّ ـ عليه السّلام ـ في يوم غدير خمّ، وأمير المؤمنين

---

(١٦٩) «ب» «ح»: يتخلّف.

ـ عليه السّلام ـ علم بإعلام النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ له بقوله: يا عليّ إنّ القوم يثبوا عليك ويكثروا وينتصروا ويبتزّوك حقّك، فاصبر عليهم وكن صابراً محتسباً، لتحصل لك درجة الصّابرين المظلومين.

ثمّ إنّه هو الإمام الوصيّ أُوصِيَ بحفظ الأمّة. فرأى أنّ حفظ بيضة الإسلام أولىٰ من إهراق دمائهم. فرأى رأيه في حفظ الإسلام. فبذل العبّاس جهده في نصرة نبيّه الكريم ورام أن لا يخرج الأمر من بني هاشم. ورأىٰ عليّ ـ عليه السّلام ـ رأيه في حفظ بيضة الإسلام وحقن دماء المسلمين. وفي ذلك يقول الرّاهي من قصيدة له:

يا خيرة القوم الّذين بجهلهم
أضحوا جميعاً في الضّلالة توّها

عاجوا عن العذب الزّلال وواصلوا
قفراً لمسرود السّراب يلهلها(١٧٠)

ويهدّوه ولو يشاء بسيفه
لأماطهم عمّا يشاء ونهنها

لكن لو اخترط الحسام لما رأى
خلقاً بدين محمّد متفوّها(١٧١)

---

(١٧٠) «ب» «ح»: ملهلها، «ر»: بلهلها.

(١٧١) انظر: بحار الأنوار ٣٧: ٣٢٥/٦٠ وقال: قال السّيّد: ورأيت حديث حذيفة أبسط وأكثر من هذا عن عبيد الله بن سلمة عنه. والحديث هذا لم أجده في كمال الدّين وتمام النّعمة، والخطبة وحدها نقلها الطّبرسيّ في الإحتجاج: ٥٨.

﴿ الباب السادس ﴾

في بعض ما ورد من أخبارهم ومناقبهم،
وذكر اتّصال الوصيّة من لدن آدم إلى عليّ ـ عليه السّلام ـ
وذكر كلام هشام بن الحكم في الإمامة أيضاً،
وصفة الإمام والدّلائل عليه.



وممّا نقلته من اختيارات كتاب كمال الدّين في إثبات النّعمة وكشف الحيرة؛ في معنى اتّصال الوصيّة من لدن آدم ـ عليه السّلام ـ، وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله ـ عزّ وجلّ ـ على خلقه إلى يوم القيامة.

عن أبي عبدالله ـ عليه السّلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ : أنا سيّد النّبيّين، ووصيّي سيّد الوصيّين، وأوصياؤه سادة الأوصياء؛ إنّ آدم ـ عليه السّلام ـ سأل الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يجعل له وصيّاً صالحاً، فأوحىٰ الله إليه: إنّي أكرمت الأنبياء بالنّبوّة ثمّ اخترت خلقي وجعلت خيارهم الأوصياء.

فقال آدم ـ عليه السّلام ـ : ياربّ، فٱجعل وصيّي خير الأوصياء.

فأوحىٰ الله إليه: ياآدم، أوصِ إلىٰ شيث.

فأوصىٰ آدم إلى شيث وهو هبّة الله بن آدم: وأوصىٰ شيث إلىٰ ابنه شبان وهو ابن نزلة الحور الّتي أنزلها الله ـ عزّ وجلّ ـ على آدم من الجنّة. فزوّجها شيثاً. وأوصىٰ شبان إلىٰ مجلث. وأوصىٰ مجلث إلىٰ محوق. وأوصىٰ محوق إلىٰ غثميشا. وأوصىٰ غثميشا إلىٰ أخنوخ وهو إدريس النّبيّ ـ عليه السّلام ـ . وأوصىٰ إدريس إلىٰ ناخور. ودفعها ناخور إلىٰ نوح النبيّ ـ عليه السّلام ـ. وأوصىٰ نوح إلىٰ سام. وأوصىٰ سام إلىٰ عثامر. وأوصىٰ عثامر إلىٰ برعيثاشا. وأوصىٰ برعيثاشا إلىٰ يافث، وأوصىٰ يافث إلىٰ برّة. وأوصىٰ برّة إلىٰ حفشية، وأوصىٰ حفشية إلىٰ عمران.

ودفعها عمران إلىٰ إبراهيم الخليل ـ عليه السّلام ـ وأوصىٰ إبراهيم إلىٰ إبنه إسماعيل. وأوصىٰ إسماعيل إلىٰ إسحاق. وأوصىٰ إسحاق إلىٰ يعقوب. وأوصىٰ يعقوب إلىٰ يوسف. وأوصىٰ يوسف إلىٰ بثريا. وأوصىٰ بثريا إلىٰ شعيب. وأوصىٰ شعيب إلى موسىٰ بن عمران. وأوصىٰ موسىٰ بن عمران إلى يوشع بن نون. وأوصىٰ يوشع بن نون إلىٰ داود. وأوصىٰ داود إلى سليمان. وأوصىٰ سليمان إلىٰ آصف بن برخيا. وأوصىٰ آصف إلىٰ زكريّاء. ودفعها زكريّاء إلىٰ عيسىٰ بن مريم ـ عليه السّلام ـ . وأوصىٰ عيسىٰ إلىٰ شمعون بن حمّون الصّفا. وأوصىٰ شمعون إلىٰ يحيىٰ بن زكريّاء. وأوصىٰ يحيىٰ بن زكريّاء إلى منذر. وأوصىٰ منذر إلىٰ سليمة. وأوصىٰ سليمة إلى بردة.

ثمّ قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ : ودفعها إليّ بردة. وأنا أدفعها إليك ياعليّ. وأنت تدفعها إلى وصيّك، ويدفعها وصيّك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد؛ حتّى تدفع إلىٰ خير أهل الأرض بعدك. ولتكفرنّ بك الأمّة ولتختلفنّ عليك اختلافاً شديداً. الثّابت عليك كالمقيم معي، والشّاذّ عنك في النّار، والنّار مثوىٰ للكافرين.(١)

وأرسل الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ محمّداً ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إلىٰ الجنّ والإنس عامّة، وكان خاتم الأنبياء، وكان من بعده الاثنا(٢) عشر وصيّاً؛ منهم من أدركنا، ومنهم من سبقنا، ومنهم من بقي. فهذا من أمر النّبوّة والرّسالة. وكلّ نبيّ من بني إسرائيل خاصّ أو عامّ كان له وصيّ. جرت به السّنّة. وكان الأوصياء الّذين بعد النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ على سنّة أوصياء عيسىٰ. وكان أمير

---

(١) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٢١١، حديث ١.

(٢) «ح»: اثنا.

المؤمنين ـ عليه السّلام ـ على سنّة المسيح. فهذا تبيان السّنّة وأمثال الأوصياء بعد الأنبياء.

وممّا نقلته من الجزء الثّاني من كتاب كمال الدّين، عن الثّقاة، عن عبدالله ابن أبي الهذيل قال: سألت أبا عبدالله ـ عليه السّلام ـ عن الإمامة في مَنْ تجب، وما علامة من تجب له الإمامة؟.

فقال لي: الدّليل على ذلك، والحجّة على المؤمنين، والقائم في أمور المسلمين، والنّاطق بالقرآن، والعالم بالأحكام، أخو نبيّ الهدىٰ ـ عليه السّلام ـ ، وخليفته علىٰ أُمّته، ووصيّه عليهم، ووليّه الّذي كان [منه][3] بمنزلة هارون من موسىٰ، المفروض الطّاعة بقول الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[4].

وقال ـ جلّ ذكره ـ : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[5].

المدعوّ له بالولاية، والمثبّت له الإمامة يوم غدير خمّ بقول الرّسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عن الله ـ جلّ جلاله ـ: ألست أولىٰ بكم من أنفسكم؟

قالوا: بلىٰ.

قال: فمن كُنتُ مولاه فعليّ مولاه. اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانْصُر من نصره، واخذُل من خذَلَه، وأعِن من أعانه.

ذاك عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وأفضل الوصيّين، وخير الخلق أجمعين، بعد رسول ربّ العالمين، وبعده الحسن،

---

(٣) أضفناه من المصدر.

(٤) النّساء: ٥٩.

(٥) المائدة: ٥٥.

ثمّ الحسين، ـ سبطا رسولِ الله وابنا خيرة النّسوان ـ ، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسىٰ بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسىٰ، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ محمّد بن الحسن، ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ إلىٰ يومنا هذا واحد بعد واحد. وإنّهم عترة الرّسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ، معروفون بالوصيّة والإمامة في كلّ عصر وزمان، وكلّ وقت وأوان. وإنّهم العروة الوثقىٰ، وأئمّة الهدىٰ، والحجّة علىٰ أهل الدّنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وإنّ كلّ من خالفهم ضالّ مضلّ تارك للحقّ والهدىٰ. وإنّهم المعبّرون عن القرآن، والنّاطقون عن الرّسول ـ عليه وآله السّلام ـ بالبيان. وإنّ من مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهليّة. وإنّ فيهم الورع، والعفّة، والصّدق، والصّلاح، والإجتهاد، وأداء الأمانة إلىٰ البرّ والفاجر، وطول السّجود، وقيام اللّيل، واجتناب المحارم، وانتظار الفرج بالصبر، وحسن الصّحبة، وحسن الجوار.(٦)

وممّا نقلته من الكتاب المذكور في معنىٰ القائم المهديّ ـ عليه السّلام ـ ، عن ابن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله ـ عليه السّلام ـ يقول: إنّ سنن الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ بما وقع عليهم من الغيبات جارية في القائم منّا أهل البيت حذو النّعل بالنّعل والقذّة بالقذّة.

قال أبو بصير: فقلت له: ياابن رسول الله، ومن القائم منكم أهل البيت؟

فقال: ياأبا بصير، هو الخامس من ولد ابني موسىٰ. ذلك ابن سيّدة الإماء. يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون. ثمّ يظهره الله ـ عزّ وجلّ ـ فيفتح علىٰ يديه مشارق الأرض ومغاربها. وينزل روح الله عيسىٰ بن مريم ـ عليه السّلام ـ

---

(٦) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٣٦ حديث ٩.

فيصلّي خلفه. وتشرق الأرض بنور ربّها. ولا تبقىٰ في الأرض بقعة عبد فيها غير الله ـ عزّ وجلّ ـ إلاّ عبد فيها. ويكون الدّين كلّه لله ولو كره المشركون.(٧)

وعن المفضّل، عن منصور، قال: قال أبو عبدالله ـ عليه السّلام ـ: يامنصور، إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلاّ بعد إياس، لا والله حتّىٰ تميّزوا، لا والله حتّىٰ تمحّضوا(٨)، لا والله حتّىٰ يشقىٰ من شقي ويسعد من سعد(٩).

وعن المفضّل بن عمر الجعفيّ، عن أبي عبدالله ـ عليه السّلام ـ قال: سمعته يقول: إيّاكم والتّنويه. أما والله ليقيمنّ(١٠) إمامكم سنيناً من دهركم، وليمحّض(١١) حتّىٰ يقال: «مات أو هلك بأيّ وادٍ سلك». ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، ولتُكفأنّ كما تُكفأ السّفن في أمواج البحر. فلا ينجو إلاّ من أخذ الله ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه. ولتُرفَعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدرىٰ أيّ من أيّ.

قال: فبكيت، فقال: مايبكيك ياأبا عبدالله؟.

فقلت: وكيف لا أبكي وأنت تقول تُرفَع اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدرىٰ أيّ من أيّ، فكيف نصنع؟

قال: فنظر إلى شمس داخلة في الصّفة، فقال: ياأبا عبدالله، ترىٰ هذه الشّمس؟

قلت: نعم.

---

(٧) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٤٥ حديث ٣١.

(٨) في المصدر: تمحّصوا.

(٩) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٤٦، حديث ٣٢.

(١٠) في المصدر: ليغيبنّ.

(١١) في المصدر: ولتمحّصنّ.

قال: تالله لأمرنا أبين من هذه الشّمس.[١٢]

وعن عبدالله بن سنان، قال: قال أبو عبدالله ـ عليه السّلام ـ : ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يُرىٰ، ولا إمام هدىً، ولا ينجو منها إلاّ من دعا بدعاء الغريق.

قلت: كيف دعاء الغريق؟.

قال: تقول: ياالله، يارحمٰن يارحيم، يامقلّب القلوب، ثبّت قلبي علىٰ دينك.

فقلت: يا مُقلّب القلوب والابصار، ثبّت قلبي علىٰ دينك.

فقال: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ مقلّب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول: يامقلّب القلوب ثبّت قلبي علىٰ دينك.[١٣]

وقال الثّقاة، عن سدير الصّيرفي، قال: دخلت أنا والمفضّل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب علىٰ مولانا أبي عبدالله جعفر بن محمّد ـ عليهما السّلام ـ ، فرأيناه جالساً علىٰ التّراب وعليه مسح خيبريّ، مطوّق بلا جيب، مقصّر الكمّين، وهو يبكي بكاء الواله الثّكلىٰ ذات الكبد الحرّىٰ، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التّغيّر في عارضيه، وأبلىٰ الدّموع محجريه، وهو يقول: سيّدي غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليّ مهادي، وابتزّت منّي راحة فؤادي. سيّدي غيبتك وصلت مصابي بفجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد. ماأحسّ بدمعة ترقأ من عيني وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرّزايا، وسوالف البلايا، إلاّ مثّل بعيني عن غوابر أعظمها وأفظعها، وبواقي أشدّها وأنكرها، ونوائب مخلوطة بغضبك، ونوازل معجونة بسخطك.

---

(١٢) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٤٧ حديث ٣٥.

(١٣) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٥١ حديث ٤٩.

قال سدير: فاستطارت عقولنا ولهاً، وتصدّعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل، والحادث الغائل، وظننّا أنّه سمت لمكروهة قارعة، أو حلّت به من الدّهر بائقـه. فقلت لا أبكىٰ الله ياابن خير الورىٰ عينك، من أيّة حادثة تستنزف دمعتك، وتستمطر عبرتك، وأيّ حالة حتّمت عليك هذا المأتم؟

قال: فزفر الصّادق ـ عليه السّلام ـ زفرة انتفخ منها جوفه، واشتدّ عنها خوفـه، وقال: ويلكم نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم ـ وهو الكتاب المشتمل علىٰ علم المنايا والبلايا، وعلم ماكان ومايكون إلىٰ يوم القيامة، الّذي خصّ الله تقدّس اسمه محمّداً والأئمّة من بعده عليهم السّلام به ـ وتأمّلت منه مولد قائمنا وغيبته، وإبطاءه وطول عمره، وبلوىٰ المؤمنين في ذلك الزّمان، وتولّد الشّكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم الّتي قال الله ـ تقدّس ذكره ـ : ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[١٤]؛ يعني الولاية، فأخذتني الرّقّة، واستولت عليَّ الأحزان.

فقلنا: ياابن رسول الله، كرّمنا وفضّلنا بإشراكك إيّانا في بعض ماأنت تعلمه من علم ذلك؟

قال: إنّ الله ـ تبـارك وتعالىٰ ـ أدار في القائم منّا ثلاثة أدارها لثلاثة من الرّسل: قدّر مولده تقدير مولد موسىٰ ـ عليه السّلام ـ ، وقدّر غيبته تقدير غيبة عيسىٰ، وقدّر إبطاءه تقدير إبطاء نوح ـ عليه السّلام ـ ، وجعل من بعد ذلك عمر العبد الصّالح ـ أعني الخضر ـ عليه السّلام ـ دليلاً على عمره.

فقلنا: اكشف لنا ياابن رسول الله عن وجوه هذه المعاني؟

قال: أمّا مولد موسىٰ ـ عليه السّلام ـ ، فإنّ فرعون لمّا وقف علىٰ أنّ زوال

---

(١٤) الإسراء: ١٣.

ملكه علىٰ يده أمر بإحضار الكهنة فدلّوه علىٰ نسبه، وأنّه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشقّ بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتّىٰ قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود، وتعذّر عليه الوصول إلىٰ قتل موسىٰ لحفظ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ إيّاه. كذلك بنو أُميّة وبنو العبّاس لمّا وقفوا علىٰ أنّ زوال ملك الأمراء والجبابرة منهم علىٰ يد القائم منّا ناصبونا العدواة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل بيت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلىٰ قتل القائم ـ عليه السّلام ـ ، ويأبىٰ الله أن يكشف أمره لواحد من الظّلمة إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون.

وأمّا غيبة عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ فإنّ اليهود والنّصارىٰ اتّفقت[١٥] علىٰ أنه قُتِل فكذّبهم الله ـ عزّ وجلّ ـ بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[١٦] كَذلك غيبة قائمنا ـ عليه السّلام ـ ؛ فإنّ الأمّة تنكرها لطولها. فمن قائل يهذي بأنّه لم يلد، وقائل يقول إنّه وُلد ومات، وقائل يكفر بقوله إنّ حادي عشرنا كان عقيماً، وقائل يمرق بقوله إنّه يتعدّىٰ إلىٰ ثلاثة عشر وصاعداً، وقائل يعصي الله ـ عزّ وجلّ ـ بقوله إنّ روح القائم ـ عليه السّلام ـ تنطق في هيكل غيره.

وأمّا إبطاء نوح ـ عليه السّلام ـ ؛ فإنّه لمّا استنزل العقوبة علىٰ قومه من السّماء بعث الله ـ عزّ وجلّ ـ جبرئيل الرّوح الأمين ـ عليه السّلام ـ بسبعة نويات، فقال: يانبيّ الله، إنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ يقول لك: إنّ هؤلاء خلائقي وعبادي ولست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلّا بعد تأكيد الدّعوة وإلزام الحجّة. فعاود اجتهادك في الدّعوة لقومك. فإنّي مثيبك عليه. واغرس هذا النّوىٰ فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص. فبشّر بذلك من

---

(١٥) «ب» زيادة: كلمتهم.

(١٦) النّساء: ١٥٧.

تبعك من المؤمنين.

فلمّا نبتت الأشجار وتأزّرت وتسوّقت وزها الثّمر عليها بعد زمان طويل استنجز من الله - عزّ وجلّ - العدّة فأمر الله - تبارك وتعالىٰ - أن يغرس من نوىٰ تلك الأشجار ويعاود الصّبر والإجتهاد، ويؤكّد الحجّة علىٰ قومه.

فأخبر بذلك الطّوائف الّتي آمنت به. فارتدّ منهم ثلاثمائة رجل وقالوا: لو كان مايدّعيه نوح حقّاً ماوقع في وعد ربّه خلف.

ثمّ إنّ الله - تبارك وتعالىٰ - لم يزل يأمره بأن يغرسها[١٧] تارة بعد أخرىٰ إلىٰ أن غرسها سبع مرّات. فمازالت تلك الطّوائف من المؤمنين ترتدّ منهم طائفة بعد طائفة إلى أن عاد إلى نيف وسبعين رجلاً. فأوحىٰ الله - عزّ وجلّ - عند ذلك إليه وقال: الآن أسفر الصّبح عن اللّيل لعينك حين صرّح الحقّ عن محضه وصفا من الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة. فلو أنّي أهلكت الكفّار وأبقيت من قد ٱرتدّ من الطّوائف الّتي كانت آمنت بك لما كنت صدّقت وعدي السّابق للمؤمنين الّذين أخلصوا التّوحيد من قومك، وٱعتصموا بحبل نبوّتك بأن أستخلفهم في الأرض، وأُمكّن لهم دينهم، وأُبدّل خوفهم بالأمن لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشّرك من قلوبهم. وكيف يكون الإستخلاف والتّمكين وبذل الأمن منّي لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الّذين ارتدّوا، وخبث طينتهم، وسوء سرائرهم الّتي كانت نتائج النّفاق، وشيوخ[١٨] الضّلالة، فلو أنّهم تنسّموا

---

(١٧) «ر»: «بغرسها» بدل «بأن يغرسها».

(١٨) وفي نسخة «سنوح» وفي البحار «شبوح» قال المجلسي: شبوح الضّلالة - جمع شبح - وهو الشّخص، أو بالسّين المهملة والنّون؛ بمعنىٰ: الظّهور، أو بالخاء المعجمة جمع سِنْخ؛ بمعنىٰ: الأصل، أو بمعنىٰ: الرسّوخ، وفي بعض النّسخ «شيوخ» جمع الشيخ، وعلى التقادير لا يخلو من تكلّف.

منّي الملك الّذي أُوتي المؤمنين وقت الإستخلاف إذا أهلكت أعداءهم لنشقوا روائـح صفـاتـه، ولاستحكمت سرائر نفاقهم، وتأبّد حال[١٩] ضلالة قلوبهم، ولكـاشفـوا إخـوانهم بالعداوة، وحاربوهم علىٰ طلب الرّئاسة، والتّفرّد بالأمر والنّهي. وكيف يكون التّمكين في الدّين وانتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب! كلّا ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنَا﴾[٢٠].

قال الصّادق ـ عليه السّلام ـ : وكذلك القائم ـ عليه السّلام ـ تمتد أيّام غيبته ليصرّح الحقّ عن محضه، ويصفوا الإيمان من الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة من الشّيعة الّذين يخشىٰ عليهم النّفاق إذا أحسّوا بالإستخلاف والتّمكين والأمر المنتشـر في عهد القائم ـ عليه السّلام ـ.

قال المفضّل: فقلت: ياابن رسول الله، فإنّ النّواصب تزعم أنّ هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان.

قال: لا هدىٰ الله قلوب النّاصبة، متىٰ كان الدّين الّذي ارتضاه الله لعباده ورسوله متمكّناً بانتشار الأمر في الأمة وذهاب الخوف من قلوبها وارتفاع الشكّ من صدورها في عهد واحد من هؤلاء وفي عهد عليّ ـ عليه السّلام ـ مع ارتداد المسلمـين والفتن الّتي كانت تثور في أيّامهم والحروب الّتي كانت تنشب بين الكفّار وبينهم.

ثمّ تلا الصّادق ـ عليه السّلام ـ : ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[٢١].

وأمّا العبد الصّالح ـ أعني الخضر عليه السّلام ـ فإنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ

---

(١٩) في المصدر: حبال، وفي البحار: خبال.

(٢٠) هود: ٣٧.

(٢١) يوسف: ١١٠.

ماطوّل عمره لنبوّة قدّرها له، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة تلزم عباده الإقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له! بلىٰ إنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ لمّا كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم ـ عليه السّلام ـ في أيّام غيبته مايقدّره، علم مايكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطّول، طوّل عمر العبد الصّالح من غير سبب أوجب ذلك إلّا لعلّة الإستدلال به علىٰ عمر القائم ـ عليه السّلام ـ، وليقطع بذلك حجّة المعاندين، ولئلّا يكون للنّاس علىٰ الله حجّة[٢٢].

ذكر كلام هشام بن الحكم في الإمامة وما آل إليه أمره

عن الثّقاة، عن عليّ الأسواريّ، قال: كان ليحيىٰ بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلّمون من كلّ فرقة وملّة يوم الأحد، فيتناظرون في أديانهم ويحتجّ بعضهم علىٰ بعض. فبلغ ذلك الرّشيد، فقال ليحيىٰ بن خالد: ياعبّاسيّ، ماهذا المجلس الّذي بلغني في منزلك يحضره المتكلّمون؟.

فقال: ياأمير المؤمنين، ماشيء ممّا رفعني به أمير المؤمنين وبلغ بي من الكرامة والرّفعة أحسن موقعاً عندي من هذا المجلس. فإنّه يحضره كلّ قوم مع اختلاف مذاهبهم، فيحتجّ بعضهم علىٰ بعض، ويُعرَف المحقّ من بينهم. ويبيّن لنا فساد كلّ مذهب من مذاهبهم.

قال له الرّشيد: فأنا أُحبّ أن أحضر هذا المجلس وأسمع كلامهم علىٰ أن لا يعلموا بحضوري فيحتشمون ولا يظهرون مذاهبهم.

---

(٢٢) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٥٢ حديث ٥٠.

قال: ذلك إلىٰ أمير المؤمنين متىٰ شاء.

قال: فضع يدك علىٰ رأسي أن لا تعلمهم بحضوري.

ففعل، فبلغ الخبر المعتزلة فتشاوروا فيما بينهم، وعزموا أن لا يكلّموا هشاماً إلّا في الإمامة، لعلمهم بمذهب الرّشيد وإنكاره علىٰ من قال بالإمامة.

قال: فحضروا وحضر هشام وحضر عبدالله بن يزيد الإباضيّ ـ وكان من أصدق النّاس لهشام بن الحكم، وكان يشاركه في التّجارة ـ فلمّا دخل هشام سلّم علىٰ عبدالله بن يزيد من بينهم، فقال يحيىٰ بن خالد لعبدالله بن يزيد: ياعبدالله، كلّم هشاماً في مااختلفتم فيه من الإمامة.

فقال هشام: أيّها الوزير ليس لهم علينا جواب ولا مسألة. هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا علىٰ إمامة رجل، ثمّ فارقونا بلا علم ولا معرفة. فلا حين كانوا معنا عرفوا الحقّ، ولا حين فارقونا علموا علىٰ مافارقونا. فليس لهم علينا مسألة ولا جواب.

فقال بيان ـ وكان من الحروريّة ـ: أنا أسألك ياهشام، أخبرني عن أصحاب عليّ يوم حكّموا الحكمين كانوا مؤمنين أم كافرين؟

قال هشام: كانوا ثلاثة أصناف: صنف مؤمنون؛ وصنف مشركون؛ وصنف ضلّال. فأمّا المؤمنون فمن قال مثل قولي هذا إنّ عليّاً إمام من عند الله ومعاوية لا يصلح لها. فآمنوا بما قال الله ـ عزّ وجلّ ـ في عليّ وأقرّوا به. وأمّا المشركون فقوم قالوا عليّ إمام ومعاوية يصلح لها، فأشركوا؛ إذ أدخلوا معاوية مع عليّ. وأمّا الضّلّال فقوم خرجوا علىٰ الحميّة والعصبيّة للقبائل والعشائر لم يعرفوا شيئاً من هذا هم[٢٣] جهّال.

(٢٣) «ب»: هداهم، «ح»: هديهم. وفي المصدر: هذا وهم.

قال: فأصحاب معاوية ما كانوا؟

قال: كانوا ثلاثة أصناف: صنف كافرون؛ وصنف مشركون؛ وصنف ضلّال. فأمّا الكافرون فالّذين قالوا إنّ معاوية إمام وعليّ لا يصلح لها، فكفروا من جهتين: كونهم جحدوا إماماً من الله، ونصبوا إماماً ليس من الله.

وأمّا المشركون فقوم قالوا معاوية إمام وعليّ يصلح لها، فأشركوا؛ إذ أدخلوا عليّاً مع معاوية؛ وأمّا الضّلّال فعلىٰ سبيل أُولئك الّذين خرجوا للحميّة والعصبيّة للقبائل والعشائر.

فانقطع بيان عند ذلك، فقال ضرار: فأنا أسألك ياهشام في هذا.

قال هشام: أخطأت.

قال: ولِمَ؟

قال: لأنّكم كلّكم مجتمعون علىٰ دفع إمامة صاحبي، وقد سألني هذا مسألة وليس لكم أن تثنوا بالمسألة عليَّ حتّىٰ أسألك ياضرار عن مذهبك في هذا الباب.

قال ضرار: فسل.

قال: أتقول إنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ عدل لايجور؟

قال: نعم هو عدل لايجور.

قال: فلو كلّف الله المقعد المشي إلى المساجد والجهاد في سبيل الله، وكلّف الأعمىٰ قراءة المصاحف والكتب أتراه كان عادلاً أم جائراً؟

قال ضرار: ما كان الله ليفعل ذلك.

قال هشام: قد علمتُ أنّ الله لا يفعل ذلك. ولكن على سبيل الجدل والخصومة أن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً إذ كلّفه تكليفاً لا يكون السّبيل إلى إقامته وأدائه؟

قال: لو فعل ذلك لكان جائراً.

قال: فأخبرني عن الله ـ عزّ وجلّ ـ كلّف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه لا يقبل منهم إلّا أن يأتوا به كما كلّفهم؟

قال: بلىٰ.

قال: فجعل لهم دليلاً علىٰ وجود ذلك الدّين أو كلّفهم ما لا دليل لهم علىٰ وجوده فيكون بمنزلة من كلّف الأعمىٰ قراءة الكتب والمقعد المشي إلىٰ الجهاد والمساجد؟

قال: فسكت ضرار ساعة، وقال: لا بدّ من دليل ولست بصاحبك!

قال: فتبسّم هشام، وقال: تشيّع شطرك وصرت إلىٰ الحقّ ضرورة، ولا خلاف بيني وبينك إلّا في التّسمية.

قال ضرار: فإنّي أرجع [القول][٢٤] عليك في هذا.

قال: هات.

قال ضرار لهشام: كيف تُعقَد الإمامة؟

قال هشام: كما عقد الله النّبوّة.

قال: فهو إذاً نبيّ؟

قال هشام: لا لأنّ النّبوّة يعقدها أهل السّماء، والإمامة يعقدها أهل الأرض. فعقد النّبوّة بالملائكة، وعقد الإمامة بالنّبيّ، والعقدان جميعاً بأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ. إلّا أنّ النّبوّة تُعقَد بالملائكة والإمامة تُعقَد بالنّبيّ.

قال: فما الدّليل علىٰ ذلك؟

قال هشام: الإضطرار في ذلك.

---

(٢٤) أضفناه من المصدر.

قال ضرار: وكيف ذلك؟

قال هشام: لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه: إمّا أن يكون الله ـ عزّ وجلّ ـ رفع التّكليف عن الخلق بعد الرّسول فلم يكلّفهم ولم يأمرهم ولم ينههم وصاروا بمنزلة السّباع والبهائم الّتي لا تكليف عليها. أفتقول هذا ياضرار أنّ التّكليف عن النّاس مرفوع بعد الرّسول؟

قال: لا أقول هذا.

قال هشام: فالوجه الثّاني ينبغي أن يكون النّاس المكلّفون استحالوا بعد الرّسول علماء في مثل حدّ الرّسول في العلم حتّىٰ لا يحتاج أحد إلىٰ أحد فيكونوا كلّهم قد استغنوا بأنفسهم وأصابوا الحقّ الذّي لا خلاف فيه. أفتقول هذا إنّ النّاس استحالوا علماء حتّىٰ صاروا في مثل حدّ الرّسول في العلم بالدّين فلا يحتاج أحد إلىٰ أحد مستغنين بأنفسهم عن غيرهم في إصابة الحقّ؟

قال: لا أقول هذا، ولكنّهم يحتاجون إلىٰ غيرهم.

قال: فبقي الوجه الثّالث، لأنّه لا بدّ لهم من عالم يقيمه الرّسول لهم لا يسهو ولا يغلط ولا يحيف، معصوم من الذّنوب، مُبرّأً من الخطايا يحتاج النّاس إليه ولا يحتاج إلىٰ أحد.

قال: فما الدّليل عليه؟

قال هشام: ثمان دلالات؛ أربع في نعت نسبه، وأربع في نعت نفسه، فأمّا الأربع التي في نعت نسبه فأن يكون معروف الجنس، معروف القبيلة، معروف البيت، وأن يكون من صاحب الملّة والدّعوة إشارة إليه فلم يُرَ جنساً من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الّذين منهم صاحب الملّة والدّعوة الّذي ينادىٰ باسمه في كلّ يوم خمس مرّات علىٰ الصّوامع والمساجد: أشهد أن لا إله إلّا الله

وأنّ محمّـداً رسول الله، تصل دعوته إلىٰ كلّ برّ وفاجر، وعالم وجاهل، ومقرّ ومنكر، في شرق الأرض وغربها. ولو جاز أن تكون الحجّة من الله علىٰ هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتىٰ علىٰ الطّالب المرتاد دهر من عصره لا يجده فيه، ولجاز أن يطلبه من أجناس هذا الخلق من العجم وغيرهم، وكان من حيث أراد الله أن يكون صلاح يكون فساد، ولايجوز هذا في حكمة الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ وعدله أن يفرض علىٰ النّاس فريضة لا توجد. فلمّا لم يجز ذلك لم يجز أن يكون إلّا في هذا الجنس لاتّصاله بصاحب الملّة والدّعوة ولم يجز أن يكون من هذا الجنس إلّا في هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملّة وهي قريش. ولمّا لم يجز أن يكون من هذا الجنس إلّا في هذه القبيلة لم يجز أن يكون من هذه القبيلة إلّا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملّة والدّعوة. ولمّا كثر أهل هذا البيت وتشاجروا في الإمامة لعلوّها وشرفها ادّعاها كلّ واحد منهم فلم يجز أن يكون إلّا من صاحب الملّة والدّعوة إشارة إليه بعينه واسمه ونسبه لئلّا يطمع فيها غيره.

وأمّا الأربع الّتي في نعت نفسه؛ فأن يكون أعلم النّاس كلّهم بفرائض الله وسننـه وأحكـامـه حتّىٰ لا يخفىٰ عليه منهـا دقيق ولا جليل، وأن يكـون معصـومـاً من الذّنوب كلّها، وأن يكون أشجع النّاس، وأسخىٰ النّاس.

قال عبدالله بن يزيد الإباضيّ: من أين قلت إنّه أعلم النّاس؟

قال: لأنّه إن لم يكن عالماً بجميع حدود الله وشرائعه وأحكامه وسننه لم يُؤْمَن عليه أن يقلب الحدود؛ فمن وجب عليه القطع حدّه، ومن وجب عليه الحدّ قطعه، فلا يقيم لله حدّاً علىٰ ما أمره، فيكون من حيث أراد الله صلاحاً عاد فساداً.

قال: فمن أين قلت إنّه معصوم من الذّنوب؟

قال: لأنّه إن لم يكن معصوماً من الذّنوب دخل في الخطأ، فلا يُؤْمَن أن يكتم علىٰ نفسه ويكتم علىٰ حميمه وقريبه، ولا يحتجّ الله ـ عزّ وجلّ ـ بمثل هذا علىٰ خلقه.

قال: فمن أين قلت إنّه أشجع النّاس؟

قال: لأنّه فئة المسلمين[٢٥] الّذين يرجعون إليه في الحروب، وقال الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾[٢٦]، فإن لم يكن شجاعاً فرّ فيبوء بغضب من الله، ولايجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله حجّة الله علىٰ خلقه.

قال: فمن أين قلت إنّه أسخىٰ النّاس؟

قال: لأنّه خازن المسلمين. فإن لم يكن سخيّاً تاقت نفسه إلىٰ أموالهم فأخذها فكان خائناً. ولا يجوز أن يحتجّ الله علىٰ خلقه بخائن.

فقال عند ذلك ضرار: فمن هذا بهذه الصّفة في هذا الوقت؟

فقال: صاحب القصر أمير المؤمنين ـ وكان هارون قد سمع الكلام كلّه ـ فقال عند ذلك: أعطانا والله من جراب النّورة ويحك ياجعفر ـ وكان جعفر بن يحيىٰ جالساً معه في السّتر ـ من يعني بهذا؟

قال: ياأمير المؤمنين، يعني به موسىٰ بن جعفر.

قال: ماعنىٰ بها غير أهلها.

ثمّ عضّ علىٰ شفته وقال: مثل هذا حيّ ويبقىٰ لي ملكي ساعة! فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب النّاس من مائة ألف سيف.

---

(٢٥) في المصدر: للمسلمين.

(٢٦) الأنفال: ١٦.

وعلم يحيىٰ أنّ هشاماً قد أُتي[٢٧] فدخل السّتر فقال: ياعبّاسيّ، ويحك من هذا الرّجل.

فقال: ياأمير المؤمنين، حسبك تُكفىٰ تُكفىٰ.

ثمّ خرج إلىٰ هشام فغمزه، فعلم هشام أنّه قد أتي. فقام يريهم أنّه يبول أو يقضي حاجته[٢٨]. فلبس نعليه وانسلّ ومرّ ببيته وأمرهم بالتّواري وهرب. ومرّ من فوره نحو الكوفة فوافىٰ الكوفة ونزل علىٰ بشير النّبّال ـ وكان من حملة الحديث من أصحاب أبي عبدالله عليه السّلام ـ فأخبره الخبر. ثمّ اعتلّ علّة شديدة، فقال بشير: آتيك بطبيب؟

قال: لا، أنا ميّت.

فلمّا حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف اللّيل وضعني بالكناسة واكتب رقعة وقل: هذا هشام بن الحكم الّذي يطلبه أمير المؤمنين مات حتف أنفه، وكان هارون قد بعث إلىٰ إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلمّا أصبح أهل الكوفة رأوه وحضر القاضي وصاحب المعونة والعامل والمعدلون بالكوفة وكتب[٢٩] إلىٰ الرشيد بذلك، فقال: الحمد لله الّذي كفانا أمره، فخلّىٰ عمّن أُخذ به[٣٠].

وممّا نقلته من الكتاب المذكور عن دعبل بن عليّ الخزاعي يقول:

أنشدت مولاي الرّضا عليّ بن موسىٰ ـ عليه السّلام ـ قصيدتي الّتي أوّلها:

---

(٢٧) أي: وقع في الهلكة.

(٢٨) «ر»: حاجته.

(٢٩) «ب»: وكتبوا.

(٣٠) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٦٢.

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلمّا انتهيت إلىٰ قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يميّز فينا كلّ حقّ وباطل ويجزي علىٰ النّعماء والنّقمات

بكىٰ الرّضا ـ عليه السّلام ـ بكاءً شديداً، ثمّ رفع رأسه إليّ فقال لي: ياخزاعيّ، نطق روح القدس علىٰ لسانك بهذين البيتين. فهل تدري من هذا الإمام ومتىٰ يقوم؟

فقلت: لا يا مولاي، إلاّ أنّي سمعت بخروج قائمكم(٣١) يطهّر الأرض من الفساد ويملؤها عدلاً.

فقال: يادعبل، الإمام بعدي محمّد ابني وبعد محمّد ابنه عليّ وبعد عليّ ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحِجّة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره. لو لم يبق من الدّنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّىٰ يخرج فيملؤها عدلاً كما مُلِئت جوراً. وقد حدّثني أبي عن أبيه، عن آبائه ـ عليهم السّلام ـ أنّ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قيل له: «يارسول الله، متىٰ يخرج القائم من ذرّيّتك؟» قال: «مثله مثل السّاعة لا يجلّيها لوقتها إلاّ الله ـ عزّ وجلّ ـ ثقلت في السّماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة»(٣٢)

وعن دعبل بن عليّ أيضاً قال: دخلت علىٰ أبي الحسن عليّ بن موسىٰ الرّضا ـ عليه السّلام ـ بمرو، فقلت له: يابن رسول الله، إنّي قد قلت فيكم قصيدة وآليت علىٰ نفسي لا أُنشدها أحداً قبلك، فقال ـ عليه السّلام ـ: «هاتها»، فأنشدته:

---

(٣١) في المصدر: إمامٍ منكم.

(٣٢) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٧٢.

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنـزل وحي مقفر العـرصـات

فلمّا بلغت إلىٰ قولي:

أرىٰ فيئـهـم في غيرهم متقسّـماً وأيديَهـم من فيئـهم صـفـرات

بكىٰ أبو الحسن الرّضا ـ عليه السّلام ـ وقال لي: «صدقت ياخزاعيّ». فلمّا بلغت إلىٰ قولي:

إذا وتـروا مدّوا إلىٰ واتـريهـم أكـفّـاً عن الأوتـار منقبضـات

جعل أبو الحسن الرّضا ـ عليه السّلام ـ يقلّب كفّيه ويقول: «أجل والله منقبضات». فلمّا بلغت إلىٰ قولي:

لقد خفت في الدّنيا وأيّام سعيها وإنّي لأرجـو الأمن بعـد وفـاتي

قال لي الرّضا ـ عليه السّلام ـ : «آمنك الله يوم الفزع الأكبر». فلمّا انتهيت إلىٰ قولي:

وقـبر ببـغـداد لنـفس زكـيّة تضمّنهـا الـرّحمٰن في الغـرفات

قال الرّضا ـ عليه السّلام ـ : أفلا أُلحق لك بهذا الموضع بيتين [بهما](٣٣) تمام قصيدتك؟

فقلت: بلىٰ ياابن رسول الله.

فقال ـ عليه السّلام ـ :

وقـبر بطوس يا لها من مصيبـة توقّـد في الأحشاء بالحرقات(٣٤)

إلىٰ الحشـر حتّىٰ يبعث الله قائماً يفـرّج عنّـا الهمّ والكـربـات

فقال دعبل: ياابن رسول الله، هذا القبر الّذي بطوس قبر من هو؟

(٣٣) أضفناه من المصدر.

(٣٤) وفي بعض نسخ المصدر: ألحّت على الأحشاء بالزّفرات.

فقال الرّضا ـ عليه السّلام ـ : قبري. ولا تنقضي الأيّام واللّيالي حتّىٰ تصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري. ألا فمن أتاني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له.

ثمّ نهض الرّضا ـ عليه السّلام ـ بعد فراغ دعبل من إنشاد القصيدة وأمره أن لا يبرح من موضعه. فدخل الدّار فلمّا كان بعد ساعة خرج الخادم إليه بمائة دينار رضويّة، فقال له: يقول لك مولاي: اجعلها في نفقتك.

فقال دعبل: والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شيء يصل إليّ.

وردّ الصرّة وسأل ثوباً من ثياب الرّضا ـ عليه السّلام ـ ليتبرّك فيه ويتشرّف به. فأنفذ إليه الرّضا ـ عليه السّلام ـ جبّة خزّ مع الصّرّة وقال للخادم: قل له: خذ هذه الصرّة، فإنّك ستحتاج إليها ولا تراجعني فيها.

فأخذ دعبل الصرّة والجبّة وانصرف وسار من مرو في قافلة. فلمّا بلغ ميان قوهان[٣٥] وقع عليهم اللّصوص وأخذوا القافلة بأسرها وكتّفوا أهلها وكان دعبل فيمن كُتّف وملك اللّصوص القافلة وجعلوا يقسّمونها بينهم. فقال رجل من القوم متمثّلاً بقول دعبل من قصيدته:

أرىٰ فيئهم في غيرهم متقسّماً وأيديَهم من فيئهم صفرات

فسمعه دعبل. فقال له: لمن هذا البيت؟

فقال: لرجل من خزاعة يقال له دعبل بن عليّ.

قال دعبل: فأنا دعبل قائل هذه القصيدة الّتي منها هذا البيت.

فوثب الرّجل إلىٰ رئيسهم وكان يصلّي علىٰ رأس تلّ وكان من الشّيعة،

---

(٣٥) في هامش بعض نسخ المصدر: قوهان قرية بقرب نيسابور.

فأخبره فجاء بنفسه حتّىٰ وقف علىٰ دعبل فقال له: أنت دعبل؟

قال: نعم.

فقال له: أنشد القصيدة.

فأنشدها. فحلّ كتافه وكتاف جميع أهل القافلة. وردّ إليهم جميع ماأخذ منهم لكرامة دعبل وسار دعبل، حتّىٰ وصل إلىٰ قمّ. فسأله أهل قمّ أن ينشدهم القصيدة. فأمرهم أن يجتمعوا في مسجد الجامع. فلمّا اجتمعوا صعد المنبر فأنشدهم القصيدة. فوصله النّاس من المال والخلع بشيء كثير. واتّصل بهم خبر الجبّة. فسألوه أن يبيعها منهم بألف دينار فٱمتنع من ذلك.

فقالوا له: فبعنا شيئاً منها بألف دينار.

فأبىٰ عليهم وسار عن قمّ. فلمّا خرج من رستاق البلد لحق به قوم من أحداث العرب فأخذوا الجبّة منه. فرجع دعبل إلى قمّ وسألهم ردّ الجبّة عليه فٱمتنع الأحداث من ذلك وعصوا المشائخ في أمرها، وقالوا لدعبل: لا سبيل لك إلىٰ الجبّة. فخذ ثمنها ألف دينار.

فأبىٰ عليهم، فلمّا يئس من ردّ الجبّة عليه سألهم أن يدفعوا إليه شيئاً منها. فأجابوه إلىٰ ذلك. فأعطوه بعضها ودفعوا إليه ثمن باقيها ألف دينار. فٱنصرف دعبل إلىٰ وطنه فوجد اللّصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله فباع المائة دينار الّتي كان الرّضا ـ عليه السّلام ـ وصله بها من الشّيعة كلّ دينار بمائة درهم. فحصل في يده عشرة آلاف درهم. فتذكّر قول الرّضا ـ عليه السّلام ـ : «إنّك ستحتاج إلىٰ الدّنانير». وكان له جارية لها من قلبه محلّ. فرمدت رمداً عظيماً. فأدخل أهل الطّبّ عليها فنظروا إليها فقالوا: أمّا العين اليمنىٰ فليس لنا فيها حيلة وقد ذهبت. وأمّا اليسرىٰ فنحن نعالجها ونجتهد ونرجو أن تسلم.

فاْغتمّ دعبل لذلك غمّاً شديداً وجزع عليها جزعاً عظيماً، ثمّ إنّه ذكر ما معه من فضلة الجبّة فمسحها علىٰ عين الجارية وعصّبها بعصابة منها من أوّل اللّيل، فأصبحت وعيناها أصحّ ما كانتا؛ ببركة أبي الحسن الرّضا ـ عليه السّلام ـ[٣٦]

وممّا نقلته من حديث الخضر ـ عليه السّلام ـ من الكتاب المذكور:

عن الثّقاة، عن ابن سليمان قال: قرأت في بعض كتب الله ـ عزّ وجلّ ـ أنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله ـ عزّ وجلّ ـ حجّة علىٰ عباده ولم يجعله نبيّاً، فمكّن له في الأرض. فآتاه من كلّ شيء سبباً فوُصفت له عين الحياة.

وقيل له: من شرب منها شربة لم يمت حتّىٰ يسمع الصّيحة.

وإنّه خرج في طلبها حتّىٰ انتهىٰ إلىٰ موضع فيه ثلاثمائة وستّون عيناً، وكان الخضر علىٰ مقدّمته، وكان من أحبّ النّاس إليه، فأعطاه حوتاً مالحاً وأعطىٰ كلّ واحد من أصحابه حوتاً مالحاً. وقال لهم: ليغسل كلّ رجل منكم حوته عند كلّ عين.

فاْنطلقوا وانطلق الخضر ـ عليه السّلام ـ إلىٰ عين من تلك العيون. فلمّا غمس الحوت في الماء حُيي فاْنساب في الماء، فلمّا رأىٰ الخضر ـ عليه السّلام ـ ذلك علم أنّه قد ظفر بماء الحياة. فرمىٰ بثيابه وسقط في الماء. فجعل يرتمس فيه ويشرب منه. فرجع كلّ واحد منهم إلىٰ ذي القرنين ومعه حوته. ورجع الخضر وليس معه الحوت. فسأله عن قصّته فأخبره فقال له: أشربت من ذلك الماء؟

---

(٣٦) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٧٣.

قال: نعم.

فقال: أنت صاحبها وأنت الّذي خُلِقت لهذه العين. فأبشر بطول البقاء في الدّنيا مع الغيبة عن الأبصار إلىٰ النّفخ في الصّور.(٣٧)

وروي عن الصّادق جعفر بن محمّد ـ عليه السّلام ـ قال: خرج أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر ـ عليه السّلام ـ بالمدينة فتضجّر واتّكأ علىٰ جدار من جدرانها متفكّراً. فأقبل إليه رجل فقال له: يا أبا جعفر، على م حزنك؟ علىٰ الدّنيا فَرِزْقُ الله حاضر يشترك فيه البرّ والفاجر، أم علىٰ الآخرة فوعدٌ صادق يحكم فيه ملك قادر؟

قال أبو جعفر ـ عليه السّلام ـ: ما علىٰ هذا حزني. إنّما حزني علىٰ فتنة ابن الزّبير.

قال له الرّجل: فهل رأيت أحداً خاف ٱلله فلم ينجه، أم هل رأيت أحداً توكّل علىٰ الله فلم يكفه، وهل رأيت رجلًا استخار الله فلم يخر له؟(٣٨)

قال أبو جعفر ـ عليه السّلام ـ: لا.

فولّىٰ الرّجل. فقيل له: من هو ذاك؟(٣٩)

فقال أبو جعفر ـ عليه السّلام ـ: هذا هو الخضر ـ عليه السّلام ـ.(٤٠)

وعن أسد بن صفوان صاحب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال: لمّا كان اليوم الّذي قُبض فيه أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ارتجّ الموضع بالبكاء ودهش النّاس كيوم قُبِض النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ، وجاء رجل باك وهو

---

(٣٧) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٨٥.

(٣٨) «ب» «ح»: «استجار الله فلم يجره» بدل «استخار... له».

(٣٩) كذا في المصدر. وفي النسخ: «وقال هو ذاك» بدل «فقيل... ذاك».

(٤٠) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٨٦ حديث ٢.

مسرع مسترجع وهو يقول: «اليوم انقطعت خلافة النبوّة». حتّىٰ وقف علىٰ باب البيت الّذي فيه أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ. فقال: رحمك الله يا أبا الحسن. كنت أوّل القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم لله ـ عزّ وجلّ ـ، وأعظمهم عناءاً، وأحوطهم علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ، وآمنهم علىٰ أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله، وأشبههم به هدياً وخلقاً[٤١] وسمتاً وفعلاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه؛ فجزاك الله عن الإسلام [وعن رسوله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ][٤٢] وعن المسلمين خيراً. وثبتّ حين ضعف أصحابه. وبرزت حين استكانوا. ونهضت حين وهنوا. ولزمت منهاج رسوله إذ همّ أصحابه. كنت خليفته حقّاً لم تنازع ولم تضرع برغم المنافقين، وغيظ الكافرين، وكره الحاسدين. وضغن الفاسقين. فقمت بالأمر حين فشلوا. ونطقت حين تتعتعوا[٤٣]، ومضيت بنور الله ـ عزّ وجلّ ـ إذ وقفوا. ولو اتّبعوك لهدوا. وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلاهم قنوتاً[٤٤]، وأقلّهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأكثرهم حقّاً، وأشجعهم قلباً، وأشدّهم يقيناً، وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمور. كنت والله للدّين يعسوباً. وكنت للمؤمنين أباً رحيماً؛ إذ صاروا عليك عيالاً. فحملت أثقال ماعنه ضعفوا. وحفظت ما أضاعوا. ورعيت ما أهملوا. وشمّرت إذ اجتمعوا[٤٥]. وعلوت إذ هلعوا. وصبرت إذ أسرعوا[٤٦]. وأدركت إذ تخلّفوا. ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

---

(٤١) في المصدر: ونطقاً.

(٤٢) أضفناه من المصدر.

(٤٣) التّعتعة: التّردّد في الكلام من حصر أو عيّ.

(٤٤) «ب» «ح» «ر»: فرقاً. والفَرَق: الخوف.

(٤٥) في المصدر: خنعوا.

(٤٦) في المصدر: جزعوا.

كنت علىٰ الكـافـرين عذابـاً صبّاً، وللمؤمنين غيثاً وخصباً. فطرت والله بنعمائها. وفزت بحبائها. وأحرزت سوابقها. وذهبت بفضائلها. لم تفلل حجّتك، ولم يزغ(٤٧) قلبك. ولم تضعف بصيرتك. ولم تجبن نفسك، ولم تخن.

كنت كالجبل لاتحرّكه العواصف، ولا تزيله القواصف. وكنت كما قال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ضعيفاً في بدنك، قويّاً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله ـ عزّ وجلّ ـ ، كبيراً في الأرض، جليلاً عند المؤمنين، لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز، ولا لأحد فيك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، [الضّعيف الذّليل عندك قويّ عزيز حتّىٰ تأخذ له بحقّه](٤٨)، والقويّ العزيز عندك ضعيف ذليل حتّىٰ تأخذ منه الحقّ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء. شأنك الحقّ والصّدق والرّفق. وقولك حكم وحتم. وأمرك حلم وحزم. ورأيك علم وعزم. فأقلعت وقد نهج السّبيل، وسهل العسير، وأطفئت النّيران، واعتدل بك الدّين، وقوي بك الإيمان، وثبت بك الإسلام والمؤمنون، وسبقت سبقاً بعيداً، وأتعبت مَن بعدَك تعباً شديداً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيّتك في السّماء، وهدّت مصيبتك الأنام؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. رضينا عن الله قضاه، وسلّمنـا لله أمره. فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً.

كنت للمؤمنـين كهفاً وحصناً، وعلىٰ الكافرين غلظة وغيظاً. فألحقك الله بنبيّه، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلّنا بعدك.

وسكت القوم حتّىٰ انقضىٰ كلامه وبكىٰ وأبكىٰ أصحاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ثمّ طلبوه فلم يصادفوه.(٤٩)

(٤٧) «ب» «ح» «ر»: يَرُعْ.

(٤٨) أضفناه من المصدر.

(٤٩) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٨٧ حديث ٣.

وعن أبي الحسن عليّ بن موسىٰ الرّضا ـ عليه السّلام ـ، قال: إنّ الخضر ـ عليه السّلام ـ شرب من ماء الحياة فهو حيّ لا يموت حتّىٰ يُنفَخ في الصّور. وإنّه ليأتينا فيسلّم علينا فنسمع صوته ولا نرىٰ شخصه. وإنّه ليحضر حيث ماذُكِر. فمن ذكره منكم فليسلّم عليه، وإنّه ليحضر الموسم كلّ سنة فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمّن علىٰ دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته.(٥٠)

وقال أبو الحسن عليّ بن موسىٰ الرّضا ـ عليه السّلام ـ: لمّا قُبض رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ جاء الخضر ـ عليه السّلام ـ فوقف علىٰ باب البيت وفيه عليّ وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السّلام ـ ورسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قد سُجّي بثوب. فقال: السّلام عليكم يا أهل بيت محمّد ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٥١) إنّ في الله خلفاً من كلّ هالك، وعزاءاً من كلّ مصيبة، ودركاً من كلّ فائت؛ فتوكّلوا عليه، وثقوا به. وأستغفر الله لي ولكم.

فقال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: هذا أخي الخضر جاء يعزّيكم بنبيّكم.

وكان اسم الخضر ـ عليه السّلام ـ خضروب بن قابيل بن آدم، ويقال خضرون أيضاً، ويقال جلعبا. وإنّما سُمّي الخضر لأنّه جلس علىٰ أرض بيضاء فاْهتزّت خضراء فسُمّي الخضر لذلك. وهو أطول الآدميّين عمراً.

والصّحيح أنّ اسمه تاليا بن ملكان بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح ـ عليه السّلام ـ.(٥٢)

---

(٥٠) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٩٠ حديث ٤.

(٥١) آل عمران: ١٨٥.

(٥٢) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٩١ حديث ٥، ٦.

ومّما نقلته من حديث ذي القرنين من الكتاب المذكور.

روي عن الثّقاة، عن عبدالله بن سلمان ـ وكان قارئاً للكتب ـ قال: قرأت في بعض كتب الله ـ عزّ وجلّ ـ أنّ ذا القرنين كان رجلاً من أهل الإسكندريّة وأُمّه عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره يقال له: إسكندروس. وكان له أدب وخلق وعفّة من وقت ما كان غلاماً إلىٰ أن بلغ رجلاً. وكان رأىٰ في المنام كأنّه دنا من الشّمس حتّىٰ أخذ بقرنيها في شرقها وغربها. فلمّا قصّ رؤياه علىٰ قومه سمّوه ذا القرنين. فلمّا رأىٰ هذه الرّؤيا بعدت همّته، وعلا صوته، وعزّ في قومه. فكان أوّل ما أجمع عليه أمره أن قال: «أسلمت لله ـ عزّ وجلّ ـ». ثمّ دعا قومه إلىٰ الإسلام. فأسلموا هيبة له. ثمّ أمرهم أن يبنوا له مسجداً فأجابوه إلىٰ ذلك. فأمر أن يجعلوا طوله أربع مائة ذراع، وعرضه مائتي ذراع، وعرض حائطه اثنين وعشرين ذراعاً، وطوله(٥٣) في السّماء مائة ذراع.

فقالوا(٥٤) له: ياذا القرنين، كيف لك بخشب يبلغ مابين الحائطين؟

فقال لهم: إذا فرغتم من بنيان الحائطين فاكبسوه بالتّراب حتّىٰ يستوي الكبس مع حيطان المسجد. فإذا فرغتم من ذلك فرضتم علىٰ كلّ رجل من المؤمنين علىٰ قدره من الذّهب والفضّة. ثمّ قطعتموه مثل قلامة الظّفر. ثمّ خلطتموه مع ذلك الكبس وعملتم له خشباً من نحاس [وصفائح من نحاس](٥٥) تذيبون ذلك وأنتم متمكّنون من العمل كيف شئتم علىٰ أرض مستوية. فإذا فرغتم من ذلك دعوتم المساكين لنقل ذلك التّراب فيسارعون فيه من أجل مافيه من الذّهب والفضّة.

---

(٥٣) في المصدر: وعلوّه.

(٥٤) «ر»: فقيل.

فبنوا المسجد، وأخرج المساكين ذلك التّراب واستقلّ السّقف بما فيه واستغنىٰ المساكين. فجنّدهم أربعة أجناد كلّ جند عشرة آلاف. ثمّ نشرهم في البلاد وحدّث نفسه بالمسير واجتمع إليه قومه. فقالوا له: ياذا القرنين، ننشدك الله[٥٦] لا تؤثّر علينا بنفسك غيرنا فنحن أحقّ برؤيتك، وفينا كان مسقط رأسك، وبيننا نشأت [وربيت][٥٧]، وهذه أموالنا وأنفسنا، فأنت الحاكم فيها. وهذه أمّك عجوز كبيرة هي أعظم خلق الله عليك حقّاً، فليس ينبغي لك أن تعصيها[٥٨] وتخالفها.

فقال لهم: والله إنّ القول لقولكم، وإنّ الرّأي لرأيكم، ولكنّي بمنزلة المأخوذ بقلبه وسمعه وبصره؛ يقاد ويدفع من خلفه لا يدري أين يؤخذ به ولا مايراد به، ولكن هلمّوا معشر قومي فادخلوا هذا المسجد وأسلموا عن آخركم ولا تخالفوا فتهلكوا.

ثمّ دعا دهقان[٥٩] الإسكندريّة فقال له: أعمر مسجدي وعزّ عنّي أُمّي.

فلمّا رأىٰ الدّهقان جزع أُمّه وطول بكائها احتال لها ليعزّيها بما أصاب النّاس قبلها وبعدها من المصائب والبلاء[٦٠]. فصنع عيداً عظيماً. ثمّ أذّن مؤذّنه: يا أيّها النّاس إنّ الدّهقان يؤذّنكم لتحضروا يوم كذا وكذا.

فلمّا كان ذلك اليوم أذّن مؤذّنه: أسرعوا واحذروا أن يحضر هذا العيد إلّا رجل عري من البلاء والمصائب.

---

(٥٥) أضفناه من المصدر.

(٥٦) في المصدر: «بالله ألاّ» بدل «الله لا».

(٥٧) أضفناه من المصدر.

(٥٨) «ر»: تغضبها.

(٥٩) الدّهقان: رئيس القرية ومقدّم أصحاب الزراعة.

(٦٠) «ر»: والبلايا.

فاْحتبس النّاس كلّهم وقالوا: ليس منّا[٦١] أحد عري من البلاء. مامنّا أحد إلّا وقد أُصيب ببلاء أو بموت حميم.

فسمعت أُمّ ذي القرنين [هذا][٦٢] فأعجبها ولم تدر مايريد الدّهقان. ثمّ إنّ الدّهقان بعث منادياً [ينادي][٦٣] فقال: يا أيّها النّاس، إنّ الدّهقان قد أمركم أن تحضروه يوم كذا وكذا.

فلا يحضره إلّا رجل قد ابتلي وأُصيب وفجع. ولا يحضره أحد عري من البلاء فإنّه لا خير فيمن لم يصبه البلاء. فلمّا فعل ذلك قال النّاس: هذا رجل كان قد بخل ثمّ ندم واستحيىٰ فتدارك أمره ومحا عيبه.

فلمّا اجتمع النّاس خطبهم ثمّ قال: إنّي لم أجمعكم لما دعوتكم له. ولكنّي جمعتكم لأكلّمكم في ذي القرنين وفي مافجعنا به من فقده وفراقه. فاْذكروا آدم؛ إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنّته وأكرمه بكرامة لم يكرم بها أحداً، ثمّ ابتلاه بأعظم بليّة كانت في الدّنيا وذلك الخروج من الجنّة، وهي المصيبة الّتي لا جبر لها، ثمّ ابتلىٰ إبراهيم من بعده بالحريق، وابتلىٰ ابنه بالذّبح، ويعقوب بالحزن والبكاء، ويوسف بالرّقّ، وأيّوب بالسّقم، ويحيىٰ بالذّبح، وزكرّيا بالقتل، وعيسىٰ بالأسر، وخلقاً من خلق الله كثيراً لا يحصيهم إلّا الله ـ عزّ وجلّ ـ .

فلمّا فرغ من هذا الكلام قال لهم: انطلقوا فعزّوا أُمّ الإسكندروس لننظر كيف صبرها. فإنّها أعظم مصيبة في ابنها.

فلمّا دخلوا عليها قالوا لها: هل حضرت الجمع اليوم وسمعت الكلام؟

---

(٦١) في المصدر: فينا.

(٦٢) أضفناه من المصدر.

(٦٣) أضفناه من المصدر.

قالت لهم: ماغاب عنّي من أمركم شيء. ولا سقط عنّي من كلامكم شيء. وما كان فيكم أحد أعظم مصيبة بإسكندروس منّي. ولقد صبّرني الله وأرضاني وربط علىٰ قلبي. وإنّي لأرجو أن يكون أجري علىٰ قدر ذلك. وأرجو لكم من الأجر بقدر مارُزيتم من فقد أخيكم، وأن تؤجروا علىٰ قدر مانويتم في اُمّه. وأرجو أن يغفر الله لي ولكم ويرحمني وإيّاكم.

فلمّا رأوا حسن عزاها وصبرها انصرفوا عنها وتركوها وانطلق ذو القرنين يسير علىٰ وجهه حتّىٰ أمعن في البلاد يؤمّ المغرب وجنوده يومئذ المساكين. فأوحىٰ الله ـ جلّ جلاله ـ إليه: ياذا القرنين أنت حجّتي علىٰ جميع الخلائق مابين الخافقين من مطلع الشّمس إلىٰ مغربها. وهذا تأويل رؤياك.

فقال ذو القرنين: ياإلهي، إنّك قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدرته غيرك. فأخبرني عن هذه الأمّة بأيّة قوّة اُكاثرهم، وبأيّ عدد أغلبهم، وبأيّ حيلة أكيدهم، وبأيّ صبر اُقاسيهم، وبأيّ لسان اُكلّمهم، وكيف لي بأن أعرف لغاتهم، وبأيّ سمع أعي قولهم، وبأيّ بصر أنفذهم، وبأيّ حجّة اُخاصمهم، وبأيّ قلب لا أغفل عنهم، وبأيّ حكمة اُدبّر اُمورهم، وبأيّ حكم[٦٤] اُصابرهم، وبأيّ قسط أعدل بينهم، وبأيّ معرفة أفصل بينهم، وبأيّ علم أتقن اُمورهم، وبأيّ عقل أخصمهم، وبأيّ جند أقابلهم[٦٥] فإنّه ليس عندي ممّا ذكرت شيء يارب فقوّني عليهم. فإنّك الرّبّ الرّحيم. لا تكلّف نفساً إلّا وسعها. ولا تحمّلها إلّا طاقتها.

فأوحىٰ ألله ـ جلّ جلالـه ـ إليه: إنّي سأطوّقك ماحمّلتك؛ أشرح لك صدرك فتسمع[٦٦] كلّ شيء، وأشرح لك فهمك فتفقه كلّ شيء، واُطلق لسانك

(٦٤) في المصدر: حلم.

(٦٥) في المصدر: اُقاتلهم.

(٦٦) في المصدر: فتفقه.

بكلّ شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كلّ شيء، وأكشف لك عن بصرك فتنفذ كلّ شيء، وأُحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ علمك فلا يعزَب عنك شيء، وأشدّ ظهرك فلا يهولك شيء، وأُلبسك الهيبة فلا يرومك[٦٧] شيء، واسدّد لك رأيك فتصيب كلّ شيء، واسخّر لك جسدك فتحسن كلّ شيء، واسخّر لك النّور والظّلمة وأجعلها جندين من جندك؛ النّور يهديك، والظّلمة تحوطك، وتحوش عليك الأمم من ورائك.

فٱنطلق ذو القرنين برسالة ربّه ـ عزّ وجلّ ـ وأيّده الله بما وعده. وجعل يمرّ بمغرب الشّمس فلا يمرّ بأمّة من الأمم إلّا دعاهم إلىٰ الله ـ عزّ وجلّ ـ ، فإن أجابوه قبل منهم، وإن لم يجيبوه أغشاهم الظّلمة فأظلمت مدائنهم وقراهم وحصونهم وبيوتهم ومنازلهم. فأغشيت أبصارهم ودخلت في أفواههم وأُنوفهم وآذانهم وأجوافهم. فلا يزالوا فيها متحيّرين حتّىٰ يستجيبوا لله ـ عزّ وجلّ ـ ويعجّوا إليه، حتّىٰ إذا بلغ مغرب الشّمس وجد عندها الأمّة الّتي ذكرها الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه. ففعل بهم مافعل بمن كان يمرّ به قبلهم حتّىٰ فرغ ممّا بينه وبين المغرب، ووجد جمعاً وعدداً لا يحصيه إلّا الله ـ عزّ وجلّ ـ ، وقوّة وبأساً لا يطيقه إلّا الله ـ عزّ وجلّ ـ ، وألسنة مختلفة، وأهواءاً متشتّتة، وقلوباً متفرّقة.

ثمّ مشىٰ علىٰ الظّلمة ثمانية أيّام وثمان ليال وأصحابه ينتظرونه[٦٨]، حتّىٰ ٱنتهىٰ إلىٰ الجبل ٱلّذي هو محيط بالأرض كلّها. فإذا بملك من الملائكة قابض علىٰ الجبل وهو يقول: سبحان ربّي من الآن إلىٰ منتهىٰ الدّهر، سبحان ربّي من أوّل الدّنيا إلىٰ آخرها، سبحان ربّي من موضع كفّي إلىٰ عرش ربّي، سبحان ربّي من منتهىٰ الظّلمة إلىٰ النّور.

---

(٦٧) في المصدر: يروّعك.

(٦٨) في المصدر: ينظرونه.

فلمّا سمع [ذلك][٦٩] ذو القرنين خرّ ساجداً، فلم يرفع رأسه حتّىٰ قوّاه الله ـ عزّ وجلّ ـ وأعانه علىٰ النّظر إلىٰ ذلك الملك. فقال له الملك: كيف قويت يا ابن آدم علىٰ أن تبلغ هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك؟

قال ذو القرنين: قوّاني علىٰ ذلك ٱلّذي قوّاك علىٰ قبض هذا الجبل.

[قال له الملك: صدقت.

قال له ذو القرنين: فأخبرني عنك أيّها الملك.

قال: إنّي موكّل بهذا الجبل وهو محيط بالأرض][٧٠].

وهو محيط بالأرض كلّها. ولولا هذا الجبل لأنكفأت الأرض بأهلها. وليس على ظهر[٧١] الأرض جبل أعظم منه. وهو أوّل جبل أنبته الله ـ عزّ وجلّ ـ؛ فرأسه ملصق بسماء الدّنيا، وأسفله في الأرض السّابعة [السّفلىٰ][٧٢]، وهو محيط بها كالحلقة، وليس علىٰ وجه الأرض مدينة إلّا ولها عرق إلىٰ هذا الجبل. فإذا أراد الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يزلزل مدينة أوحىٰ إليّ فحرّكت العرق الّذي يليها فزلزلتها.

فلمّا أراد ذو القرنين الرّجوع قال للملك: أوصني.

قال الملك: لا يهمّنّك رزق غد. ولا تؤخّر عمل اليوم لغد. ولا تحزن علىٰ مافاتك. وعليك بالرّفق. ولا تكن جبّاراً متكبّراً.

ثمّ إنّ ذا القرنين رجع إلىٰ أصحابه. ثمّ عطف بهم نحو المشرق يستقرئ مابينه وبين المشرق من الأمم. فيفعل بهم مثل مافعل بأمم المغرب قبلهم، حتّىٰ

---

(٦٩) أضفناه من المصدر.

(٧٠) أضفناه من المصدر.

(٧١) «ب»: وجه.

(٧٢) أضفناه من المصدر.

إذا فرغ ممّا بين المشرق والمغرب عطف نحو الرّدم الّذي ذكره الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ في كتابه. فإذا هو بأُمّة لا يكادون يفقهون قولاً. وإذا مابينه وبين الرّدم مشحون من أُمّة يقال لها: يأجوج ومأجوج أشباه البهائم؛ يأكلون ويشربون ويتوالدون وهم ذكور وإناث. وفيهم مشابه من النّاس الوجوه والأجساد والخلقة ولكنّهم قد نقصوا في الأبدان نقصاً شديداً. وهم في طول الغلمان ليس منهم أُنثىٰ ولا ذكر يجاوز طوله خمسة أشبار. وهم علىٰ مقدار واحد في الخلق والصّورة، عراة حفاة لا يغزلون ولا يلبسون ولا يحتذون. عليهم وبرٌ كوبرِ الإبل يواريهم ويسترهم من الحرّ والبرد. ولكلّ واحد منهم أُذنان: أحدهما ذات شعر، والأخرىٰ ذات وبر؛ ظاهرهما وباطنهما. ولهم مخالب في موضع الأظفار، وأضراس وأنياب كأضراس السّباع وأنيابها.

وإذا نام أحدهم افترش إحدىٰ أُذنيه والتحف الأخرىٰ، فتسعه لحافاً. وهم يُرزَقون تنّين[٧٣] البحر كلّ عام يقذفه عليهم السّحاب فيعيشون به عيشاً خصباً، ويصلحون عليه ويستمطرونه في أيّامه كما يستمطر النّاس المطر في أيّام المطر. فإذا قذفوا به أخصبوا وسمنوا وتوالدوا وكثروا وأكلوا منه حولاً كاملاً إلىٰ مثله من العام المقبل. ولا يأكلون معه شيئاً غيره. وهم لا يحصي عددهم إلّا الّذي خلقهم ـ عزّ وجلّ ـ.

وإذا أخطأهم التّنّين قحطوا وأجدبوا وجاعوا وانقطع النّسل والولد، وهم يتسافدون كما يتسافد البهائم علىٰ ظهر الطّرق وحيث ما التقوا. وإذا أخطأهم التّنين جاعوا وساحوا في البلاد فلا يدعون شيئاً أتوا عليه إلّا أفسدوه وأكلوه، فهم أشدّ فساداً فيما أتوا عليه من الأرض من الجراد والبرد والآفات كلّها.

---

(٧٣) نوع من الحيّات.

وإذا أقبلوا من أرض إلىٰ أرض خلا أهلها عنها وجلوها وليس يُغلَبو ن ولا يُدفَعون حتّىٰ لا يجد أحد من خلق الله ـ عزّ وجلّ ـ موضعاً لقدمه، ولا يخلو للإنسان موضع مجلسه، ولا يدري أحد من خلق الله كم بين أوّلهم وآخرهم، ولا يستطيع شيء من خلق الله أن ينظر إليهم، ولا يدنو منهم ممّا فيهم من نجاسة وقذر وسوء حلية. فبهذا غلبوا. ولهم حسٌّ وحنين إذا أقبلوا إلىٰ الأرض يُسمَع حسّهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم كما يُسمَع حسّ الرّيح البعيدة أو حسّ المطر البعيد. ولهم همهمة إذا وقعوا في البلاد كهمهم النّحل إلّا أنّه أشدّ وأعلىٰ صوتاً. يملأ الأرض حتّىٰ لا يكاد أحد أن يسمع من أجل ذلك الهمهم شيئاً.

وإذا أقبلوا إلىٰ الأرض حاشوا وحوشها كلّها وسباعها حتّىٰ لا يبقىٰ فيها شيء منها. وذلك لأنّهم يملؤونها مابين أقطارها ولا يتخلّف وراءهم من ساكن الأرض شيء فيه روح إلّا اجتلبوه من قبل لأنّهم أكثر من كلّ شيء، فأمرهم عجيب من العجب. وليس منهم أحد إلّا وقد عرف متىٰ يموت وذلك من قبل أنّه لا يموت منهم ذكر حتّىٰ يولد له ألف ولد، ولا تموت منهم أُنثىٰ حتّىٰ تلد ألف ولد. فبذلك عرفوا آجالهم. فإذا ولد ذلك الألف برزوا للموت وتركوا طلب ما كانوا فيه من المعيشة والحياة. فتلك قصّتهم من يوم خلقهم الله ـ عزّ وجلّ ـ إلىٰ يوم يفنيهم.

ثمّ إنّهم جعلوا في زمان ذي القرنين يدورون أرضاً أرضاً من الأرضين، وأُمّة أُمّة من الأمم. وهم إذا توجّهوا لوجه لم يعدلوا عنه أبداً، ولم ينصرفوا يميناً ولا شمالاً، ولا يلتفتون. فلمّا أحسّت تلك الأُمم بهم وسمعوا همهمتهم استغاثوا بذي القرنين وهو يومئذ نازل في ناحيتهم، فاجتمعوا إليه فقالوا: ياذا القرنين، إنّه قد بلغنا ما آتاك الله من الملك والسّلطان، وما ألبسك من الهيبة، **وما أيّدك بِهِ من**

جنود أهل الأرض، ومن النّور والظّلمة، وإنّا جيران يأجوج ومأجوج وليس بيننا وبينهم سوىٰ هذه الجبـال، وليس لهم إلينا طريق إلّا بين هذين الصّدفين لو ينسلون أجلونا عن بلادنا لكثرتهم حتّىٰ لا يكون لنا فيها قرار، وهم خلق من خلق الله كثير فيهم مشابه من الإنس، وهم أشباه البّهائم؛ يأكلون العشب، ويفترسون الدّوابّ والوحوش كما تفترسها السّباع، ويأكلون حشاش الأرض كلّها من الحيّات والعقارب وكلّ ذي روح ممّا خلق الله ـ عزّ وجلّ ـ. فإن كانت لهم مدّة علىٰ مايُرىٰ من نماهم وزيادتهم فلا نشكّ أنّهم يملؤون الأرض، ويجلون أهلها منها، ويفسدون فيها، ونحن نخشىٰ كلّ وقت أن تطلع علينا أوائلهم من هذين الجبلين وقد آتاك الله من الحيلة والقوّة ما لم يؤت أحداً من العالمين. فهل نجعل لك خرجاً علىٰ أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً؟

قال: ما مكّنّي فيه ربّي خير. فأعينـوني بقوّة أجعل بينكم وبينهم ردماً؛ ائتوني زبر الحديد.

قالوا: ومن أين لنا من الحديد والنّحاس مايسع هذا العمل الّذي تريد أن تعمل؟

قال: إنّي سأدلّكم علىٰ معدن الحديد والنّحاس.

فضرب لهم في جبلين حتّىٰ فتقهما. واستخرج منهما معدنين من الحديد والنّحاس.

قالوا: فبأيّ قوّة نقطع الحديد والنّحاس؟

فٱستخرج لهم معدناً آخر من تحت الأرض يقال له السّامور ـ وهو أشدّ بياضاً [من الثّلج](٧٤)، وليس شيء منه يوضع علىٰ شيء إلّا ذاب تحته ـ فصنع

---

(٧٤) أضفناه من المصدر.

لهم منه أداة يعملون بها. وبه قطع سليمان بن داود أساطين بيت المقدس وصخوره، وجاءت به الشّياطين من تلك المعادن فجمعوا من ذلك ما اكتفوا به وأوقدوا علىٰ الحديد حتّىٰ صنعوا منه زبراً أمثال الصّخور. فجعل حجارته من حديد. ثمّ أذاب النّحاس فجعله كالطّين لتلك الحجارة، ثمّ بنىٰ وقاس مابين الصّدفين فوجده ثلاثة أميال. فحفر له أساساً حتّىٰ كاد أن يبلغ الماء. وجعل عرضه ميلاً. وجعل حشوه زبر الحديد. وأذاب النّحاس فجعله خلال الحديد. فصنع طبقة من نحاس وأُخرىٰ من حديد حتّىٰ ساوىٰ الرّدم بطول الصّدفين. فصار كأنّه برد حبرة من صفرة[٧٥] النّحاس وحمرته وسواد الحديد. فيأجوج ومأجوج يتناوبونه[٧٦] في كلّ سنة مرّة، وذلك أنّهم يسيحون في بلادهم [حتّىٰ إذا وقعوا إلىٰ ذلك الرّدم حبسهم فرجعوا يسيحون في بلادهم][٧٧]. فلا يزالون كذلك حتّىٰ تقرب السّاعة وتجيء أشراطها. [فإذا جاء أشراطها][٧٨] وهو قيام القائم ـ عليه السّلام ـ فتحه الله ـ عزّ وجلّ ـ لهم. وذلك قوله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ﴾[٧٩].

فلمّا فرغ ذو القرنين من عمل السّدّ انطلق علىٰ وجهه، فبينما هو يسير وجنوده إذ مرّ علىٰ شخص[٨٠] يصلّي فوقف عليه بجنوده حتّىٰ انصرف من صلاته، فقال له ذو القرنين: كيف لم يروّعك ماحضرك من الجنود؟

قال: كنت أُناجي من هو أكثر جنوداً منك، وأعزّ سلطاناً، وأشدّ قوّة؛ لو

(٧٥) «ر»: صفر.

(٧٦) «ب» «ح»: «يتناولونه»، وفي المصدر: «ينتابونه».

(٧٧) أضفناه من المصدر.

(٧٨) أضفناه من المصدر.

(٧٩) الأنبياء: ٩٦.

(٨٠) في المصدر: شيخ.

صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قِبَلَهُ.

فقال له ذو القرنين: هل لك أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي وأستعين بك علىٰ بعض أمري؟

قال: نعم؛ إن ضمنت لي أربع خصال: نعيماً لا[٨١] يزول، وصحّة لا سقم فيها، وشباباً لا هرم فيه، وحياة لا موت فيها.

فقال له ذو القرنين: وأيّ مخلوق يقدر علىٰ هذه الخصال؟

فقال الشّيخ: فإنّي مع من يقدر عليها ويملكها وإيّاك.

ثمّ مرّ برجل عالم فقال لذي القرنين: أخبرني عن شيئين خلقهما الله تعالىٰ قائمين، وشيئين جاريين، وشيئين مختلفين، وشيئين متباغضين؟

فقال ذو القرنين: أمّا الشّيئان القائمان فالسّماوات والأرض، وأمّا الشّيئان الجاريان فالشّمس والقمر، وأمّا الشّيئان المختلفان فاللّيل والنّهار، وأمّا الشّيئان المتباغضان فالموت والحياة. فقال: انطلق فإنّك عالم.

وانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتّىٰ مرّ بشيخ يقلّب جماجم الموتىٰ. فوقف عليه بجنوده. فقال له: أخبرني أيّها الشّيخ، لأيّ شيء تقلّب الجماجم؟

قال: لأعرف الشّريف من الوضيع، فما عرفت، وإنّي لأُقلّبها منذ عشرين سنة.

فانطلق ذو القرنين وتركه وقال: ما أراك عنيت بهذا أحداً غيري.

فبينما هو يسير إذ مرّ بالأمّة العالمة الّذين هم ﴿مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ الَّذِينَ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[٨٢]. فوجد أُمّة مقسطة عادلة يقسمون بالسّويّة،

---

(٨١) «ب» «ح» زيادة: ينفد ولا.

(٨٢) الأعراف: ١٥٩.

ويحكمون بالعدل، ويتواسون ويتراحمون حالة[٨٣] واحدة، وكلمتهم واحدة، وقلوبهم مؤتلفة، وطريقتهم مستقيمة، وسيرتهم جميلة، وقبور موتاهم في أفنيتهم وعلىٰ أبواب دورهم وبيوتهم، وليس لبيوتهم أبواب، وليس عليهم أمير[٨٤]، وليس بينهم قضاة، وليس فيهم أغنياء ولا ملوك ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يسيئون[٨٥]، ولا يقتتلون[٨٦]، ولا تصيبهم الآفات. فلمّا رأىٰ ذلك من أمرهم مُلِئَ منهم عجباً. فقال لهم: أيّها القوم أخبروني خبركم. فإنّي قد درت في الأرض شرقها وغربها وبرّها وبحرها وسهلها وجبلهـا ونورها وظلمتها، فلم ألق مثلكم! فأخبروني مابال قبور موتاكم علىٰ أفنيتكم وعلىٰ أبواب بيوتكم؟

قالوا: فعلنا ذلك عمداً كي لا ننسىٰ الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا.

قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟

قالوا: ليس فينا لصّ ولا ظنين. وليس فينا إلّا أمين.

قال: فما بالكم ليس عليكم أمير[٨٧].

قالوا: لا نتظالم.

قال: فما بالكم ليس بينكم حكّام؟

قالوا: لا نختصم.

قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟

---

(٨٣) في المصدر: حالهم، وهو الأنسب في السّياق.

(٨٤) في المصدر: أُمراء.

(٨٥) في المصدر: يستبّون.

(٨٦) «ب» «ح» «ر»: يقتلون.

(٨٧) في المصدر: أُمراء.

قالوا: لا نتكاثر.

قال: فما بالكم ليس فيكم أشراف؟

قالوا: لا نتنافس.

قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟

قالوا: من قبل إنّا متواسون متراحمون.

قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟

قالوا: من قبل إلفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا.

قال: فما بالكم لا تسيئون[٨٨] ولاتقتتلون؟

قالوا: من قبل إنّا غلبنا طبائعنا بالعزم، وسننّا أنفسنا بالحلم.

قال: فما بال كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة؟

قالوا: من قبل إنّا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً.

قال: فأخبروني لِمَ ليس فيكم مسكين ولا فقير؟

قالوا: من قبل إنّا نقسم[٨٩] بالسّويّة.

قال: فما بالكم ليس فيكم فضّ ولا غليظ؟

قالوا: من قبل الذّل والتّواضع.

قال: فَلِمَ جعلكم الله ـ عزّ وجلّ ـ أطول النّاس أعماراً؟

قالوا: من قبل إنّا نتعاطىٰ الحقّ ونحكم بالعدل.

قال: فما بالكم لا تُقحَطون؟

قالوا: من قبل إنّا لا نغفل عن الإستغفار.

---

(٨٨) «ر»: تسبّون، وفي المصدر: تستبّون.

(٨٩) «ب» نقتسم.

قال: فما بالكم لا تحزنون؟

قالوا: من قبل إنّا وطّنّا أنفسنا علىٰ البلاء، وحرصنا عليه، فعزّينا أنفسنا.

قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات؟

قالوا: من قبل إنّا لا نتوكّل علىٰ غير الله، ولا نستمطر بالأنواء[٩٠] والنّجوم.

قال: فحدّثوني أيّها القوم، كذا[٩١] وجدتم آباءكم يفعلون؟

قالوا: وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم، ويواسون فقيرهم، ويعفون عن ظالمهم، ويحسنون إلىٰ من أساء إليهم، ويستغفرون لمسيئهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدّون أماناتهم، ويصدقون ولا يكذبون. فأصلح الله ـ عزّ وجلّ ـ بذلك أمرهم.

فأقام عندهم ذو القرنين حتّىٰ قُبض. ولم يكن له فيهم عمر. وقد كان بلغ[٩٢] السّنّ وأدركه الكبر. وكان عدّة ماسار في البلاد من يوم بعثه الله ـ عزّ وجلّ ـ إلىٰ يوم قبض خمسمائة عام.[٩٣]

وممّا نقلته من الكتاب المذكور:

روي عن هشام بن سالم، قال: قلت للصّادق جعفر بن محمّد ـ عليهما

---

(٩٠) الأنواء: جمع نَوْء، وهو النّجم، وهي ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السّنة، يسقط منها في كلّ ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وانقضاء هذه الثّمانية والعشرين مع انقضاء السّنة. وكانت العرب في الجاهليّة إذا سقط منها نجم وطلع الآخر قالوا: لابدّ أن يكون عند ذلك رياح ومطر، فينسبون كلّ غيث يكون عند ذلك إلى النّجم الّذي يسقط حينئذ، فيقولون: مطرنا بنوء كذا. مجمع البحرين ٤: ٣٨٦ (نوأ).

(٩١) في المصدر: أهكذا.

(٩٢) في المصدر: بلغه.

(٩٢) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٣٨٥ حديث ١.

السّلام ـ : الحسن أفضل أم الحسين ـ عليهما السّلام ـ ؟

فقال: الحسن أفضل من الحسين.

قلت: فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن؟

فقال إنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ آلىٰ أن يجعل سنة موسىٰ وهارون جارية في الحسن والحسين. ألا ترىٰ أنّهما كانا شريكين في النّبوّة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة، وأنّ الله جعل النّبوّة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسىٰ وكان موسىٰ أفضل من هارون.

قلت: فهل يكون إمامان في وقت واحد؟

قال: لا، إلّا أن يكون أحدهما صامتاً مأموماً لصاحبه والآخر ناطقاً. وأمّا أن يكونا إمامين في وقت واحد ناطقين فلا.

قلت: فهل تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين ـ عليهما السّلام ـ ؟

قال: لا، إنّما هي جارية في عقب الحسين ـ عليه السّلام ـ، كما قال الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[٩٤]. ثمّ هي جارية في الأعقاب وأعقاب الأعقاب إلىٰ يوم القيامة.[٩٥]

وممّا نقلته من الكتاب المذكور في ذكر نرجس أُمّ المهديّ ـ عليه السّلام ـ :

ماروي في نرجس أُمّ القائم ـ صلوات الله عليه ـ واسمها مليكة بنت

---

(٩٤) الزخرف: ٢٨.

(٩٥) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤١٦ حديث ٩.

يشوعا بن قيصر الملك.(٩٦)

حدّثنا محمّد بن عليّ [بن محمّد](٩٧) بن حاتم النّوفليّ، قال: حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن عيسىٰ الوشّاء البغداديّ، قال: حدّثنا أحمد بن طاهر القمّي، قال: حدّثنا أبو الحسين محمّد بن يحيىٰ(٩٨) الشّيبانيّ، قال: وردت كربلاء سنة ستّ وثمانين ومائتين وقال: وزرت قبر غريب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ. ثمّ انكفأت إلىٰ مدينة السّلام متوجّهاً إلىٰ مقابر قريش وقد تضرّمت الهواجر، وتوقّدت السّمائم. فلمّا وصلت منها إلىٰ مشهد الكاظم ـ عليه السّلام ـ واستنشقت نسيم تربته المغمورة من الرّحمة، المحفوفة بحدائق الغفران، بكيت(٩٩) عليها بعبرات متقاطرة، وزفرات متتابعة، وقد حجب الدّمع طرفي عن النّظر. فلمّا رقأت العبرة وانقطع النّحيب فتحت بصري، فإذا أنا بشيخ قد انحنىٰ صلبه، وتقوّس منكباه، وثفنت جبهته وراحتاه، وهو يقول لآخر معه عند القبر: يا ابن أخي لقد نال عمّك شرفاً بما حمله السّيّدان من غوامض الغيوب وشرائف العلوم الّتي لم يحمل مثلها إلاّ سلمان. وقد أشرف عمّك علىٰ استكمال المدّة وانقضاء العمر، وليس يجد في أهل الولاية رجلاً يفضي إليه بسرّه.

قلت: يانفسُ لا يزال العناء والمشقّة ينالان منك بإتعابي الخفّ والحافر في طلب العلم وقد قرع سمعي من الشّيخ لفظة تدلّ علىٰ علم جسيم وأثر عظيم، فقلت: أيّها الشّيخ من السّيّدان؟

فقال: النّجمان المغيبان في الثّرىٰ بسرّ من رأىٰ.

---

(٩٦) يعني: ملك الرّوم.

(٩٧) ليست في المصدر.

(٩٨) في المصدر: بحر.

(٩٩) «ر»: انكببت، وفي المصدر: أكببت.

فقلت: فأنا أقسم بالموالاة وشرف محلّ هذين السّيّدين من الإمامة والوراثة إنّي خاطب علمهما، وطالب آثارهما، وباذل من نفسي الأيمان المؤكّدة علىٰ حفظ أسرارهما.

قال: إن كنت صادقاً فيما تقول فأحضر ما صحبك من الآثار عن نقلة أخبارهم.

فأحضرت ماصحبني. فلمّا فتّش الكتب وتصفّح الرّوايات منها قال: صدقت، أنا بشر بن سليمان النّخّاس من ولد أبي أيّوب الأنصاريّ أحد موالي أبي الحسن الهادي وأبي محمّد العسكري ـ عليهما السّلام ـ وجارهما بسرّ من رأىٰ. فقلت: أكرم أخاك ببعض ماشاهدت من آثارهما؟

قال: كان مولانا أبو الحسن علي بن محمّد العسكريّ ـ صلوات الله عليهما ـ فقّهني في أمر الرّقيق، فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلّا بإذنه. فاجتنبت بذلك موارد الشّبهات حتّىٰ كملت معرفتي فيه. فأحسنت الفرق بين الحلال والحرام. فبينما أنا ذات ليلة في منزلي بسرّ من رأىٰ وقد مضىٰ هوي من اللّيل إذ قرع الباب قارع، فعدوت مسرعاً، فإذا بكافور الخادم رسول مولانا أبي الحسن عليّ بن محمّد ـ عليه السّلام ـ يدعوني إليه فلبست ثيابي ودخلت عليه. فرأيته يحدّث ابنه أبا محمّد ـ عليه السّلام ـ وأُخته حكيمة من وراء السّتر. فلمّا جلست قال: يابشر، إنّك من ولد الأنصار وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، فأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإنّي مزكّيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها سائر[100] الشّيعة في الموالاة بشيء[101] أُطلعك عليه وأُنفذك في تتبّع أمره[102].

---

(١٠٠) في المصدر: شأو.

(١٠١) في المصدر: بسرّ.

(١٠٢) في المصدر: «ابتياع أمة» بدل «تتبع أمره».

وكتب كتاباً مطلقاً[١٠٣] بخطّ روميّ ولغة روميّة. وطبع عليه خاتمه. وأعطاني شستقة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً. فقال: خذها وتوجّه بها إلىٰ بغداد. واحضر معبر الفرات ضحوة كذا. فإذا وصلت إلىٰ جانبك زواريق السّبايا وبرزت الجواري منها فستحدق بهنّ طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العبّاس وشرذام من فتيان العراق. فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد علىٰ المسمّىٰ عمر بن يزيد النّخّاس عامّة نهارك إلىٰ أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا: لابسة حريرتين صفيقتين، تمتنع من السّفور، ولبس المعرض[١٠٤]، والإنقياد لمن يحاول لمسها ويشغل ناظرها[١٠٥] بتأمّل مكاشفها من وراء السّتر، فيضربها النّخّاس فتصرخ صرخة روميّة، فاعلم أنّها تقول واهتك ستراه، فيقول بعض المبتاعين: «عليَّ بثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة»، فتقول بالعربيّة: «لو برزت في زيّ سليمان علىٰ مثل سرير ملكه مابدت لي فيك رغبة»، فأشفق علىٰ مالك، فيقول النّخّاس: «فما الحيلة ولا بدّ من بيعك»، فتقول الجارية: «وما العجلة ولا بدّ من ٱختيار مبتاع يسكن قلبي [إليه و][١٠٦] إلىٰ أمانته ووفائه». فعند ذلك قم إلىٰ عمر بن يزيد النّخّاس وقل له: إنّ معي كتاباً ملصقاً لبعض الأشراف كتبه بلغة [روميّة][١٠٧] وخطّ روميّ ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه، فناولها لتتأمّل منه أخلاق صاحبه فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في إبتياعها منك.

---

(١٠٣) في المصدر: «ملصقاً». وهو الأنسب.

(١٠٤) في بعض النسخ: «وليس ترضىٰ بالمعرض»، وفي المصدر: «ولمس المعترض» بدل «ولبس المعرض».

(١٠٥) في المصدر: نظره. وهو الصّحيح.

(١٠٦ و١٠٧) أضفناه من المصدر.

قال بشر بن سليمان: فٱمتثلت جميع ماحدّه لي مولاي أبو الحسن ـ عليه السّلام ـ في أمر الجارية. فلمّا نظرت في الكتاب بكت بكاءً شديداً وقالت لعمر ٱبن يزيد النّخّاس: «بعني من صاحب هذا الكتاب». وحلفت بالمحرجة المغلّظة أنّه متىٰ امتنع من بيعها منه قتلت نفسها. فما زلت أشّاحه في ثمنها حتّىٰ استقرّ الأمر فيه علىٰ مقدار ما كان مولاي صحبنيه من الدّنانير في الشّستقة الصّفراء. فٱستوفاه منّي وتسلّمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة وٱنصرفت بها إلىٰ حجرتي الّتي كنت آوي إليها ببغداد. فما أخذها القرار حتّىٰ أخرجت كتاب مولانا[١٠٨] من جيبها فرأيتها وهي تلثمه وتضعه علىٰ خدّها وتطبقه علىٰ جفنها وتمسحه علىٰ بدنها، فقلت ـ تعجّباً منها ـ: أتلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه؟ قالت: أيّها العاجز الضّعيف المعرفة بمحلّ أولاد الأنبياء أوعني[١٠٩] سمعك، وفرّغ لي قلبك، أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الرّوم، أمّي من ولد الحواريّين تُنسَب إلىٰ وصيّ المسيح شمعون. أُنبئك العجب أنّ جدّي قيصر أراد أن يزوّجني من ٱبن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة. فجمع في قصره من نسل الحواريّين ومن القسّيسين والرّهبان ثلاثمائة رجل ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل، وجمع من أُمراء الأجناد وقوّاد [العساكر ونقباء الجيوش وملوك][١١٠] العشائر أربعة آلاف، وبرّز من بهو ملكه عرشاً مصنوعاً من أصناف الجواهر إلىٰ صحن القصر، فرفعه فوق أربعين مرقاة، فلمّا صعده ابن أخيه وأحدقت به الصّلبان وقامت الأساقفة عكّفاً ونشرت أسفار الإنجيل تساقطت الصّلبان من الأعالي فلصقت بالأرض وتقوّضت الأعمدة فٱنهارت إلىٰ القرار وخرّ الصّاعد من العرش مغشيّاً

(١٠٨) في المصدر: مولاها.

(١٠٩) في المصدر: أعرني.

(١١٠) أضفناه من المصدر.

عليه. فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم. فقال كبيرهم لجدّي: أيّها الملك، اعفنا من ملاقاة هذه النّحوس الدّالّة علىٰ زوال هذا الدّين المسيحيّ والمذهب الملكانيّ.

فتطيّر جدّي من ذلك تطيّراً شديداً وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصّلبان وأحضروا أخا هذا المدبّر العاثر المنكوس جدّه لأزوّج منه هذه الصّبيّة فيدفع نحوسه عنكم بسعوده.

فلمّا فعلوا ذلك حدث علىٰ الثّاني ماحدث علىٰ الأوّل وتفرّق النّاس وقام جدّي قيصر مغضباً(١١١). فدخل قصره وأُرخيت السّتور. فأُريت في تلك اللّيلة كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر جدّي ونصبوا به(١١٢) منبراً يباري السّماء علوّاً وارتفاعاً في الموضع الّذي كان جدّي نصب فيه عرشه. فدخل محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ مع فتية وعدّة من بنيه. فيقوم إليه المسيح فيعتنقه فيقول له: ياروح الله، إنّي قد جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته مليكة لإبني هذا ـ وأومأ بيده إلىٰ أبي محمّد صاحب هذا الكتاب ـ.

فنظر المسيح إلىٰ شمعون وقال له: قد أتاك الشّرف. فصل رحمك برحم رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

قال: قد فعلت.

فصعد ذلك المنبر وخطب محمّدٌ وزوّجني من ابنه [وشهد](١١٣) المسيح وشهد بنو محمّد والحواريّون.

فلمّا استيقظت من نومي أشفقت أن أقصّ هذه الرّؤيا علىٰ أبي وجدّي

---

(١١١) «ح» والمصدر: مغتمّاً.

(١١٢) في المصدر: فيه.

(١١٣) أضفناه من المصدر.

مخافة القتل. فكنت أسرّها في نفسي ولا أُبديها لهم، وضرب صدري بمحبّة أبي محمّد حتّىٰ امتنعت من الطّعام والشّراب وضعفت نفسي ورقّ جلدي ومرضت مرضاً شديداً. فما بقي في مدائن الرّوم طبيب إلّا أحضره جدّي وسأله عن دوائي. فلمّا برّح به اليأس قال: ياقرّة عيني، فهل تخطر ببالك شهوة فأُزوّدكها في هذه الدّنيا؟

فقلت: ياجدّي أرىٰ أبواب الفرج عليّ مغلقة. فلو كشفت العذاب عمّن في سجنك من أسارىٰ المسلمين، وفككت عنهم الأغلال، وتصدّقت عليهم، ومنّيتهم الخلاص؛ رجوت أن يهب المسيح وأمّه لي عافية وشفاءاً.

فلمّا فعل ذلك تجلّدت في إظهار الصّحّة في بدني، وتناولت يسيراً من الطّعام. فسرّ بذلك جدّي وأقبل علىٰ إكرام الأُسارىٰ وإعزازهم. فأريت أيضاً بعد أربعة ليال كأنّ سيّدة النّساء قد زارتني ومعها مريم بنت عمران وألف من وصائف الجنّة، فتقول لي مريم: هذه سيّدة النّساء أُمّ زوجك أبي محمّد.

فأتعلّق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمّد من زيارتي، فقالت سيّدة النّساء: إنّ ابني أبا محمّد لا يزورك وأنت مشركة بالله علىٰ دين مذهب النّصارىٰ، وهذه أُختي مريم تبرأ إلىٰ الله ـ عزّ وجلّ ـ من دينك، فإن ملت إلىٰ رضا الله ورضا المسيح ومريم عنك وزيارة أبي محمّد إيّاك فقولي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ ـ أبي ـ محمّداً رسول الله.

فلمّا تكلّمت بهذه الكلمة ضمّتني سيّدة النّساء إلىٰ صدرها وطيّبت نفسي وقالت: الآن توقّعي زيارة أبي محمّد إيّاك. فإنّي منفذته إليك.

فأنتبهت وأنا أقول: «واشوقاه إلىٰ لقاء أبي محمّد». ثمّ زارني بعد ذلك فرأيت كأنّه عندي وكأنّي أقول له: لم جفوتني ياحبيبي بعد أن شغلت قلبي

بجوامع حبّك؟

قال: ما كان تأخيري عنك إلاّ لشركك، وإذ قد أسلمت فإنّي زائرك كلّ ليلة إلىٰ أن يجمع الله شملنا في العيان.

فما قطع عنّي زيارته بعد ذلك إلىٰ هذه الغاية.

قال بشر: فقلت: وكيف وقعت في الأسارىٰ؟

فقالت: أخبرني أبو محمّد ليلة من اللّيالي أنّ جدّكِ سيسرب[١١٤] جيوشاً إلىٰ قتال المسلمين يوم كذا، ثمّ يتّبعهم، فعليك باللّحاق بهم متنكّرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف من طريق كذا. ففعلت ووقعت علينا طلائع المسلمين حتّىٰ كان من أمري مارأيت وشاهدت وماشعر بأنّي ٱبنة ملك الرّوم إلىٰ هذه الغاية أحد سواك وذلك باطّلاعي إيّاك عليه. ولقد سألني الشّيخ الّذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت «نرجس». فقال: «اسم الجواري». قلت: «العجب إنّكِ روميّة ولسانك عربيّ!». قالت: بلغ من ولوع جدّي بي وحمله إيّاي علىٰ تعليم الآداب أن أوعز إلىٰ امرأة ترجمان له في الإختلاف إليّ، فكانت تقصدني صباحاً ومساءاً وتفيدني العربيّة حتّىٰ استمرّ عليها لساني واستقام.

قال بشر: فلمّا انكفأت بها إلىٰ سرّ من رأىٰ دخلت علىٰ مولانا أبي الحسن العسكريّ ـ عليه السّلام ـ ، فقال لها: كيف أراك الله عِزّ الإسلام وذلّ النّصرانيّة وشرف أهل بيت محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ؟

قالت: كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به منّي؟!

قال: فإنّي أُحبّ أن أُكرمك. فأيّما أحبّ إليك عشرة آلاف درهم أم بشرىٰ لك فيها شرف الأبد؟

---

(١١٤) «ب»: سيسيّر.

قالت: بل البشرىٰ.

قال: أبشري بولد يملك الدّنيا شرقاً وغرباً فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

قالت: ممّن؟

قال: ممّن خطبك رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ له ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا بالرّوميّة.

قالت: من المسيح ووصيّه.

قال: فبمن زوّجك المسيح ووصيّه؟

قالت: من ابنك أبي محمّد.

قال: فهل تعرفينه؟

قالت: وهل خلوت ليلة من زيارته إيّاي منذ اللّيلة الّتي أسلمت فيها علىٰ يد سيّدة النّساء أمّه!

قال أبو الحسن ـ عليه السّلام ـ : يا كافور ادع لي أُختي حكيمة.

فلمّا دخلت عليه قال لها: هاهيه.

فاعتنقتها طويلاً وسرّت بها كثيراً. فقال مولانا: يابنت رسول الله أخرجيها إلىٰ منزلك وعلّميها الفرائض والسّنن؛ فإنّها زوجة أبي محمّد وأمّ القائم ـ عليهما السّلام ـ .(١١٥)

وممّا نقلته من الكتاب المذكور ممّا روي في ميلاد القائم صاحب الزّمان ـ عليه السّلام ـ قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا محمّد بن يحيىٰ العطّار، قال: حدّثنا أبو عبدالله الحسين بن رزق

(١١٥) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤١٧، الحديث ١.

الله، قال: حدّثني موسىٰ بن محمّد بن القاسم بن حمزة بن موسىٰ بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ قال: حدّثتني حكيمة بنت محمّد بن عليّ بن موسىٰ بن جعفر بن محمّد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ عليهم السّلام ـ قالت: بعث إليّ أبو محمّد الحسن بن عليّ ـ عليهما السّلام ـ فقال لي: ياعمّة، اجعلي إفطارك اللّيلة عندنا، فإنّها ليلة النّصف من شعبان، وأنّ(١١٦) الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ سيظهر في هذه اللّيلة الحجّة وهو حجّته في أرضه.

قالت: فقلت له: ومن أُمّه.

قال لي: نرجس.

قلت له: جعلني الله فداك، والله مابها أثر.

فقال: هو ما أقول لك.

قالت: فجئت؛ فلمّا سلّمت وجلست جاءت تنزع خفّي وقالت لي: ياسيّدتي [وسيّدة أهلي](١١٧)، كيف أمسيت؟

فقلت: بل أنت سيّدتي وسيّدة أهلي.

قالت: فأنكرت قولي وقالت: ماهذا ياعمّة؟

قالت: فقلت لها: يابنيّة إنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدّنيا والآخرة. قالت: فخجلت واستحيت؛ فلمّا أن فرغت من صلاة عشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت. فلمّا أن كان في جوف اللّيل قمت إلىٰ الصّلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث؛ ثمّ

---

(١١٦) في المصدر: فإنّ.

(١١٧) أضفناه من المصدر اقتضاءاً للسّياق.

جلست معقّبة. ثمّ اضطجعت. ثمّ انتبهتُ فزعة وهي راقدة. ثمّ انتبهتْ وقامتْ فصلّت ونامت.

قالت حكيمة: وخرجت أتفقّد الفجر، فإذا أنا بالفجر كَذَنَب السرحان وهي نائمة.

قالت: حكيمة فدخلني الشّكوك فصاح بي أبو محمّد ـ عليه السّلام ـ من المجلس فقال: لا تعجلي ياعمّة فهاك الأمر قد قرب.

قالت: فقرأت آلم السّجدة ويسٓ؛ فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت: «اسم الله عليك». ثمّ قلت لها: أتحسّين شيئاً؟

قالت: نعم ياعمّة.

فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ماقلت لك.

قالت حكيمة: ثمّ أخذتني فترة وأخذتها فترة فٱنتبهت بحسّ سيّدي، فكشفت الثّوب عنه فإذا أنا به ـ عليه السّلام ـ ساجداً يتلقّىٰ الأرض بمساجده، فضممته ـ عليه السّلام ـ إليّ فإذا أنا به نظيف منظّف. فصاح بي أبو محمّد ـ عليه السّلام ـ: هلمّي به إليّ ياعمّة.

فجئت به إليه. فوضع يده تحت إليته وظهره ووضع قدمه في صدره. ثمّ أدلىٰ لسانه في فيه وأمرّ يده علىٰ عينيه وسمعه ومفاصله؛ ثمّ قال: تكلّم يابنيّ.

فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

ثمّ صلّىٰ علىٰ أمير المؤمنين وعلىٰ الأئمّة، إلىٰ أن وقف علىٰ أبيه؛ ثمّ أحجم. قال أبو محمّد ـ عليه السّلام ـ: ياعمّة اذهبي به إلىٰ اُمّه ليسلّم عليها وٱئتني به.

فذهبت به فسلّم وردته ووضعته في المجلس. ثمّ قال: ياعمّة إذا كان يوم

السّابع فأتينا.

قالت حكيمة: فلمّا أصبحت جئت لأُسلّم علىٰ أبي محمّد ـ عليه السّلام ـ . وكشفت السّتر لأتفقّد سيّدي ـ عليه السّلام ـ فلم أره.

فقلت له: جعلت فداك، مافعل سيّدي؟

فقال: ياعمّة، استودعناه الّذي استودعته أُمّ موسىٰ ـ عليه السّلام ـ.

قالت حكيمة: فلمّا كان اليوم السّابع جئت وسلّمت وجلست.

فقال: هلمّي إليّ ابني.

فجئت. وإذا بسيّدي ـ عليه السّلام ـ وهو في الخرقة. ففعل به كفعلته الأُولىٰ؛ ثمّ أدلىٰ لسانه في فيه[١١٨] كأنّه يغذّيه لبناً أو عسلاً. ثمّ قال: تكلّم يابنيّ.

فقال ـ عليه السّلام ـ : «أشهد أن لا إله إلّا الله». وثنا بالصّلاة علىٰ محمّد وعلىٰ أمير المؤمنين وعلىٰ الأئمّة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ حتّىٰ وقف علىٰ أبيه ـ عليه السّلام ـ ثمّ تلا هذه الآية: ﴿بسم الله الرّحمٰن الرّحيم وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[١١٩].

وممّا ذكر في الكتاب المذكور من أسماء مَن شاهد الحجّة محمّد بن الحسن ـ عليه السّلام ـ

روي عن جماعة من الثّقاة، عن محمّد بن محمّد الأشعريّ، عن غانم قال: كنت مع ملك الهند بقسمين[١٢٠] الدّاخلة ونحن أربعون رجلاً نقعد حول

---

(١١٨) «ح»: فمه.

(١١٩) القصص: ٥ ـ ٦. كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤٢٤، الحديث ١.

(١٢٠) كذا في النّسخ، وفي المصدر: في قشمير.

كرسيّ الملك قد قرأنا التّوراة والإنجيل والزّبور يفزع إلينا في العلم. فتذاكرنا يوماً محمّداً ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وقلنا: «نجده في كتبنا». فاتّفقنا علىٰ أن أخرج في طلبه وأبحث عنه. فخرجت ومعي مال. فقطع عليَّ التّرك وشلّحوني فوقعت إلىٰ كابل. وخرجت من كابل إلىٰ بلخ والأمير بها ابن أبي شور، فأتيته وعرّفته ماخرجت له. فجمع الفقهاء والعلماء لمناظرتي. فسألتهم عن محمّد ـ عليه السّلام ـ فقالوا: هو نبيّنا محمّد بن عبدالله وقد مات.

فقلت: ومن كان خليفته؟

فقالوا: أبو بكر.

فقلت: انسبوه لي.

فنسبوه إلىٰ قريش. فقلت: ليس هذا بنبيّ! إنّ النّبيّ الّذي نجده في كتبنا خليفته ابن عمّه وزوج ابنته وأبو ولده.

فقالوا للأمير: إنّ هذا قد خرج من الشّرك إلىٰ الكفر. اضرب عنقه.

فقلت لهم: أنا متمسّك بدين لا أدعه إلّا ببيان.

فدعا الأمير الحسين بن إسكيب وقال له: ياحسين، باحثوا[١٢١] الرّجل.

فقال: العلماء والفقهاء حولك فَمُرْهُمْ بمناظرته.

فقال له: ناظره كما أقول واخل به وألطف له.

قال: فخلا بي الحسين، فسألته عن محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فقال: هو كما قالوه لك، غير أنّ خليفته ابن عمّه عليّ بن أبي طالب وهو زوج ابنته فاطمة وأبو ولده الحسن والحسين.

فقلت: أشهد أن لا إله إلّا الله [وأنّ محمّداً][١٢٢] رسول الله.

(١٢١) في المصدر: ناظر.

(١٢٢) «ب» «ح» «ر» والمصدر: وأنّه.

وصرت إلىٰ الأمير وأسلمت فمضىٰ بي إلىٰ الحسين ففقّهني. فقلت له: إنّا نجد في كتبنا أنّه لا يمضي خليفة إلّا عن خليفة، فمن كان خليفة عليّ؟

قال: الحسن، ثمّ الحسين.

ثمّ سمّىٰ لي الأئمة [واحداً واحداً](١٢٣) حتّىٰ بلغ إلىٰ الحسن. ثمّ قال لي: يحتاج أن تطلب خليفة الحسن وتسأل عنه.

فخرجت في الطّلب.

قال محمّد بن محمّد: ووافىٰ معنا بغداد. فذكر لنا أنّه كان معه رفيق قد صحبه علىٰ هذا الأمر فكره بعض أخلاقه ففارقه. قال: فبينما أنا يوماً وقد تمسّحت في الصّراة وأنا مفكّر في ماخرجت له إذ أتاني آت وقال لي: «أجب مولاك». فلم يزل يخترق فيّ(١٢٤) المحالّ حتّىٰ أدخلني داراً وبستاناً وإذا مولاي ـ عليه السّلام ـ قاعد. فلمّا نظر إليّ كلّمني بالهنديّة وسلّم عليَّ وأخبرني باسمي وسألني عن الأربعين رجلاً بأسمائهم عن اسم رجل رجل. ثمّ قال لي: تريد الحجّ مع أهل قم في هذه السّنة، فلا تحجّ في هذه السّنة وٱنصرف إلىٰ خراسان وحجّ من قابل.

قال: ورمىٰ إليّ بصرّة وقال: اجعل هذه في نفقتك ولا تدخل في بغداد إلىٰ دار أحد ولا تخبر بشيء ممّا رأيت.

قال محمّد: فانصرفنا من العقبة ولم يقض لنا حجّ؛ وخرج غانم إلىٰ خراسان وانصرف من قابل حاجّاً. فبعث إليه بألطاف ولم يدخل قم. وحجّ وٱنصرف إلىٰ خراسان فمات ـ رحمه الله ـ.(١٢٥)

---

(١٢٣) أضفناه من المصدر.

(١٢٤) في المصدر: بي.

(١٢٥) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤٣٧.

وروي عن قنبر الكبير مولىٰ الرّضا ـ عليه السّلام ـ. قال خرج صاحب الزّمان ـ عليه السّلام ـ علىٰ جعفر الكذّاب من موضع لم يعلم به عندما نازع في الميراث عند[١٢٦] مضيّ أبي محمّد ـ عليه السّلام ـ فقال له: يا جعفر، مالك تعرض في حقوقي؟

فتحيّر جعفر وبهت. ثمّ غاب عنه. فطلبه جعفر بعد ذلك في النّاس فلم يجده. فلمّا ماتت الجدّة أمّ الحسن أمرت أن تُدفَن في الدّار. فنازعهم وقال: هي داري لا تُدفَن فيها.

فخرج ـ عليه السّلام ـ فقال له: ياجعفر، أدارك هي؟

ثمّ غاب عنه فلم يره بعد ذلك[١٢٧].

وروي عن محمّد بن محمّد الخزاعيّ ـ رضي الله عنه ـ قال: حدّثنا أبو عليّ الأسديّ، عن أبيه، عن محمّد بن أبي عبدالله الكوفيّ أنّه ذكر عدد من انتهىٰ إليه ممّن وقف علىٰ معجزات صاحب الزّمان ـ عليه السّلام ـ ورآه من الوكلاء ببغداد وغيرهم: العمريّ وابنه، وحاجر، والبلاليّ، والعطّار، ومن الكوفة: العاصميّ، ومن أهل الأهواز: محمّد بن إبراهيم بن مهزيار، ومن أهل قم: أحمد ابن إسحاق، ومن أهل همدان: محمّد بن صالح، ومن أهل الرّيّ: البسّاميّ والأسديّ ـ يعني نفسه ـ، ومن أهل آذربايجان: القاسم بن العلاء، ومن نيشابور: محمّد بن شاذان.

ومن غير الوكلاء من أهل بغداد: أبو القاسم بن أبي حابس، وأبو عبدالله الكسبيّ[١٢٨]، وأبو عبدالله الجنيديّ، وهارون القزّاز، والنّيليّ، وأبو القاسم بن

---

(١٢٦) في المصدر: بعد.

(١٢٧) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤٤٢، الحديث ١٥.

(١٢٨) في المصدر: الكنديّ.

رميس، وأبو عبدالله بن فرّوخ، ومسرور الطّبّاخ مولىٰ أبي الحسن ـ عليه السّلام ـ، وأحمد ومحمّد ابنا الحسن، وإسحاق الكاتب من بني نيبخت، وصاحب الفرّاء، وصاحب الصّرّة المختومة، ومن همدان: محمّد بن كشمرد، وجعفر بن حمدان، ومحمّد بن هارون بن عمران، ومن الدّينور: حسن بن هارون، وأحمد، وأخوه أبو الحسن، ومن إصفهان: ابن باد شاكه، ومن زيدان ومن قم: الحسن بن النّصر، ومحمّد بن محمّد، وعليّ بن محمد بن إسحاق وأبوه، والحسن بن يعقوب، ومن أهل الرّيّ: القاسم بن موسىٰ وابنه، وأبو محمّد بن هارون، وصاحب الحصاة، وعليّ بن محمّد، ومحمّد بن محمد الكلينيّ، وأبو جعفر الرّفاء، ومن قزوين: مرداس، وعليّ بن أحمد، ومن فاقتر: رجلان، ومن شهرزور: ابن الحيّال[١٢٩]، ومن فارس: المحروج، ومن مرو: صاحب الألف دينار، وصاحب المال، وصاحب الرّقعة البيضاء، وأبو ثابت، ومن نيسابور: محمّد بن شعيب بن صالح، ومن اليمن: الفضل بن يزيد، والحسن ابنه، والجعفريّ، وابن الأعجميّ، والشّمشاطيّ، ومن مصر: صاحب المولودين، وصاحب المال بمكّة، وأبو رجاء، ومن نصيبين: أبو محمّد بن الوجناء، ومن الأهواز: الخصيبيّ.[١٣٠]

وقد روي عن شيخنا من أصحاب الحديث يقال له: أحمد بن فارس الأديب، يقول: سمعت بهمدان حكاية حكيتها كما سمعتها لبعض إخواني. فسألني أن أُثبتها له بخطّي. ولم أجد إلىٰ مخالفته سبيلاً. وقد كتبتها وعهدتها علىٰ من حكاها. وذلك أنّ بهمدان أُناساً يُعرَفون ببني راشد وهم كلّهم يتشيّعون ومذهبهم مذهب أهل الإمامة. فسألت عن سبب تشيّعهم من بين أهل همدان.

---

(١٢٩) في المصدر: الخال، وفي «ح»: الحبال.

(١٣٠) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤٤٢ الحديث ١٦.

فقال لي شيخ منهم رأيت فيه صلاحاً وسمتاً: إنّ سبب ذلك أنّ جدّنا الّذي ننتسب[١٣١] إليه خرج حاجّاً.

فقال: إنّه لمّا صدر من الحجّ وساروا منازل في البادية قال: فبسطت[١٣٢] في النّزول والمشي فمشيت طويلًا حتّىٰ أعييت ونعست. فقلت في نفسي: «أنام نومة تريحني». فإذا جاءت أواخر القافلة قمت. قال: فما انتبهت إلّا بحرّ الشّمس ولم أر أحداً. فتوحّشت ولم أر طريقاً ولا أثراً. فتوكّلت علىٰ الله ـ عزّ وجلّ ـ وقلت: «أتوجّه حيث وجّهني». ومشيت غير طويل. فوقعت في أرض خضراء نضرة كأنّها قريبة عهد بغيث. وإذا تربتها أطيب تربة. ونظرت في سواء تلك الأرض إلىٰ قصر يلوح كأنّه سيف. فقلت: «ليت شعري ماهذا القصر الّذي لم أعهده ولم أسمع به». فقصدته فلمّا بلغت الباب رأيت خادمين أبيضين فسلّمت عليهما فردّا ردّاً جميلًا، وقالا: اجلس.

فجلست؛ وقالا: لقد أراد الله بك خيراً.

وقام أحدهما فدخل واحتبس غير بعيد. ثمّ خرج فقال: قم فادخل.

فدخلت قصراً لم أر بناءً أحسن منه ولا أضوأ منه. وتقدّم الخادم إلىٰ ستر علىٰ بيت فرفعه ثمّ قال لي: ادخل.

فدخلت البيت، فإذا فتىٰ جالس في وسط البيت وقد علّق فوق رأسه من السّقف سيفاً طويلًا تكاد ظبّته تمسّ رأسه والفتىٰ بدر يلوح في ظلام؛ فسلّمت فردّ السّلام بألطف الكلام وأحسنه؛ ثمّ قال لي: أتدري من أنا؟

فقلت: لا والله.

قال: أنا القائم من آل محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ . أنا الّذي أخرج في

(١٣١) «ر»: نُنسب.

(١٣٢) في المصدر: فنشطت.

آخر الزّمان بهذا السّيف ـ وأشار إليه ـ فأملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً.

قال: فسقطت علىٰ وجهي وتعفّرت.

فقال: لا تفعل. ارفع رأسك. أنت فلان من مدينة بالجبل يقال لها: همدان؟

قلت: صدقت ياسيّدي ومولاي.

قال: أفتحبّ أن تؤوب إلىٰ أهلك؟

قلت: نعم ياسيّدي، وأبشّرهم بما أتاح الله ـ عزّ وجلّ ـ لي.

فأومأ إلىٰ الخادم. فأخذ بيدي. وناولني صرّة. وخرج ومشىٰ معي خطوات. فنظرت إلىٰ ظلال أشجار ومنارة ومسجد. فقال: أتعرف هذا البلد؟

قلت: إنّ بقرب بلدنا بلدة تعرف بأسد آباد وهي تشبهها.

قال: فهذه أسد آباد امض راشداً.

فالتفتّ فلم أره. ودخلت أسد آباد ونظرت وإذا بالصّرّة أربعون أو خمسون ديناراً. فوردت همدان وجمعت أهلي وبشّرتهم بما يسرّه الله ـ عزّ وجلّ ـ لي. ولم نزل بخير مابقي معنا من تلك الصّرّة دنانير(١٣٣).

وممّا نقلته من الكتاب المذكور ممّا جاء في التّعمير: روي عن الصّادق جعفر ابن محمّد ـ عليهما السّلام ـ قال: عاش نوح ـ عليه السّلام ـ ألفي سنة وخمس مائة سنة؛ ثمان مائة وخمسون سنة قبل أن يُبعث، وألف سنة إلّا خمسين وهو في قومه يدعوهم، وسبعمائة عام بعد مانزل من السّفينة ونضب الماء فمصّر الأمصار، وأسكن ولده البلدان، ثمّ إنّ ملك الموت جاءه وهو في الشّمس فقال: «السّلام عليك»، فردّ الجواب.

---

(١٣٣) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤٥٣ الحديث ٢٠.

فقال: ماجاء بك ياملك الموت؟

فقال: جئت لأقبض روحك.

فقال له: تدعني أدخل من الشّمس إلىٰ الظّلّ؟

فقال له: نعم.

قال: فتحوّل نوح ـ عليه السّلام ـ ثمّ قال: ياملك الموت، كأنّ مامرّ بي من الدّنيا مثل تحوّلي من الشّمس إلىٰ الظّلّ. فآمض لما اُمرت به.

قال: فقبض روحه ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ[١٣٤].

وروي عن محمّد بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه ـ عليهم السّلام ـ ، عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال: عاش آدم أبو البشر تسع مائة وثلاثين سنة. وعاش نوح ألفي وأربع مائة سنة وخمسين سنة. وعاش إبراهيم ـ عليه السّلام ـ مائة وخمساً وسبعين سنة. وعاش إسماعيل ـ عليه السّلام ـ مائة وعشرين سنة. وعاش إسحاق بن إبراهيم ـ عليه السّلام ـ مائة وثمانين سنة. وعاش يعقوب ـ عليه السّلام ـ مائة وعشرين سنة. وعاش يوسف ـ عليه السّلام ـ مائة وعشرين سنة. وعاش موسىٰ ـ عليه السّلام ـ مائة وعشرين سنة[١٣٥]. وعاش هارون ـ عليه السّلام ـ مائة وثلاثاً وثلاثين سنة. وعاش داود ـ عليه السّلام ـ مائة سنة؛ منها أربعون سنة ملكه. وعاش سليمان بن داود ـ عليهما السّلام ـ سبع مائة سنة واثنتي عشرة سنة[١٣٦].

وروي عن الحسن بن عليّ العسكري ـ عليه السّلام ـ أنه كان يقول: إنّ ابني هو القائم من بعدي، وهو الّذي يجري فيه سنن الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ

(١٣٤) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٢٣، الحديث ١.

(١٣٥) في المصدر: مائة وستّاً وعشرين سنة.

(١٣٦) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٢٣، الحديث ٣.

بالتّعمير والغيبة حتّىٰ تقسو قلوبُ لطول الأمد، فلا يثبت علىٰ القول به إلّا من كتب الله ـ عزّ وجلّ ـ في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه.(١٣٧)

وعن الصّادق ـ عليه السّلام ـ أنّه قال في حديث يذكر فيه قصّة داود ـ عليه السّلام ـ: أنّه خرج يقرأ الزّبور ـ وكان إذا قرأ الزّبور لا يبقىٰ جبل ولا حجر ولا طائر إلّا أجابه ـ فانتهىٰ إلىٰ جبل. فإذا علىٰ ذلك الجبل نبيّ عابد يقال له: «حزقيل». فلمّا سمع دويّ الجبال وأصوات السّباع والطّير علم أنّه داود ـ عليه السّلام ـ. فقال داود: ياحزقيل، تأذن لي فأصعد إليك؟

قال: لا.

فبكىٰ داود ـ عليه السّلام ـ فأوحىٰ الله ـ عزّ وجلّ ـ إليه: ياحزقيل لا تعيّر داود وسلني العافية.

قال: فأخذ حزقيل بيد داود ورفعه إليه.

فقال داود: ياحزقيل، هل هممت بخطيئة قطّ؟

قال: لا.

قال: فهل دخلك العجب بما أنت فيه من عبادة الله ـ عزّ وجلّ ـ؟

قال: لا.

قال: فهل ركنت إلىٰ الدّنيا فأحببت أن تأخذ من شهواتها ولذّاتها؟

قال: بلىٰ، ربّما عرض ذلك بقلبي.

قال: فما [كنت](١٣٨) تصنع إذا كان ذلك؟

قال: أدخل هذا الشّعب فأعتبر بما فيه.

---

(١٣٧) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٢٤، الحديث ٤.

(١٣٨) أضفناه من المصدر.

قال: فدخل داود الشّعب. فإذا سرير من حديد عليه جمجمة بالية وعظام فانية. وإذا لوح من حديد فيه كتابة. فقرأها داود ـ عليه السّلام ـ فإذا فيها: أنا أرویٰ سلم ملكتُ ألف سنة. وبنيت ألف مدينة. وافتضضت ألف بكر. فكان آخر عمري أن صار التّراب فراشي، والحجارة وسادتي[١٣٩]، والدّيدان والهوامّ جيراني. فمن رآني فلا يغترّ بالدّنيا.[١٤٠]

حديث الدّجّال وما يتّصل به من أمر القائم ـ عليه السّلام ـ

روي عن الثّقـاة، عن الضّحّـاك بن مزاحم، عن النّزال بن سبرة قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: سلوني أيّها النّاس قبل أن تفقدوني.

فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال: ياأمير المؤمنين، متىٰ يخرج الدّجّال؟

فقال له عليّ ـ عليه السّلام ـ : اقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت. والله ما المسؤول عنـه بأعلم من السّـائل. ولكنّ لذلك علامات وهيئات يتّبع بعضها بعضاً كحذو النّعل بالنّعل، فإن شئت أنبّأتك بها.

قال: نعم ياأمير المؤمنين.

فقـال ـ عليه السّـلام ـ : احفظ، فإنّ علامة إذا أمات النّاس الصّلاة، وأضـاعـوا الأمـانـة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الرّبا، وأخذوا الرّشا، وشيّدوا البنيان، وبـاعوا الدّين بالدّنيا، واستعملوا السّفهاء، وشاوروا النّساء، وقطعوا

---

(١٣٩) في بعض النّسخ: وسادي.

(١٤٠) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٢٤، الحديث ٦.

الأرحام، واتّبعوا الأهواء، واستخفّوا بالدّماء، وكان الحلم ضعفاً، والظّلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقرّاء فسقة، وظهرت شهادة الزّور، واستُعلِن الفجور وقول البهتان، والإثم والطّغيان، وحُلّيت المصاحف، وزُخرِفت المساجد، وطُوّلت المنارات، وأُكرِم الأشرار، وازدحمت الصّفوف، واختلفت القلوب، ونُقِضت العهود، واقترب الموعود، وشارك النّساء أزواجهنّ في التّجارة حرصاً علىٰ الدّنيا، وعلت أصواتهنّ واستُمِع منهنّ، وكان زعيم القوم أرذلهم، واتُّقي الفاجر مخافة شرّه، وصُدِّق الكاذب، وائتُمِن الخائن، واتُّخِذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها، وركب ذوات الفروج السّروج، وتشبّه النّساء بالرّجال، والرّجال بالنّساء، وشهد الشّاهد من غير أن يُستشهَد، وشهد الآخر قضاء لذمام بغير حقّ عرفه وتفقّه لغير الدّين، وآثروا الدّنيا علىٰ عمل الآخرة، ولبسوا جلود الضّأن علىٰ قلوب الذّئاب وقلوبهم أنتن من الجيف وأمرّ من الصّبر، فعند ذلك الوحا الوحا، ثمّ العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدس، ليأتينّ علىٰ النّاس زمان يتمنّىٰ أحد أنّه ليس من سكّانه.

فقام إليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين، من الدّجّال؟

فقال: ألا إنّ الدّجّال صائد بن الصّيد، فالشّقيّ من صدّقه والسّعيد من كذّبه، يخرج من بلدة يقال لها: إصفهان، من قرية تعرف باليّهوديّة، عينه اليمنىٰ ممسوحة والعين الأخرىٰ في جبهته تضيء كأنّها كوكب الصّبح، فيها علقة كأنّها ممزوجة بالدّم، بين عينيه مكتوب: «كافر»، يقرأه كلّ كاتب وأُمّي، يخوض البحار وتسير معه الشّمس، بين يديه جبل من دخان وخلفه جبل أبيض يرىٰ النّاس أنّه طعام، يخرج حين يخرج في قحط شديد تحته حمار أقمر خطوته ميل تطوي

له الأرض منهلاً منهلاً، لا يمرّ بماء إلاّ غار إلىٰ يوم القيامة ينادي بأعلىٰ صوته يُسمع مابين الخافقين من الجنّ والإنس والشّياطين يقول: «إليّ أوليائي»، «أنا الّذي خلق فسوّىٰ وقدّر فهدىٰ، أنا ربّكم الأعلىٰ»، فكذب عدوّ الله إنّه أعور يطعم الطّعام ويمشي في الأسواق، وإنّ ربّكم ـ جلّ وعزّ ـ ليس بأعور، [ولا يطعم][١٤١]، ولا يمشي، ولا يزول، ألا وإنّ أتباعه يومئذ أولاد الزّنا وأصحاب الطِّبالة[١٤٢] الخضر، يقتله الله ـ عزّ وجلّ ـ بالشّام علىٰ عقبة تُعرَف بعقبة أفيق لثلاث ساعات من يوم الجمعة علىٰ يدي من يصلّي المسيح عيسىٰ بن مريم خلفه. ألا إنّ بعد ذلك الطّامّة الكبرىٰ.

قلنا: وماذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: خروج دابّة الأرض من عند الصّفا معها خاتم سليمان وعصا موسىٰ. يضع الخاتم علىٰ وجه كلّ مؤمن فيطبع فيه: «هذا مؤمن حقّاً»، ويضعه علىٰ وجه كلّ كافر فيكتب: «هذا كافر حقّاً»، حتّىٰ أنّ المؤمن لينادي: «الويل لك يا كافر»، وأنّ الكافر ينادي: «طوبىٰ لك يامؤمن وددت أنّي اليوم أكون مثلك فأفوز فوزاً عظيماً. ثمّ ترفع الدّابّة رأسها فيراها مَن بين الخافقين بإذن الله ـ عزّ وجلّ ـ بعد طلوع الشّمس من مغربها. فعند ذلك تُرفَع التّوبة. فلا توبة تُقبَل، ولا عمل يُرفَع، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: لا تسألوني عمّا يكون بعد ذلك. فإنّه عهد إليّ حبيبي ـ عليه السّلام ـ أن لا أُخبر به إلاّ عترتي.

---

(١٤١) أضفناه من المصدر.

(١٤٢) في المصدر: الطّيالسة.

فقال النّزال بن سبرة لصعصعة بن صوحان: ياصعصعة، ما عنىٰ أمير المؤمنين بهذا القول؟

فقال صعصعة: ياابن سبرة، إنّ الّذي يصلّي عيسىٰ بن مريم خلفه هو الثّاني عشر من العترة؛ التّاسع من ولد الحسين بن عليّ، وهو الشّمس الطّالعة من مغربها، يظهر عند الرّكن والمقام فيطهّر الأرض ويضع ميزان العدل فلا يظلم أحد أحداً. فأخبر أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ أنّ حبيبه رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عهد إليه أن لا يخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الأئمّة[١٤٣].

وممّا نقلته من الكتاب المذكور:

حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ العسكريّ، قال: حدّثنا محمّد بن زكريّا أنّ ملكاً من ملوك الهند كان كثير الجند، واسع المملكة، مهيباً في أنفس النّاس، مظفّراً علىٰ الأعداء، وكان مع ذلك عظيم النّهمة في شهوات الدّنيا ولذّاتها وملاهيها، مؤثراً لهواه مطيعاً له. وكان أكرم النّاس عليه وأنصحهم له في خدمته من زيّن له حاله وترك أمره فيها، وأبغض النّاس إليه وأغشّهم له في نفسه من أمره بغيرها. وكان قد أصاب الملك في حداثة سنّه. وكان له رأي أصيل، ولسان بليغ، ومعرفة بتدبير النّاس. فعرف النّاس ذلك منه فانقادوا إليه. وخضع له كلّ صعب وذلول. واجتمع له سكر الشّباب وسكر السّلطان والشّهوة والعجب. ثمّ قوّىٰ ذلك ما أصاب من الظّفر علىٰ من ناصبه، والقهر لأهل مملكته، وانقياد النّاس له. فاستطال علىٰ النّاس وأحقرهم[١٤٤]. ثمّ

(١٤٣) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٢٥، الحديث ١.

(١٤٤) في المصدر: واحتقرهم.

ازداد عُجباً برأيه ونفسه لما مدحه النّاس وزيّنوا أمره عنده. فكان لا همّة له إلاّ الدّنيا، وكانت الدّنيا له موآتية لا يريد منها شيئاً إلاّ ناله، غير أنّه كان مئناثاً[١٤٥] لا يولد له ذكر. وقد كان الدّين فشا في أرضه قبل ملكه وكثر أهله؛ فزيّن له الشّيطان عداوة الدّين وأهله. فأضرّ بأهل الدّين مخافة علىٰ ملكه. وقرّب أهل الأوثان وصنع لهم أصناماً من ذهب وفضّة. وشرّفهم وفضّلهم. وسجد لأصنامهم. فلمّا رأىٰ النّاس ذلك منه سارعوا إلىٰ عبادة الأوثان والإستخفاف بأهل الدّين. ثمّ إنّ الملك سأل ذات يوم عن رجل من أهل بلاده كانت له عنده منزلة ومكانة وكان أراده ليستعين به علىٰ بعض أُموره ويحبّه ويكرمه، فقيل له: أيّها الملك إنّه قد خلع الدّنيا وخلا منها ولحق بالنّسّاك.

فثقل ذلك علىٰ الملك وشقّ عليه. ثمّ إنّه أرسل إليه فأُتي به. فلمّا نظر إليه في زيّ النّسّاك وتخشّعهم زبره وشتمه وقال له: تبّاً لك أنت من عبيدي وعيون أهل مملكتي وأشرافهم؛ إذ فضحت نفسك وضيّعت اهلك ومالك واتّبعت أهل الخسارة والبطالة حتّىٰ صرت ضحكة ومثلاً، وقد كنت أعددتك لمهمّ أُموري والإستعانة بك علىٰ مانابني[١٤٦].

فقال له: أيّها الملك إنّه إن لم يكن لي عليك حقّ فلعقلك عليك حقّ، فاستمع قولي بغير غضب. ثمّ مُرْ بما بدا لك بعد الفهم.

قال له الملك: قل.

قال: فإنّي أسألك أيّها الملك [أ][١٤٧] في ذنبي إلىٰ نفسي عتبت عليّ أم في

---

(١٤٥) المئناث: الّتي اعتادت أن تلد الإناث، **وكذلك الرّجل؛ لأنّهما** يستويان في مفعال، ويقابله المذكار، وهي الّتي تلد الذّكور كثيراً.

(١٤٦) في المصدر: «ينوبني». وهو الانسب.

(١٤٧) أضفناه من المصدر.

ذنب منّي إليك سالف؟

قال الملك: إنّ ذنبك إلىٰ نفسك أعظم الذّنوب عندي. وليس كلّ ما أراد رجل من رعيّتي أن يهلك نفسه أُخلّي بينه وبين ذلك ولكنّي أعدّ هلاكه لنفسه كهلاكه لغيره ممّن أنا وليّه والحاكم عليه وله. فأنا أحكم عليك لنفسك وآخذ لها منك؛ إذ ضيّعت أنت ذلك.

قال له النّاسك: أراك أيّها الملك لا تأخذني إلاّ بحجّة، ولا نفاذ لحجّة إلاّ عند قاضٍ، وليس عليك من النّاس قاضٍ، لكن عندك قضاة وأنت لأحكامهم منفّذ، وأنا ببعضهم راضٍ، ومن بعضهم مشفق.

قال الملك: وما أولئك القضاة؟

قال: أمّا الّذي أرضىٰ قضاءه فعقلك. وأمّا الّذي أنا منه مشفق فهواك.

قال الملك: قل مابدا لك وأصدقني خبرك متىٰ كان هذا رأيك، ومن أغواك؟

قال: أمّا خبري؛ فإنّي كنت في حداثة سنّي سمعت كلمة وقعت في قلبي فصارت كالحبّة المزروعة. ثمّ لم تزل تنمو حتّىٰ صارت شجرة إلىٰ ماترىٰ. وذلك أنّي سمعت قائلاً يقول: «يحسب الجاهل أنّ الأمر الّذي هو لا شيء شيئاً، والأمر الّذي هو الشّيء لا شيء، ومن لم يرفض الأمر الّذي هو لا شيء لم ينل الأمـر الّذي هو الشّيء، ومن لم يبصر الأمر الّذي هو الشّيء لم تطب نفسه برفض الأمر الّذي هو لا شيء، والشّيء هو الآخرة واللّا شيء هو الدّنيا». فكان لهذه الكلمة عندي قرار لأنّي وجدت الدّنيا حياتها موتاً، وغناها فقراً، وفرحها ترحاً، وصحّتها سقماً، وقوّتها ضعفاً، وعزّها ذلاً. وكيف لا تكون حياتها موتاً وإنّما يحيىٰ فيها صاحبها ليموت وهو من الموت علىٰ يقين ومن الحياة علىٰ قلعة؟ وكيف لا يكون غناها فقراً وليس يصيب أحد منها شيئاً إلاّ احتاج لذلك

الشّيء إلىٰ شيء آخر يصلحه وإلىٰ أشياء لا بدّ منها؟

ومثل ذلك أنّ الرّجل يحتاج إلىٰ دابّة فإذا أصابها احتاج إلىٰ علفها ومربطها. ثمّ احتاج لكلّ شيء من ذلك إلىٰ شيء آخر وإلىٰ أشياء شتّىٰ لا بدّ منها. فمتىٰ تنقضي حاجة من هو كذلك؟ وكيف لا يكون فرحها ترحاً وهي مرصدة لكلّ من أصاب منها قرّة عين أنّها تريه من ذلك الأمر بعينه أضعافه من الحزن. إن رأىٰ سروراً في ولده فما ينتظر من الأحزان في موته وسقمه أعظم من سروره به، وإن رأىٰ السّرور في مال فما يتخوّف من التّلف أن يدخل عليه أشدّ من سروره بالمال. فإذا كان الأمر كذلك فأحقّ النّاس بأن لا يتلبّس بشيء منها من عرف هذا منها. وكيف لا تكون صحّتها سقماً وإنّما صحّتها من أخلاطها، وأصحّ أخلاطها وأقربها من الحياة الدّم. وأظهر ما يكون دماً أخلق ما يكون بموت الفجأة والذّبحة والطّاعون والآكلة والبرسام. وكيف لا يكون قوتها ضعفاً وإنّما يجمع القويّ فيها مايضرّه ويوبقه. وكيف لا يكون عزّها ذلّاً ولم ير فيها عزّ قطّ إلّا أورث أهله ذلّاً طويلاً، غير أنّ أيّام العزّ قصيرة وأيّام الذّلّ طويلة. فأحقّ النّاس بذمّ الدّنيا من بسطت له الدّنيا فأصاب حاجته منها فهو يتوقّع كلّ يوم وليلة وكلّ ساعة وطرفة [عين][١٤٨] أن يُعدَىٰ علىٰ ماله فيجتاح، وعلىٰ حميمه فيُختطَف، وعلىٰ جمعه فيُنتَهب، وأن يُؤتَىٰ بنيانه من القواعد فيُهدَم، وأن يدبّ إلىٰ جسده فيُستأصَل ويفجع بكلّ ماهو به ضنين.

فأذمّ إليك أيّها الملك الدّنيا الآخذة ماتعطي، والمورثة بعد ذلك التّبعة، السّلّابة لمن تكسو، والمورثة بعد ذلك العُرْي، الواضعة لمن ترفع، والمورثة بعد ذلك الجزع، التّاركة لمن يعشقها، المغوية لمن أطاعها واغترّ بها، الغدّارة بمن ائتمنها واطمأنّ إليها. هي المركب القموص، والصّاحب الخؤون، والطّريق

(١٤٨) أضفناه من المصدر.

المزلق، والمهبط الهويّ. هي المكرمة الّتي لا تكرم أحداً يوفّي لها وتغدر، وتصدّق لها وتكذّب، وتنجز لها وتخلف. هي المعوجّة لمن استقام بها. المتلاعبة بمن استمكنت منه؛ بينا هي تطعمه إذ حوّلته مأكولاً، وبينا هي تخدمه إذ جعلته خادماً، وبينا هي تضحكه إذ ضحكت منه، وبينا هي تبكيه إذ أبكت عليه، وبينا هي قد بسطت يده بالعطيّة إذ بسطتها بالمسألة. وبينا هو فيها مكرّم إذ أهانته، وبينما هو فيها معظّم إذ صار محقوراً، وبينما هو فيها رفيع إذ وضعته، وبينا هي له مطيعة إذ عصته، وبينا هو فيها مسرور إذ أحزنته، وبينا هو فيها شبعان إذ أجاعته، وبينا هو فيها حيّ إذ أماتته.

فأفّ لها من دار إذا كان هذا فعالها، وهذه صفتها؛ تضع التّاج علىٰ الرّأس غدوة وتعفّر خدّه بالتّراب عشيّة، تقعد الملك علىٰ السّرير غدوة وترمي به في السّجن عشيّة، تفرش له الدّيباج عشيّة وتفرش له التّراب غدوة، تجمع له الملاهي والمعازف غدوة وتجمع عليه النّوائح والنّوادب عشيّة، تحبّب إلىٰ أهله قربه عشيّة وتحبّب إليهم بعده غدوة، فهو متوقّع لسطواتها، غير ناجٍ من فتنتها وبلائها، تمتّع نفسه من أحاديثها، وعينه من أعاجيبها، ويده من جمعها، ثمّ تصبح الكفّ صفراً، والعين هامدة، ذهب ماذهب، وهوىٰ ماهوىٰ، وباد ماباد، وهلك ماهلك، تجد في كلٍّ من كلٍّ خلفاً، وترضىٰ بكلٍّ من كلٍّ بدلاً، تسكن دار كلّ قرن قرناً، وتطعم سؤر كلّ قوم قوماً. تقعد الأراذل مكان الأفاضل، والعجزة مكان الحزمة، وتنقل أقواماً من الجدب، ومن البؤس إلىٰ النّعمة، ومن الشّدّة إلىٰ الرّخاء، حتّىٰ إذا غمستهم في ذلك انقلبت بهم فسلبتهم النّعمة، ونزعت منهم القوّة، فعادوا إلىٰ البؤس والفقر.

فأمّا قولك أيّها الملك في إضاعة الأهل وتركهم؛ فإنّي لم أضيّعهم ولم أتركهم،

بل وصلتهم وانقطعت إليهم. ولكنّي كنت أنظر بعين مسحورة لا أعرف بها الأهل من الغرباء، ولا الأعداء من الأولياء. فلمّا تجلّىٰ عنّي السّحر استبدلت بالعين المسحورة عيناً صحيحة. فاستبنت بها الأعداء من الأولياء، والأقرباء من الغرباء. فإذا الّذين كنت أعدّهم أهلين وأصدقاء وإخواناً وخلطاء إنّما هم سباع ضارية لا همّة لها إلّا أن تأكلني، غير أنّ اختلاف منازلهم في ذلك علىٰ قدر القوّة؛ فمنهم كالأسد في شدّة السّورة، ومنهم كالذّئب في الغارة والنّهبة، ومنهم كالكلب في الهريرة والبصبصة، ومنهم كالثّعلب في الحيلة والسّرقة، فالطّريق واحدة والأفعال مختلفة.

ولو أنّك أيّها الملك في عظيم ما أنت فيه من ملكك، وكثرة من تبعك من أهلك وجنودك وحاشيتك، نظرت في أمرك عرفت أنّك فريد وحيد ليس معك أحد، وقد عرفت أنّ عامّة الأمم عدوّ لك، لأنّ هذه الأمّة الّتي أُوتيت الملك عليها كثيرة الحشو من أهل العداوة والغشّ، وهم أشدّ عداوة لك من السّباع الغائرة، وأشدّ حنقاً عليك من الأمم الغريبة، فإذا صرت إلىٰ أهل طاعتك ومعونتك وقرابتك وجدت لك قوماً يعملون عملاً بأجر معلوم، يحرصون مع ذلك أن ينقصوك من العمل، ويزدادوا من الأجر، فإذا صرت إلىٰ أهل خاصّتك وقرابتك وجعلت لهم كدّك وكدحك وكسبك فليس كلّهم وإن وزّعت بينهم جميع ذلك عنك براضٍ، وإنْ أنت حبست عنهم ذلك فليس منهم البتّة راضٍ، أفلا ترىٰ أيّها الملك أنّك فريد وحيد؟!

وأمّا أنا فإنّ لي أهلاً وإخواناً وأولياء لا يأكلوني ويحبّوني وأُحبّهم. فلا يُفقَد الحبّ بيننا؛ ينصحوني وأنصحهم فلا غشّ بيننا، يصدّقوني وأُصدّقهم فلا تكاذب بيننا، يوالوني وأُواليهم فلا عداوة بيننا ولا تحاسد، يعملون لي وأعمل لهم بأجور

لا تنفد، ولا يزال العمل بيننا قائماً، هم هداتي إن ضللت، ونور بصري إن عميت، وحصني إن أُتيت، وأعواني إذا فزعت، تنزّهنا عن البيوت والمحاني فلا نريدها، وتركنا الذّخائر والمكاسب لأهل الدّنيا فلا تكاثر بيننا، ولا تقاطع، ولا تحاسد. فهؤلاء أيّها الملك أهلي وإخواني وأقربائي وأحبّائي؛ أحببتهم وانقطعت إليهم، وتركت الّذين كنت أنظر إليهم بالعين المسحورة لمّا عرفتهم، والتمست السّلامة منهم.

فهذه الدّنيا أيّها الملك الّتي أخبرتك أنّها لا شيء، وهذه نسبتها وحسبتها ومصيرها إلىٰ ماقد سمعت، وقد رفضتها لمّا عرفتها، وأبصرت الأمر الّذي هو الشّيء. فإن كنت تحبّ أيّها الملك أن أصف لك الآخرة الّتي هي الشيء فاستعدّ لاستماعه تسمع غير ما كنت تسمع به من الأشياء.

فلم يزده الملك علىٰ أن قال له: كذبت لم تصب شيئاً ولم تظفر إلّا بالشّقاء والعناء. فاخرج ولا تقيمنّ في مملكتي[١٤٩]؛ فإنّك فاسد مفسد.

ثمّ أنّ الملك وُلد له في تلك الأيّام بعد إياسه من الذّكور غلام لم ير النّاس مولوداً مثله قطّ حُسناً وجمالاً. فبلغ السّرور من الملك مبلغاً كاد يشرف علىٰ هلاك نفسه من الفرح. وزعم أنّ الأوثان الّتي كان يعبدها هي الّتي وهبت له الغلام. فقسّم عامّة ما كان في بيوت أمواله علىٰ بيوت أوثانه. وأمر النّاس بالأكل والشّرب سنة. وسمّىٰ الغلام يوذاسف. وجمع العلماء والمنجّمين لتقويم ميلاده. فرفع المنجّمون إليه أنّهم يجدون الغلام يبلغ من الشّرف والمنزلة ما لم يبلغ أحد قطّ في أرض الهند. واتّفقوا علىٰ ذلك جميعاً غير أنّ رجلاً منهم قال: ما أظنّ أنّ الشّرف والفضل الّذي وجدناه يبلغه هذا الغلام إلّا شرف الآخرة، ولا أحسبه

---

(١٤٩) «ر»: ملكي.

إلّا أنّه سيكون إماماً في الدّين والنّسك وذا فضيلة في درجات الآخرة؛ لأنّي أرىٰ الشّرف الّذي يبلغه ليس يشبه من شرف الدّنيا شيئاً وهو شبيه بشرف الآخرة.

فوقع القول من الملك موقعاً كاد ينغصه سروره بالغلام. وكان المنجّم الّذي أخبره بذلك من أوثق المنجّمين في نفسه وأعلمهم وأصدقهم عنده. وأمر للغلام بمدينة فأخلاها. وتخيّر له من الطّورة والخدم كلّ ثقة. وتقدّم إليهم أن لا يذكروا في مابينهم موتاً ولا آخرة، ولا حزناً ولا مرضاً، ولا فناءاً ولا زوالاً، حتّىٰ تعتاد ذلك ألسنتهم، وتنساه قلوبهم. وأمرهم إذا بلغ الغلام أن لا يسقطوا[١٥٠] عنده بذكر شيء ممّا يتخوّفونه عليه خشية أن يستقرّ في قلبه منه شيء فيكون ذلك داعية إلىٰ اهتمامه بالدّين والنّسك. وأن يتحرّزوا ويتحفّظوا ويتفقّدوه بعضهم من بعض.

وازداد الملك عند ذلك حنقاً علىٰ النّسّاك مخافة علىٰ ابنه. وكان لذلك الملك وزير قد كفاه همّه، وحمل عنه مؤنة سلطانه، وكان لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يكتمه، ولا يؤثر عليه، ولا يتوانىٰ في شيء من عمله، ولا يضيّعه. وكان الوزير مع ذلك رجلاً لطيفاً طلقاً معروفاً بالخير، يحبّه النّاس ويرضون به، إلّا أنّ أحبّاء الملك وأقرباه كانوا يحسدونه ويبغون عليه ويستثقلون مكانه.

ثمّ إنّ الملك خرج ذات يوم إلىٰ الصّيد ومعه ذلك الوزير، فوقع في شِعب من الشّعاب علىٰ رجل قد أصابته زمانة في رجله وهو ملقىٰ في أصل شجرة لا يستطيع براحاً. فسأله الوزير عن شأنه. فأخبره أنّ السّباع أصابته. فرقّ له الوزير. فقال له الرّجل: ضمّني [إليك واحملني][١٥١] إلىٰ منزلك، فإنّك واجد عندي منفعة.

---

(١٥٠) في المصدر: ينطقوا.

(١٥١) أضفناه من المصدر.

فقال الوزير: إنّي لفاعل وإن لم أجد عندك منفعة، ولكن ما المنفعة الّتي تَعِدُنيها هل تعمل عملاً أو تحسن شيئاً؟

فقال الرّجل: نعم أنا أرتق الكلام.

فقال: وكيف رتق الكلام؟

قال: إذا كان فيه فتق رتّقته حتّىٰ لا يجيء من قبله فساد.

فلم ير الوزير قوله شيئاً. وأمر بحمله إلىٰ منزله وأمر له بما يصلحه، حتّىٰ إذا كان بعد ذلك احتال أحبّاء الملك للوزير وضربوا له الأمور ظهراً وبطناً، فاجتمع رأيهم إلىٰ أن دسّوا رجلاً منهم إلىٰ الملك فقال: أيّها الملك إنّ هذا الوزير يطمع في ملكك أن يغلب عليه عقبك من بعدك، فهو يصانع النّاس علىٰ ذلك. ويعمل فيه داسّاً[١٥٢]. فإن أردت أن تعلم بصدق ذلك فأخبره أنّه قد بدا لك أن ترفض ملكك وتلحق بالنّسّاك. فإنّك سترىٰ من فرحه بذلك ماتعرف به أمره. ـ وكان القوم قد عرفوا من الوزير رقّة عند ذكر فناء الدّنيا والموت وليناً للنّسّاك وحبّاً لهم؛ فعملوا من الوجه الّذي ظنّوا أنّهم يظفرون بحاجتهم منه ـ .

فقال الملك: إن أنا هجمت منه علىٰ هذا ما أسأل عمّا سواه.

فلمّا أن دخل عليه الوزير قال له الملك: قد عرفت حرصي علىٰ الدّنيا والملك منذ كنت رجلاً، وإنّي تذكّرت مامضىٰ من ذلك فلم أجد معي منه طائلاً. وقد عرفت أنّ الّذي بقي كالّذي مضىٰ، وأنّه يوشك أن ينقضي ذلك كلّه بأجمعه فلا يصير في يدي منه شيء. فأنا أُريد أن أعمل في حال الآخرة عملاً قويّاً علىٰ قدر ما كان عملي في الدّنيا. وقد بدا لي أن ألحق بالنّسّاك وأُخلّي هذا العمل لأهله فما رأيك؟

---

(١٥٢) في المصدر: دائباً.

قال: فرقّ الوزير لذلك رقّة شديدة حتّىٰ عرف الملك ذلك منه.

ثمّ قال: أيّها الملك إنّ الباقي وإن كان عزيزاً لأهل أن يُطلَب. وإنّ الفاني وإن استمكنت منه لأهل أن يُرفَض. فلنعم الرّأي رأيت. وإنّي لأرجو أن يجمع الله لك مع شرف الدّنيا شرف الآخرة.

قال: فكبر ذلك علىٰ الملك ووقع منه كلّ موقع ولم يبد له شيئاً، غير أنّ الوزير عرف الثّقل في وجهه فانصرف إلىٰ أهله حزيناً كئيباً لا يدري من أين أُتي، ولا مَنْ دهاه، ومايدري مادواء الملك في ما استنكر منه. فسهر عامّة ليلته. ثمّ ذكر الرّجل الّذي زعم أنّه يرتق الكلام. فأرسل إليه. فأُتي به، فقال له: إنّك ذكرت لي ذكراً من رتق الكلام؟

فقال: أجل، فهل احتجت إلىٰ شيء من ذلك؟

فقال الوزير: نعم أُخبرك أنّي صحبت هذا الملك قبل ملكه ومنذ صار ملكاً فلم أستنكره في مابيني وبينه قطّ لما يعرفه من نصيحتي وشفقتي وإيثاري إيّاه علىٰ نفسي وعلىٰ جميع النّاس، حتّىٰ إذا كان هذا اليوم استنكرته استنكاراً شديداً لا أظنّ خيراً عنده بعده.

فقال له الرّاتق: هل كان لذلك سبب أو علّة؟

قال الوزير: نعم، دعاني أمس وقال لي كذا وكذا. فقلت له كذا وكذا.

فقال: من هاهنا جاء الفتق وأنا أرتقه إن شاء الله. اعلم أنّ الملك قد ظنّ أنّك تحبّ أن يتخلّىٰ عن ملكه وتخلفه أنت فيه، فإذا كان عند الصّبح فاطرح عنك ثيابك وحليتك والبس أوضع ماتجده من زيّ النّسّاك وأشهره. ثمّ احلق رأسك وامض علىٰ وجهك إلىٰ باب الملك. فإنّ الملك سيدعو بك[١٥٣] ويسألك

(١٥٣) «ب»: سيدعوك.

عن الّذي صنعت فقل: هذا الّذي دعوتني إليه. ولا ينبغي لأحد أن يشير علىٰ صاحبه بشيء إلّا واساه فيه وصبر عليه، وما أظنّ مادعوت إليه إلّا خيراً ممّا نحن فيه، فقم إذا بدا لك؟

ففعل الوزير ذلك. فتجلّىٰ عن نفس الملك ما كان فيها عليه. وأمر الملك بنفي النّسّاك من جميع بلاده وتوعّدهم بالقتل. فجدّوا في الهرب والاستخفاء.

ثمّ إنّ الملك خرج ذات يوم متصيّداً. فوقع نظره علىٰ شخصين من بعيد. فأرسل إليهما فأُتـي بهما. وإذا هما ناسكان. فقال لهما: مابالكما لم تخرجا من بلادي؟

قالا: قد أتتنا رسلك ونحن علىٰ سبيل الخروج.

قال: ولم أخّرتما ذلك؟

قالا: لأنّا قوم ضعفاء ليس لنا دوابّ ولا زاد ولا نستطيع إلّا التّقصير.

قال الملك: إنّ من خاف الموت أسـرع بغير دابّة ولا زاد.

قالا: إنّا لا نخاف الموت، بل لا ننظر قرّة عين في شيء من الأشياء إلّا فيه.

قال الملك: وكيف لا تخافان الموت وقد زعمتما أنّ رسلنا لقوكم وأنتم علىٰ سبيل الخروج، أفليس هذا هو الهرب من الموت؟

قالا: إنّ الهرب من الموت ليس من الفرق[١٥٤]. فلا تظن أنّا فرقناك. ولكنّا هربنا من أن نعينك علىٰ أنفسنا.

فأسف الملك فأمر بهما أن يُحرَقا بالنّار. وأذن في أهل مملكته بأخذ النّسّاك وتحـريقهم بالنّار. فتجرّد رؤساء عبدة الأوثان في طلبهم. فأخذوا منهم بشراً كثيراً. فأحرقوهم بالنّار، فمن ثمّ صار التّحريق سنّة باقية في أرض الهند. وبقي

(١٥٤) أي: الخوف.

في جميع تلك الأرض قوم قليل من النّسّاك كرهوا الخروج من البلاد واختاروا الغيبة والاستخفاء ليكونوا دعاة وهداة لمن وصلوا إلىٰ كلامه.

ثمّ إنّ ابن الملك نبت أحسن نبات في جسمه وعقله وعلمه ورأيه، ولكنّه لم يؤخذ بشيء من الأدب إلّا بما يحتاج إليه الملوك ممّا ليس فيه ذكر موت ولا زوال ولا فناء، وأُوتي الغلام من العلم والحفظ شيئاً كان عند النّاس من العجائب، فكان أبوه لا يدري أيفرح بما أُوتي من ذلك، أو يحزن لما يتخوّف أن يدعوه ذلك إلىٰ ماقيل فيه.

فلمّا فطن الغلام بحصرهم إيّاه في المدينة ومنعهم إيّاه من الخروج والنّظر والاستماع وتحفّظهم عليه ارتاب لذلك وسكت عليه، وقال في نفسه: «هؤلاء أعلم بما يصلحني منّي، حتّىٰ إذا ازداد بالسّنّ والتّجربة علماً قال: ما أرىٰ لهؤلاء عليّ فضلًا، وما أنا بحقيق[١٥٥] أن أُقلّدهم أمري». فأراد أن يكلّم أباه إذا دخل عليه ويسأله عن سبب حصوره إيّاه.

ثمّ قال: «ماهذا الأمر إلّا من قبله، وما كان ليطلعني عليه، ولكنّي حقيق أن ألتمس علم ذلك من حيث أرجو إدراكه». وكان في خدمه رجل كان ألطفهم به وأرأفهم عليه، وكان الغلام إليه مستأنساً، فطمع الغلام في إصابة الخبر من قبل ذلك الحاضن فازداد له ملاطفة وبه استئناساً. ثمّ إنّ الغلام واضعه الكلام في بعض اللّيل باللّين وأخبره أنّه بمنزلة والده وأولىٰ النّاس به. ثمّ أخذه بالتّرغيب والتّرهيب وقال له: إنّي لأظنّ هذا الملك بعد والدي لي، وأنت فيه صائر أحد رجلين؛ إمّا أعظم النّاس منه منزلة، وإمّا أسوأ النّاس حالًا.

قال له الحاضن: وبأيّ شيء أتخوّف في ملكك سوء الحال؟

---

(١٥٥) أي: بجدير.

قال: بأن تكتمني اليوم أمراً أفهمه غداً من غيرك فأنتقم منك بأشدّ ما أقدر عليه.

فعرف الحاضن منه الصّدق وطمع منه في الوفاء. فأفشىٰ إليه خبره والّذي قال المنجّمون لأبيه، والّذي حذّر أبوه من ذلك.

فشكر له الغلام ذلك وأطبق عليه حتّىٰ إذا دخل عليه أبوه. قال: يا أبة إنّي وإن كنت صبيّاً فقد رأيت نفسي واختلاف حالي أذكر من ذلك ما أذكر وأعرف بما لا أذكر منه ما أعرف، فأنا أعلم أنّي لم أكن علىٰ هذا المثال، وأنّك لم تكن علىٰ هذه الحال، ولا أنت كائن عليها إلىٰ الأبد وسيغيّرك الدّهر عن حالك هذه، فلئن كنت أردت أن تخفي عنّي أمر الزّوال فما خفي عليَّ ذلك، ولئن كنت حبستني عن الخروج وحُلْتَ بيني وبين النّاس لكي لا تتوق نفسي إلىٰ غير ما أنا فيه لقد تركتني بحصرك إيّاي وإنّ نفسي لمعلّقة[١٥٦] لما تحول بيني وبينه حتّىٰ مالي همّ غيره ولا أردت سواه، حتّىٰ لا يطمئنّ قلبي إلىٰ شيء ممّا أنا فيه. ولا أنتفع به ولا آلفه؛ فخلّ عنّي وأعلمني ماتكره من ذلك أو تحذر حتّىٰ أجتنبه وأُوثر موافقتك ورضاك علىٰ ماسواهما.

فلمّا سمع ذلك الملك من ابنه علم أنّه قد علم ما الّذي يكرهه وأنّه إن حصره وحبسه لا يزيده إلّا إغراءاً وحرصاً علىٰ ما حال بينه وبينه. فقال: يابنيّ ما أردت بحصوري إيّاك إلّا أن أُنحّي عنك الأذىٰ فلا ترىٰ ما لا يوافقك، ولا تسمع إلّا مايسرّك؛ فأمّا إذا كان هواك في غير ذلك فإنّ آثر الأشياء عندي ماهويت ورضيت.

ثمّ أمر الملك أصحابه أن يركبوا به في أحسن زينة، وأن ينحّوا عن طريقه

---

(١٥٦) في المصدر: لَقَلِقَة.

كلّ منظر قبيح، وأن يعدّوا له المعازف والملاهي. ففعلوا ذلك فجعل يكثر الرّكوب. فمرّ ذات يوم علىٰ طريق قد غفلوا عنه فأتىٰ علىٰ رجلين من السّؤّال، أحدهما: مورّم قد ذهب لحمه، واصفرّ جلده، وذهب ماؤه، وسمج منظره، والآخر: أعمىٰ يقوده قائد. فلمّا رأىٰ ذلك اقشعرّ منهما وسأل عنهما. فقيل: هذا المورّم من سقم باطن. وهذا الأعمىٰ من زمانة.

قال ابن الملك: وإنّ هذا ليصيب غير واحد من النّاس؟

قالوا: نعم.

قال: فهل يأمن أحد يصيبه مثل هذا؟

قالوا: لا.

فانصرف يومئذ مهموماً محزوناً ثقيلاً باكياً مستخفّاً بما هو فيه من ملكه وملك أبيه. فلبث بذلك أيّاماً.

ثمّ إنّه ركب ركبة فأتىٰ في مسيره علىٰ شيخ كبير قد انحنىٰ من الكبر، وتبدّل خلقه، وابيضّ شعره، واسودّ لونه، وتقبّض جلده، وقصر خطوه. فعجب من ذلك. وسأل عن شأنه. فقالوا: هذا الهرم.

قال: وفي كم يبلغ الرّجل ما أرىٰ؟

قالوا: في مائة سنة أو نحو ذلك.

قال: فما وراء ذلك[١٥٧]؟

قالوا: الموت.

قال: فما يخلّي بين الرّجل وبين مايريد من المدّة؟

قالوا: لا، وليصيرنّ إلىٰ هذا في قليل من الأيّام.

---

(١٥٧) «ر»: هذا.

فقال: الشّهر ثلاثون يوماً، والسّنة اثنا عشر شهراً، وانقضاء العمر مائة سنة، ما أسرع اليوم في الشّهر، وما أسـرع الشّهر في السّنة، وما أسـرع السّنة في العمر.

وانصرف الغلام وهذا كلامه يبدأ به ويعيده مكرّراً له.

ثمّ سهر ليلته كلّها. وكان له قلبٌ حيّ ذكيّ وعقل لا يستطيع معه نسياناً ولا غفلة. فعلاه الحزن والاهتمام. فانصرف عن الدّنيا وشهواتها. وكان في ذلك يداري أباه ويتلطّف عنده، وهو مع ذلك قد أصغىٰ بسمعه إلىٰ كلّ متكلّم طمعاً أن يسمع شيئاً يدلّه علىٰ غير ماهو عليه، وخلا بحاضنه الّذي كان أفضىٰ إليه بسرّه فقال له: هل تعرف أحداً من النّاس شأنه غير شأننا هذا؟

قال: نعم، قد كان قوم من النّسّاك رفضوا الدّنيا وطلبوا الآخرة ولهم كلام وعلم لا يُدرىٰ[١٥٨] ماهو، غير أنّ النّاس عادوهم وأبغضوهم وأحرقوهم ونفاهم الملك من الأرض؛ فلا يُعلم[١٥٩] ببلادنا اليوم منهم أحد[١٦٠]. فإنّهم قد غيّبوا أشخاصهم ينتظرون الفرج. وهذه سنّة في أولياء الله قديمة يتقاضونها[١٦١] في دول الباطل.

فاعتصر لذلك الحيرة فؤاده وطال به اهتمامه وصار كالرّجل الملتمس ضالّته الّتي لا بدّ له منها. وشاع خبره في آفاق الأرض. وشهر بفكره وجماله وكماله وفهمه وعقله وزهادته في الدّنيا وهوانها عليه. فبلغ ذلك رجلاً من النّسّاك يقال له: «بلوهر»، بأرض يقال لها: «سرنديب». وكان رجلاً ناسكاً حكيماً. فركب البحر

---

(١٥٨) «ر»: لاندري.

(١٥٩) «ر»: نعلم.

(١٦٠) «ر»: أحداً.

(١٦١) في المصدر: يتعاطونها.

حتّىٰ أتىٰ إلىٰ أرض سولابط. ثمّ عمد إلىٰ باب ابن الملك فلزمه وطرح[١٦٢] عنه زيّ النّسّاك ولبس زيّ التّجار. وتردّد إلىٰ باب ابن الملك حتّىٰ عرف الأهل والأحبّاء والدّاخلين إليه. فلمّا استبان له لطف الحاضن باابن الملك وحسن منزلته منه أطاف به بلوهر، حتّىٰ أصاب منه خلوة فقال له: إنّي رجل من تجّار «سرنديب» قدمت منذ أيّام معي سلعة عزيزة، نفيسة الثّمن، عظيمة الخطر. فأردت الثّقة لنفسي. فعليك وقع اختياري. وسلعتي خير من الكبريت الأحمر. وهي تُبصِر العميان، وتُسمِع الصّمّ، وتداوي من الأسقام، وتقوّي من الضّعف، وتعصم من الجنون، وتنصر علىٰ العدوّ، ولم أر أحداً هو أحقّ بها من هذا الفتىٰ فإن رأيت أن تذكر له ذلك ذكرته؛ فإن كان له فيها حاجة أدخلني عليه فإنّه لايخفىٰ عليه فضل سلعتي لوقد نظر إليها.

قال الحاضن للحكيم: إنّك لتقول شيئاً ماسمعنا به من أحد من قبلك، وما أرىٰ بك بأساً، ومامثلي من يذكر ما لا يدري ماهو. فأعرض عليّ سلعتك أنظر إليها؛ فإن رأيت شيئاً ينبغي لي ذكره ذكرت.

قال له بلوهر: إنّي رجل طبيب وإنّي أرىٰ في بصرك ضعفاً وأخاف إن نظرت إلىٰ سلعتي أن يلمع بصرك، ولكن ابن الملك صحيح البصر، حديث السّنّ، ولست أخاف عليه أن ينظر إلى سلعتي، فإن رأى مايعجبه كانت له مبذولة على مايحبّ، وإن كان غير ذلك لم تدخل عليه مؤنة ولا منقصة، وهذا أمر عظيم لا يسعك أن تحرمه إيّاه وتطويه دونه.

فانطلق الحاضن إلى ابن الملك فأخبره خبر الرّجل. فحسّ قلب ابن الملك بأن قد وجد حاجته، فقال: عجّل إدخال الرّجل عليَّ ليلاً وليكن ذلك في سرٍّ

(١٦٢) «ر»: وترك.

وكتمان. فإنّ مثل هذا لا يتهاون به.

فأمر الحاضن بلوهر بالتّهيّؤ للدّخول. فحمل معه سفطاً فيه كتب له فقال له الحاضن: ماهذا السّفط؟

قال بلوهر: في هذا السّفط سلعتي. فإذا شئت فأدخلني عليه.

فانطلق به حتّىٰ أدخله علىٰ ٱبن الملك. فحيّاه بلوهر وأحسن ابن الملك إجابته. وانصرف الحاضن. وقعد الحكيم عند ٱبن الملك. فأوّل ماقال له بلوهر قال: رأيتك ياابن الملك زدتني في التّحيّة علىٰ ماتصنع بغلمانك وأشراف أهل بلادك؟

قال ابن الملك: ذلك لعظيم مارجوت عندك.

قال بلوهر: لئن فعلت ذلك بي لقد كان رجل من الملوك في بعض الآفاق يُعرَف بالخير ويرجىٰ. فبينا هو يسير يوماً في موكبه إذ عرض له في مسيره رجلان ماشيان لباسهما الخلقان وعليهما أثر البؤس والضّرّ. فلمّا نظر إليهما لم يتمالك أن وقع إلىٰ الأرض فحيّاهما وصافحهما. فلمّا رأىٰ ذلك وزراؤه اشتدّ جزعهم ممّا صنع الملك. فأتوا أخاً له وكان جريّاً عليه. فقالوا له: «إنّ الملك أزرىٰ بنفسه وفضح أهل مملكته وخرّ عن دابّته لإنسانين دنيّين». فعاتبه علىٰ ذلك لئلّا يعوّدوا الأُمّة علىٰ ماصنع. ففعل ذلك أخ الملك؛ فأجابه الملك بجواب لا يدري ماحاله فيه؛ أساخط عليه الملك أم راضٍ عنه؟ فانصرف إلىٰ منزله حتّىٰ إذا كان بعد أيّام أمر الملك منادياً وكان يُسمّىٰ: «منادي الموت». فنادىٰ في فناء داره ـ وكانت تلك سنّتهم في من أراد قتله ـ فقامت النّائحات والبواكي في بيت أخ الملك، فلبس ثياب الموت وٱنتهىٰ إلىٰ الملك وهو يبكي بكاءً شديداً وينتف شعره.

فلمّا بلغ الملك دعا به. فلمّا دخل عليه وقع إلىٰ الأرض ونادىٰ بالويل والثّبور

ورفع يده بالتّضرّع. فقال له الملك: اقترب أيّها السّفيه أنت تجزع من منادٍ نادىٰ[١٦٣] علىٰ بابك بأمر مخلوق وليس بخالق وأنا أخوك وقد تعلم أنّه ليس لك إليّ ذنب أقتلك عليه. ثمّ أنتم تلومونني علىٰ وقوعي إلىٰ الأرض حين نظرتُ إلىٰ منادي ربّي وأنا أعرف منكم بذنوبي. فاذهب فإنّي قد علمت أنّه إنّما استفزّك وزرائي وسيعلمون خطأهم.

ثمّ أمر الملك بأربعة توابيت فصُنِعت له، وطلىٰ تابوتين منها بالذّهب وتابوتين بالقار. فلمّا فرغ منها ملأ تابوتي القار ذهباً وياقوتاً وزبرجداً، وملأ تابوتي الذّهب جيفاً ودماً وعذَرَة وشَعراً. ثمّ جمع الوزراء والأشراف الّذين ظنّ أنّهم أنكروا صنيعه بالرّجلين الضّعيفين النّاسكين. فعرض عليهم التّوابيت الأربعة وأمرهم بتقويمها. فقالوا: أمّا في ظاهر مارأينا ومبلغ علمنا فإنّ تابوتي الذّهب لا ثمن لهما لفضلهما، وتابوتي القار لا ثمن لهما لرداءتهما[١٦٤].

فقال الملك: أجل هذا لعلمكم بالأشياء ومبلغ رأيكم فيها.

ثمّ أمر بتابوتي القار ففُرِّغت عنهما صفائحهما فأضاء البيت لما فيهما من الجواهر. فقال: هذان مثل الرّجلين اللّذين ازدريتم[١٦٥] بثيابهما وظاهر لباسهما وهما مملوءان علماً وحكمة وصدقاً وبرّاً وسائر مناقب الخير الّذي هو أفضل من الياقوت واللّؤلؤ والجوهر[١٦٦] والذّهب.

ثمّ أمر بتابوتي الذّهب فنزع عنهما أثوابهما. فاقشعرّ القوم من سوء منظرهما وتأذّوا بريحهما ونتنهما. فقال الملك: هذان مثل القوم المتزيّنين بظاهر

---

(١٦٣) «ب»: ينادي.

(١٦٤) في المصدر: لرذالتهما.

(١٦٥) «ر»: أزريتم.

(١٦٦) «ب»: والجواهر.

الكسوة واللّباس وأجوافهم مملوءة جهالة وعمىٰ وكذباً وجوراً وسائر أنواع الشّرّ الّتي هي أفظع وأشنع وأقذر من الجيف.

قال القوم للملك: قد فهمنا واتّعظنا أيّها الملك.

ثمّ قال بلوهر: هذا مثلك ياابن الملك فيما تلقّيتني به من التّحيّة والبشر.

فانتصب يوذاسف ـ ابن الملك ـ وكان متّكئاً، ثمّ قال: زدني مثلاً.

قال الحكيم: إنّ الزّارع خرج ببذره الطّيّب ليبذره، فلمّا ملأ كفّه ونثره وقع بعضه علىٰ حافّة الطّريق، فلم يلبث أن التقطه الطّير، ووقع بعضه علىٰ صفاة قد أصابها ندىٰ وطين فمكث حتّىٰ اهتزّ، فلمّا صارت عروقه إلىٰ يبس الصّفاة مات ويبس، ووقع بعضه بأرض ذات شوك فنبت حتّىٰ سنبل وكاد يثمر فمنعه الشّوك وأبطله. وأمّا ما كان منه في الأرض الطّيّبة وإن كان قليلاً فإنّه سلم وطاب وزكىٰ. فالزّارع حامل الحكمة، وأمّا البذر ففنون الكلام، وأمّا ماوقع منه علىٰ حافّة الطّريق فاختطفه الطّير فما لا يجاوز السّمع منه حتّىٰ يمرّ صفحاً، وأمّا ماوقع علىٰ الصّخرة في النّدىٰ فيبس حين بلغت عروقه الصّفاة فما استحلاه صاحبه حين يسمعه بفراغ قلبه، وعرفه بفهمه ولم يفقهه بحصافة ولانيّة، وأمّا مانبت منه وكاد يثمر ثمّ عمّه الشّوك فأهلكه فما وعاه صاحبه حتّىٰ إذا كان عند العمل به حفّته الشّهوات فأهلكته، وأمّا مازكىٰ وسلم وطاب منه وانتفع به فما رآه البصر، ورعاه الحفظ، وأنفذه العزم بقمع الشّهوات، وتطهير القلوب من دنسها.

قال ابن الملك: فإنّي أرجو أن يكون ماتبذر عندي أيّها الحكيم ممّا يزكو ويسلم ويطيب. فاضرب لي مثل الدّنيا وغرور أهلها بها.

قال بلوهر: بلغنا أنّ رجلاً حمل عليه فيل مغتلم، فانطلق مولّياً هارباً، واتّبعه الفيل حتّىٰ غشيه، فاضطرّه إلىٰ بئر فتدلّىٰ فيها وتعلّق بغصنين نابتين علىٰ

شفير البئر، ووقعت قدماه علىٰ رؤوس حيّات، فلمّا تبيّن الغصنين فإذا في أصلهما جرذان يقرضان الغصنين أحدهما: أبيض، والآخر: أسود، فلمّا نظر إلىٰ تحت قدميه إذا رؤوس أربعة أفاعٍ قد أطلعن من جحرهنّ، فلمّا نظر إلىٰ قعر البئر إذا بتنّين[١٦٧] فاغرفاه نحوه يريد التقامه، فلمّا رفع رأسه إلىٰ أعلىٰ الغصنين إذا عليهما شيء من عسل النّحل، فتطعّم من ذلك العسل فألهاه ماتطعّم منه ومانال من لذّة العسل وحلاوته عن التّفكّر في أمر الحيّات الّتي لا يدري متىٰ يتأذّونه[١٦٨]، وألهاه عن التّنّين الّذي لا يدري كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته.

أمّا البئر فالدّنيا مملوءة آفات وبلايا وشروراً. وأمّا الغصنان فالعمر. وأمّا الجرذان فاللّيل والنّهار يسرعان في الأجل. وأمّا الأفاعي الأربعة فالأخلاط الأربعة الّتي هي السّموم القاتلة، من: المرّة، والبلغم، والرّيح، والدّم، الّتي لا يدري صاحبها متىٰ تهيج به. وأمّا التّنّين الفاغر فاه ليلتقمه فالموت الرّاصد الطّالب. وأمّا العسل الّذي اغترّ به المغرور فما ينال النّاس من لذّة الدّنيا وشهواتها ونعيمها ودعتها من لذّة الطّعم، والشّرب، والشّمّ، واللّمس، والسّمع، والبصر.

قال ابن الملك: إنّ هذا المثل عجيب. وإنّ هذا التّشبيه لحقّ فزدني مثلاً للدّنيا ولصاحبها المغرور بها المتهاون بما ينفعه فيها.

قال بلوهر: زعموا أنّ رجلاً كانت له ثلاثة قرناء، وكان يؤثر أحدهم علىٰ النّاس جميعاً ويركب الأهوال والأخطار في سببه، ويشغل ليله ونهاره في حاجته، وكان القرين الثّاني دون الأوّل منزلة وهو علىٰ ذلك حنين إليه، أثير عنده، يكرمه

---

(١٦٧) أي: الحيّة العظيمة.

(١٦٨) «ب»: يأذونه.

ويلاطفه، ويخدمه ويطيعه، ويبذل له ولا يغفل عنه، وكان القرين الثّالث مجفوّاً محقوراً مستثقلًا ليس له منه من ودّه وماله إلّا أقلّه، حتّىٰ إذا نزل بالرّجل الأمر الّذي يحتاج إلىٰ قرنائه الثّلاثة فأتاه زبانية الملك ليذهبوا به فزع إلىٰ قرينه الأوّل فقال له: قد عرفت إيثاري لك وبذل نفسي دونك، وهذا يوم حاجتي إليك، فماذا[١٦٩] عندك؟

قال: ما أنا لك بصاحب وإنّ لي أصحاباً يشغلوني عنك هم اليوم أولىٰ بي منك، ولكن لعلّي أُزوّدك ثوبين لا يُنتفع[١٧٠] بهما.

ثمّ فزع إلىٰ قرينه الآخر الثّاني ذي المحبّة واللّطف، فقال له: قد عرفت بكرامتي لك ولطفي بك وحرصي علىٰ مسرّتك، وهذا يوم حاجتي إليك، فماذا عندك؟

فقال: إنّ أمر نفسي يشغلني عنك وعن أمرك، فاعمد لشأنك، واعلم أنّه قد انقطع الّذي بيني وبينك، وأنّ طريقي غير طريقك إلّا أنّي لعلّي أخطو معك خطوات يسيرة لا تنتفع بها، ثمّ أنصرف إلىٰ ماهو أهمّ إليَّ منك.

ثمّ فزع إلىٰ قرينه الثّالث الّذي كان يحقّره ويعصيه ولا يلتفت إليه أيّام رخائه، فقال له: إنّي منك لمستحٍ ولكنّ الحاجة اضطرّتني إليك، فما لي عندك؟

قال: لك عندي المواساة والمحافظة عليك وقلّة الغفلة عنك. فأبشر وقرّ عيناً فإنّي صاحبك الّذي لا يخذلك ولا يسلّمك. ولا يهمّنّك قلّة ماأسلفتني واصطنعت إليَّ. فإنّي قد كنت أحفظ لك ذلك، وأُوفّر عليك كلّه. ثمّ لم أرض لك بعد ذلك حتّىٰ اتّجرت لك به فربحت لك فيه أرباحاً كثيرة. فعندي اليوم من مالك ذلك

(١٦٩) «ر»: فما.

(١٧٠) في المصدر: لتنتفع.

أضعاف ماوضعت عندي منه. فأبشر فإنّي أرجو أن يكون في ذلك رضا الملك عنك اليوم، وفرجاً ممّا أنت فيه.

فقال الرّجل عند ذلك: ما أدري علىٰ أيّ الأمرين أنا أشدّ حسرة: علىٰ مافرّطت فيه من القرين الصّالح، أم علىٰ ما اجتهدت فيه من المحبّة لقرين السّوء؟

قال بلوهر: فالقرين الأوّل المال، والقرين الثّاني الأهل والولد، والقرين الثّالث العمل الصّالح.

قال ابن الملك: إنّ هذا لهو الحقّ المبين، فزدني مثلاً للدّنيا المغرور بها المطمئنّ إليها.

قال بلوهر: كان أهل مدينة يأتون الرّجل الغريب الجاهل بأمرهم فيملّكونه عليهم سنة، فلا يشكّ أنّ ملكه دائم عليهم لجهالته بهم، فإذا مضت السّنة أخرجوه من مدينتهم عرياناً مجرّداً سليباً، فيقع في بلاء وشقاء لم يحدّث به نفسه، فصار مامضىٰ من ملكه عليه وبالاً وحزناً ومشقّة[١٧١] وأذىٰ. ثمّ إنّ أهل تلك المدينة أخذوا رجلاً فملّكوه عليهم. فلمّا رأىٰ الرّجل غربته فيهم لم يستأنس بهم وطلب رجلاً من أهل أرضه خبيراً بأمرهم حتّىٰ وجده فأفضىٰ إليه بسرّ القوم. فأشار عليه[١٧٢] أن ينظر إلىٰ الأموال الّتي في يديه فيخرج منها مااستطاع الأوّل فالأوّل حتّىٰ يحرزه في المكان الّذي يخرجونه إليه. فإذا أخرجه القوم صار إلىٰ الكفاية والسّعة ممّا قدّم وأحرز. ففعل ماقال له الرّجل ولم يضيّع وصيّته.

قال بلوهر: وإنّي لأرجو أن تكون أنت ذلك الرّجل ـ ياابن الملك ـ الّذي

---

(١٧١) «ح» «ر» ومسبّة.

(١٧٢) «ر»: إليه.

لم يستأنس بالغرباء ولم يغترّ بالسّلطان. وأنا الرّجل الّذي طلبت ولك عندي الدّلالة والمنزلة والمعونة.

قال ابن الملك: صدقت أيّها الحكيم؛ أنا ذلك الرّجل، وأنت طلبتي الّتي كنت أطلب. فصف لي أمر الآخرة. فأمّا الدّنيا فلعمري لقد صدقت ولقد رأيت منها مايدلّني علىٰ فنائها وتزهّدي(١٧٣) فيها. ولم يزل أمرها حقيراً عندي.

قال بلوهر: إنّ الزّهادة في الدّنيا ـ ياابن الملك ـ مفتاح الرّغبة في الآخرة. ومن طلب الآخرة فأصاب بابها دخل ملكوتها. وكيف لا تزهد في الدّنيا ـ ياابن الملك ـ وقد آتاك الله من العقل ماآتاك، وقد ترىٰ أنّ الدّنيا كلّها وإن كبرت إنّما يجمعها أهلها لهذه الأجساد الفانية، والجسد لا قوام له ولا امتناع به؛ فالحرّ يُذيبه، والبرد يجمده، والسّموم تنحله(١٧٤)، والماء يغرقه، والشّمس تحرقه، والهوام تتقسّمه(١٧٥)، والسّباع تفترسه، والطّير تنقره، والحديد يقطعه، والصّدم يحطمه، ثمّ هو معجون بطينة من ألوان الأسقام والأوجاع والأمراض، فهو مرتهن بها، مترقّب لها، وَجِلٌ منها، غير طامع في السّلامة منها، ثمّ هو مقارن الآفات السّبع الّتي لا يتخلّص منها ذو جسد وهي: الجوع، والظّمأ، والحرّ، والبرد، والوجع، والخوف، والموت.

فأمّا ماسألت عنه من أمر الآخرة فإنّي أرجو أن تجد ما كنت تحسبه عسيراً يسيراً، وما كنت تحسبه قليلاً كثيراً.

قال ابن الملك: أيّها الحكيم أرأيت القوم الّذين كان والدي حرقهم(١٧٦)

---

(١٧٣) في المصدر: ويزهّدني.

(١٧٤) «ر»: تتحلّله.

(١٧٥) في المصدر: «والهواء يسقمه» بدل «والهوام تتقسّمه».

(١٧٦) «ب»: أحرقهم.

بالنّار ونفاهم، أهم أصحابك؟

قال بلوهر: نعم.

قال: فإنّه بلغني أنه اجتمع النّاس علىٰ عداوتهم وسوء الثّناء عليهم؟

قال بلوهر: قد كان ذلك.

قال: فما سبب ذلك أيّها الحكيم؟

قال بلوهر: أمّا قولك ـ ياابن الملك ـ في سوء الثّناء عليهم؛ فما عسىٰ أن يقولوا فيمن يصدق ولا يكذب، ويعلم ولا يجهل، ويكفّ ولا يؤذي، ويصلّي ولا ينام، ويصوم ولا يفطر، ويُبتلَىٰ فيصبر، ويتفكّر فيعتبر، ويطيّب نفسه عن الأموال والأهلين ولا يخافهم النّاس علىٰ أموالهم وأهليهم.

قال ابن الملك: فكيف اتّفق النّاس علىٰ عداوتهم وهم فيما بينهم مختلفون؟

قال بلوهر: مَثَلهم في ذلك مثل كلاب اجتمعت علىٰ جيفة تنهشها وتهارّ بعضها علىٰ بعض مختلفة الألوان والأجناس، فبينما هي تقتتل علىٰ الجيفة إذ دنا رجل منها فترك بعضهنّ بعضاً وأقبلن علىٰ الرّجل يهرن عليه جميعاً متعاويات عليه. وليس للرّجل في جيفتهنّ حاجة، ولا أراد أن ينازعهنّ فيها، ولكنّهنّ عرفن غربته منهنّ فٱستوحشن منه واستأنس بعضهنّ ببعض، وإن كنّ مختلفات متعاديات فيما بينهنّ قبل أن يرين الرّجل.

قال بلوهر: فمثل الجيفة متاع الدّنيا، ومثل صنوف الكلاب ضروب الرّجال الّذين يقتتلون علىٰ الدّنيا ويهرقون دماءهم. وينفقون لها أموالهم، ومثل الرّجل الّذي اجتمعت عليه الكلاب ولا حاجة له في جيفتهنّ [كمثَل][177] صاحب الدّين الّذي رفض الدّنيا وخرج منها؛ فليس ينازع فيها أهلها، ولا يمنع ذلك

(١٧٧) أضفناه من المصدر.

النّاس من أن يهادنوه[١٧٨] لغربته عندهم. فإن عجبت فاعجب من النّاس أنّه لا همّة لهم إلّا الدّنيا وجمعها والتّكاثر والتّفاخر والتّغالب عليها، حتّىٰ إذا رأوا من قد تركها في أيديهم وتخلّىٰ منها كانوا أشدّ قتالاً له، وأشدّ حنقاً عليه ممّن يشاحّهم عليها.

قال ابن الملك: أعمد لحاجتي؟

قال بلوهر: إنّ الطّبيب الرّفيق إذا رأىٰ الجسد قد أهلكته الأخلاط الفاسدة فأراد أن يقوّيه ويسمنه لم يهزّه[١٧٩] بالطّعام الّذي يُكوَّن منه اللّحم والدّم والقوّة؛ لأنّه يعلم أنّه متىٰ أدخل الطّعام علىٰ الأخلاط الفاسدة أضرّ بالجسد ولم ينفعه ولم يقوّه، ولكن يبدأ بالأدوية والحميّة من الطّعام. فإذا ذهبت عن جسده الأخلاط الفاسدة أقبل عليه بما يصلحه من الطّعام، فحينئذ يجد طعم الطّعام ويسمن ويتقوّىٰ ويحمل الثّقل بمشيئة الله ـ عزّ وجلّ ـ

قال ابن الملك: أيّها الحكيم أخبرني ماذا تصيب من الطّعام والشّراب؟

قال الحكيم: زعموا أنّ ملكاً من الملوك عظيم الملك، كثير الجند والأموال. وأنّه بدا له أن يغزو ملكاً آخر ليزداد ملكاً إلىٰ ملكه ومالاً إلىٰ ماله. فسار إليه بالجنود والعدد والعدّة والنّساء والأولاد والأثقال. فأقبلوا نحوه وظهروا عليه واستباحوا عسكره. فهرب فيمن هرب. وساق امرأته وأولاده صغاراً. فألجأه الطّلب عند المساء إلى أجمة[١٨٠] علىٰ شاطئ نهر. فدخلها مع أهله وولده وسيّب دوابّه مخافة أن تدلّ عليه بصهيلها. فباتوا في الأجمة وهم يسمعون وقع حوافر الخيل من كلّ جانب. فأصبح الرّجل لا يطيق براحاً. أمّا النّهر فلا يستطيع

(١٧٨) «ب» «ح» «ر» يهاونوه، وفي المصدر: يعادونه.

(١٧٩) في المصدر: يغذه.

(١٨٠) الأجمة: الشّجر الملتفّ.

عبوره. وأمّا الفضاء فلا يستطيع الخروج إليه لمكان العدوّ فيه؛ قد آذاهم البرد، وأحجـزهم[(١٨١)] الخوف، وطواهم الجوع، وليس لهم طعام ولا معهم زاد وأولاده صغار جياع يبكون من الضرّ الّذي قد أصابهم. فمكث بذلك يومين. ثمّ إنّ أحد بنيه مات وألقوه في النّهر. ومكث بعد ذلك يوماً آخر.

فقال الرّجل لإمرأته: إنّا مشرفون علىٰ الهلاك جميعاً. وإن بقي بعضنا وهلك بعضنا كان خيراً من أن نهلك جميعاً. وقد رأيت أن أُعجّل ذبح صبيّ من هؤلاء الصّبيان فنجعله قوتاً لنا ولأولادنا إلىٰ أن يأتي الله ـ عزّ وجلّ ـ بالفرج. فإن أخّرنا ذلك هزل الصّبيان حتّىٰ لا تشبع لحومهم، ونضعف حتّىٰ لا نستطيع الحراك وإن وجدنا إلىٰ الخروج سبيلاً.

فطاوعته امرأته علىٰ ذلك. فذبح بعض أولاده ووضعوه بينهم ينهشونه. فما ظنّك ـ ياابن الملك ـ بذلك المضطرّ: أكل الكلب المستكثر [يأكل][(١٨٢)]، أم أكل المضطرّ المستقل؟

[قال ابن الملك: بل أكل المستقل][(١٨٣)].

قال الحكيم: كذلك أكلي وشربي في الدّنيا ـ ياابن الملك ـ.

فقال له: أرأيت هذا الّذي تدعوني إليه أيّها الحكيم أهو شيء نظر النّاس فيه بعقولهم وألبابهم حتّىٰ اختاروه علىٰ ماسواه لأنفسهم، أم دعاهم الله ـ عزّ وجلّ ـ إليه فأجابوه؟

قال الحكيم: علا هذا الأمر [و][(١٨٤)] لطف عن أن يكون من قبل أهل الأرض أو برأيهم دبّروه. ولو كان من أهل الأرض لدعوا إلىٰ عملها وزينتها

---

(١٨١) «ب»: وأعجزهم، وفي المصدر: وأهجرهم.

(١٨٢) أضفناه من المصدر.

(١٨٣ و ١٨٤) أضفناه من المصدر.

وحفظها ورغبتها ونعيمها ولذّتها ولهوها ولعبها وشهواتها. ولكنّه أمر غريب ودعوة من الله ـ عزّ وجلّ ـ ساطعة وهدىً مستقيم ناقض علىٰ أهل الدّنيا أعمالهم، مخالف لهم، عائب عليهم، داع لهم إلىٰ طاعة ربّهم، وإنّ ذلك لبيّن لمن تبيّنه، مكتوم عنده عن غير أهله حتّىٰ يظهر الله الحقّ بعد خفائه، ويجعل كلمته العليا وكلمة الّذين جهلوا السّفلىٰ.

قال ابن الملك: صدقت أيّها الحكيم.

ثمّ قال الحكيم: إنّ من النّاس من تفكّر قبل مجيء الرّسل ـ عليهم السّلام ـ فأصاب، ومنهم من دعته الرّسل بعد مجيئها فأجاب، وأنت ـ ياابن الملك ـ ممّن تفكّر بعقله.

قال ابن الملك: فهل [تعلم][185] أحداً من النّاس يدعو إلىٰ التّزهيد في الدّنيا غيركم؟

فقال الحكيم: أمّا في بلادكم هذه فلا، وأمّا في سائر الأمم ففيهم قوم ينتحلون الدّين بألسنتهم ولم يستحقّوه بأعمالهم، فاختلف سبيلنا وسبيلهم.

قال ابن الملك: فما جعلكم أولىٰ بالحقّ منهم وإنّما أتاكم هذا الأمر الغريب من حيث أتاهم؟

قال الحكيم: الحقّ كلّه جاء من عند الله ـ عزّ وجلّ ـ [وإنّه][186] تبارك وتعالىٰ ـ دعا العباد إليه فقبله قوم بحقّه وشروطه حتّىٰ أدّوه إلىٰ أهله كما أُمروا لم يظلموا ولم يخطئوا ولم يضيّعوا. وقبله آخرون فلم يقوموا بحقّه وشروطه ولم يؤدّوه إلىٰ أهله، ولم يكن لهم فيه عزيمة ولا علىٰ العمل به نيّة ضمير، فضيّعوه

---

(١٨٥) أضفناه من المصدر.

(١٨٦) أضفناه من المصدر.

واستقلّوه[١٨٧]، والمضيّع لا يكون مثل الحافظ. والمفسد لا يكون كالمصلح. والصّابر لا يكون كالجازع. فمن هاهنا كنّا نحن أحقّ به منهم وأولىٰ.

ثمّ قال الحكيم: إنّه ليس يجري علىٰ لسان أحد منهم من الدّين والتّزهيد والدّعاء إلىٰ الآخرة إلّا وقد أخذ ذلك عن أصل الحقّ الّذي عنه أخذنا. ولكنّه فرق بيننا وبينهم أحداثهم الّتي أحدثوها وابتغاؤهم الدّنيا وإخلادهم إليها. وذلك أنّ هذه الدّعوة لم تزل تأتي وتظهر في الأرض مع أنبياء الله ورسله ـ صلوات الله عليهم ـ في القرون الماضية علىٰ ألسنة متفرّقة، وكان أهل دعوة الحقّ أمرهم مستقيم، وطريقهم واضح، ودعوتهم بيّنة، لا فرقة بينهم ولا اختلاف، فكانت الرّسل ـ عليهم السّلام ـ إذا بلّغت رسالات ربّها واحتجّت لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ علىٰ عباده بحجّة وأقامت معالم الدّين وأحكامه فقبضها الله ـ عزّ وجلّ ـ إليه عند انقضاء آجالها ومنتهىٰ مدّتها، مكثت الأُمّة من الأُمم بعد نبيّها برهة من دهرها لا تغيّر ولا تبدّل، ثمّ صار النّاس بعد ذلك يُحدثون الأحداث ويتّبعون الشّهوات ويضيّعون العلم، فكان العالم البالغ المستبصر منهم يخفي شخصه ولا يظهر علمه فيعرفونه باسمه ولا يهتدون إلىٰ مكانه، ولا يبقىٰ منهم إلّا الخسيس من أهل العلم يستخفّ به أهل الجهل والباطل، فيخمد العلم، ويظهر الجهل، وتتناسل القرون فلا يعرفون إلّا الجهل، ويزداد الجهّال استعلاء وكبرة، والعلم خموداً وقلّة، فحوّلوا معالم الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ عن وجوهها وتركوا قصد سبيلها، وهم مع ذلك مقرّون بتنزيله، متبعون شبهة تأويله، متعلّقون بصفته، تاركون لحقيقته، نابذون لأحكامه، فكلّ صفة جاءت الرّسل تدعوا إليها فنحن لهم موافقون في تلك الصّفة، مخالفون لهم في أحكامهم وسيرتهم، ولسنا نخالفهم في

---

(١٨٧) في المصدر: واستثقلوه.

شيء إلّا ولنا عليهم الحجّة الواضحة والبيّنة العادلة من نعت مافي أيديهم من الكتب المنزلة من الله ـ عزّ وجلّ ـ فكلّ متكلّم منهم يتكلّمْ بشيء من الحكمة فهي لنا وهي بيننا تشهد لنا عليهم بأنّها توافق صفتها سيرتنا وحكمنا، وتشهد عليهم بأنّها مخالفة لسيرتهم وأعمالهم، فليسوا يعرفون من الكتاب إلّا وصفه، ومن الذّكر إلّا اسمه، فليسوا بأهل [الكتاب](١٨٨) حقيقة حتّىٰ يقيموه.

قال ابن الملك: فما بال الأنبياء والرّسل ـ عليهم السّلام ـ تأتي في زمان دون زمان؟

قال الحكيم: إنّما مَثَل ذلك كمثل ملك كانت له أرض موات لا عمران فيها، فلمّا أراد أن يقبل عليها بعمارة أرسل إليها رجلًا جلداً أميناً ناصحاً، ثمّ أمره أن يعمّر تلك الأرض وأن يغرس فيها صنوف الشّجر، وأنواع الزّرع، ثمّ سأله(١٨٩) الملك ألواناً من الغرس معلومة وأنواعاً من الزّرع معروفة، ثمّ أمره أن لا يعدو ماسمّىٰ له. وأن لا يحدث فيها من قبله شيئاً لم يكن أمره به سيّده، وأمره أن لا يخرج لها نهراً، ويسدّ عليها حائطاً. ويمنعها من أن يفسدها مفسد، فجاء الرّسول الّذي أرسله الملك إلىٰ تلك الأرض فأحياها بعد موتها، وعمّرها بعد خرابها، وغرس فيها وزرع من الصّنوف الّتي أمره بها، ثمّ ساق الماء إليها حتّىٰ نبت الغرس واتّصل الزّرع، ثمّ لم يلبث إلّا قليلًا حتّىٰ مات فيها، وأقام بعده من يقوم مقامه، وخلف من بعده خلف خالفوا من أقامه القيّم بعده، وغلبوه علىٰ أمره، فأخربوا العمران، وطمّوا الأنهار، فيبس الغرس، وهلك الزّرع. فلمّا بلغ الملك خلافهم علىٰ القيّم بعد رسوله وخراب أرضه أرسل إليها رسولًا آخر يحييها

(١٨٨) أضفناه من المصدر.

(١٨٩) في المصدر: سمّىٰ له.

ويعيدها ويصلحها كما كانت في منزلتها الأولىٰ. فكذلك الأنبياء والرّسل ـ عليهم السّلام ـ يبعث الله ـ عزّ وجلّ ـ منهم الواحد بعد الواحد، فيصلح أمر النّاس بعد فساده.

قال ابن الملك: أتختصّ الأنبياء والرّسل ـ عليهم السّلام ـ إذا هي جاءت بما تُبعَث به أم تعمّ؟

قال بلوهر: إنّ الأنبياء والرّسل إذا جاءت تدعوا عامّة؛ فمن أطاعهم كان منهم، ومن عصاهم لم يكن منهم. ولم تخل الأرض قطّ من أن يكون لله ـ عزّ وجلّ ـ فيها مطيع(١٩٠) من أنبيائه ورسله ومن أوصيائهم. وإنّما مثل ذلك مثل طائر كان في ساحل يقال له قدم يبيض بيضاً كثيراً. وكان شديد الحبّ للفراخ. وكان يأتي زمان يتعذّر عليه فيه مايريده من ذلك، فلا يجد بدّاً من اتّخاذ أرض أُخرىٰ يذهب ذلك الزّمان فيأخذ بيضه مخافة عليه أن يهلك وشفقة فيغرّقه في أعشاش الطّير، فيحضن الطّير بيضه مع بيضها ويخرج فراخه مع فراخها. فإذا طال مكث [فراخ](١٩١) قدم مع فراخ الطّير ألفها بعض فراخ الطّير واستأنس بها. فإذا كان الزّمان الّذي ينصرف فيه قدم إلىٰ مكانه مرّ بأعشاش الطّير وأوكارها في اللّيل. فأسمع فراخه وغيرها صوته، فإذا سمعت فراخه صوته تبعته وتبع فراخه ما كان ألفها من فراخ سائر الطّيور ولم يجبه ما لم يكن من فراخه. ولا ما لم يكن ألف فراخه وكان قد يضمّ إليه من أجابه من فراخه وغيرها حبّاً للفراخ. وكذلك الأنبياء والرّسل ـ عليهم السّلام ـ إنّما يستعرضون النّاس جميعاً بدعائهم، فيجيبهم أهل الحكمة والعقل لمعرفتهم بفضل الحكمة. فمثل

---

(١٩٠) في المصدر: مطاع.

(١٩١) أضفناه من المصدر.

الطّير ـ ياابن الملك ـ الّذي دعا بصوته مثل الأنبياء والرّسل الّتي تعمّ النّاس بدعائهم؛ ومثل البيض المتفرّق في أعشاش الطّير مثل الحكماء. ومثل سائر فراخ الطّير الّتي ألفت فراخ القدم مثل من أجاب الحكماء قبل مجيء الرّسل؛ لأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ جعل لأنبيائه ورسله من الفضل والرّأي ما لم يجعل لغيرهم من النّاس، وأعطاهم من الحجج والنّور والضّياء ما لم يعط غيرهم. وذلك لما يريد من بلوغ رسالته ومواقع حججه. وكانت الرّسل إذا جاءت وأظهرت دعوتها أجابها من النّاس أيضاً من لم يكن أجاب الحكماء. وذلك لما جعل الله ـ عزّ وجلّ ـ علىٰ دعوتهم من الضّياء والبرهان.

قال ابن الملك: أفرأيت مايأتي به الأنبياء والرّسل ـ عليهم السّلام ـ إذ زعمت أنّه ليس بكلام النّاس وكلام الله ـ عزّ وجلّ ـ هو كلام وكلام ملائكته كلام.

قال الحكيم: أما رأيت النّاس لمّا ارادوا أن يفهموا بعض الدّوابّ والطّير مايريدون من تقدّمها وتأخّرها وإقبالها وإدبارها لم يجدوا الدّوابّ والطّير تحمل كلامهم الّذي هو كلامهم، فوضعوا من النّقر والصّفير والزّجر مايبلغوا به حاجتهم وماعرفوا أنّها تطيق حمله. وكذلك العباد يعجزون أن يحملوا كلام الله ـ عزّ وجلّ ـ وكلام ملائكته علىٰ كنهه وكماله ولطفه وصفته، فصار ماتراجع النّاس بينهم من الأصوات الّتي سمعوا بها الحكمة شبيهاً بما وضع النّاس للدّوابّ والطّير، ولم يمنع ذلك الصّوت مكان المخبرة في تلك الأصوات من أن تكون الحكمة واضحة بينهم، قويّة نيّرة، شريفة عظيمة، ولم يمنعها من وقوع معانيها علىٰ مواقعها وبلوغ مااحتجّ الله ـ عزّ وجلّ ـ علىٰ العباد فيها. فكان الصّوت للحكمة جسداً وسكناً. وكانت الحكمة للصوت نفساً وروحاً. ولا طاقة للنّاس أن

ينفذوا غور كلام الحكمة. ولا يحيطوا به عقولهم. فمن قِبَل ذلك تفاضلت العلماء في علمهم، فلا يزال عالم علمُه من عالم حتّىٰ يرجع العلم إلىٰ الله - عزّ وجلّ - الّذي جاء من عنده. وكذلك العلماء قد يصيبون من الحكمة والعلم مايعظهم من الجهل. ولكن لكلّ ذي فضل فضله؛ كما أنّ النّاس ينالون من ضوء الشّمس ماينتفعون به في معاشهم[١٩٢] وأبدانهم ولا يقدرون علىٰ أن ينفذوها بأبصارهم. فهي كالعين الغزيرة؛ الظّاهر مجراها، المكنون عنصرها. فالنّاس قد يجيبون بما ظهر لهم من مائها ولا يدركون غورها. وهي كالنّجوم الزّاهرة الّتي يهتدي بها النّاس ولا يعلمون مساقطها. فالحكمة أشرف وأرفع وأعظم ممّا وصفناها به كلّه. وهي مفتاح باب كلّ خير يُرتجىٰ، والنّجاة من كلّ شرّ يُتّقىٰ. وهي شراب الحياة الّذي من شرب منه لم يمت أبداً، والشّفاء للسّقم الّذي من استشفىٰ به لم يسقم أبداً، والطّريق المستقيم الّذي من سلكه لم يضلّ أبداً. هي حبل الله المتين الّذي لا يخلقه طول التّكرير، من تمسّك به انجلىٰ عنه العمىٰ، ومن اعتصم به فاز واهتدىٰ وأخذ بالعروة الوثقىٰ.

قال: فما بال هذه الحكمة الّتي وصفتها بما وصفت من الفضل والشّرف والإرتفاع والقوّة والمنفعة والكمال والبرهان لاينتفع بها النّاس كلّهم جميعاً؟

قال الحكيم: إنّما مثل الحكمة مثل الشّمس الطّالعة علىٰ جميع النّاس؛ الأبيض والأسود منهم، والصّغير والكبير. فمن أراد الإنتفاع بها فلا حجّة له عليها، ولا تمتنع الشّمس علىٰ النّاس جميعاً، ولا يحول بين النّاس وبين الإنتفاع بها. وكذلك الحكمة وحالها بين النّاس إلىٰ يوم القيامة. والحكمة قد عمّت النّاس جميعاً إلّا أنّ النّاس يتفاضلون في ذلك؛ فالشّمس ظاهرة إذا

(١٩٢) «ر» والمصدر: معايشهم.

طلعت علىٰ الأبصار النّاظرة فرّقت بين النّاس علىٰ ثلاثة منازل: فمنهم الصّحيح البصر الّذي ينفعه الضّوء ويقوىٰ علىٰ النّظر، ومنهم الأعمىٰ القريب من الضّوء الّذي لو طلعت عليه شمس أو شموس لم تغن عنه شيئاً. ومنهم المريض البصر الّذي لا يُعَدّ في العميان ولا في أصحاب البصر. كذلك الحكمة هي شمس القلوب إذا طلعت تفرّق علىٰ ثلاثة منازل لأهل البصر الّذين يعقلون الحكمة فيكونوا أهلها ويعملون بها، ومنزلة لأهل العمىٰ الّذين تنبو الحكمة عن قلوبهم لإنكارهم الحكمة وتركهم قبولها كما ينبو ضوء الشّمس عن العميان، ومنزلة لأهل مرض القلوب الّذين يقضىٰ عليهم ويضعف عليهم(١٩٣) ويستوي فيهم السّيء والحسن والحقّ والباطل، وإنّ أكبر(١٩٤) من تطلع عليه الشّمس وهي الحكمة من يعمىٰ عنها.

قال ابن الملك: فهل يسمع الرّجل الحكمة فلا يجيب إليها حتّىٰ يلبث زماناً ناكباً عنها ثمّ يجيب ويراجعها؟

قال بلوهر: نعم هذا أكثر حالات النّاس في الحكمة.

قال ابن الملك: ترىٰ والدي سمع من هذا الكلام شيئاً قطّ؟

قال بلوهر: لا أراه سمع سماعاً صحيحاً رسخ في قلبه ولا كلّمه فيه ناصح شفيق.

قال ابن الملك: وكيف ترك ذلك منه الحكماء طول دهرهم؟

قال بلوهر: تركوه لعلمهم بمواضع كلامهم. فربّما تركوا ذلك ممّن هو أحسن إنصافاً، وألين عريكة، وأحسن استماعاً من أبيك، حتّىٰ أنّ الرّجل لمعاشر

---

(١٩٣) في المصدر: «يقصر علمهم، ويضعف عملهم» بدل «يقضي... عليهم».

(١٩٤) في المصدر: أكثر.

الرجل عمره وبينهما الإستئناس والمودّة والمفاوضة، ولا يفرّق بينهما شيء غير الدّين والحكمة، وهو متفجّع عليه، متوجّع له، ثمّ لا يفضي إليه أسرار الحكمة إذا لم يره لها موضعاً.

وقد بلغنا أنّ ملكاً من الملوك كان عاقلاً قريباً من النّاس، مصلحاً لأُمورهم، حسن النّظر والإنصاف لهم، وكان له وزير صدق صالح يعينه علىٰ الإصلاح، ويكفيه مؤنته، ويشاوره في أُموره، وكان الوزير أديباً عاقلاً له دين وورع ونزاهة عن الدّنيا، وكان قد لقي أهل الدّين وسمع كلامهم وعرف فضلهم فأجابهم وانقطع إليهم، وكانت له من الملك منزلة حسنة وخاصّة، وكان الملك لا يكتمه شيئاً من أمره. وكان الوزير له أيضاً بتلك المنزلة إلّا أنّه لم يكن يُطلِعه علىٰ أمر الدّين ولا يفاوضه أسرار الحكمة، فعاشا بذلك زماناً طويلاً، فكان الوزير كلّ مادخل إلىٰ الملك سجد للأصنام وعظّمها وأخذ في شيء من طريق الجهالة والضّلالة تقيّة له، فأشفق الوزير علىٰ الملك من ذلك واهتمّ به، واستشار في ذلك أصحابه وإخوانه، فقالوا له: انظر لنفسك وأصحابك، فإن رأيته موضعاً للكلام فكلّمه وفاوضه، وإلّا فإنّك تعينه علىٰ نفسك أو تهيّجه علىٰ أهل دينك، فإنّ السّلطان لا يُغتَرّ به ولا يُؤمَن من سطواته.

فلم يزل الوزير علىٰ اهتمامه مصافياً له رفيقاً به رجاء أن يجد فرصة فينصحه أو يجد للكلام موضعاً فيفاوضه، وكان الملك مع ضلالته متواضعاً، سهلاً قريباً، حسن السّيرة في رعيّته، حريصاً علىٰ إصلاحهم، متفقّداً لأُمورهم، فاصطحب الوزير والملك علىٰ هذا برهة من زمانه.

ثمّ إنّ الملك قال للوزير ذات ليلة من اللّيالي بعد ماهدأت العيون: هل لك أن تركب فنسير في المدينة فننظر إلىٰ حال النّاس وإلىٰ آثار الأمطار الّتي

أصابتهم في هذه الأيّام؟

فقال الوزير: نعم.

فركبا جميعاً يجولان في نواحي المدينة. فمرّا في بعض الطّريق علىٰ مزبلة تشبه الجبل. فنظر الملك إلىٰ ضوء نار تبدو في ناحية المزبلة. فقال: إنّ لهذه النّار لقصّة. فانزل بنا نمشي حتّىٰ ندنو منها فنعلم خبرها!

ففعلا ذلك. فلمّا انتهيا إلىٰ مخرج الضّوء وجدا نقباً شبيهاً بالغار وفيه مسكين من المساكين. ثمّ نظرا في الغار من حيث لا يراهما الرّجل فإذا الرّجل مشوّه الخلق، عليه ثياب خلقان من خلقان المزبلة، متّكئ علىٰ مُتّكأ قد هيّأه من الزّبل وبين يديه إبريق فخار فيه شراب، وفي يده طنبور يضرب به وامرأته في مثل خلقه ولباسه قائمة بين يديه تسقيه إذا استسقىٰ منها، وترقص له إذا ضرب، وتحيّيه بتحيّة الملك كلّ ماشرب، وهو يسمّيها سيّدة النّساء، وهما يصفان أنفسهما بالحسن والجمال وبينهما من السّرور والضّحك والطّرب ما لا يوصف. فقام الملك علىٰ رجليه قليلاً والوزير ينظر كذلك ويتعجّبان من لذّتهما وإعجابهما بما هما فيه. ثمّ انصرف الملك والوزير فقال الملك للوزير: ما أعلم أنّي وإيّاك أصابنا من الدّهر من اللّذّة والسّرور والفرح مثل مارأينا عند هذين اللّيلة، مع أنّي أظنّهما يصنعان كلّ ليلة مثل هذا.

فاغتنم الوزير ذلك منه ووجد فرصة فقال له: أخاف أيّها الملك أن تكون دنيانا هذه من الغرور ويكون ملكك ومانحن فيه من البهجة والسّرور في أعين من يعرف الملكوت الدّائم مثل هذه المزبلة ومثل هذين الشّخصين اللّذين رأيناهما، وتكون مساكننا وماشيّدنا منها عند من يرجو مساكن السّعادة وثواب الآخرة مثل هذا الغار في أعيننا، وتكون أجسادنا عند من يعرف الطّهارة

والنّضارة والحسن والصّحّة مثل جسد هذا المشوّه الخلق في أعيننا، ويكون تعجّبهم من إعجابنا بما نحن فيه كتعجّبنا من إعجاب هذين الشّخصين بما هما فيه؟

قال الملك: وهل تعرف لهذه الصّفة أهلاً؟

قال الوزير: نعم.

قال الملك: من هم؟

قال الوزير: أهل الدّين عرفوا ملك الآخرة ونعيمها فطلبوه.

قال الملك: وما ملك الآخرة؟

قال الوزير: هو الغنم[١٩٥] الّذي لا بُؤْس بعده، والغنىٰ الّذي لا فقر بعده، والفرح الّذي لا ترح بعده، والصّحّة الّتي لا سقم بعدها، والرّضا الّذي لا سخط بعده، والأمن الّذي لا خوف بعده، والحياة الّتي لا موت بعدها، والملك الّذي لا زوال له. هي دار البقاء ودار الحيوان الّتي لا انقطاع لها، ولا تغيّر فيها. رفع الله ـ عزّ وجلّ ـ عن ساكنيها فيها السّقم والهرم والشّقاء والنّصب والمرض والموت والجوع والظّمأ. فهذه صفة مُلك الآخرة وخبرها أيّها الملك؟

قال الملك: وهل تدركون إلىٰ هذه الدّار مطلباً وإلىٰ دخولها سبيلاً؟

قال الوزير: نعم، هي مهيّأة لمن طلبها من وجه مطلبها، ومن أتاها من بابها ظفر بها.

قال الملك: مامنعك أن تخبرني بهذا قبل اليوم؟

قال الوزير: منعني من ذلك إجلالك والهيبة لسلطانك.

قال الملك: لئن كان هذا الأمر الّذي وصفت يقيناً فلا ينبغي لنا تضييعه ولا

---

(١٩٥) في المصدر: النّعيم.

ترك العمل في إصابته. ولكنّا نجتهد حتّىٰ يصحّ لنا خبره.

قال الوزير: فتأمرني ـ أيّها الملك ـ أن أُواظب عليك في ذكره والتّكرير له؟

قال الملك: بل آمرك أن لا تقلع(١٩٦) عنّي ليلاً ولا نهاراً، ولا تريحني ولا تمسك عن ذكره. فإنّ هذا أمر عجيب لا يُتهاون به ولا يُغفَل عن مثله. فكان سبيل ذلك الملك والوزير النّجاة.

قال ابن الملك: ما أنا بشاغل نفسي بشيء من هذه الأُمور عن هذا السّبيل، ولقد حدّثت نفسي بالهرب معك في جوف ليلتي هذه حيث بدا لك أن تذهب.

قال بلوهر: فكيف تستطيع الذّهاب معي والصّبر علىٰ صحبتي وليس لي جحر يأويني، ولا دابّة تحملني، ولا أملك ذهباً ولا فضّة، ولا أدّخر عشاءاً لغدٍ(١٩٧)؛ إذ لا يكون عندي فضل قوت، ولا أستقرّ ببلدة إلّا قليلاً حتّىٰ أتحوّل عنها ولا أتزوّد من أرض إلىٰ أرض رغيفاً أبداً؟

قال ابن الملك: إنّي [أرجو أن](١٩٨) يقوّيني الّذي قوّاك.

قال بلوهر: أما إنّك إن أبيت إلّا صحبتي كنت خليقاً أن تكون كالغنيّ الّذي هو ظاهر(١٩٩) الفقير.

قال يوذاسف: وكيف كان ذلك؟

قال بلوهر: زعموا أنّ فتىٰ كان من أولاد الأغنياء أراد أبوه أن يزوّجه ابنة

---

(١٩٦) «ب»: تقطع.

(١٩٧) في المصدر: «غذاء العشاء» بدل «عشاءاً لغدٍ».

(١٩٨) أضفناه من المصدر.

(١٩٩) في المصدر: صاهر.

عمّ له ذات جمال ومال، فلم يوافق ذلك الفتىٰ ولم يُطلع أباه علىٰ كراهته، حتّىٰ خرج من عنـده متوجّهاً إلىٰ أرض أُخرىٰ. فمرّ في طريقه علىٰ جارية عليها خلقان لها قائمة علىٰ باب بيت من بيوت المساكين فأعجبته الجاريـة، فقال لها: من أنت أيّتها الجارية؟

قالت: أنا ابنة شيخ كبير في هذا البيت.

فنادىٰ الفتىٰ الشّيخ. فخرج إليه. فقال له: هل تزوّجني ابنتك هذه؟

فقال: ما أنت متزوّج لبنات الفقراء وأنت فتىٰ من الأغنياء؟!

قال له: اعلم أنّني قد أعجبتني هذه الجارية وقد خرجت هارباً من امرأة ذات حسب ومال أرادوا منّي تزويجها فكرهتها، فزوّجني ابنتك، فإنّك واجد عندي خيراً إن شاء الله.

قال الشّيخ: كيف أُزوّجك ابنتي ونحن لا تطيب أنفسنا أن تنقلها عنّا ولا أحسب أهلك مع ذلك يرضون أن تنقلها إليهم؟

قال الفتىٰ: فنحن معكم في منزلكم هذا.

قال الشّيخ: فتطرح عنك زيّك وحليتك هذه.

قال: ففعل الفتىٰ ذلك وأخذ أطمارهم فلبسها وقعد معهم. فسأله الشّيخ عن شأنه وعرّض له بالحديث حتّىٰ فتّش عقله. فعرف أنّ عقله صحيح وأن لم يحمله علىٰ ماصنع السّفه.

فقال له الشّيخ: أمّا إذا اخترتنا ورضيت بنا فقم معي إلىٰ هذا السّرب فادخله.

فإذا خلف منزله بيوت ومساكن لم ير مثلها قطّ سعة وحسناً وله خزائن من كلّ مايحتاج إليه. ثمّ دفع إليه مفاتيحه وقال له: إنّ كلّ ماها هنا لك فاصنع به

ما أحببت فنعم الفتىٰ أنت.

وأصاب الفتىٰ ما كان يريد.

قال يوذاسف: إنّي أرجو أن أكون صاحب هذا المثل؛ إنّ الشّيخ فتّش عقل الفتىٰ حتّىٰ وثق به، فلعلّك تطوّل علىٰ تفتيش عقلي فأعلمني ماغايتك من ذلك؟

قال الحكيم: لو كان هذا الأمر إليّ لاكتفيت منك بأدنىٰ المشافهة، ولكن فوق رأسي سنّـة قد سنّها أئمّة الهدىٰ في بلوغ الغاية في التّوفيق، وعلم مافي الضّمير، فأنا أخاف إن خالفت السّنّة أن أكون قد أحدثت بدعة وأنا منصرف عنك اللّيلة وحاضر بابك في كلّ ليلة. فذكّر نفسك بهذا؛ واتّعظ به. وليحضرك فهمك وتثبّت ولا تعجل بالتّصديق لما يورده عليك همّك، حتّىٰ تعلمه بعد التؤدة منـك والأناة، وعليك بالاحتراس في ذلك أن يغلبك الهوىٰ والميل إلىٰ الشّبهة والعمىٰ، واجتهد في المسائل الّتي تظنّ أنّ فيها شبهة ثمّ كلّمني فيها وأعلمني رأيك في الخروج إذا أردت.

فافترقا علىٰ هذا تلك اللّيلة. ثمّ عاد إليه الحكيم فسلّم عليه ودعا له. ثمّ جلس فكان من دعائه له أن قال: أسأل الله الأوّل الّذي لم يكن قبله شيء، والآخر الّذي لا يبقىٰ معه شيء، والباقي الّذي لا فناء له، والعظيم الّـذي لا منتهىٰ له، والواحد الفرد الصّمد الّذي ليس معه غيره، والقاهر الّذي لا شريك له، البديع الّذي لا خالق معه، القادر الّذي ليس له ضدّ، الصّمد الّذي ليس له ندّ، الملك الّذي ليس معه أحد أن يجعلك ملكاً عادلاً إماماً في الهدىٰ، قائداً إلىٰ التّقوىٰ، ومبصراً من العمىٰ، وزاهداً في الدّنيا، ومحبّاً لذوي النّهىٰ، ومبغضاً لأهل الرّدىٰ، حتّىٰ يقضي ربّك إلىٰ ماوعد أولياءه علىٰ ألسنة أنبيائه من جنّته ورضوانه. فإنّ رغبتنا في ذلك إلىٰ الله ساطعة، ورهبتنا منه باطنة. وأبصارنا إليه شاخصة.

وأعناقنا له خاضعة، وأُمورنا إليه صائرة.

فرقّ ابن الملك لذلك الدّعاء رقّة شديدة. وازداد في الخير رغبة. وقال متعجّباً من قوله: أيّها الحكيم أعلمني كم أتىٰ عليك من العمر؟

فقال: اثنتا عشرة سنة.

فارتاع لذلك ابن الملك، وقال: ابن اثنتي عشرة سنة طفل وأنت مع ما أرىٰ من اكتهالك كابن ستّين سنة؟

قال الحكيم: أمّا المولد فقد راهق السّتّين ولكنّك سألتني عن العمر وإنّما العمر الحياة. ولا حياة إلّا بالدّين والعمل به والتّخلّي من الدّنيا. ولم يكن ذلك لي إلّا من اثنتي عشرة سنة. فأمّا قبل ذلك فإنّي كنت ميّتاً ولست أعتدّ في عمري بأيّام الموت.

قال ابن الملك: كيف تجعل الأكل والشّرب والمتقلّب ميّتاً؟

قال الحكيم: لأنّه شارك الموتىٰ في العمىٰ والصّمم والبكم وضعف الحيلة. وإذا شاركهم الفتىٰ في الصّفة وافقهم في الاسم.

قال ابن الملك: لئن كنت لا تعدّ حياتك تلك حياة ولا غبطة ماينبغي لك أن تعدّ ماتتوقّع من الموت موتاً ولا تراه مكروهاً؟

قال الحكيم: تغريري في الدّخول عليك بنفسي ـ ياابن الملك ـ مع علمي بسطوة أبيك علىٰ أهل ديني دليل علىٰ أنّي لا أرىٰ هذه الحياة حياة، ولا ما أتوقّع من الموت مكروهاً. وكيف يرغب في الحياة من قد ترك حظّه منها، أو يهرب من الموت من قد أمات نفسه بيده، أو لا ترىٰ ـ يا ابن الملك ـ أنّ صاحب الدّين قد رفض في الدّينا أهله وماله ما لا يرغب في الحياة إلّا له، واحتمل من نصب العبادة ما لا يريحه منه إلّا الموت. فما حاجة من لا يتمتّع بلذّة الحياة إلىٰ الحياة أو مهرب من لا راحة له إلّا في الموت من الموت.

قال ابن الملك: صدقت أيّها الحكيم. فهل يسرّك أن ينزل بك الموت من غد؟

قال الحكيم: بل يسرّني أن ينزل بي اللّيلة دون غدٍ. فإنّه من عرف السّيّئ والحسن وعرف ثوابهما من الله ـ عزّ وجلّ ـ ترك السّيئ مخافة عقابه، وعمل بالحسن رجاء ثوابه. ومن كان موقناً بالله وحده مصدّقاً بوعده فإنّه يحبّ الموت لما يرجو بعد الموت من الرّخاء، ويزهد في الحياة لما يخاف علىٰ نفسه من شهوات الدّنيا والمعصية لله فيها فهو يحبّ الموت مبادرة من ذلك لذلك.

فقال ابن الملك: إنّ هذا لخليق أن يبادر الهلكة لما يرجو في ذلك من النّجاة. فاضرب لي مثل أُمّتنا هذه وعكوفها علىٰ أصنامها؟

قال الحكيم: إنّ رجلًا كان له بستان يعمّره ويحسن القيام فيه. إذ رأىٰ في بستانه ذات يوم عصفوراً واقعاً[٢٠٠] علىٰ شجرة من شجر البستان يصيب من ثمارها. فغاضه ذلك فنصب له فخّاً فصاده. فلمّا همّ بذبحه أنطقه الله ـ عزّ وجلّ ـ بقدرته. فقال لصاحب البستان: أراك تهمّ بذبحي وليس فيَّ مايشبعك من جوع ولا يقوّيك من ضعف، فهل لك في خير ممّا تهمّ به؟

قال الرّجل: ماهو؟

قال العصفور: تخلّي سبيلي وأُعلّمك ثلاث كلمات إن أنت حفظتهنّ كنّ خيراً لك من أهلٍ ومالٍ هو لك.

قال: قد فعلت ذلك، فأخبرني بهنّ؟

قال العصفور: احفظ عنّي ما أقول: لا تأس علىٰ مافاتك، ولا تصدّقنّ بما لا يكون، ولا تطلبنّ ما لا تُطيق.

---

(٢٠٠) «ح»: راتعاً.

فلمّا قضىٰ الكلمات خلّىٰ سبيله فطار فوقع علىٰ غصن شجرة، ثمّ قال للرّجل: لو تعلم مافاتك منّي لعلمت أنّه قد فاتك عظيم جسيم من الأمر.

قال الرّجل: وما ذاك؟

قال العصفور: لو كنت مضيت علىٰ ماهممت به من ذبحي لاستخرجت من حوصلتي درّة كبيضة الوزّة. فكان لك في ذلك غنىٰ الدّهر.

فلمّا سمع الرّجل منه ذلك أسرّ في نفسه ندماً علىٰ مافات. قال: دع عنك مامضىٰ، هلمّ أنطلق بك إلىٰ رحلي وأحسن صحبتك وأكرم مثواك.

فقال له العصفور: أيّها الجاهل ماأراك حفظتني إذ ظفرت بي ولا انتفعت بالكلمات الّتي افتديتُ بها منك نفسي. ألم أعهد إليك أن لا تأس علىٰ مافاتك، ولا تصدّق ما لا يكون، ولا تطلب ما لا تدرك. ثمّ أنت متفجّع علىٰ مافاتك منّي وتلتمس منّي رجعتي إليك وتطلب ما لا تدرك، وتصدّق أنّ في حوصلتي درّة كبيضة الوزّة وجميعي أصغر من بيضها وقد كنت عهدت إليك أن لا تصدّق بما لا يكون. وإنّ أُمّتكم صنعوا أصنامهم بأيديهم وزعموا أنّها هي الّتي خلقتهم وحفظوها من أن تُسرَق مخافة عليها وزعموا أنّها هي الّتي تحفظهم، وأنفقوا عليها من مكاسبهم وأموالهم وزعموا أنّها هي الّتي ترزقهم، فطلبوا من ذلك ما لا يُدرَك، وصدّقوا بما لا يكون، فلزمهم منه ما لزم صاحب البستان.

قال ابن الملك: صدقت. أمّا الأصنام فإنّي لم أزل عارفاً بأمرها، زاهداً فيها، آيساً من خيرها. فأخبرني ما الّذي تدعوني إليه والّذي ارتضيته لنفسك؟

قال بلوهر: جماع الدّين أمران، أحدهما: معرفة الله ـ عزّ وجلّ ـ، و[الآخر: العمل برضوانه.

قال ابن الملك: وكيف معرفة الله ـ عزّ وجلّ ـ؟

قال الحكيم:](٢٠١) إنّي أدعوك أن تعلم أنّ الله واحد ليس له شريك لم يزل فرداً ربّاً وما سواه مُحدث، وأنّه صانع وما سواه مصنوع، وأنّه مدبّر وما سواه مُدبَّر، وأنّه باقٍ وما سواه فانٍ، وأنّه عزيز وما سواه ذليل، وأنّه لا ينام ولا يغفل ولا يشرب ولا يأكل ولا يضعف ولا يغلب ولا يضجر ولا يعجزه شيء، لم تمتنع منه السّماوات والأرض والهواء والبرّ والبحر، وأنّه كوّن الأشياء لا من شيء، وأنه لم يزل ولا يزال ولا تحدث فيه الحوادث، ولا تغيّره الأحوال، ولا تبدّله الأزمان، ولا يتغيّر من حال إلىٰ حال، ولا يخلو منه مكان، ولا يغيب عنه شيء، عالم لا يخفىٰ عليه شيء، قدير لا يفوته شيء، وأن تعرفه بالرّأفة والرّحمة والعدل. فإنّ له ثواباً أعدّه لمن أطاعه وعقاباً أعدّه لمن عصاه، وأن تعمل لله برضاه وتجتنب معاصيه.

قال ابن الملك: فما رضىٰ الواحد الخالق من الأعمال؟

قال الحكيم: رضاه ـ ياابن الملك ـ أن تطيعه ولا تعصيه، وأن تأتي إلىٰ غيرك ماتحبّ أن يؤتىٰ إليك، وتكفّ عن غيرك ماتحبّ أن يُكفّ عنك في مثله. فإنّ ذلك عدل، وفي العدل رضاه وفي اتّباع آثار أنبياء الله ورسله أن لا تعدوا سنّتهم.

قال ابن الملك: زدني تزهيداً في الدّنيا وأخبرني بحالها.

قال الحكيم: إنّي لمّا رأيت الدّنيا دار تصرّف وزوال وتقلّب من حال إلىٰ حال، ورأيت أهلها فيها أغراضاً للمصائب، ورهائن للمتالف، ورأيت سقماً بعد صحّة، وهرماً بعد شباب، وفقراً بعد غنىً، وحزناً بعد فرح، وذلّاً بعد عزّ، وشدّة بعد رخاء، وخوفاً بعد أمن، وموتاً بعد حياة، ورأيت أعماراً قصيرة، وحتوفاً راصدة، وسهاماً قاصدة، وأبداناً ضعيفة مستسلمة غير ممتنعة ولا حصينة؛ عرفت أنّ الدّنيا

(٢٠١) أضفناه من المصدر.

منقطعة بالية فانية، وعرفت بما ظهر لي منها ماغاب عنّي منها، وعرفت بظاهرها باطنهـا، وغامضها بواضحها، وسرّها بعلانيتها، وصدرها بموردها، فحذرتها لّما عرفتهـا، وفررت منها لّما نظرتها. بينما يُرىٰ المرء فيها مغتبطاً محبوراً، وملكاً مسروراً في خفض ودعة، ونعمة وسعة، في بهجة من شبابه وحداثة سنّه، وغبطة من ملكه، وبهاء من سلطانه، وصحّة من بدنه؛ إذا انقلبت الدّنيا به أسرّ ما كان فيها نفساً، وأقرّ ما كان فيها عيناً، فأخرجته من ملكها وغبطتها وخفضها ودعتها وبهجتهـا فأبدلته بالعزّ ذلّاً، وبالفرح ترحاً، وبالسّرور حزناً، وبالنّعمة بؤساً. وبالغنىٰ فقراً، وبالسّعة ضيقاً، وبالشّباب هرماً، وبالشّرف ضعة، وبالحياة موتاً، فدلّته في حفرة ضيّقة شديدة الوحشة، وحيداً غريباً، قد فارق الأحبّة وفارقوه، وخذله إخوانه فلم يجد عندهم منعاً، وغرّه أحداثه[٢٠٢] فلم يجد عندهم دفعاً، وصار عزّه وملكه وأهله وماله نهبة من بعده كأن لم يكن في الدّنيا ولم يذكر فيها ساعة قطّ، ولم يكن له فيها خطر، ولم يملك من الأرض حظّاً قطّ. فلا تتّخذها ـ ياابن الملك ـ داراً، ولا تتّخذنّ فيها عقدة ولا عقاراً، فأُفٍّ لها.

قال ابن الملك: أُفٍّ لها ولمن يغترّ بها إذا كان هذا حالها ـ ورقّ ابن الملك وقال: ـ زدني أيّها الحكيم من حديثك، فإنّه شفاء لما في صدري.

قال الحكيم: إنّ العمر قصير واللّيل والنّهار يسرعان فيه، والارتحال من الدّنيا حثيث قريب، وإنّه وإن طال العمر فيها فإنّ الموت نازل، والظّاعن لا محالة راحل، فيصير ماجمع فيها مفرّقاً[٢٠٣]، وماعمل فيها متبّراً، وماشيّد فيها خراباً. ويصير اسمه مجهولاً، وذكره منسيّاً، وحسنه[٢٠٥] خاملاً، وجسده بالياً،

---

(٢٠٢) كذا في النّسخ، وفي المصدر: أعداؤه.

(٢٠٣) «ر»: متفرّقاً.

(٢٠٤) في المصدر: وحسبه.

وشرفه وضيعاً، ونعمته وبالاً، وكسبه خساراً، ويورَث سلطانه، ويُستذَلّ عقبه ويُستباح حريمه، وتُنقَض عهوده، وتُخفَر ذمّته، وتُدرَس آثاره، ويُوزَّع ماله ويفرح عدوّه، ويبيد ملكه، ويُورَث تاجه، ويُخلَف سريره، ويخرج من مساكنه مسلوباً مخذولاً، فيُذهَب به إلىٰ قبره فيدلّىٰ في حفرته في وحدة وغربة، وظلمة ووحشة ومسكنة؛ قد فارق الأحبّة، وأسلمته العصبة، فلا تؤنس وحشته أبداً، ولا تردّ غربته أبداً.

واعلم أنّه يجب علىٰ المرء اللّبيب سياسة نفسه خاصّة كسياسة الإمام العادل الحازم الّذي يؤدّب العامّة ويستصلح الرّعيّة، ويأمرهم بما يصلحهم، وينهاهم عمّا يفسدهم، ثمّ يعاقب من عصاه منهم، ويكرم من أطاعه منهم، وكذلك ينبغي للرّجل أن يؤدّب نفسه في جميع أخلاقها وأهوائها وشهواتها، وأن يحملها وإن كرهت علىٰ اجتناب مضارّها، ويجعل لنفسه من نفسه ثواباً وعقاباً من مكانها من السّرور إذا أحسنت، ومن مكانها من الغمّ إذا أساءت، وممّا يحقّ علىٰ ذي العقل النّظر في ماورد عليه من أُموره والأخذ بصوابها، ونهي نفسه عن خطاياها، ويفقّه في رأيه لكي لا يدخله العُجْبُ. فإنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ قد مدح أهل العقل وذمّ أهل العُجب ومن لا عقل له. وبالعقل يُدرَك كلّ خير بإذن الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ وبالجهل تهلك النّفوس. فإنّ من أوثق الثّقاة عند ذوي الألباب ما أدركته عقولهم، وبلغته تجاربهم، ونالته أبصارهم في التّرك للأهواء والشّهوات، وليس ذو العقل بجدير أن يرفض ماقوي علىٰ حفظه من العمل احتقاراً له إذا لم يقدر علىٰ ماهو أكثر منه. وإنّما هذا من أسلحة الشّيطان الغامضة الّتي لا يبصرها إلّا من تدبّرها، ولا يسلم منها إلّا من عصمه الله منها. ومن رأس أسلحته سلاحان. أحدهما إنكار العقل أن يوقع في قلب الإنسان العاقل أنّه لا

عقل له ولا بصر ولا منفعة له في عقله وبصره، ويريد أن يصدّه عن محبّة العلم وطلبه، ويزيّن له الاشتغال بغيره من ملاهي الدّنيا. فإن اتّبعه الإنسان من هذا الـوجه فهي ظفره. وإن عصاه وغلبه فزع إلىٰ السّلاح الآخر وهو أن يجعل الإنسان إذا عمل شيئاً وأبصره عرض له بأشياء لا يبصرها ليغمّه ويضجره بما لا يعلم، حتّىٰ يبغّض إليه ماهو فيه بتضعيف عقله عنده، وبما يأتيه من الشّبهة، ويقـول: «ألست ترىٰ أنّك لا تستكمل هذا الأمر ولا تطيقه أبداً؟ فبم تُعيي نفسك وتشقيها في ما لا طاقة لك به؟» فهذا السّلاح صـرع كثيراً من الأقوياء من أنفس النّاس. فاحترس من أن تدع اكتساب علم ما لم تعلمه، وأن تُخدَع عمّا اكتسبت منه. فإنّك في دار قد استحوذ علىٰ أكثر أهلها الشّيطان بألوان حيلة ووجوه ضلالة. ومنهم من قد ضرب علىٰ سمعه وقلبه وعقله فتركه لا يعلم شيئاً ولا يسأل عن علم ماجهل منه كالبهيمة، وإنّ لعامّتهم أدياناً مختلفة؛ فمنهم المجتهـدون في الضّلالة حتّىٰ أنّ بعضهم ليستحلّ دماء بعض وأموالهم ويموّه ضلالتهم بأشياء من الحقّ ليلبس عليهم دينهم، ويزيّنه لضعيفهم، ويصدّهم عن الدّين القيّم. فالشّيطان وجنوده دائبون في إهلاك النّاس وتضليلهم، لا يسأمون ولا يفترون، ولا يحصي عددهم إلّا الله، ولا يستطاع دفع مكائدهم إلّا بعون الله ـ عزّ وجلّ ـ والإعتصام بدينه. فنسأل الله توفيقاً لطاعته، ونصراً علىٰ عدوّنا. فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قال ابن الملك: صف الله ـ عزّ وجلّ ـ حتّىٰ كأنّي أراه؟

قال: إنّ الله ـ تقـدّس اسمه ـ لا يوصف بالرّؤية، ولا تبلغ العقول كنه صفته، ولا الألسن كنه مدحته، ولا يحيط العباد من علمه إلّا ماعلّمهم منه علىٰ ألسنة أنبيائه بما وصف به نفسه، ولا تدرك الأوهام عظم ربوبيّته؛ هو أعلىٰ من

ذلك وأجلّ، وأعظم وأمنع وألطف. فباح للعباد من علمه بما أحبّ، وأظهرهم من صفته علىٰ ماأراد، ودلّهم علىٰ معرفته ومعرفة ربوبيّته بإحداث ما لم يكن. وإعدام ماأحدث.

قال ابن الملك: وما الحجّة؟

قال: إنّك إذا رأيت شيئاً مصنوعاً غاب عنك صانعه علمت بعقلك أنّ له صانعاً؛ فكذلك السّماء والأرض ومابينهما. فأيّ حجّة أقوىٰ من ذلك؟!

قال ابن الملك: أخبرني أيّها الحكيم أبقدر الله ـ عزّ وجلّ ـ يصيب النّاس مايصيبهم من الأسقام والأوجاع والفقر والمكاره، أو بغير قدره؟

قال بلوهر: لا بل بقدره.

قال: فأخبرني عن أعمالهم الحسنة والسّيّئة؟

قال: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ من سيّيء أعمالهم بريء. ولكنّه ـ عزّ وجلّ ـ أوجب الثّواب العظيم لمن أطاعه. والعقاب الشّديد لمن عصاه.

قال: فأخبرني من أعدل النّاس وأجورهم، ومن أحمقهم وأكيسهم، ومن أشقاهم ومن أسعدهم.

قال: أعدلهم أنصفهم من نفسه، وأجورهم من كان جوره عدلاً، وعدل أهل العدل عنده جوراً، وأكيسهم من أخذ لآخرته أُهبتها، وأحمقهم من كانت الدّنيا همّه والخطايا عمله، وأسعدهم من ختم عاقبة أمره بخير، وأشقاهم من ختم له بما يسخط الله ـ عزّ وجلّ ـ .

ثمّ قال: من دان النّاس بما أُدين بمثله هلك. فذلك المسخط لله، المخالف لما يحبّ. ومن دانهم بما أُدين بمثله صلح. فذلك المطيع لله، الموفّق لما يحبّ، المجتنب لسخطه.

ثمّ قال: لا تستقبحنّ الحسن وإن كان في الفجّار، ولا تستحسننّ القبيح وإن كان في الأبرار.

قال: أخبرني أيّ النّاس أولىٰ بالسّعادة، وأيّهم أحقّ بالشّقاوة.

قال بلوهر: أولاهم بالسّعادة المطيع لله ـ عزّ وجلّ ـ في أوامره. المجتنب لنواهيه. وأولاهم بالشّقاوة العامل بمعصية الله، التّارك لطاعته، المؤثر لشهوته علىٰ رضا الله ـ عزّ وجلّ ـ .

قال: فأيّ النّاس أطوعهم لله ـ عزّ وجلّ ـ ؟

قال: أتبعهم لأمره، وأقواهم في دينه، وأبعدهم من العمل بالسّيّئات.

قال:فما الحسنات والسّيّئات؟

قال: الحسنات صدق النّيّة والعمل والقول.

قال: فما صدق النّيّة؟

قال: الإقتصاد في الهمّة.

قال: فما سوء القول؟

قال: الكذب.

قال: فما سوء العمل؟

قال: معصية الله ـ عزّ وجلّ ـ .

قال: أخبرني كيف الإقتصاد في الهمّة؟

قال: التذكّر لزوال الدّنيا وانقطاع أمرها، والكفّ عن الأُمور الّتي فيها النّقمة في الدّنيا والتّبعة في الآخرة.

قال: فما السّخاء؟

قال: إعطاء المال في سبيل الله ـ عزّ وجلّ ـ .

قال: فما الكرم؟

قال: التّقوىٰ.

قال: فما البخل؟

قال: منع الحقوق من أهلها وأخذها من غير وجهها.

قال: فما الحرص؟

قال: الإخلاد إلىٰ الدّنيا والطّماح إلىٰ الأمور الّتي فيها الفساد، وثمرتها عقوبة الآخرة.

قال: فما الصّدق؟

قال: طريقه في الدّين ألّا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها.

قال: فما الحمق؟

قال: الطّمأنينة إلىٰ الدّنيا، وترك مايدوم ويبقىٰ.

قال: فما الكذب؟

قال: أن يكذب المرء نفسه، فلا يزال بهواه شعفاً، ولدينه مسوّفاً.

قال: أيّ الرّجال أكملهم في الصّلاح؟

قال: أكملهم في العقل، وأبصرهم بعواقب الأمور، وأعلمهم بخصومه، وأشدّهم منه احتراساً.

قال: أخبرني ماتلك العاقبة، وما أولئك الخصماء الّذين يعرفهم العاقل ويحترس منهم؟

قال: العاقبة الآخرة، والفناء الدّنيا.

قال: فما الخصماء؟

قال: الحرص، والغضب، والحسد، والحميّة، والشّهوة، والرّياء، واللّجاجة.

قال: أيّ هؤلاء الّذين عددت أقوىٰ وأجدر أن لا يُسلَم منه؟

قال: الحرص أقلّ رضىً وأفحش غضباً، والغضب أجور سلطاناً وأقلّ شكراً، وأكسب للبغضاء، والحسد أسوأ للنّيّة وأخلف للظّنّ، والحميّة أشدّ لجاجة وأفظع معصية، والحقد أطول توقّداً وأقلّ رحمة وأشدّ سطوة، والرّياء أشدّ خديعة وأخفىٰ اكتتاماً وأكذب، واللّجاجة أعيا خصومة وأقطع معذرة.

قال: ايّ مكائد الشّيطان للنّاس في هلاكهم أبلغ؟

قال: تعميته عليهم البرّ والإثم والثّواب والعقاب وعواقب الأمور في ارتكاب الشّهوات.

قال: أخبرني بالقوّة الّتي قوّىٰ الله - عزّ وجلّ - بها العباد علىٰ مغالب تلك الأُمور السّيّئة، والأهواء المردية.

قال: العلم والعقل والعمل بهما، وصبر النّفس عن[٢٠٥] شهواتها، والرّجاء للثّواب في الدّين، وكثرة الذّكر لفناء الدّنيا وقرب الأجل، والإحتفاظ من أن ينقض مايبقىٰ بما يفنىٰ، واعتبار مامضىٰ من الأُمور بعاقبتها، والإحتفاظ بما لا يُعرَف إلّا عند ذوي العقول، وكفّ النّفس عن العادة السّيّئة، وحملها علىٰ العادة الحسنة والخلق المحمود. فإن يكن أمل المرء بقدر عيشه، فإنّ ذلك هو القنوع وعمل الصّبر والرّضا بالكفاف، واللّزوم للقضاء، والمعرفة بما فيه الشّدّة من التّعب، ومافي الإفراط من الإقتراف وحسن العزاء عمّا فات، وطيب النّفس عنه، وترك معالجة ما لا يتمّ، والصّبر بالأُمور الّتي إليها يرد، واختيار سبيل الرّشد علىٰ سبيل الغيّ، وتوطين النّفس علىٰ أنّه إن عمل خيراً جُزي به، وإن عمل سوءاً جُزِي به، والمعرفة بالحقوق والحدود في التّقوىٰ، وعمل النّصيحة، وكفّ النّفس

---

(٢٠٥) «ح»: على.

عن اتّباع الهوىٰ، وركوب الشّهوات، وحمل الأُمور علىٰ الرّأي، والأخذ بالحزم والقوّة، فإن أتاه البلاء أتاه وهو معذور غير ملوم.

قال ابن الملك: أيّ الأخلاق أكرم وأعزّ؟

قال: التّواضع، ولين الكلمة للإخوان في الله ـ عزّ وجلّ ـ .

قال: أيّ العبادة أحسن؟

قال: الوقار والتّؤدة(٢٠٦).

قال: أخبرني أيّ الشِّيَم أفضل؟

قال: حبّ الصّالحين.

قال: أيّ الذّكر أفضل؟

قال: ما كان [في](٢٠٧) الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

قال: فأيّ الخصوم ألدّ؟

قال: ارتكاب الذّنوب.

قال ابن الملك: أيّ الفضل أفضل؟

قال: الرّضا بالكفاف.

قال: أخبرني أيّ الأدب أحسن؟

قال: أدب الدّين.

قال: فأيّ شيء أجفا؟

قال: السّلطان العاتي، والقلب القاسي.

قال: أيّ شيء أبعد غاية؟

---

(٢٠٦) في المصدر: والمودّة.

(٢٠٧) أضفناه من المصدر.

قال: عين الحريص الّتي لا تشبع من الدّنيا.

قال: أيّ الاُمور أخبث عاقبة؟

قال: التماس رضىٰ النّاس في سخط الرّب ـ عزّ وجلّ ـ .

قال: أيّ شيء أسرع تقلّباً؟

قال: قلوب الملوك الّذين يعملون للدّنيا.

قال: فأخبرني أيّ الفجور أفحش؟

قال: إعطاء عهد الله ـ تعالىٰ ـ والغدر فيه.

قال: فأيّ شيء أسرع انقطاعاً؟

قال: مودّة الفاسق.

قال: فأيّ شيء أخون؟

قال: لسان الكاذب.

قال: فأيّ شيء أشدّ اكتتاماً؟

قال: شرّ المرائي المخادع به.

قال: فأيّ الأشياء أشبه بالدّنيا؟

قال: أحلام النّيام.

قال: أيّ الرّجال أفضل رضىً؟

قال: أحسنهم ظنّاً بالله ـ عزّ وجلّ ـ وأتقاهم، وأقلّهم غفلة عن ذكر الله وذكر الموت وانقطاع المدّة.

قال: أيّ شيء من الدّنيا أقرّ للعين؟

قال: الولد الأديب، والزّوجة الموافقة المؤاتية المعينة علىٰ أمر الآخرة.

قال: أيّ الدّاء ألزم في الدّنيا؟

قال: الولد السّوء والزّوجة السّوء اللّذين لايجد منهما بدّاً.

قال: أيّ الخفض أخفض؟

قال: رضىٰ المرء بحظّه واستئناسه بالصّالحين.

ثمّ قال ابن الملك للحكيم: فرّغ إليّ ذهنك، فإنّي قد أردت مُساءلتك عن أهمّ الأشياء إليّ بعد إذ بصّرني الله ـ عزّ وجلّ ـ من أمر ما كنت به جاهلاً، ورزقني من الدّين ما كنت منه آيساً.

قال الحكيم: سَلْ عمّا بدا لك.

قال ابن الملك: أرأيت من أُوتي المُلك طفلاً ودينه عبادة الأصنام قدغُـذّي بلذّات الدّنيا فاعتادها، ونشأ فيها إلىٰ أن كان رجلاً وكهلاً لا ينتقل عن حالته تلك في جهالته بالله ـ تعالىٰ ذكره ـ وإعطائه نفسه شهواتها، متجرّداً لبلوغ الغاية فيما زُيّن له في تلك الشّبهات(٢٠٨)، مشتغلاً بها مؤثراً لها، حدباً عليها، لا يرىٰ الرّشد إلّا فيها ولا تزيده الأيّام إلّا حبّاً لها واغتراراً بها وعجباً وحبّاً لأهل ملّته ورأيه، وقد دعته بصيرته في ذلك إلىٰ أن جهل أمر آخرته واستخفّ بها، وسها عنها بقساوة قلب وخبث نيّة وسوء رأي، واشتدّت عداوته لمن خالفه من أهل الدّين، والاستخفاف بأهل الحقّ والمغيّبين لأشخاصهم انتظاراً للفرج من ظلمه وعداوته، هل يطمع له إن طال به عمر في النّزوع عمّا هو عليه والخروج منه إلى ما الفضل فيه بيّن والحجّة واضحة والحظّ جزيل من لزوم ما أبصر من الدّين، فيأتي مايُرجىٰ له به مغفرة ماقد سلف من ذنبه، وحسن الثّواب في مآبه؟

قال الحكيم: قد عرفت هذه الصّفة. ومادعاك إلى هذه المسألة؟

قال ابن الملك: ماذاك بمستنكر لفضل ما أوتيت من الفهم، وخصصت به

---

(٢٠٨) في المصدر: الشّهوات.

من العلم.

قال الحكيم: أمّا صاحب الصّفة فالملك، والّذي دعاك إلىٰ العناية بما سألت عنه الاهتمام به من أمره والشّفقة عليه من عذاب ما أوعد الله من كان على مثل رأيه وطبعه وهواه، مع مايؤنّب من ثواب الله ـ تعالىٰ ذكره ـ في أداء حقّ ما أوجب الله عليك له، وأحسبك تريد بلوغ غاية العذر في التّلطّف لإنقاذه وإخراجه من عظيم الهول، ودائم البلاء الّذي لا انقطاع له من عذاب الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى السّلامة وراحة الأبد في ملكوت السّماء.

قال ابن الملك: لم تحرم حرفاً عمّا أردت. فأعلمني رأيك في ماعنيت به من أمر الملك وحاله الّتي أتخوّف أن يدركه الموت عليها فتصيبه الحسرة والنّدامة حتّى لا أُغني عنه شيئاً. واجعلني منه على يقين وفرج ما أنا به مغموم شديد الاهتمام به. فإنّي قليل الحيلة فيه.

قال الحكيم: أمّا رأينا فإنّا لا نبعد مخلوقاً من رحمة الله ـ عزّ وجلّ ـ ولا نأيس له منها ما كان فيه الرّوح وإن كان عاتياً ضالاً طاغياً لما قد وصف ربّنا ـ تبارك وتعالى ـ به نفسه من التّحنّن والرّأفة والرّحمة، ودلّ عليه من الإيمان، وما أمر به من الاستغفار والتّوبة؛ ففي هذا أفضل الطّمع لك في حاجتك ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ .

وزعموا أنّه كان في زمن ملك عظيم الصّوت في العلم رفيق سائس يحبّ العدل في أُمّته والإصلاح لرعيّته، عاش بذلك زماناً بخير حال، ثمّ هلك فجزعت عليه أُمّته، وكان بامرأة له حمل، فذكر المنجّمون والكهنة أنّه غلام وكان يدبّر ملكهم من كان يلي ذلك في زمان ملكهم، فاتّفق الأمر كما ذكره المنجّمون والكهنة، ووُلد من ذلك الحمل غلام، فأقاموا عند ميلاده سنة المعازف والملاهي

والأشربة والأطعمة، ثمّ إنّ أهل العلم منهم والفقه والرّبّانيّين قالوا لعامّتهم: إن كان هذا المولود إنّما هو هبة من الله ـ عزّ وجلّ ـ فقد جعلتم الشّكر لغيره، وإن كان هبة من غير الله ـ عزّ وجلّ ـ فقد أدّيتم الحقّ إلىٰ من أعطاكموه واجتهدتم في الشّكر لمن رزقكموه.

فقالت لهم العامّة: بل وهبه لنا الله ـ تعالىٰ ـ ولا امتنّ به علينا غيره.

قالت العلماء: فإن كان الله ـ عزّ وجلّ ـ هو الّذي وهبه لكم فقد أرضيتم غير الّذي أعطاكم، وأسخطتم الله الّذي وهبه لكم.

قالت لهم الرّعيّة: فأشيروا علينا أيّها الحكماء وبصّرونا أيّها العلماء فنتّبع قولكم، ونقبل نصيحتكم، ومُرونا بأمركم.

قالت العلماء: فإنّا نرى لكم أن تعدلوا عن اتّباع مرضاة الشّيطان بالمعازف والسّكر ولم نهب لكم شيئاً إلّا ابتغاء مرضاة الله ـ عزّ وجلّ ـ وشكره علىٰ ما أنعم به عليكم أضعاف شكركم للشّيطان، حتّىٰ يغفر لكم ما كان منكم.

قالت الرّعيّة: لا تحتمل أجسادنا كلّ الّذي قلتم وأمرتم به.

قالت العلماء: ياأُولي الجهل كيف أطعتم من لا حقّ له عليكم، وتعصون من له الحقّ الواجب عليكم، وكيف قويتم علىٰ ما لا ينبغي وتضعفون عمّا ينبغي؟

قالوا لهم: يا أئمّة الحكماء، عظمت فينا الشّهوات، وكثرت فينا اللّذّات، فقوينا بما عظم فينا علىٰ العظم من شكلها، وضعفت منّا النّيّات، فعجزنا عن حمل المثقلات، فارضوا منّا في الرّجوع عن ذلك يوماً بيوم، ولا تكلّفونا كلّ هذا الثّقل.

قالوا لهم: يامعشر السّفهاء ألستم أبناء الجهل وإخوان الضّلال حين خفّت

عليكم الشّهوات[٢٠٩] وثقلت عليكم السّعادة؟

قالوا لهم: أيّها السّادة الحكماء، والقادة العلماء، إنّا نستجير من تعنيفكم إيّانا بمغفرة الله ـ عزّ وجلّ ـ ونستتر من تعييركم لنا بعفوه، فلا تؤنّبونا ولا تعيّرونا بضعفنا، ولا تعينوا الجهالة[٢١٠] علينا، فإنّا إذا أطعنا الله مع عفوه وحلمه وتضعيفه الحسنات واجتهدنا في عبادته بلغنا حاجتنا وبلغ الله ـ عزّ وجلّ ـ بنا غايتنا ورحمنا كما خلقنا.

فلمّا قالوا ذلك أقرّت لهم علماؤهم ورضوا قولهم، فصلّوا وصاموا وتعبّدوا وعظّموا الصّدقات سنة كاملة، فلمّا انقضىٰ ذلك منهم قالت الكهنة: إنّ الّذي صنعت هذه الأُمّة علىٰ هذا المولود يخبر أنّ هذا الملك يكون فاجراً ويكون بارّاً، ويكون متجبّراً ويكون متواضعاً، ويكون مسيئاً ويكون محسناً.

وقال المنجّمون مثل ذلك. فقيل لهم: كيف قلتم هذا؟

قالت الكهنة: قلنا ذلك من قبل اللّهو والمعازف والباطل الّذي صنع عليه، وماصنع من ضدّه بعد ذلك.

وقال المنجّمون: قلنا ذلك من قبل استقامة الزّهرة والمشتري.

فنشأ الغلام بكبر لا تقدّر عظمته ولا توصف، ومرح لا ينعت، وعدوان لا يطاق، فعسف وجار وظلم في الحكم وغشم، وكان أحبّ النّاس إليه من وافقه علىٰ ذلك، وأبغض النّاس إليه من خالفه في شيء من ذلك، واغترّ بالشّباب والصّحّة والمقدرة والظّفر والنّصر، فامتلأ سروراً وإعجاباً بما كان فيه، ورأىٰ كلّ مايحبّ، وسمع كلّ ما اشتهىٰ، حتّىٰ بلغ اثنتين وثلاثين سنة. ثمّ جمع نساءاً من بنات[٢١١]

---

(٢٠٩) في المصدر: الشّقوة.

(٢١٠) «ر»: الجهّال.

(٢١١) «ب» «ح»: بيوت.

الملوك وصبياناً وجواريه المخدّرات، وخيله المطهّمة العناق، وألوان مراكبه الفاخرة، ووصفاءه وخدّامه الّذين يكونون في خدمته. فأمرهم أن يلبسوا أجيد ثيابهم الفاخرة، ويتزيّنوا بأحسن زينتهم. وأمر ببناء مجلس مقابل مطلع الشّمس صفائح أرضه الذّهب مفصّلاً بألوان الجواهر طوله مائة وعشرون ذراعاً وعرضه ستّون ذراعاً مزخرفاً سقفه وحيطانه. وأمر بضروب الأموال فأُخرجت من الخزائن ونُضّدت سماطين أمام مجلسه. وأمر جنوده وأصحابه وكتّابه وحجّابه وعظماء أهل بلاده وعلماءهم فحضروا في أحسن هيئتهم وأجمل حالهم. وتسلّح فرسانه وركبت خيولهم في عدّتهم. ثمّ وقفوا علىٰ مراكزهم ومراتبهم صفوفاً وكراديس. وإنّما أراد أن ينظر بزعمه إلىٰ منظر رفيع تسرّ به نفسه وتقرّ به عينه، ثمّ خرج فصعد إلىٰ مجلسه وأشرف علىٰ مملكته. فخرّوا له سجّداً. فقال لبعض غلمانه: قد نظرت من مملكتي إلىٰ منظر حسن. وبقي أن أنظر إلىٰ صورة وجهي.

فدعا بمرآة فنظر إلىٰ وجهه. فبينما هو يقلّب طرفه فيها إذ لاحت له شعرة بيضاء من لحيته كغراب أبيض بين غربان سود. فاشتدّ منها ذعره وفزعه وتغيّر في عينه حاله. وظهرت الكآبة والحزن في وجهه. وتولّىٰ السّرور عنه. ثمّ قال في نفسه: هذا خبر نعىٰ إليّ شبابي. وبيّن لي أنّ ملكي إلىٰ ذهاب وأُوذنت بالنّزول عن سرير ملكي.

ثمّ قال: هذا مقدّمة الموت. ورسول البلىٰ لم يحجبه عنّي حاجب. ولم يمنعه عنّي حارس. قد نعىٰ إليّ نفسي وآذنني بزوال ملكي. ما أسرع هذا في تبديل بهجتي، وذهاب سروري، وهدم قوّتي!؟

ثمّ نزل عن مجلسه حافياً وقد صعد إليه محمولاً. ثمّ جمع إليه جنوده وثقاته. فقال الملك: أيّها الملأ، ماذا صنعت فيكم منذ ملكتكم ووليت أُموركم؟

قالـوا له: أيّها الملك عظم بلاؤك عندنا وهذه أنفسنا في طاعتك مبذولة، فمرنا بأمرك.

قال: طرقني عدوّ مخف لم تمنعوني منه حتّىٰ نزل بي وكنتم عدّتي وثقاتي؟

قالوا: أيّها الملك اين هذا العدوّ أيُرىٰ أم لا يُرىٰ؟

قال: يرىٰ أثره ولا يرىٰ عينه.

قالوا: أيّها الملك هذه عدّتنا كما ترىٰ وعندنا شكر(٢١٢) وفينا ذوو الحجىٰ والنّهىٰ، فأرناه نكفك مامثله يكفىٰ؟

قال: قد عظم اغتراري بكم، ووضعت الثّقة في غير موضعها حين اتّخذتكم وجعلتكم لنفسي جُنّة. وإنّما بذلت لكم الأموال ورفعت شرفكم وجعلتكم البطانة دون غيركم لتحفظوني من الأعداء وتحرسوني منهم. ثمّ أيّدتكم علىٰ ذلك بتشييد البلدان وتحصين المدائن والثّقة من السّلاح، وفرّغتكم للنجدة والاحتفاظ، ولم يكن في حسابي أن أراع معكم ولا أتخوّف المنون علىٰ شبابي وأنتم عكوف مطيفون، فطُرِقت وأنتم حولي، وأُتيت وأنتم معي، فلئن كان هذا ضعف منكم فما أخذت من أمري بثقة، وإن كانت غفلة منكم فما أنتم بأهل النّصيحة، ولا عليّ بأهل الشّفقة.

قالوا: أيّها الملك أمّا شيء نطيق دفعه بالخيل والقوّة فليس بواصل إليك إن شاء الله تعالىٰ ونحن أحياء، وأمّا ما لا يُرىٰ فقد غُيّب عنّا علمه وعجزت قوّتنا عنه.

قال الملك: أليس اتّخذتكم لمتنعوني من عدوّي؟

قالوا: بلىٰ.

---

(٢١٢) في المصدر: سكن.

قال: فمن أيّ عدوّ تمنعوني[٢١٣]، من الّذي يضرّني، أو من الّذي لا يضرّني؟

قالوا: من الّذي يضرّك.

قال: فمن كلّ ضارّ لي أو من بعضهم؟

قالوا: من كلّ ضار.

قال: فإنّ رسول البلىٰ أتاني فنعىٰ إليَّ نفسي وملكي وزعم أنّه يريد خراب ماعمّرت، وهدم مابنيت، وتفريق ماجمعت، وفساد ما أصلحت، وتبذير ما أحرزت، وتبديل ماعملت، وتوهين ماوثقت، وزعم أنّه معه الشّماتة من الأعداء، وأنّه يريد أن يعطيهم منّي شفاء صدورهم. وذكر أنّه سيهزم جيشي، ويوحش أُنسي، ويذهب عزّي، ويوتم ولدي، ويفرّق جموعي، ويفجع بي إخواني وأهلي وقرابتي، ويقطّع أوصالي، ويسكن مساكني أعدائي.

قالوا: أيّها الملك إنّما نمنعك من النّاس والسّباع والهوامّ ودوابّ الأرض، فأمّا البلىٰ فلا طاقة لنا به ولا قوّة لنا عليه ولا امتناع لنا منه.

فقال: فهل من حيلة في دفع ذلك عنّي؟

قالوا: لا.

قال: فأمر[٢١٤] دون ذلك تطيقونه؟

قالوا: وما هو.

قال: الأوجاع والأحزان والهموم.

قالوا: أيّها الملك إنّما قدّر هذه الأشياء قويّ لطيف، وذلك يؤثّر[٢١٥] من

---

(٢١٣) «ر» والمصدر: تحفظوني.

(٢١٤) «ر» والمصدر: فشيء.

(٢١٥) في المصدر: يثور.

الجسد والنّفس، وهو يصل إليك إذا لم يوصل، ولا يحجب عنك، وإن حجب لم يحتجب.

قال: فأمر دون ذلك؟

قالوا: وما هو؟

قال: ماقد سبق من القضاء.

قالوا: أيّها الملك ومن ذا غالب القضاء فلم يغلب، ومن ذا كابره فلم يقهر.

قال: فماذا عندكم؟

قالوا: مانقدر علىٰ دفع القضاء وقد أصبت التّوفيق والتّسديد، فماذا الّذي تريد؟

قال: أريد أصحاباً يدوم عهدهم ويفوا لي وتبقىٰ لي إخوتهم، ولا يحجبهم عنّي الموت، ولا يمنعهم البلىٰ عن صحبتي، ولا يشتمل بهم الامتناع عن صحبتي، ولا يفردوني إن متّ، ولا يسلموني إن عشت، ويدفعون عنّي ماعجزتم عنه من أمر الموت.

قالوا: أيّها الملك ومن هؤلاء الّذين وصفت؟

قال: هم الّذين أفسدتهم بإستصلاحكم.

قالوا: أيّها الملك فلا تصطنع عندنا وعندهم معروفاً، فإنّ أخلاقك تامّة، ورأفتك عظيمة.

قال: إنّ في صحبتكم السّمّ القاتل والصّمم والعمىٰ في طاعتكم والبكم في موافقتكم.

قالوا: كيف ذاك أيّها الملك؟

قال: صارت صحبتكم إيّاي في الاستكثار، وموافقتكم علىٰ الجمع، وطاعتكم

إيّاي في الاعتقاد[٢١٦] فبطّأتموني عن المعتاد[٢١٧] وزيّنتم لي الدّينا. ولو نصحتموني ذكّرتموني الموت. ولو أشفقتم عليّ ذكّرتموني البلىٰ وجمعتم لي مايبقىٰ ولم تستكثروا ممّا يفنىٰ. فإنّ تلك المنفعة الّتي آدّعيتموها ضرر، وتلك المودّة عداوة، وقد رددتها عليكم لا حاجة لي فيها منكم.

قالوا: أيّها الملك الحكيم المحمود قد فهمنا مقالتك، وفي أنفسنا إجابتك، وليس لنا أن نحتجّ عليك، فقد رأينا مكان الحجّة، فسكوتنا عن حجّتنا فساد لملكنا، وهلاك لدنيانا، وشماتة لعدوّنا، وقد نزل بنا أمر عظيم بالّذي تبدّل من رأيك وأجمع عليه أمرك.

قال: قولوا آمنين وآذكروا مابدا لكم غير مرعوبين. فإنّي كنت إلىٰ اليوم مغلوباً بالحميّة والأنفة، وأنا اليوم غالب لهما، وكنت إلىٰ اليوم مقهوراً لهما وأنا اليوم قاهرهما، وكنت إلىٰ اليوم ملكاً عليكم [فقد صرت عليكم][٢١٨] مملوكاً وأنا اليوم عتيق وأنتم من مملكتي طلقاء.

قالوا: أيّها الملك ما الّذي كنت به مملوكاً إذ كنت علينا ملكاً؟

قال: كنت مملوكاً لهواي مقهوراً بالجهل مُستعبَداً لشهواتي. فقد قطعت تلك الطّاعة عنّي ونبذتها خلف ظهري.

قالوا: فقل ما أجمعت عليه أيّها الملك.

قال: علىٰ القنوع والتّخلّي لآخرتي وترك هذا الغرور. ونبذ هذا الثّقل عن ظهري، والاستعداد للموت، والتّأهّب للبلىٰ. فإنّ رسوله عندي قد ذكر أنّه قد أُمر بملازمتي والإقامة معي حتّىٰ يأتيني الموت.

---

(٢١٦) في المصدر: الاغتفال.

(٢١٧) في المصدر: المعاد.

(٢١٨) أضفناه من المصدر.

قالوا: أيّها الملك ومن هذا الرّسول الّذي قد أتاك ولم نره وهو مقدّمة الموت الّذي لا نعرفه؟

قال: أمّا الرّسول فهذا البياض الّذي يلوح بين السّواد وقد صاح في جميعه بالزّوال فأجابوا له وأذعنوا. وأمّا مقدّمة الموت فالبلىٰ الّذي هذا البياض طرقه.

قالوا: أيّها الملك فلِمَ تدع مملكتك وتهمل رعيّتك، وكيف لا تخاف الإثم في تعطيل أُمّتك؟ ألست تعلم أنّ أعظم الأجر في استصلاح النّاس وأنّ رأس الصّلاح الطّاعة للأمّة والجماعة!؟ فكيف لا تخاف من الإثم وفي هلاك العامّة من الإثم فوق الّذي ترجو من الأجر في صلاح الخاصّة!؟ ألست تعلم أنّ أصل[(٢١٩)] العبادة العمل وأنّ أشدّ العمل السّياسة؟ فإنّك أيّها الملك عدل علىٰ رعيّتك، مستصلح لها بتدبيرك، وإنّ لك من الأجر بقدر ما استصلحت. أيّها الملك إذا خلّيت مافي يديك من صلاح أُمّتك فقد أردت فسادهم، وإذا أردت فسادهم فقد حملت من الإثم فيهم أعظم ممّا أنت مصيب من الأجر في خاصّة يديك. ألست أيّها الملك قد علمت أنّ العلماء قالوا: «من أتلف نفساً فقد استوجب لنفسه الفساد، ومن أصلحها فقد استوجب لبدنه الصّلاح»؟ وأيّ فساد أعظم من رفض هذه الرّعيّة الّتي أنت إمامها، والإقامة في هذه الأُمّة الّتي أنت نظامها؟! حاشا لك أيّها الملك أن تخلع عنك لباس الملك الّذي هو الوسيلة إلىٰ شرف الدّنيا والآخرة!

قال: قد فهمت الّذي ذكرتم، وعقلت الّذي وصفتم، فإن كنت إنّما أطلب الملك عليكم للعدل فيكم والأجر من الله تعالىٰ ذكره في استصلاحكم بغير أعوان يرفدونني ووزراء يكفونني فما عسيت أن أبلغ بالوحدة فيكم، ألستم جميعاً

---

(٢١٩) كذا في «ر». وفي سائر النسخ: أفضل.

نزعاء إلىٰ الدّنيا وشهواتها ولذّاتها، ولا آمن أن أخلد إلىٰ الحال الّتي أرجو أن أدعها وأرفضها؟ فإن فعلت ذلك أتاني الموت علىٰ غرّة؛ فأنزلني عن سرير ملكي إلىٰ بطن الأرض، وكساني التّراب بعد الدّيباج والمنسوج بالذّهب ونفيس الجوهر، وضمّني إلىٰ الضّيق بعد السّعة، وألبسني الهوان بعد الكرامة، فأصير فريداً بنفسي ليس معي أحد منكم، قد أخرجتموني من العمران، وأسلمتموني إلىٰ الخراب، وخلّيتم بين لحمي وبين سباع [الطّير، وحشرات](٢٢٠) الأرض، فأكلت منّي النّملة فما فوقها من الهوام، وصار جسدي دوداً وجيفة قذرة؛ الذّلّ لي حليف، والعزّ منّي غريب، أشدّكم حبّاً إليّ أسرعكم إلىٰ دفني والتّخلية بيني وبين ماقدّمت من عملي، وأسلفت من ذنوبي، فيورثني ذلك الحسرة، ويعقبني النّدامة، وقد كنتم وعدتموني أن تمنعوني من عدوّي الضّارّ، فإذا أنتم لا منع عندكم ولا قوّة علىٰ ذلك لكم ولا سبيل أيّها الملأ إنّي محتال لنفسي؛ إذ جئتم بالخداع ونصبتم لي شراك الغرور.

فقالوا: أيّها الملك المحمود لسنا الّذي كنّا، كما إنّك لست الّذي كنت، وقد أبدلنا الّذي أبدلك، وغيّرنا الّذي غيّرك؛ فلا تردّ علينا توبتنا وبذل نصيحتنا.

قال: أنا مقيم فيكم مافعلتم ذلك، ومفارقكم إذا خالفتموه.

فأقام ذلك الملك في ملكه، وأخذ جنوده بسيرته، واجتهدوا في العبادة، فخصبت بلادهم، وغلبوا عدوّهم، وازداد ملكهم حتّىٰ هلك ذلك الملك، وقد سار فيهم بهذه السّيرة اثنين وثلاثين سنة، فكان جميع ماعاش أربعاً وستّين سنة.

قال يوذاسف: قد سررت بهذا الحديث جدّاً فزدني من نحوه أزدد سروراً ولربّي شكراً.

---

(٢٢٠) أضفناه من المصدر.

قال الحكيم: زعموا أنّه كان ملكاً من الملكوك الصّالحين الّذين يخشو ن الله، وكان له جنود يعشقون الله تعالىٰ ويعبدونه، وكان في ملك أبيه شدّة من زمانهم والتّفرّق فيما بينهم وينقص العدوّ من بلادهم، وكان يحثّهم علىٰ تقوىٰ الله ـ عزّ وجلّ ـ وخشيته، والإستعانة به ومراقبته والفزع إليه. فلمّا ملك ذلك الملك قهر عدوّه، واستجمعت رعيّته، وصلحت بلاده، وانتظم له الملك. فلمّا رأىٰ مافضّله الله ـ عزّ وجلّ ـ به أترفه ذلك وأبطره وأطغاه حتّىٰ ترك عبادة الله ـ عزّ وجلّ ـ، وكفر نعماءه(٢٢١)، وأسرع في قتل عبدة الله، ودام ملكه وطالت مدّته(٢٢٢) حتّىٰ ذهل النّاس عمّا كانوا عليه من الحقّ قبل ملكه ونشوه، وأطاعوه فيما أمرهم به، وأسرعوا إلىٰ الضّلالة. فلم يزل علىٰ ذلك. فنشأ فيه الأولاد. وصار لا يعبد الله ـ عزّ وجلّ ـ فيهم ولا يذكر بينهم اسمه ولا يحسبون أنّ لهم إلهاً غير الملك، وكان ابن الملك قد عاهد الله ـ عزّ وجلّ ـ في حياة أبيه إن هو ملك يوماً أن يعمل بطاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ بأمرٍ لم يكن مَنْ قبله من الملوك يعملون به ولا يستطيعونه، فلمّا ملك أنساه المُلك رأيه الأوّل ونيّته الّتي كان عليها، وسكر سكر صاحب الخمر، فلم يكن يصحو ويفيق، وكان من أهل لطف الملك رجل صالح أفضل أصحابه منزلة عنده، فتوجّع له ممّا رأىٰ من ضلالته في دينه ونسيانه ماعاهد الله عليه، وكان متىٰ ما أراد أن يعظه ذكر عتوّه وجبروته، ولم يكن بقي من تلك الأُمّة غيره وغير رجل آخر في ناحية أرض الملك لا يعرف مكانه، ولا يدعىٰ باسمه.

فدخل ذات يوم علىٰ الملك بجمجمة قد لفّها في ثيابه. فلمّا جلس عن يمين الملك انتزعها من ثيابه فوضعها بين يديه، ثمّ وطئها برجله، فلم يزل يفركها بين

(٢٢١) «ر»: نعمته.

(٢٢٢) «ر»: أيّامه.

يدي الملك وعلىٰ بساطه حتّىٰ دنّس مجلس الملك بما تحاتّ من تلك الجمجمة. فلمّا رأىٰ الملك ماصنع غضب من ذلـك غضباً شديداً، وشخصت إليه أبصار جلسائه، واستعدّت الحرس بأسيافهم انتظاراً لأمره إيّاهم بقتله، والملك في ذلك مالك لغضبه ـ وقد كانت الملوك في ذلك الزّمان علىٰ جبروتهم وكفرهم ذوي أناة وتؤدة؛ استصلاحاً للرّعيّة، وحرصاً علىٰ عمارة أرضهم، ليكون ذلك أعزّ للجانب، وأدّىٰ للخراج ـ فلم يزل الملك ساكتاً علىٰ ذلك حتّىٰ قام من عنده، فلفّ تلك الجمجمة في ثوبه، ثمّ فعل ذلك في اليوم الثّاني والثّالث، فلمّا رأىٰ أنّ الملك لا يسـألـه عن تلك الجمجمـة، ولا يستنطقه في شيء من شأنها أدخل مع تلك الجمجمة ميزاناً وقليلاً من تراب، فلمّا صنع بالجمجمة ما كان يصنع أخذ الميزان وجعل في أحد كفّتيه درهماً، وفي الأخرىٰ بوزنه تراباً، ثمّ جعل ذلك التّراب في عين تلك الجمجمة، ثمّ أخذ حفنة من التّراب فجعلها في موضع الفم من تلك الجمجمة، فلمّا رأىٰ الملك ماصنع قلّ صبره وبلغ مجهوده، فقال لذلك الرّجل: قد علمت أنّـك إنّـما اجترأت علىٰ ماصنعت لمكانك منّي، وإدلالك عليّ، وفضل منزلتك عندي، ولعلّك تريد بما صنعت أمراً.

فخرّ الرّجل للملك ساجداً، وقبّل قدميه، وقال: أيّها الملك أقبل عليَّ بعقلك كلّه، فإنّ مَثَل الكلمة كمثل السّهم إذا رُمي به في أرض ليّنة ثبت فيها، وإذا رُمي به في الصّفا نبا عنه[٢٢٣]، ومثل الكلمة كمثل المطر إذا أصاب أرضاً طيّبة مزروعة نبت فيهـا، وإذا أصـاب السّباخ لم ينبت، وإنّ أهواء النّاس متفرّقة، والعقل والهـوىٰ يصطرعان في القلب، فإن غلب الهوىٰ العقل عمل الرّجل بالطيش والسّفه، وإن كان الهوىٰ هو المغلوب لم يوجد في أمر الرّجل سقطة، فإنّي لم أزل

(٢٢٣) «ر» والمصدر: «لم يثبت» بدل «نبا عنه».

مُذ كنت غلاماً أُحبّ العلم وأرغب فيه وأُوثره علىٰ الأمور كلّها. فلم أدّع علماً إلّا بلغت منه أفضل مبلغ. فبينا أنا ذات يوم أطوف بين القبور إذ قد أبصرت بهذه الجمجمة بارزة من قبور الملوك. فغاضني موقعها وفراقها جسدها غضباً للملوك، فضممتها إليّ وحملتها إلىٰ منزلي، فألبستها الدّيباج، ونضحتها بماء الورد، ووضعتها علىٰ الفرش، وقلت: «إن كانت من جماجم الملوك فسيؤثّر فيها إكرامي إيّاها وترجع إلىٰ جمالها وبهائها، وإن كانت من جماجم المساكين فإنّ الكرامة لا تزيدها شيئاً».

ففعلت ذلك بها أيّاماً فلم أستنكر من هيئتها شيئاً. فلمّا رأيت ذلك دعوت عبداً هو أهون عبيدي عندي فأهانها، فإذا هي علىٰ حالة واحدة عند الإهانة والإكرام. فلمّا رأيت ذلك أتيت الحكماء فسألتهم عنها فلم أجد عندهم علماً بها. ثم علمت أن الملك منتهىٰ العلم، ومأوىٰ الحلم، فأتيتك خائفاً علىٰ نفسي ولم يكن لي أن أسألك عن شيء حتّىٰ تبدأني به. وأُحبّ أن تخبرني أيّها الملك أجمجمة ملك هي أم جمجمة مسكين؟ فإنّه لمّا أعياني أمرها تفكّرت في عينها الّتي كانت لا يملؤها شيء حتّىٰ لو قدرت علىٰ مادون السّماء من شيء تطلّعت إلىٰ أن تتناول مافوق السّماء. فذهبت أنظر ماالّذي يسدّها ويملؤها فإذا وزن درهم من تراب قد سدّها وملأها، ونظرت إلىٰ فيها الّذي لم يكن يملؤه شيء فملأته قبضة من تراب. فإن أخبرتني أيّها الملك أنّها جمجمة مسكين احتججت عليك بأنّي وجدتها وسط قبور الملوك، ثمّ اجمع جماجم ملوك وجماجم مساكين فإن كان لجماجمكم عليها فضل فهو كما قلت، وإن أخبرتني أنّها من جماجم الملوك أنبأتك أنّ ذلك الملك الّذي كانت هذه جمجمته قد كان من بهاء الملك وجماله وعزّته في مثل ما أنت فيه اليوم. فحاشاك أيّها الملك أن تصير إلىٰ حال هذه الجمجمة

فتوطَأ بالأقدام، وتُخلَط بالتّراب، ويأكلك الدّود، وتصبح بعد الكثرة قليلاً، وبعد العزّة ذليلاً، وتسعك[٢٢٤] حفرة طولها أدنىٰ من أربعة أذرع، ويورث ملكك، وينقطع ذكرك[٢٢٥]، وتفسد ضياعك، ويهان من أكرمت، ويكرم من أهنت، ويستبشر أعداؤك، ويذلّ أعوانك، ويحول التّراب دونك، فإن دعوناك لم تسمع، وإن أكرمناك لم تقبل، وإن أهنّاك لم تغضب، فيصير بنوك يتامىٰ، ونساؤك أيامىٰ، وأهلك يوشك أن يستبدلن أزواجاً غيرك.

فلمّا سمع الملك ذلك فزع قلبه، وانسكبت عيناه يبكي ويعول ويدعو بالويل. فلمّا رأىٰ الرّجل ذلك علم أنّ قوله قد استمكن من قلب الملك، وقوله قد أنجع فيه، زاده ذلك جرأة عليه وتكريراً لما قال، فقال له الملك: جزاك الله عنّي خيراً، وجزىٰ من حولي من العظماء شرّاً. لَعَمْرِي لقد علمتُ ما أردتَ بمقالتك هذه، وقد أبصرت أمري.

فسمع النّاس مقالته، وشاع خبره. فتوجّه أهل الفضل نحوه، وختم له بخير، وبقي إلىٰ أن فارق الدّنيا.

قال ابن الملك: زدني من هذا المثل.

قال الحكيم: زعموا أنّه كان في أوّل الزّمان ملك وكان حريصاً علىٰ أن يولد له، وكان لا يدع شيئاً ممّا يعالج به النّاس أنفسهم إلاّ أتاه وصنعه. فلمّا طال ذلك من أمره حملت امرأة له من نسائه فولدت غلاماً. فلمّا نشأ وترعرع خطا ذات يوم خطوة فقال: معادكم تجفون.

ثمّ خطا أُخرىٰ فقال: تهرمون.

---

(٢٢٤) «ر»: وتسدّ بك.

(٢٢٥) «ر»: خبرك.

ثمّ خطا الثّالثة فقال: ثمّ تموتون. ثمّ عاد كهيئته يفعل كما يفعل الصّبي.

فدعا الملك العلماء والمنجّمين، فقال: أخبروني خبر ابني هذا!

فنظروا في شأنه وأمره فأعياهم أمره، فلم يكن عندهم فيه علم. فلمّا رأىٰ الملك أنّه ليس عندهم فيه علم دفعه إلىٰ المرضعات فأخذن في رضاعه، إلّا أنّ منجّماً قال: إنّه سيكون إماماً.

وجعل عليه حرّاساً لا يفارقونه، حتّىٰ إذا شبّ انسلّ يوماً من عند مرضعته والحرس فأتىٰ السّوق فإذا هو بجنازة، فقال: ماهذا؟

قالوا: إنسان مات.

قال: ما أماته؟

قالوا: كبر وفنيت أيّامه ودنا أجله فمات.

قال: وكان صحيحاً حيّاً يمشي ويأكل ويشرب؟

قالوا: نعم.

ثمّ مضىٰ فإذا هو برجل شيخ كبير، فقام ينظر إليه متعجّباً منه، فقال: ما هذا؟

قالوا: رجل شيخ كبير قد فنىٰ شبابه وكبر.

قال: وكان صغيراً ثمّ شاب؟

قالوا: نعم.

ثمّ مضىٰ فإذا هو برجل مريض مستلقىٰ علىٰ ظهره، فقام ينظر إليه ويتعجّب منه فسألهم ماهذا؟

قالوا: رجل مريض.

قال: وكان صحيحاً ثمّ مرض؟

قالوا: نعم.

قال: والله لئن كنتم صادقين فإنّ النّاس لمجانين.

فافتُقِد الغلام عند ذلك فطُلِب فإذا هو في السّوق، فأتوه فأخذوه وذهبوا به فأدخلوه البيت. فلمّا دخل استلقىٰ علىٰ قفاه ينظر إلىٰ خشب سقف البيت ويقول: كيف هذا؟

قالوا: كانت شجرة تنبت، ثمّ صارت خشباً، ثمّ قُطِع، ثمّ بُني به هذا البيت، ثمّ جعل هذا الخشب عليه.

فبينا هو في كلامه إذ أرسل الملك إلىٰ الموكّلين به: انظروا هل يتكلّم أو يقول شيئاً؟

قالوا: نعم قد وقع في كلام مانظنّه إلّا وسواساً.

فلمّا رأىٰ الملك ذلك وسمع جميع ما لفظ به الغلام، أحضر[٢٢٦] العلماء فسألهم، فلم يجد فيه عندهم علماً إلّا الرّجل الأوّل فأنكر قوله، فقال بعضهم: أيّها الملك لو زوّجته ذهب عنه الّذي ترىٰ وعقل وأبصر.

فبعث الملك في الأرض يلتمس له امرأة، فوُجِدت له امرأة من أحسن النّاس وأجملهم، فزوّجها منه. فلمّا أخذوا في وليمة عرسه أخذ اللّعّابون يلعبون والزّمّارون يزمّرون. فلمّا سمع الغلام جَلَبَتَهُمْ وأصواتهم قال: ماهذا؟

قالوا: هؤلاء لعّابون وزمّارون جُمِعوا لعرسك.

فسكت الغلام. فلمّا فرغوا من العرس وأمسوا دعا الملك امرأة ابنه فقال لها: إنّه لم يكن لي ولد غير هذا الغلام. فإذا دخلتِ عليه فألطفي به واقربي منه وتحنّني إليه.

---

(٢٢٦) «ر» والمصدر: دعا.

فلمّا أُدخلت المرأة عليه أخذت تدنو منه وتتقرّب إليه. فقال الغلام: علىٰ رسلك، فإنّ اللّيل طويل؛ بارك الله فيك واصبري حتّىٰ نأكل ونشرب.

فدعا بالطّعام فجعل يأكل. فلمّا فرغ جعلت المرأة تشرب. فلمّا أخذ الشّراب منها نامت.

فقام الغلام فخرج من البيت وانسلّ من الحرس والبوّابين حتّىٰ خرج وتردّد في المدينة. فلقيهَ غلام مثله من أهل مدينته فاتّبعه. وألقىٰ ابن الملك تلك الثّياب الّتي كانت عليه ولبس بعض ثياب الغلام وتنكّر جهده. وخرجا من المدينة فسارا ليلتهما حتّىٰ إذا قرب الصّبح خشيا من الطّلب فكمنا، وأُتيت الجارية عند الصّبح فوجدوها نائمة وسألوها أين زوجك؟

قالت: كان عندي السّاعة.

فطُلِب الغلام فلم يُقدَر عليه. فلمّا أمسىٰ الغلام وصاحبه سارا ثمّ جعلا يسيران اللّيل ويكمنان النّهار، حتّىٰ خرجا من سلطان أبيه ووقعا في سلطان ملك آخر. ولذلك السّلطان ابنة قد جعل لها أن لا يزوّجها أحداً إلّا من هويته ورضيته. وبنا لها غرفة عالية فهي فيها جالسة تنظر إلىٰ كلّ من أقبل وأدبر. [فبينما هي كذلك][٢٢٧] إذ نظرت إلىٰ الغلام يطوف وصاحبه معه في خلقانه، فأرسلت إلىٰ أبيها أنّي قد هويت رجلًا فإن كنت مزوّجي أحداً من النّاس فزوّجني منه.

ونزلت أُمّها مسرعة حتّىٰ دخلت علىٰ الملك ووصفته له. قال الملك: أرونيه.

فأروه إيّاه، فلمّا نظره أمر بإحضاره واستنطقه، وقال له: من أنت، ومن أين أنت؟

قال الغلام: وماسؤالك عنّي؟ أنا رجل من مساكين النّاس.

---

(٢٢٧) أضفناه من المصدر.

فقال: إنّك لغريب ومايشبه لونك ألوان أهل هذه المدينة؟

فقال الغلام: ما أنا بغريب.

فعالجه أن يصدقه قصّته، فأبىٰ. فأمر أُناساً أن يحرسوه وينظروا أين يأخذ ولا يعلم بهم.

ثمّ رجع الملك إلىٰ أهله فقال: رأيت رجلًا كأنّه ٱبن ملك وماله حاجة فيما تراودونه عليه.

فبعث الغد إليه فقيل له: إنّ الملك يدعوك؟

فقال الغلام: وما أنا والملك يدعوني ومالي إليه حاجة، ومايدري من أنا.

فانطلقوا به علىٰ كره منه حتّىٰ دخل علىٰ الملك. فأمر بكرسيّ فوضع له. فجلس عليه. ودعا امرأته وابنته وأجلسهما من وراء حجاب خلفه. فقال له الملك: دعوتك لخير؛ إنّ لي ابنة قد رغبت فيك أُريد أن أزوّجها منك. فإن كنت مسكيناً أغنيناك وشرّفناك وزوّجناك؟

قال الغلام: ما لي في ما تدعوني إليه حاجة، فإن شئت ضربت لك مثلًا أيّها الملك؟

قال: فافعل.

قال الغـلام: زعموا أنّ ملكاً من الملوك كان له ابن وكان لابنه أصدقاء صنعوا له طعاماً ودعوه إليه، فخرج معهم فأكلوا وشربوا حتّىٰ سكروا وناموا، فاستيقظ ابن الملك من وسط اللّيل فذكر أهله فخرج عامداً إلىٰ منزله ولم يوقظ أحداً منهم، فبينما هو في مسيره وقد بلغ الشّراب منه إذ بصر قبراً علىٰ الطّريق ظنّ أنّه رحله فدخله، فإذا هو بريح الموتىٰ فحسب ـ لما كان به من السّكر ـ أنّها رياح طيّبة، فإذا هو بجسد قد مات حديثاً وقد أُروح فحسبه أهله، فاعتنقه

وقبّله وجعل يعبث به عامّة ليله، فأفاق حين أفاق فنظر فإذا هو علىٰ جسد ميّت وريح منتنة قد دنّس ثيابه وجلده، ونظر إلىٰ القبر ومافيه من الموتىٰ، فخرج وبه من السّـوء مايختفي به عن النّاس أن ينظروا إليه متوجّهاً إلىٰ باب المدينة، فوجده مفتوحاً فدخلها حتّىٰ أتىٰ أهله، فرأىٰ أنّه قد أُنعم عليه حين لم يلقه(٢٢٨) أحد، فألقىٰ عنه ثيابه تلك واغتسل ولبس ثياباً أُخرىٰ وتطيّب. عمّرك الله أيّها الملك تراه راجعاً إلىٰ ما كان فيه وهو يستطيع؟

قال: لا.

قال: فإنّي أنا هو.

فالتفت الملك إلىٰ امرأته وابنته فقال: قد أخبرتكما أنّه ليس له فيما تدعونه إليه رغبة.

قالت أُمّها: لقد قصّرت في النّعت لابنتي والوصف لها أيّها الملك، ولكنّي خارجة إليه ومكلّمته.

قال الملك للغلام: إنّ امرأتي تريد أن تكلّمك وتخرج إليك ولم تخرج إلىٰ أحد قبلك.

قال: لتخرج إن أحبّت.

فخـرجت وجلست وقالت للغلام: تعال إلىٰ ماساق الله إليك من الرّزق والخير فأزوّجك ابنتي. فإنّك لو قد رأيتها وماقسم الله لها من الجمال والهيئة لاغتبطت.

فنظر الغلام إلىٰ الملك وقال: ألا أضرب لها مثلاً؟

فقال له: بلىٰ.

---

(٢٢٨) «ر»: يلحقه.

قال: إنّ سرّاقاً تواعدوا أن يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا. فنقبوا حائط الخزانة فدخلوها، فنظروا إلىٰ متاع لم يروا مثله قطّ وإذا هم بقلّة من ذهب مختومة بالـذّهب، فقالوا: «لا نجد شيئاً أفضل من هذه القلّة هي من ذهب مختومة بالذّهب. والّذي فيها أفضل من الّذي رأينا». فاحتملوها ومضوا بها لا يأمن عليها بعضهم بعضاً، ففتحوها فإذا فيها أفاعٍ، فوثبن في وجوههم فقتلتهم كلّهم.

عمّرك الله أيّها الملك أفترىٰ أحداً علم بما أصابهم وما لقوه يدخل يده في تلك القلّة وفيها الأفاعي؟

قال: لا.

قال: فإنّي أنا هو.

فقالت الجارية لأبيها: أتئذن لي فأخرج إليه بنفسي وأُكلّمه، فإنّه لو قد نظر إليّ وإلىٰ جمالي وحسني وهيئتي وماقسم الله ـ عزّ وجلّ ـ لي لم يتمالك أن يجيب.

فقال الملك للغلام: إنّ ابنتي تريد أن تخرج إليك ولم تخرج إلىٰ رجل قطّ.

فقال: لتخرج إن أحبّت.

فخرجت عليه [وهي][٢٢٩] أحسن النّاس وجهاً، فقالت للغلام: هل رأيت مثلي قطّ أتمّ وأجمل وأكمل وأحسن؟ وقد هويتك وأحببتك.

فنظر الغلام إلىٰ الملك وقال: ألا أضرب لها مثلاً؟

قال: بلىٰ.

قال الغلام: زعموا أنّ ملكاً كان له ابنان فأسـر أحدهما ملك آخر، فحبسه في بيت وأمر أن لا يمرّ عليه أحـد إلّا رماه بحجر، فمكث بذلك حيناً ثمّ أنّ أخاه

---

(٢٢٩) أضفناه من المصدر.

قال لأبيه: ائذن لي فأنطلق إلىٰ أخي [فأفديه][٢٣٠] وأحتال له. قال: فانطلق وخذ معك ماشئت من مال ومتاع ودوابّ. فاحتمل معه الزّاد وانطلق. فلمّا دنا من مدينة ذلك الملك أخبر الملك بقدومه، فأمر النّاس فخرجوا إليه وأمر له بمنزل خارج من المدينة فنزل ونشر متاعه، وأمر غلمانه أن يبيعوا النّاس ويساهلوا في بيعهم ويسامحوهم. ففعلوا ذلك. فلمّا رأىٰ النّاس قد شغلوا بالبيع انسلّ ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه، ثمّ أتىٰ السّجن وأخذ حصاة فرمىٰ بها لينظر مابقي من نفسه[٢٣١]، فصاح حين أصابته الحصاة وقال: «قتلتني»، ففزع الحرس عند ذلك وخرجوا إليه وسألوه لم صحت وما شأنك وما بدا لك وما رأيناك تكلّمت ونحن نعذّبك منذ حين ونضرب قدميك ويرميك كلّ من يمرّ بك بحجر، ورماك هذا الرّجل بحصاة فصحت منها؟ فقال: إنّ النّاس كانوا من أمري علىٰ جهالة، ورماني هذا علىٰ علم.

فانصرف أخوه راجعاً إلىٰ منزله ومتاعه، وقال للنّاس: «إذا كان غداً فائتوني أنشر عليكم بزّاً ومتاعاً لم تروا مثله قطّ». فانصرفوا يومئذ حتّىٰ إذا كان من الغد عادوا عليه بأجمعهم، فأمر بالبزّ فنُشِر، وأمر بمغنّيات وعمّالات كنّ قد صحبنه من كلّ صنف ممّا يلتهي به النّاس. فأخذوا في شأنهم. فاشتغل النّاس فأتىٰ أخاه فقطع عنه أغلاله. وقال: «إنّي مداويك». وأخرجه من المدينة وجعل علىٰ جراحاته دواءاً كان معه، حتّىٰ إذا وجد راحة أقامه علىٰ الطّريق.

ثمّ قال له: «انطلق فإنّك ستجد سفينة قد سيّرت لك في البحر». فانطلق سائراً فوقع في جبّ فيه تنّين وعلىٰ الجبّ شجرة نابتة. فنظر إلىٰ الشّجرة فإذا علىٰ رأسها اثنا عشر غولاً، وفي أسفلها اثنا عشر سيفاً وتلك السّيوف مسلولة.

---

(٢٣٠) أضفناه من المصدر.

(٢٣١) أي: من نفس أخيه.

فلم يزل يتحمّل ويتحيّل حتّىٰ أخذ بغصن من الشّجرة وتعلّق به وتخلّص، وسار حتّىٰ أتىٰ البحر فوجد سفينة قد أُعدّت له، فركب فيها حتّىٰ أتوا به أهله.

عمّرك الله أيّها الملك أتراه عائداً إلىٰ ما كان قد عاين ولقي؟

قال: لا.

قال: فإنّي أنا هو.

فأيسوا، فجاء رجل ممّن كان حاضراً إلىٰ الغلام فسارّه، وقال: اذكرني لها وانكحنيها؟

فقال للملك: إنّ هذا يقول: إنّي أُحبّ الملك أن ينكحني ابنته، أفلا أضرب له مثلًا؟

قال: بلىٰ.

قال: إنّ رجلًا كان في قوم فركبوا سفينة وساروا في البحر ليالي [وأيّاماً][٢٣٢]، فانكسرت سفينتهم بقرب جزيرة في البحر فيها الغيلان، فغرقوا كلّهم سواه، فألقاه البحر إلىٰ الجزيرة ـ وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة إلىٰ البحر ـ فأتىٰ غولة فهويته فنكحها، حتّىٰ إذا كان مع الصّبح قتلته وقسّمته بين صويحباتها. فاتّفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به. فبات معها وقد علم الرّجل ما لقي من كان قبله. فلمّا كان قبل الصّبح انسلّ الرّجل حتّىٰ أتىٰ السّاحل فإذا هو بسفينة. فنادىٰ أهلها فحملوه حتّىٰ أتوا به أهله. فلمّا أصبحت الغيلان أتوا الغولة الّتي باتت معه فقالوا لها: أين الرّجل؟

قالت: قد فرّ منّي.

فكذّبوها وقالوا: أكلته واستأثرت به، فلنقتلنّك أو تأتنا به.

---

(٢٣٢) أضفناه من المصدر.

فمرّت في الماء حتّىٰ أتته في منزله. فدخلت عليه في زيّ لم يعرفها وجلست عنده وقالت له: ما لقيت في سفرك هذا؟

قال: لقيت بلاءاً خلّصني الله منه ـ وقصّ عليها ذلك ـ.

فقالت: وقد تخلّصت؟

قال: نعم. فقالت: فإنّي أنا الغولة جئت لآخذك.

فقال لها: نشتدك بالله أن تهلكني، فإنّي أدلّك مكاني علىٰ رجل.

قالت: إنّي أرحمك.

فانطلقا حتّىٰ إذا دخلا علىٰ الملك قالت: اسمع منّا ـ أصلح الله الملك ـ أنّي تزوّجت هذا الرّجل وهو من أحبّ النّاس إليّ، ثمّ أنّه كرهني وكره صحبتي، فانظر في أمرنا.

فلمّا رآها الملك أعجبه حالها فخلا بالرّجل وسارّه وقال: إنّي قد أحببت أن تتركها فأتزوّجها؟

قال: نعم ماتصلح إلّا للملك.

فتزوّج بها الملك وبات معها، حتّىٰ إذا كان مع السّحر فرفعته من البحر وأدخلته الجزيرة فذبحته وقطّعته أعضاءاً وحملته إلىٰ صواحباتها. أفترىٰ أيّها الملك أحداً يعلم بهذا ثمّ ينطلق إليه؟

قال: لا.

فقال الخاطب للغلام: فإنّي لا أُفارقك ولا حاجة لي في ما أردت.

فخرجا من عند الملك يعبدان الله ـ عزّ وجلّ ـ ويسيحان في الأرض، فهدىٰ الله ـ عزّ وجلّ ـ بهما ناساً كثيراً، وبلغ شأن الغلام وارتفع ذكره في الآفاق فذكر والده، فقالوا: لو بعثت إليه فاستنقذته ممّا هو فيه.

فبعث إليه رسولاً فأتاه فقال: إنّ ابنك يقرئك السّلام ـ وقصّ عليه خبره وأمره ـ . فأتاه والده وأهله فاستنقذهم ممّا كانوا فيه.

ثمّ إنّ بلوهر رجع إلىٰ منزله واختلف إلىٰ يوذاسف أيّاماً حتّىٰ عرف أنّه قد فتح له الباب ودلّه علىٰ السّبيل. ثمّ تحوّل من تلك البلاد إلىٰ غيرها وبقي يوذاسف حزيناً مغتمّاً. فمكث بذلك حتّىٰ بلغ وقت خروجه إلىٰ النّسّاك لينادي بالحقّ ويدعو إليه أرسل الله ـ عزّ وجلّ ـ ملكاً من الملائكة. فلمّا رأىٰ منه خلوة ظهر له وقام بين يديه، ثمّ قال له: لك الخير والسّلامة أنت إنسان بين البهائم بين الظّالمين الفاسقين، أتيتك بالتّحيّة من الحقّ إله الخلق بعثني إليك لأُبشّرك وأذكر لك ماغاب عنك من أُمور دنياك وآخرتك فاقبل بشارتي ومشورتي ولا تغفل عن قولي؛ اخلع عنك الدّنيا، وانبذ عنك شهواتها، وازهد في الملك الزّائل والسّلطان الفاني الّذي لا يدوم، وعاقبته النّدم والحسرة، واطلب الملك الّذي لا يزول، والفرح الّذي لا ينقضي، والرّاحة الّتي لا تتغيّر، وكن صديقاً مقسطاً فإنّك تكون إمام النّاس تدعوهم إلىٰ الجنّة.

فلمّا سمع يوذاسف كلام الملك خرّ بين يدي الله ـ عزّ وجلّ ـ ساجداً، وقال: إنّي لأمر الله مطيع، وإلىٰ وصيّته منتبه، فمرني بأمرك فإنّي لك حامد ولمن بعثك إليّ شاكر، فإنّه رحمني ورَؤُف بي.

قال الملك: إنّي أرجع إليك بعد أيّام ثمّ أُخرجك فتهيّأ لذلك ولا تغفل عنه.

فوطّن يوذاسف نفسه علىٰ الخروج وجعل همّه كلّه فيه ولم يطلع علىٰ ذلك أحداً، حتّىٰ إذا جاء وقت خروجه أتاه الملك في جوف اللّيل والنّاس نيام، فقال: قم ولا تؤخّر ذلك.

فقام ولم يفش سرّه إلىٰ أحد من النّاس غير وزيره، فبينما هو يريد الرّكوب

إذ أتـاه رجـل شابّ جميل كان قد ملكهم وبـلادهم، فسجد له. وقال: أين تذهب[٢٣٣] ياابن الملك وقد أصابنا العسر أيّها المفلح[٢٣٤] الحكيم الكامل وتترك ملكك وبلادك، أقم عندنا فإنّا كنّا منذ ولدت في رخاء وكرامة لم ينزل بنا عاهة ولا مكروب.

فسكت يوذاسف وقال له: امكث أنت في بلادك وذكّر أهل ملكك، فأمّا أنا فأذهب حيث بُعِثت وأعمل ما أُمرت، فإن كنت أعنتني كان لك في عملي نصيب.

ثمّ أنّه ركب فسار ماقضىٰ له أن يسير. ثمّ أنه نزل عن فرسه ووزيره يقود فرسه ويبكي أشدّ البكـاء ويقـول ليوذاسف: بأيّ وجه أستقبل أبويك، وبما أُجيبهما عنك، وبأيّ عذاب وموت يقتلاني، وأنت كيف تطيق العسر والأذىٰ الّذي لم تتعوّده، وكيف لا تستوحش وأنت لم تكن وحدك يوماً قطّ، وجسدك كيف يتحمّل الجوع والظّمأ والتّقلّب علىٰ الأرض والتّراب؟

فسكّنه وعزّاه ووهب لفرسه المنطق. فجعل يقبّل قدميه ويقول: لا تدعني وراءك ياسيّدي واذهب بي معك فإنّه لا كرامة لي بعدك، وأنت إن تركتني ولم تُذهب بي معك خرجت إلىٰ الصّحراء ولم أدخل مسكناً فيه إنسان.

فسكّنه أيضاً وعزّاه، وقال: لا تجعل في نفسك إلّا خيراً، فإنّي باعث إلىٰ الملك وموصيه بك أن يكرمك ويحسـن إليك.

ثمّ نزع عنه لباس الملك ودفعه إلىٰ وزيره وقال له: البس ثيابي.

وأعطاه الياقوتة الّتي كان يجعلها في رأسه وقال له: انطلق [بها][٢٣٥] معك بفـرسي إلىٰ الملك، فإذا أتيتـه فاسجد له وأعطه هذه الياقوتة وأقرئه السّلام

---

(٢٣٣) «ر»: المذهب.

(٢٣٤) في المصدر: المصلح.

(٢٣٥) أضفناه من المصدر.

والإشـراف وقل لهم: إنّي لمّا نظرت في مابين الباقي والزّائل رغبت في الباقي وزهدت في الزّائل، ولمّا استبان لي [أصلي وحسبي وفصّلت بينهما وبين الأعداء والقـربـاء رفضت الأعـداء والقرباء وانقطعت إلىٰ](٢٣٦) أصلي وحسبي [فأمّا والـدي، فإنّه](٢٣٧) إذا أبصر الياقوتة طابت نفسه، وإذا أبصر كسوتي عليك ذكرني وذكر حبّي لك ومودّتي إيّاك، منعه ذلك أن يأتي إليك مكروهاً.

ثمّ رجع وزيره وتقدّم يوذاسف أمامه يمشي حتّىٰ بلغ فضاءاً واسعاً، فرفع رأسه فرأىٰ شجرة علىٰ عين ماء أحسن مايكون من الشّجر وأكبرها فرعاً وغصناً وأحلاها ثمراً، وقد اجتمع إليها من الطّير ما لا يعدّ كثرة، فسرّ بذلك المنظر وفرح به وتقدّم إليه حتّىٰ دنا منه، وجعل يعبّره في نفسه ويفسّره، فشبّه الشّجرة بالبشـرىٰ الّتي دُعي إليها، وعين الماء بالحكمة، والعلم والطّير بالنّاس الّذين يجتمعـون إليه ويقبلون منه الدّين. فبينما هو قائم إذ أتاه أربعة من الملائكة يمشون بين يديـه وهو يتّبع آثارهم، فرفعوه في جوّ السّماء وأُوتي من العلم والحكمة ماعرف به الأُولىٰ والوسطىٰ والأُخرىٰ والّذي هو كائن، ثمّ أنزلوه إلىٰ الأرض. فمكث في تلك البلاد حيناً حتّىٰ أتىٰ أرض سولابط، فلمّا بلغ إلىٰ والده قدومه خـرج يسير هو والأشراف فأكرموه ووقّروه، واجتمع إليه أهل بلده مع ذوي قرابته وحشمه، وقعدوا بين يديه وسلّموا عليه، وكلّمهم الكلام الكثير وقال لهم: اصغوا إليّ بأسماعكم، وفرّغوا إليّ قلوبكم لاستماع حكمة الله الّتي هي نور الأنفس، والعلم الّذي هو الدّليل علىٰ سبيل الرّشاد، وأيقظوا عقولكم وافهموا الفصل الّذي هو بين الحقّ والباطل والضّلال والهدىٰ. واعلموا أنّ هذا هو دين الحقّ الّذي أنزله الله ـ عزّ وجلّ ـ علىٰ الأنبياء والرّسل ـ صلوات الله عليهم ـ

(٢٣٦ و٢٣٧) اضفناه من المصدر.

فخصّنا الله به في هذا القرن برحمته ورأفته وفيه الخلاص من نار جهنّم، ألا إنّه لا ينال ملكوت السّماوات ولا يدخل الجنّة أحد إلّا بالإيمان وعمل الخير، فاجتهدوا فيه لتدركوا به الرّاحة الدّائمة، والحياة الطّيّبة الّتي لا تنقطع أبداً، ومن آمن منكم بالدّين فلا يكوننّ إيمانه طمعاً في الحياة، أو رجاء لملك الأرض، وطلب مواهب الدّنيا، وليكن إيمانكم بالدّين طمعاً في ملكوت السّماوات ورجاءاً للخلاص، وطلباً للنّجاة من الضّلالة وبلوغ الرّاحة والفرح في الآخرة، فإنّ تلك الأرض وسلطانها زائل ولذّاتها منقطعة، فمن اغترّ بها هلك وافتضح لو قد وقف علىٰ ديّان الدّين الّذي لا يدين إلّا بالحقّ، فإنّ الموت مقرون مع أجسادكم، وهو مترصّد أرواحكم أن يكبكبها مع الأجساد.

واعلموا أنّه كما أنّ الطّير لا يقدر علىٰ الحياة والنّجاة من الأعداء من اليوم إلىٰ غدٍ إلّا بقوّة من البصر والجناحين والرّجلين، فكذلك الإنسان لا يقدر علىٰ الحياة والنّجاة إلّا بالإيمان والعمل الصّالح وأفعال الخير الكاملة. ففكّر أيّها الملك أنت والأشراف في ماتسمعون، وافهموا واعتبروا واعبروا البحر مادامت السّفينة، واقطعوا المفازة مادام الدّليل والظّهر والزّاد، واسلكوا سبيلكم مادام المصباح، وأكثروا من كنوز البرّ مع النّسّاك، وشاركوهم في الخير والعمل الصّالح، وأصلحوا التّبع وكونوا لهم أعواناً، ومروهم بأعمالكم لينزلوا معكم ملكوت النّور، واقبلوا النّور واحتفظوا بفرائضكم، وإيّاكم أن تتوقوا إلىٰ أماني الدّنيا وشرب الخمور وشهوة النّساء من كلّ ذميمة قبيحة مهلكة للرّوح والجسد، واتّقوا الحميّة والغضب والعداوة والنّميمة، وما لم ترضوه أن يؤتىٰ إليكم فلا تأتوه إلىٰ أحد، وكونوا طاهري القلوب، صادقي النّيّات لتكونوا علىٰ المنهاج الحقّ إذا أتاكم الأجل.

ثمّ انتقل من أرض سولابط وسار في بلاد ومدائن كثيرة حتّىٰ أتىٰ أرضاً تسمّىٰ قشمير. فسار فيها وأحيا ميّتها ومكث فيها حتّىٰ أتاه الأجل الّذي خلع الجسد وارتفع إلىٰ النّور ودعا قبل موته تلميذاً له اسمه أيابذ الّذي كان يخدمه ويقوم عليه، وكان رجلاً كاملاً في الأمور كلّها، فأوصىٰ إليه وقال له: قد دنا ارتفاعي عن الدّنيا فاحتفظوا بفرائضكم، ولا تزيغوا عن الحقّ، وخذوا بالتّنسّك.

ثمّ أمر أيابذ أن يبني له مكاناً، ثمّ بسط هو رجليه وهيّأ رأسه إلىٰ المغرب ووجهه إلىٰ المشرق ثمّ قضىٰ.[٢٣٨]

وممّا نقلته من الكتاب المذكور في ذكر من شاهد القائم ـ عليه السّلام ـ

ماروراه الثّقاة عن إبراهيم بن مهزيار، قال: قدمت مدينة الرّسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فبحثت عن أخبار آل أبي محمّد الحسن بن عليّ الأخير ـ عليه السّلام ـ فلم أقع علىٰ شيء منها. فرحلت منها إلىٰ مكّة مستبحثا عن ذلك. فبينما[٢٣٩] أنا في الطّواف[٢٤٠] إذ تراءىٰ لي فتىٰ أسمر رائع الحسن، جميل المخيلة يطيل التّوسم فيَّ. فغدوت[٢٤١] إليه مؤمّلاً منه عرفان ماقصدت له، فلمّا اقتربت[٢٤٢] منه سلّمت فأحسن الإجابة. ثمّ قال لي: من أيّ البلاد أنت؟

---

(٢٣٨) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٧٧ ـ ٦٣٨. والخبر هذا تختلف ألفاظه عمّا هو في المصدر في كثير من الأحيان.

(٢٣٩) «ر»: فبينا.

(٢٤٠) «ر» زيادة: الأخير.

(٢٤١) «ب» «ح» «ر»: فعدلتُ، وفي المصدر: فعدتُ.

(٢٤٢) «ر» والمصدر: قربتُ.

قلت: رجل من أهل العراق.

قال: من أيّ العراق؟

قلت: من الأهواز.

قال: مرحباً بلقائك، هل تعرف بها جعفر بن حمدان الحصينيّ[٢٤٣]؟

قلت: دُعي فأجاب.

قال: رحمه الله، ما كان أطول ليله وأجزل نيله! فهل تعرف [إبراهيم][٢٤٤] ابن مهزيار؟

قلت: أنا إبراهيم بن مهزيار.

فعانقني ماشياً[٢٤٥]، ثمّ قال: مرحباً بك يا أبا إسحاق، مافعلت بالعلامة الّتي وشجت بينك وبين أبي محمّد ـ صلوات الله عليه ـ ؟

فقلت: لعلّك تريد الخاتم الّذي آثرني الله به من الطّيّب أبي محمّد الحسن ابن عليّ ـ صلوات الله عليه ـ ؟

فقال: ماأردت سواه.

فأخرجته إليه. فلمّا نظر إليه استعبر باكياً وقبّله، ثمّ قرأ كتابته، فكانت[٢٤٦]: يالله، يامحمّد، ياعليّ. ثمّ قال: بأبي يدٌ طالما جلت فيها [وتراً حاشاه][٢٤٧] فنون الأحاديث، إلىٰ أن قال لي: يا أبا إسحاق أخبرني عن عظيم ماتوخّيت بعد الحجّ؟

---

(٢٤٣) «ب» «ح» «ع» وبعض نسخ المصدر: الخصيبيّ.

(٢٤٤) أضفناه من المصدر.

(٢٤٥) في المصدر: مليّاً.

(٢٤٦) «ر»: وكانت.

(٢٤٧) في جميع نسخ المصدر: وتراخىٰ بنا، وفي نسخنا العبارة مختلفة، وفي كلّ الأحوال غير مفهومة لدينا.

قلت: وأبيك ماتوخّيت إلّا ماسأستعلمك مكنونه.

قال: سل عمّا شئت فإنّي سأشـرح لك إن شاء الله.

قلت: هل تعرف من أخبار آل أبي محمّد الحسن بن عليّ ـ صلوات الله عليه ـ شيئاً؟

قال: وأيم الله إنّي لأعرف الضّريحين محمّداً(٢٤٨) وموسىٰ ابني الحسن بن عليّ ـ صلوات الله عليهما ـ ثمّ إنّي لرسولهما إليك قاصداً لإتيانك(٢٤٩) أمرهما. فإن أحببت لقاءهما والإكتحال والتّبرّك بهما فارتحل معـي إلىٰ الطّائف، وليكن ذلك في خفية من رجالك واكتتام.

قال إبراهيم: فشخصت معه إلىٰ الطّائف أتخلّل رملة فرملة حتّىٰ أخذ في بعض مخارج الفلاة، فبدت لنا خيمة شعر قد أشرفت علىٰ أكمة رمل تتلألأ تلك البقاع منها نوراً، فبدرني إلىٰ الإذن ودخل مسلّماً عليهما وأعلمهما مكاني، فخرج عليَّ أحدهما وهو الأكبر سنّاً م ح م د بن الحسن ـ صلوات الله عليهما ـ وهو غلام أمرد، واضح السّنّ، أبلج الحاجب، مسنون الخدّ، أقنىٰ أسمر دَرِعُ(٢٥٠) كأنّه غصن بانٍ، وكأنّ صفحة غرّته كوكب درّيّ، بخدّه الأيمن خال كأنّه فُتاتة مسك علىٰ بياض الفضّة، وإذا برأسه وفرة سحماء سبطة تطالع شحمة أُذنه، له سمة مارأت العيون أقصد منه ولا أعرف حسناً، وسكينة وحياء.

فلمّا مثل لي أسرعت إلىٰ تلقّيه، فأكببت عليه ألثم كلّ جارحة منه، فقال لي: مرحباً بك يا أبا إسحاق، لقد كانت الأيّام تَعِدُني وشك لقائك، والمعاتب بيني وبينك ـ علىٰ تشاحط الدّار وتراخي المزار ـ تخيّل لي صورتك حتّىٰ كأنّا لم نخل

---

(٢٤٨) في المصدر: «الضّوء بجبين محمّد» بدل «الضريحين محمّداً».

(٢٤٩) في المصدر: لإنبائك.

(٢٥٠) الدَّرِعُ من العشب: الغضّ.

طرفة عين من طيب المحادثة، وخيال المشاهدة، وأنا أحمد الله وليّ الحمد علىٰ ماقيّض من التّلاقي، ثمّ سألني عن أحوالي متقدّمها ومتأخّرها.

فقلت: بأبي أنت وأُمّي، مازلت أفحص عن أمرك بلداً فبلداً منذ استأثر الله بسيّدي أبي محمّد ـ عليه السّلام ـ واستغلق عليّ ذلك حتّىٰ منّ الله عليَّ بمن أرشدني إليك، ودلّني عليك، والشّكر لله علىٰ ما أوزعني فيك من كريم اليد والطَّوْل.

ثمّ نسب نفسه وأخاه موسىٰ واعتزل بي ناحية، ثمّ قال: إنّ أبي ـ عليه السّلام ـ عهد إليّ ألّا أُوطئنّ من الأرض إلّا أخفاها، وأقصاها إسراراً لأمري، وتحصيناً لمحلّي من مكائد[٢٥١] أهل الضّلال والمردة من أحداث الأُمم الضّوالّ، فنبذني إلىٰ عالية الرّمال، وجبت صرائم الأرض ينظرني الغاية الّتي عندها يحلّ الأمر وينجلي الهلع.

وكان ـ صلوات الله عليه ـ أنبط لي من خزائن الحكم وكوامن العلوم ما أشعب إليك من ذلك جزءاً يغنيك عن الجملة.

اعلم يا أبا إسحاق أنّه قال ـ صلوات الله عليه ـ : يابنيّ إنّ الله ـ جلّ ثناؤه ـ لم يخلِ أطباق أرضه وأهل الجدّ في طاعته وعبادته بلا حجّة يستعلىٰ بها، وإمام يؤتمّ به، ويقتدىٰ بسبيل سنّته، ومنهاج قصده، وأرجو يابنيّ أن تكون أحد من أعدّه الله لنشر الحقّ، وطيّ[٢٥٢] الباطل، وإعلاء الدّين، وإطفاء الضّلال. فعليك يابنيّ بلزوم خوافي الأرض، وتتبّع أقاصيها، فإنّ لكلّ وليّ من أولياء الله ـ عزّ وجلّ ـ عدوّاً مقارعاً، وضدّاً منازعاً؛ افتراضاً لثواب مجاهدة أهل نفاقه، وخلافة أُولي الإلحاد والعناد، فلا يوحشك ذلك.

(٢٥١) «ب» «ح» «ع»: مكايدة.

(٢٥٢) في المصدر: ووطء.

واعلم أنّ قلوب أهل الطّاعة والإخلاص نُزَّع إليك مثل الطّير إذا أمّمت وكورها، وهم أُمّة معشر يطلعون بمخائل الذّلّة والاستكانة، وهم عند الله بررة أعزّاء، ويبرزون بأنفس مخيّلة محتاجة، وهم أهل القناعة والاعتصام؛ استنبطوا الدّين فوازروه علىٰ مجاهدة الأضداد، خصّهم الله ـ تعالىٰ ـ باحتمال الضّيم في الدّنيا ليشملهم باتّساع العزّ في دار القرار، وجبلهم علىٰ خلائق الصّبر لتكون لهم العاقبة الحسنىٰ وكرامة حسن العقبىٰ.

واقتبس يابنيّ نور الصّبر علىٰ أُمورك تدرك الصّنع في مصادرها. واستشعر العزّ فيما ينوبك تحظ بما تحمد عليه إن شاء الله، وكأنّك يابنيّ بنصر الله وقد آن، وتبشير الفلاح وعلوّ الكعب وقدحان، وكأنّك بالرّايات الصّفر والأعلام البيض تخفق علىٰ أثناء أعطافك مابين الحطيم وزمزم، وكأنّك بترادف البيعة وتصافي الولاء تناظم عليك تناظم الدّرّ في مثاني العقود، وتصافق الأكفّ علىٰ جنبات الحجر الأسود؛ تلوذ بفنائك من ملأٍ براهم الله من طهارة الولادة، ونفاسة التربة، مقدّسة قلوبهم من دنس النّفاق، مهذّبة أفئدتهم من رجس الشّقاق، ليّنة عرائكهم للدّين، خشنة ضرائبهم عن العدوان، واضحة بالقبول أوجههم، نضرة بالفضل عيدانهم، يدينون دين الحقّ وأهله، فإذا اشتدّت أركانهم، وتقوّمت أعمادهم، فدنت بمكانفتهم طبقات الأُمم إلىٰ بيعتك في خلال شجرة دوحة قد تشعّبت أفنان غصونها علىٰ حافّات بحيرة الطّبرية، فعندها يتلألأ صبح الحقّ، وينجلي ظلام الباطل، ويقصم الله بك الطّغيان، ويستعيد معالم الإيمان، يظهر بك أسَقام الآفاق، وسلام الرّفاق، يودّ الطّفل في المهد لو استطاع إليك نهوضاً، ونواشط الوحش لو تجد نحوك مجازاً، تهتزّ بك أطراف الدّنيا بهجة، وتبتزّ[٢٥٣]

---

(٢٥٣) في المصدر: وتُنشر.

أغصان العزّ نضرة، وتستقرّ بواقي الحقّ في قرارها، وتؤوب شوارد الدّين إلىٰ أوكارها، تتهاطل عليك سحائب الظّفر؛ فتخنق كلّ عدوّ، وتنصر كلّ وليّ، فلا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض جبّار قاسط، ولا جاحد غامط، ولا شانئ مبغض، ولا مضادّ[٢٥٤] كاشح ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾[٢٥٥].

ثمّ قال: يا أبا إسحاق، ليكن مجلسي هذا عندك مكتوماً إلّا عند أهل التّصديق والأُخوّة الصّادقة في الدّين، إذا بدت لك أمارات الظّهور والتّمكين فلا تبطئ بإخوانك عنّا، وبأهل المسارعة إلىٰ منار اليقين، وضياء مصابيح الدّين، تلق رشداً إن شاء الله.

قال إبراهيم بن مهزيار: فمكثت عنده حيناً أقتبس ما أُؤدّي إليهم من موضحات الأعلام، ونيّرات[٢٥٦] الأحكام، وأروّي نبات الصّدور من نضارة ذخر الله في طبائعه من لطائف الحكم، وطرائف فواضل القسم، حتّىٰ خفت إضاعة مخلّفي بالأهواز لتراخي اللّقاء عنهم، فاستأذنته في القفول، وأعلمته عظيم ما أصدرته عنه من التّوحّش لفرقته، والتّجرّع للظّعن عن محالّه. فأذن وأردفني من صالح دعائه مايكون ذخراً لي عند الله ولقرابتي وعقبي إن شاء الله.

فلمّا أزف ارتحالي، وتهيّأ اعتزام نفسي؛ غدوت عليه مودّعاً ومجدّداً للعهد، وعرضت عليه ما كان معي زائداً علىٰ خمسين ألف درهم، وسألته أن يتفضّل بالأمر بقبوله منّي، فابتسم وقال: يا أبا إسحاق، استعن به علىٰ منصرفك، فإنّ الشّقّة قذفة، وفلوات أمامك جمّة، ولا تحزن لإعراضنا عنه فإنّا قد أحدثنا لك

(٢٥٤) «ر»: مضارّ.

(٢٥٥) الطّلاق: ٣.

(٢٥٦) «ب» «ح» «ع»: وثمرات.

شكره ونشره، وربضناه عندنا في التّذكرة وقبول المنّة، فبارك الله لك فيما خوّلك، وأدام لك مانوّلك، وكتب لك أحسن ثواب المحسنين، وأكرم آثار الطّائعين، فإنّ الفضل منه، وأسأل الله [أن يردّك إلىٰ][٢٥٧] أصحابك بأوفر الحظّ من سلامة الأوبة، وأكنف الغبطة بلين الصّرف[٢٥٨]، ولا وعّث الله لك سبيلاً، ولا حيّر لك دليلاً، وأستودعه نفسك وديعة لا تضيع ولا تزول بمنّه ولطفه إن شاء الله.

يا أبا إسحاق، قنعنا بعوائد إحسانه، وفوائد امتنانه، وصيان[٢٥٩] أنفسنا عن معاونة الأولياء لنا إلّا عن الإخلاص في النّية، وإمحاض النّصيحة، والمحافظة علىٰ ماهو أنقىٰ وأتقىٰ وأرفع ذكراً.

قال: فانقلعت عنه حامداً لله ـ عزّ وجلّ ـ علىٰ ماهداني وأرشدني؛ عالماً بأنّ الله لم يكن ليعطّل أرضه ولا يخلّيها من حجّة واضحة، وإمام قائم، وألفت هذا الخبر المأثور والنّسب المشهور؛ توخّياً للزّيادة في بصائر أهل اليقين، وتعريفاً لهم مامنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ به من إنشاء الذّرّيّة الطّيّبة، والتّربة الزّكيّة، وقصدت أداء الأمانة والتّسليم لما استبان؛ ليضاعف الله ـ عزّ وجلّ ـ للملّة الهادية والطّبقة المرضيّة قوّة عزم، وتأييد نيّة، وشدّ أزر، واعتقاد عصمة، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم[٢٦٠].

وممّا نقلته من الكتاب المذكور أيضاً:

مارواه محمّد بن عليّ بن حاتم النّوفليّ المعروف بالكرمانيّ، قال:

---

(٢٥٧) أضفناه من المصدر.

(٢٥٨) في المصدر: المنصرف.

(٢٥٩) «ر» والمصدر: وصان.

(٢٦٠) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤٤٥، الحديث ١٩.

حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن عيسىٰ الوشّاء البغداديّ، قال: حدّثنا أحمد ابن طاهر القمّيّ، قال: حدّثنا محمّد بن بحر بن سهل الشّيبانيّ، قال: حدّثنا أحمد بن مسرور، عن سعد بن عبدالله القمّيّ، قال: كنت مُغْراً بجمع الكتب المشتملة علىٰ غوامض العلوم ودقائقها، كلفاً باستظهار مايصحّ من حقائقها، مُغْرَماً بحفظ مشتبهها ومستغلقها، شحيحاً علىٰ ما أظفر به من معاضلها ومشكلاتها، متعصّباً لمذهب الإماميّة، راغباً عن الأمن والسّلامة في انتظار التّنازع والتّخاصم والتّعدّي إلىٰ التّباغض والتّشاتم، معيباً للفرق ذوي الخلاف، كاشفاً عن مثالب أئمّتهم، هتّاكاً[٢٦١] لحجب قادتهم، إلىٰ أن بليت بأشدّ النّواصب منازعة، وأطولهم مخاصمة، وأكثرهم جدالاً، وأشنعهم سؤالاً، وأثبتهم علىٰ الباطل قدماً.

فقال ذات يوم وأنا أُناظره: تبّاً لك ياسعد ولأصحابك، إنّكم ـ معاشر الرّافضة ـ تقصدون[٢٦٢] علىٰ المهاجرين والأنصار بالطّعن عليهما، وتجحدون من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ولايتهما وإمامتهما؛ هذا الصّديق الّذي فاق جميع الصّحابة بشرف سابقته، أما علمتم أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ما أخرجه معه إلىٰ الغار إلاّ علماً منه بأنّ الخلافة له من بعده، وأنّه هو المقلّد أمر التّأويل، والملقىٰ إليه أزمّة الأُمّة وعليه المعوّل في شعب الصّدع، ولمّ الشّعث، وسدّ الخلل، وإقامة الحدود، وتسريب الجيوش لفتح بلاد الكفر؟ فكما أشفق علىٰ نبوّته أشفق علىٰ خلافته؛ إذ ليس من حكم الاستتار والتّواري أن يروم الهارب من السّوء مساعدة إلىٰ مكان يستخفي فيه، ولمّا رأينا النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ

(٢٦١) «ب» «ح» «ع»: هاتكاً.

(٢٦٢) في بعض النّسخ: تبالغون.

متوجّهاً إلىٰ الإنجحار ولم يكن الحال يوجب استدعاء المساعدة من أحدٍ، استبان لنا قصد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بأبي بكر إلىٰ الغار، للعلّة الّتي شرحناها، وإنّما أبات عليّاً ـ عليه السّلام ـ علىٰ الفراش لمّا لم يكن يكترث له ولم يحفل به، ولاستقباله إيّاه وعلمه بأنّه إن قُتِل لم يتعذّر عليه نصب غيره مكانه للخطوب الّتي كان يصلح لها.

قال سعد: فأوردت عليه أجوبة شتّىٰ. فمازال يقصد كلّ واحد منها بالنّقض والرّدّ عليّ.

ثمّ قال: ياسعد، دونكها أُخرىٰ بمثلها تحطم آناف الرّوافض. ألستم تزعمون أنّ الصّدّيق المبرّأ من دنس الشّكوك، والفاروق المحامي عن بيضة الإسلام كانا يسرّان النّفاق، واستدللتم بليلة العقبة؟ أخبرني عن الصّدّيق والفاروق أسلما طوعاً أو كرهاً؟

قال سعد: فاحتلت لدفع[٢٦٣] هذه المسألة عنّي خوفاً من الإلزام، وحذراً من أنّي متىٰ أقررت له تطوّعهما الإسلام احتجّ بأنّ بدء النّفاق ونشوءه في القلب لا يكون إلّا عند هبوب روائح القهر والغلبة، وإظهار البأس الشّديد في حمل المرء علىٰ من ليس ينقاد له قلبه نحو قول الله عزّ وجلّ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[٢٦٤] وإن قلت: أسلما كرهاً، كان يقصدني بالطّعن؛ إذ لم تكن ثَمَّ سيوف منتضاة وكانت تريهما البأس.

قال سعد: فصدرت عنه مزورّاً قد انتفخت أحشائي من الغضب، وتقطّع

---

(٢٦٣) «ر» «ع»: أرفع.

(٢٦٤) غافر: ٨٤ ـ ٨٥.

كبـدي من الكرب، وكنت قد اتّخذت طوماراً وأثبتّ فيه نيفاً وأربعين مسألة من صعاب المسائل لم أجد لها مُجيباً؛ علىٰ أن أسأل عنها خير[٢٦٥] أهل بلدي أحمد ابن إسحاق صاحب مولانا أبي محمّد ـ عليه السّلام ـ فارتحلت خلفه ـ وقد كان خـرج قاصداً نحو مولانا بسرّ من رأىٰ ـ فلحقته في بعض المناهل[٢٦٦]، فلمّا تصافحنا قال: لخير لحاقك بي؟

قلت: الشّوق، ثمّ العادة في الأسولة.

قال: قد تكافأنا علىٰ هذه الخطّة الواحدة، فقد برح بي القوم إلىٰ لقاء مولانا أبي محمّد ـ عليه السّلام ـ وأُريد أن أسأله عن معاضل في التّأويل ومشاكل من التّنزيل، فدونكها الصّحبة المباركة، فإنّها تقف بك علىٰ ضفة بحـر لا تنقضي عجائبه، ولا تفنىٰ غرائبه، وهو إمامنا.

فوردنـا سـرّ من رأىٰ. فانتهينـا منهـا إلىٰ باب سيّدنا ـ عليه السّلام ـ فاستأذنّا، فخرج الإذن بالدّخول عليه ـ وكان علىٰ عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطّاه بكساء طبريّ فيه ستّون ومائة صـرّة من الدّنانير والدّراهم، علىٰ كلّ صرّة منها ختم صاحبها ـ قال: فما شبّهت مولانا أبا محمّد ـ عليه السّلام ـ حين غشينا نور وجهه إلّا ببـدر قد استوفىٰ من لياليه أربعاً بعد عشـر، وعلىٰ فخـذه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والمنظر، علىٰ رأسـه فرق بيّن وفرع بيّن كأنّه ألفٌ بين وَاوَيْنِ، وبين يدي مولانا ـ عليه السّلام ـ رمّانة ذهبيّة تلمع بدائع نقوشها وسـط غرائب الفصوص المركّبة عليها، قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة، وبيده قلم إذا أراد أن يسطر به علىٰ البياض قبض الغـلام علىٰ أصـابعه فكان مولانا ـ عليه السّلام ـ يدحرج الرّمّانة بين يديه

---

(٢٦٥) في المصدر: خبير.

(٢٦٦) في المصدر: المنازل.

ويشغله بردّها كي لا يصدّه عن كتبة ما أراده، فسلّمنا عليه فألطف في الجواب وأومأ إلينا بالجلوس.

فلمّا فرغ من كتبة البياض الّذي كان بيده أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طيّ كسائه فوضعه بين يديه، فنظر الهادي ـ عليه السّلام ـ إلىٰ الغلام، وقال: يابنيّ، فضّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك؟

فقال: يامولاي أيجوز لي أن أمدّ يداً طاهرة إلىٰ هدايا نجسة وأموال رجسة قد شيب أحلّها بأحرمها؟

فقال مولانا ـ عليه السّلام ـ: ياابن إسحاق، استخرج مافي الجراب ليميّز مابين الأحلّ والأحرم منها.

فأوّل صرّة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام: هذه لفلان بن فلان، من محلّة كذا بقم؛ تشتمل علىٰ اثنين وستّين ديناراً، فيها من ثمن حجيرة باعها [صاحبها][٢٦٧] وكانت إرثاً له عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً، وفيها من أُجرة الحوانيت ثلاثة دنانير.

فقال مولانا ـ عليه السّلام ـ : صدقت يابنيّ، دلّ الرّجل علىٰ الحرام منها؟

فقال ـ عليه السّلام ـ : فتّش علىٰ دينار رازيّ السّكّة تأريخه سنة كذا، قد انطمس من إحدىٰ صفحتيه نقشه، وقراضة آمليّة وزنها ربع دينار، والعلّة في تحريمها أنّ صاحب هذه الجملة وزن في شهر كذا من سنة كذا علىٰ حائك من جيرانه من الغزل منّاً وربع [منٍّ][٢٦٨]، فأتت علىٰ ذلك مدّة، [وفي][٢٦٩] انتهائها قيّض لذلك الغزل سارق. فأخبر به الحائك صاحبه فكذّبه واستردّ منه [بدل][٢٧٠] ذلك منّاً ونصف [منٍّ][٢٧١] غزلاً أدقّ ممّا كان دفعه إليه. واتّخذ من

(٢٦٧) أضفناه من المصدر.

(٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١) أضفناه من المصدر.

ذلك ثوباً كان هذا الدّينار مع القراضة ثمنه.

فلمّا فتح رأس الصّرّة صادف رقعة في وسط الدّنانير باسم من أخبر عنه وبمقدارها علىٰ حسب ما قال، واستخرج الدّينار والقراضة بتلك العلامة.

ثمّ أخرج صرّة أخرىٰ فقال الغلام ـ عليه السّلام ـ : هذه لفلان بن فلان من محلّة كذا، تشتمل علىٰ خمسين ديناراً لا يحلّ لنا مسّها.

قال: وكيف ذلك؟

قال: لأنّها ثمن حنطة حاف صاحبها علىٰ أكّاره في المقاسمة، وذلك أنّه قبض حصّته منها بكيل وافٍ وكان ماحصّ الأكّار منها بكيل بخس.

فقال مولانا ـ عليه السّلام ـ : صدقت يابنيّ.

ثمّ قال: ياابن إسحاق احملها بأجمعها لتردّها أو توصي بردّها علىٰ أربابها، فلا حاجة لنا في شيء منها، وائتنا بثوب العجوز.

قال أحمد: وكان ذلك الثّوب في حقيبة لي فنسيته.

فلمّا انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثّوب نظر إليّ مولانا أبو محمّد الهاديّ ـ عليه السّلام ـ فقال: ماجاء بك ياسعد؟

فقلت: شوّقني أحمد بن إسحاق إلىٰ لقاء مولانا.

قال: والمسائل الّتي أردت أن تسأله عنها؟

قلت: علىٰ حالها يامولاي.

قال: فسل قرّة عيني ـ وأومأ إلىٰ الغلام ـ [فقال لي الغلام: سل][٢٧٢] عمّا بدا لك منها.

فقلت: يامولانا وابن مولانا، إنّا روينا عنكم أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه

---

(٢٧٢) أضفناه من المصدر.

وآله ـ جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ حتّىٰ أرسل يوم الجمل إلىٰ عائشة إنّكِ قد أرهجت علىٰ الإسلام وأهله بنفسك[٢٧٣]، وأوردت بنيكِ حياض الهلاك بجهلك، فإن كففتِ عنّي غر بكِ وإلاّ طلّقتك، ونساء رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قد كان طلاقهنّ وفاته.

قال: ما الطّلاق؟

قلت: تخلية السّبيل.

قال: فإذا كان [طلاقهنّ][٢٧٤] وفاة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قد خلّىٰ سبيلهنّ، فلِمَ لا تحلّ لهنّ الأزواج؟

قلت: لأنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ حرّم الأزواج عليهنّ، وكيف وقد خلّىٰ الموت سبيلهنّ.

قلت: فأخبرني يا ابن مولاي عن معنىٰ الطّلاق الّذي فوّض رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ حكمه إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ .

قال: فإنّ الله ـ تقدّس اسمه ـ عظّم شأن نساء النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فخصّهنّ بشرف الاُمّهات، فقال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ : يا أبا الحسن، إنّ هذا الشّرف باقٍ لهنّ مادمن لله علىٰ الطّاعة؛ فأيّتهنّ عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج، وأسقطها من شرف اُمومة المؤمنين.

قلت: فأخبرني عن الفاحشة المبيّنة الّتي إذا أتت المرأة بها في أيّام عدّتها حلّ للزّوج أن يخرجها من بيته؟

قال: السّحق دون الزّنا، وإنّ المرأة إذا زنت اُقيم عليها الحدّ ليس لمن

(٢٧٣) في المصدر: بفتنتك.

(٢٧٤) أضفناه من المصدر.

أرادها أن يمتنع ـ بعد ذلك ـ من التّزويج بها لأجل الحدّ، وإذا ساحقت وجب عليها الرّجم، والرّجم خزي، ومن قد أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ برجمه فقد أخزاه، ومن أخزاه فقد أبعده، ومن أبعده فليس لأحد أن يقرّبه.

قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله عن أمر الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ لنبيّه موسىٰ ـ عليه السّلام ـ ﴿فَاْخلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِاْلوَادِ اْلمُقَدَّسِ طُوَىٰ﴾(٢٧٥) فإنّ فقهاء الفريقين يزعمون أنّها كانت من إهاب الميتة؟

قال ـ عليه السّلام ـ : من قال ذلك فقد افترىٰ علىٰ موسىٰ واستجهله في نبوّته. لأنّه ماخلا الأمر فيها من خطيئتين(٢٧٦) : إمّا إن كانت صلاة موسىٰ فيهما جائزة، أو غير جائزة؛ فإن كانت صلاة موسىٰ جائزة فيهما جاز لموسىٰ أن يكون لابسهما في تلك البقعة؛ إذ لم تكن مقدّسة، وإن كانت مقدّسة مطهّرة فليس بأطهر وأقدس من الصّلاة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيهما فقد أوجب أنّ موسىٰ ـ عليه السّلام ـ لم يعرف الحلال من الحرام وعلَم ماجاز فيه الصّلاة وما لم يجز، وهذا كفر.

قلت: فأخبرني يا ابن مولاي عن التّأويل فيهما؟

قال: إنّ موسىٰ ـ عليه السّلام ـ ناجىٰ ربّه بالواد المقدّس فقال: ياربّ إنّي قد أخلصت لك المحبّة منّي، وغسلت قلبي عمّن سواك ـ وكان شديد الحبّ لأهله ـ فقال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ : ﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾؛ أي: انزع حبّ أهلك من قلبك إنْ كانت محبّتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلىٰ من سواي مشغولاً(٢٧٧).

---

(٢٧٥) طه: ١٢.

(٢٧٦) «ر» «ع»: خصلتين.

(٢٧٧) في المصدر: مغسولاً.

قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله عن تأويل ﴿كهيعص﴾[٢٧٨].

قال: هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريّا، ثمّ قصّها علىٰ محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ . وذلك أنّ زكريّا ـ عليه السّلام ـ سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة. فأهبط عليه جبرئيل ـ عليه السّلام ـ فعلّمه[٢٧٩] إيّاها، فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ [سرىٰ عنه همُّه، وَانجلىٰ كربُه، وإذا ذكر الحسين][٢٨٠] خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة؛ فقال ذات يوم: الهي مالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ عن قصّته، فقال: ﴿كهيعص﴾ فالكاف: اسم كربلاء، والهاء: هلاك العترة، والياء: يزيد ـ عليه اللّعنة ـ وهو ظالم الحسين ـ عليه السّلام ـ ، والعين: عطشه، والصّاد: صبره. فلمّا سمع بذلك زكريّا ـ عليه السّلام ـ لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام، ومنع فيهنّ النّاس من الدّخول عليه، وأقبل علىٰ البكاء والنّحيب، وكان يرثيه[٢٨١]: إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده! إلهي أتنزل بلوىٰ هذه الرّزيّة بفنائه! إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة! إلهي أتحلّ كربة هذه الفجيعة بساحتهما؟! ثمّ كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني علىٰ الكبر، واجعله وارثاً وصيّاً يوازي محله منّي محلَّ الحسين، فإذارزقتنيه فافتنّي بحبّه ثمّ افجعني به كما تفجع حبيبك محمّداً بولده، فرزقه الله يحيىٰ ـ عليه السّلام ـ وفجعه به، وكان حمل يحيىٰ ستّة أشهر وحمل الحسين ـ عليه

(٢٧٨) مريم: ١.

(٢٧٩) «ر»: يعلّمه.

(٢٨٠) أضفناه من المصدر.

(٢٨١) «ر» «ب» «ح»: دأبه، وفي المصدر: ندبته.

السّلام ـ كذلك، وله قصّة طويلة.

قلت: فأخبرني يامولاي عن العلّة الّتي تمنع القوم من اختيار إمامٍ لأنفسهم؟

قال: مصلح أو مفسد؟

قلت: مصلح.

قال: فهل يجوز أن تقع خيرتهم علىٰ المفسد بعد أن لا يعلم أحد مايخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟

قلت: بلىٰ.

قال: فهي العلّة أُوردها لك ببرهان يتقبّل به[٢٨٢] عقلك.

قلت: نعم.

قال: أخبرني عن الرّسل الّذين اصطفاهم الله وأنزل الكتب عليهم وأيّدهم بالوحي والعصمة؛ إذ هم أعلام الأُمم وأهدىٰ إلىٰ الاختيار منهم؛ مثل موسىٰ وعيسىٰ ـ عليهما السّلام ـ هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما، إذا همّا بالاختيار أن تقع خيرتهما علىٰ المنافق وهما يظنّان أنّه مؤمن؟

قلت: لا.

قال: فهذا موسىٰ كليم الله مع وفور عقله وكمالِ علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممّن لم يشكّ في إيمانهم وإخلاصهم، فوقعت خيرته علىٰ المنافقين، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾[٢٨٣] إلىٰ قوله ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ

---

(٢٨٢) «ر»: يثق به، وفي المصدر: ينقاد له.

(٢٨٣) الأعراف: ١٥٥.

﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾(٢٨٤) فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنّبوّة واقعاً علىٰ الأفسد دون الأصلح وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد علمنا أن لا اختيار إلّا لمن يعلم ماتخفي الصّدور، وماتكنّ الضّمائر، وتتصرّف(٢٨٥)، عليه السّرائر، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء علىٰ ذوي الفساد لمّا أرادوا أهل الصّلاح.

ثمّ قال مولانا ـ عليه السّلام ـ : ياسعد وحين ادّعىٰ خصمك أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ما أخرج مع نفسه مختار هذه الأُمّة إلىٰ الغار إلّا علماً منه أنّ الخلافة له من بعده، وأنّه هو المقلّد أُمور التأويل، والملقىٰ إليه أزمّة الأُمّة، وعليه المعوّل في لمّ الشّعب، وسدّ الخلل، وإقامة الحدود، وتسريب الجيوش لفتح بلاد الكفر، فكما أشفق علىٰ نبوّته أشفق علىٰ خلافته؛ إذ لم يكن من حكم الاستتار والتّواري أن يروم الهارب من الشّرّ مساعدة من غيره إلىٰ مكان يستخفي فيه، وإنّما أبات عليّاً ـ عليه السّلام ـ علىٰ فراشه لمّا لم يكن يكترث له ولم يحفل به، ولاستثقاله إيّاه وعلمه بأنّه إن قُتِل لم يتعذّر عليه نصبُ غيره في مكانه للخطوب الّتي كان يصلح لها، فهلّا نقضت عليه دعواه بقولك أليس قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ : الخلافة بعدي ثلاثون سنة؟ فجعل هذه موقوفة علىٰ أعمار الأربعة الّذين هم الخلفاء الرّاشدون في مذهبكم، فكان لا يجد بُدّاً من قوله لك: بلىٰ، وكنت تقول له حينئذ: أليس كما علم رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أنّ الخلافة من بعده لأبي بكر علم أنّها من بعد أبي بكر لعمر

---

(٢٨٤) ليست من القرآن الكريم، إنّما الآية هكذا: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أُنظر: البقرة: ٥٥.

(٢٨٥) «ر»: وتتصرف.

ومن بعد عمر لعثمان ومن بعد عثمان لعليّ؟ فكان أيضاً لا يجد بُدّاً من قوله لك: نعم، ثمّ كنت تقول له: فكان الواجب علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أن يخرجهم جميعاً علىٰ التّرتيب إلىٰ الغار، ويشفق عليهم كما أشفق علىٰ أبي بكر، ولا يستخفّ بقدر هؤلاء الثّلاثة بتركه إيّاهم وتخصيصه أبا بكر بإخراجه مع نفسه دونهم.

ولمّا قال: أخبرني عن الصّدّيق والفاروق أسلما طوعاً أو كرهاً؟ لِمَ لم تقل له: بل أسلما طمعاً، وذلك بأنّهما[٢٨٦] كانا يجالسان اليهود ويستخبرانهم عمّا كانوا يجدون في التّوراة وفي سائر الكتب المتقدّمة النّاطقة بالملاحم من حال إلىٰ حال من قصّة محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ من عواقب أمره، فكانت اليهود تذكر أنّ محمّداً ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ مسلّط علىٰ العرب كما كان بخت نصّر مسلّطاً علىٰ بني إسرائيل، غير أنّه كاذب في دعواه أنّه نبيّ، فأتيا محمّداً ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فساعداه علىٰ قول شهادة أن لا إله إلّا الله، وبايعاه طمعاً في أن ينال كلّ واحد منهما من جهته ولاية بلد إذا استقامت أُموره واستتبّت أحواله، فلمّا أيسا من ذلك تلثّما وصعدا العقبة مع عدّة من أمثالهما من المنافقين علىٰ أن يقتلوه، فدفع الله كيدهم وردّهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، كما أتىٰ طلحة والزّبير عليّاً ـ عليه السّلام ـ فبايعاه، وطمع كلّ واحد منهما أن ينال من جهته ولاية بلد، فلمّا أيسا نكثا بيعته وخرجا عليه، فصرع الله كلّ واحد منهما مصرع أشباههما من النّاكثين.

قال: ثمّ قام مولانـا الحسن بن عليّ الهاديّ ـ عليه السّلام ـ للصّلاة مع الغلام وانصرفت عنها وطلبت أثر أحمد بن إسحاق فاستقبلني باكياً، فقلت:

---

(٢٨٦) «ر»: «لأنّهما» بدل «وذلك بأنّهما».

ما أبطأك وأبكاك؟

قال: قد فقدت الثّوب الّذي سألني مولاي إحضاره.

قلت: لا عليك. فأخبره فدخل عليه وانصرف من عنده متبسّماً وهو يصلّي علىٰ محمّد وأهل بيته، فقلت: ما الخبر؟

قال: وجدت الثّوب مبسوطاً تحت قَدَمَي مولانا ـ عليه السّلام ـ يصلّي عليه.

قال سعد: فحمدنا الله ـ جلّ ذكره ـ علىٰ ذلك، وجعلنا نختلف بعد ذلك اليوم إلىٰ منزل مولانا ـ عليه السّلام ـ أيّاماً فلا نرىٰ الغلام بين يديه. فلمّا كان يوم الوداع دخلت وأحمد بن إسحاق وكهلان من أهل بلدنا فانتصب أحمد بن إسحاق بين يديه قائماً وقال: ياابن رسول الله قد دنت الرّحلة، واشتدّت المحنة، فنحن نسأل الله أن يصلّي علىٰ المصطفىٰ جدّك، وعلىٰ المرتضىٰ أبيك، وعلىٰ سيّدة النّساء أُمّك، وعلىٰ سيّدي شباب أهل الجنّة عمّك وأبيك، وعلىٰ الأئمّة الطّاهرين من بعدهما آبائك، وأن يصلّي عليك وعلىٰ ولدك، ونرغب إليه أن يعلي كعبك ويكبت عدوّك لا جعل الله هذا آخر عهدنا من لقائك.

قال: فلمّا قال هذه الكلمة استعبر مولانا ـ عليه السّلام ـ حتّىٰ استهلّت دموعه وتقاطرت عبراته، ثمّ قال: ياابن إسحاق لا تكلّف في دعائك شططاً، فإنّك ملاق الله في صدرك هذا.

فخرّ أحمد مغشيّاً عليه. فلمّا أفاق قال: سألتك بالله وبحرمة جدّك إلّا ماشرّفتني بخرقة أجعلها كفناً.

فأدخل مولانا ـ عليه السّلام ـ يده تحت البساط فأخرج ثلاثة عشر درهماً، فقال: خذها ولا تنفق علىٰ نفسك غيرها، فإنّك لن تعدم ما سألت، وإنّ

الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

قال سعد: فلمّا صرنا بعد منصرفنا من حضرة مولانا ـ عليه السّلام ـ من حلوان علىٰ ثلاثة فراسخ حمّ أحمد بن إسحاق وثارت عليه علّة صعبة أيس من حياتـه فيها. فلمّا وردنا حلوان نزلنا في بعض الخانات دعا أحمد بن إسحاق برجل من أهل بلده كان قاطناً بها، ثمّ قال: تفرّقوا عنّي: هذه اللّيلة، اتركوني وحدي!

فانصرفنا عنه ورجع كلّ واحد منّا إلىٰ مرقده.

قال سعد: فلمّا حان أن ينكشف اللّيل عن الصّبح أصابتني فكرة، ففتحت عيني فإذا أنا بكافور الخادم خادم مولانا أبي محمّد ـ عليه السّلام ـ وهو يقول: أحسن الله بالخير عزاكم، وجبر بالمحبوب رزيّتكم.

ثمّ قال: فرغنـا من غسل صاحبكم ومن تكفينه. فقوموا لدفنه فإنّه من أكرمكم محلاً عند سيّدكم، ثمّ غاب عن أعيننا، فاجتمعنا علىٰ رأسه بالبكاء والعويل حتّىٰ قضينا حقّه وفرغنا من أمره ـ رحمه الله ـ[(٢٨٧)].

وممّا نقلته من الكتاب المذكور أيضاً في معنىٰ من شاهد المهديّ عليه السّلام

حكىٰ أبو الأديان قال: كنت أخدم الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسىٰ بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وأحمل كتبه إلىٰ الأمصار. فدخلت عليه في علّته الّتي تُوفّي فيها ـ صلوات الله عليه ـ فكتب معي كتباً وقال: امض بها إلىٰ المدائن فإنّك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل إلىٰ سُرّ مَنْ رَأىٰ يوم الخامس عشر وتسمع

(٢٨٧) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤٥٤، الحديث ٢١.

الواعية في داري وتجدني علىٰ المغتسل.

قال أبو الأديان: فقلت: ياسيّدي فإذا كان ذلك فمن؟

قال: من طالَبك بجوابات كتبي فهو القائم بعدي.

فقلت: زدني.

[فقال: من يصلّي عليّ فهو القائم بعدي.

فقلت: زدني.][٢٨٨].

فقال: من خبّر بما في الهميان فهو القائم بعدي.

ثمّ منعتني هيبتـه أن أسـأله مافي الهميان. وخرجت بالكتب إلىٰ المدائن وأخذت جواباتها ودخلت سُرّ مَـنْ رَأىٰ يوم الخامس عشر، كما قال لي ـ عليه السّلام ـ فإذا أنا بالواعية في داره، وإذا به علىٰ المغتسل، وإذا أنا بجعفر بن عليّ أخيه بباب الدّار والشّيعة من حوله يعزّونه ويهنّونه، فقلت[٢٨٩] في نفسي: إن يكن هذا الإمـام فقـد بطلت الإمامة، لأنّي كنت أعرفه يشرب النّبيذ، ويقامر في الجوسق، ويلعب بالطّنبور، فتقدّمت فعزّيت وهنّيت فلم يسألني عن شيء، ثمّ خرج عقيد فقال: ياسيّدي قد كُفّن أخوك فقم فصلّ عليه.

فدخل جعفر بن عليّ والشّيعة معه يقدمهم السّمّان والحسن بن علي قتيل المعتصم المعروف بسلمة. فلمّا صرنا في الدّار إذا نحن بالحسن بن عليّ ـ صلوات الله عليه ـ علىٰ نعشـه مكفّناً فتقدّم جعفر بن عليّ ليصلّي علىٰ أخيه. فلمّا همّ بالتكبـير خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجرّد علىٰ جعفر بن عليّ وقال: تأخّر ياعمّ، فأنا أحقّ بالصّلاة علىٰ أبي!

---

(٢٨٨) أضفناه من المصدر.

(٢٨٩) في بعض النّسخ: ووقع.

فتأخّر جعفر وقد اربدّ وجهه، فتقدّم الصّبيّ وصلّىٰ عليه ودُفن إلىٰ جانب قبر أبيه. ثمّ قال: يابصريّ هات جوابات الكتب الّتي معك.

فدفعتها إليه وقلت في نفسي: هذه اثنتان[٢٩٠]، بقي الهميان.

ثمّ خرجنا إلىٰ جعفر بن عليّ وهو يزفر فقال له حاجز الوشاء: ياسيّدي، مَن الصّبيّ لنقيم الحجّة عليه؟

فقال: والله مارأيته قطّ ولا أعرفه، فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم يسألون عن الحسن بن عليّ ـ صلوات الله عليه ـ فعرفوا موته، فقال أحدهم: فمن؟

فأشار النّاس إلىٰ جعفر بن عليّ فسلّموا عليه وعزّوه وهنّوه، وقالوا: معنا كتب ومال.

فقال: هاتم.

قالوا: بلىٰ فتقول ممّن الكتب وكم المال؟

فقام ينفض أثوابه ويقول: يريدون منّا نعلم الغيب.

قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار: عشرة دنانير منها مطليّة.

فدفعوا الكتب والمال إليه وقالوا: الّذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام.

فدخل جعفر بن عليّ علىٰ المعتمد وكشف ذلك له، فوجّه بخدمه فقبضوا علىٰ صقيل الجارية وطالبوها بالصّبيّ فأنكرت وادّعت حبلاً بها لتغطّي حال الصّبيّ. فسُلّمت إلىٰ ابن أبي الشّوارب القاضي، ونعاهم موت عبدالله بن يحيىٰ ابن خاقان فجأة وخروج صاحب الزّنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت عن أيديهم والحمد لله ربّ العالمين لا شريك له.[٢٩١]

---

(٢٩٠) في المصدر: بيّنتان.

(٢٩١) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤٧٥.

وروي عن الثّقاة عن أبي الحسن عليّ بن سنان الموصليّ أنّه قال: لمّا قُبض سيّدنا أبو محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ ـ صلوات الله عليهما ـ وفد من قم والجبال وفود بالأموال الّتي كانت تحمل علىٰ الرّسم، ولم يكن عندهم خبر وفاته ـ عليه السّلام ـ. [فلمّا أن وصلوا إلىٰ سُرّ مَنْ رَأىٰ سألوا عن سيّدنا الحسن بن عليّ ـ عليهما السّلام ـ][٢٩٢] فقيل لهم: إنّه قد فُقد.

فقالوا: فمن وارثه؟

قالوا: أخوه جعفر بن عليّ.

فسألوا عنه فقيل: خرج متنزّهاً وركب زورقاً في الدّجلة يشرب ومعه المغنّيون، فتشاور القوم وقالوا: ليست هذه صفة الإمام، وقال بعضهم لبعض: امضوا بنا هذه السّاعة نردّ الأموال علىٰ أصحابها.

فقال أبو العبّاس محمّد بن جعفر الحميريّ القمّيّ: قفوا بنا حتّىٰ ينصرف هذا الرّجل ونختبر أمره علىٰ الصحّة.

قال: فلمّا انصرف دخلوا إليه فسلّموا عليه وقالوا: ياسيّدنا نحن من أهل قم وفينا جماعة من الشّيعة وغيرها كنّا نحمل إلىٰ سيّدنا أبي محمّد الحسن بن عليّ ـ عليه السّلام ـ الأموال.

فقال: وأين هي؟

قالوا: معنا.

قال: احملوها إليّ.

قالوا: لا إنّ لهذه الأموال خبراً طريفاً.

فقال: وما هو؟

---

(٢٩٢) أضفناه من المصدر.

قالـوا: إنّ هذه الأمـوال تُجمَع ويكـون فيها من عامّة الشّيعة الدّينار والدّيناران، ويجعلونها في كيس ويختمون عليها، وكنّا إذا وردنا بالمال علىٰ سيّدنا أبي محمّد الحسن بن عليّ ـ عليه السّلام ـ يقول: جملة المال كذا دينار؛ من عند فلان كذا، ومن عند فلان كذا، حتّىٰ يأتي علىٰ أسماء النّاس كلّهم، ويقول ما علىٰ نقش الخواتيم.

فقال جعفر: كذبتم تقولون علىٰ أخي ما لم يفعله، هذا علم الغيب.

قال: فلمّا سمع القـوم كلام جعفر جعل بعضهم ينظر إلىٰ بعض فقال: احملوا هذا المال إليّ.

فقالوا: نحن قوم مستأجَرون وكلاء، وإنّا لا نسلّم المال إلّا بالعلامات الّتي كنّا نعرفها من سيّدنا الحسن بن عليّ ـ عليه السّلام ـ فإن كنت الإمام فبرهن لنا وإلّا رددناها إلىٰ أصحابها يرون فيها رأيهم.

قال: فقـام جعفر فدخل علىٰ الخليفة ـ وكان بسرّ من رأىٰ ـ فاستعدى عليهم، فلمّا حضروا قال الخليفة: احملوا هذا المال إلىٰ جعفر.

قالوا: أصلح الله الخليفة، إنّا قوم مستأجَرون وكلاء لأرباب هذه الأموال، وهي لجماعة وقد أمرونا أن لا نسلّمها إلّا بعلامة ودلالة، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمّد الحسن بن عليّ ـ عليه السّلام ـ.

فقال الخليفة: وما الدّلالة الّتي كانت تجري مع أبي محمّد؟

قال القوم: كان يصف الدّنانير وأصحابها والأموال وكم هي، فإذا فعل ذلك سلّمنا إليه، وقد وفدنا عليه مراراً فكانت هذه علامتنا منه ودلالتنا، وقد مات، فإن يكن هذا الرّجل صاحب هذا الأمر فليقم لنا ما كان يقيم لنا أخوه وإلّا رددناها إلىٰ أصحابها.

فقال جعفر: يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم كذّابون يكذبون علىٰ أخي، هذا علم الغيب.

فقال الخليفة: القوم رسل، وما علىٰ الرّسول إلّا البلاغ المبين.

قال: فبهت جعفر ولم يحر جواباً.

فقال القوم: يتطوّل علينا أمير المؤمنين بإخراج أمره إلىٰ من يُبَذْرِقُنا حتّىٰ نخرج من هذه البلدة.

قال: فأخرجهم منها. فلمّا أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام أحسن النّاس وجهاً كأنّه خادم، فنادىٰ: يافلان بن فلان ويافلان بن فلان أجيبوا مولاكم.

قال: فقالوا له: أنت مولانا؟

قال: معاذ الله، أنا عبد مولاكم فسيروا إليه. فسرنا معه حتّىٰ دخلنا دار مولانا الحسن بن عليّ ـ عليه السّلام ـ فإذا ولده القائم سيّدنا ـ عليه السّلام ـ قاعـد علىٰ سرير كأنّه فلقة قمر، عليه ثياب خضر. فسلّمنا عليه. فردّ علينا السّلام. ثمّ قال: جملة المال كذا وكذا ديناراً؛ حمل فلان كذا، وحمل فلان كذا. ولم يزل يصف حتّىٰ وصف الجميع. ثمّ وصف ثيابنـا ورحالنا وما كان معنا من الدّوابّ. فخررنا سجدّاً لله ـ عزّ وجلّ ـ وقبّلنا الأرض بين يديه، ثمّ سألناه عمّا أردنا فأجاب، فحملنا إليه الأموال وأمرنا القائم ـ عليه السّلام ـ أن لا نحمل إلىٰ سرّ من رأىٰ بعدها شيئاً من المال، وأنّه ينصب لنا ببغداد رجلاً تُحمَل إليه الأموال، وتخرج من عنده التّوقيعات.

قال: فانصرفنا من عنده، ودفع إلىٰ أبي العبّاس محمّد بن جعفر القمّي الحميريّ شيئاً من الحنوط والكفن وقال له: أعظم الله أجرك في نفسك.

قال: فلمّا بلغ أبو العبّاس عقد همدان تُوفّي ـ رحمه الله ـ وكان بعد ذلك تُحمَل الأموال إلىٰ بغداد إلىٰ أبواب[٢٩٣] المنصوبين بها وتخرج من عندهم التّوقيعات.

قال مصنّف هذا الكتاب[٢٩٤] ـ رحمه الله ـ : هذا الخبر يدلّ علىٰ أنّ الخليفة كان يعرف هذا الأمر كيف هو وأين موضعه، فلهذا كفّ عن القوم وعمّا معهم من الأموال ودفع جعفراً الكذّاب عن مطالبتهم، ولم يأمرهم بتسليمها إليه، إلاّ أنّه كان يحبّ أن يخفي هذا [الأمر][٢٩٥] ولا يشهره كي لا يهتدي النّاس إليه فيعرفونه، وقد كان جعفر حمل عشرين ألف دينار إلىٰ الخليفة لمّا تُوفّي الحسن ابن عليّ ـ عليه السّلام ـ فقال له: يا أمير المؤمنين تجعل لي مرتبة أخي ومنزلته.

فقال الخليفة: اعلم أنّ منزلة أخيك لم تكن بنا وإنّما كانت بالله ـ عزّ وجلّ ـ ونحن كنّا نجتهد في حطّ منزلته والوضع منه وكان الله ـ عزّ وجلّ ـ يأبىٰ إلاّ أن يزيده كلّ يوم رفعة بما كان فيه من الصّيانة وحسن السّمت والعلم والعبادة، فإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن بمنزلته ولم يكن فيك ما في أخيك لم يغن عنك في ذلك شيئاً.[٢٩٦]

وممّا نقلته من الكتاب المذكور من أخبار المعمّرين

حدّثنا أحمد بن الحسن [بن][٢٩٧] القطّان ـ وكان شيخاً لأصحاب الحديث

---

(٢٩٣) في المصدر: النّوّاب.

(٢٩٤) أي: الشّيخ الصّدوق في كتابه كمال الدّين.

(٢٩٥) أضفناه من المصدر.

(٢٩٦) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٤٧٦، الحديث ٢٦.

(٢٩٧) أضفناه من المصدر.

ببلد الرّيّ يُعرَف بأبي عليّ بن عبد ربّه ـ قال: حدّثنا أحمد بن يحيىٰ بن زكريّا القطّان، قال: حدّثنا بكر بن عبدالله بن حبيب، قال: حدّثنا تميم بن بهلول، قال: حدّثنا عليّ بن عاصم، عن الحصين بن عبدالرّحمن، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: كنت مع أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ في خرجته إلىٰ صفّين، فلمّا نزل بنينوىٰ وهو شطّ الفرات، قال بأعلىٰ صوته: يا ابن عبّاس أتعرف هذا الموضع؟

قلت: ما أعرفه يا أمير المؤمنين.

قال: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّىٰ تبكي كبكائي.

قال: فبكىٰ طويلاً حتّىٰ اخضلّت لحيته، وسالت الدّموع علىٰ صدره، وبكينا معه وهو يقول: «آوه آوه مالي ولآل أبي سفيان، مالي ولآل حرب حزب الشّيطان وأولياء الكفر. صبراً أبا عبدالله فقد لقي أبوك مثل الّذي تلقىٰ منهم». ثمّ دعا بماء فتوضّأ وضوء الصّلاة فصلّىٰ ماشاء الله أن يصلّي. ثمّ ذكر نحو كلامه الأوّل إلّا أنّه نعس عند انقضاء صلاته ساعة، ثمّ انتبه فقال: يا ابن عبّاس ألا أُحدّثك بما رأيت في منامي عند رقدتي؟

فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال: رأيت كأنّي برجال بيض قد نزلوا من السّماء معهم أعلام بيض قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة. ثمّ رأيت كأنّ هذه النّخيل قد ضربت بأغصانها الأرض فرأيتها تضطرب بدم عبيط، وكأنّي بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخّي قد غرق فيه يستغيث فلا يغاث، وكأنّ الرّجال البيض قد نزلوا من السّماء ينادونه ويقولون: صبراً آل رسول الله، فإنّكم تُقتَلون علىٰ يدي شرار النّاس، وهذه الجنّة يا أبا عبدالله إليك مشتاقة، ثمّ

يعزونني ويقولون: يا أبا الحسن ابشر فقد أقرّ الله عينك[٢٩٨] به يوم القيامة يوم يقوم النّاس لربّ العالمين. ثمّ انتبهت. هكذا والّذي نفس عليّ بيده لقد حدّثني الصّادق المصدّق أبو القاسم ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أنّي سأراها في خروجي إلىٰ أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء يُدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً كلّهم من ولدي وولد فاطمة ـ عليها السّلام ـ وأنّها لفي السّماوات لمعروفة تُذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس.

ثمّ قال: ياابن عبّاس اطلب لي حولها بعر الظّباء، فوالله ما كذبت ولا كُذِّبت، وهي مصفّرة لونها لون الزّعفران.

قال ابن عبّاس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة، فناديته: يا أمير المؤمنين قد أصبتها علىٰ الصّفة الّتي وصفتها لي.

فقال عليّ: صدق الله ورسوله.

ثمّ قام يهرول إليها فحملها وشمّها وقال: هي هي بعينها. تعلم يا ابن عبّاس ماهذه الأبعار؟ هذه قد شمّها عيسىٰ بن مريم ـ عليه السّلام ـ وذلك أنّه مرّ بها ومعه الحواريّون فرأىٰ هذه الظّباء مجتمعة، فأقبلت إليه الظّباء وهي تبكي، فجلس عيسىٰ ـ عليه السّلام ـ وجلس الحواريّون، فبكىٰ وبكىٰ الحواريّون وهم لا يدرون لِمَ جلس ولِمَ بكىٰ. فقالوا: ياروح الله وكلمته مايبكيك؟ قال: أتعلمون أيّ أرض هذه؟ قالوا: لا قال: هذه أرض يُقتَل فيها فرخ الرّسول أحمد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وفرخ الحرّة الطّاهرة البتول شبيهة أمّي، ويُلحَد فيها، وهي أطيب من المسك؛ طينة الفرخ المُستشهَد. وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء. فهذه الظّباء تكلّمني وتقول إنّها

(٢٩٨) «ب» «ح»: عينيك.

ترعىٰ في هذه الأرض شوقاً إلىٰ تربة(٢٩٩) الفرخ المبارك، وزعمت أنّها آمنة في هذه الأرض. ثمّ ضرب بيده إلىٰ هذه الصّيران فشمّها وقال: هذه بعر الظّباء علىٰ هذا الطّيب لمكان حشيشها. اللّهمّ أبقها أبداً حتّىٰ يشمّها أبوه فتكون له عزاء وسلوة.

قال: فبقيت إلىٰ يومنا هذا وقد اصفرّت لطول زمنها في هذه: أرض كرب وبلاء.

وقال بأعلىٰ صوته: ياربّ عيسىٰ بن مريم لا تبارك في قتلته، والحامل عليه، والمعين عليه، والخاذل له.

ثمّ بكىٰ طويلاً وبكينا معه حتّىٰ سقط لوجهه وغُشِي عليه طويلاً. ثمّ أفاق فأخذ البعر فصرّه في ردائه وأمرني أن أصرّها كذلك.

ثمّ قال: يا ابن عبّاس إذا رأيتها تنفجر(٣٠٠) دماً عبيطاً فاعلم أنّ أبا عبدالله قد قُتِل بها ودُفِن.

قال ٱبن عبّاس: فوٱلله لقد كنت أحفظها أكثر من حفظي لبعضماافترض الله عليَّ وأنا لا أُحلّها من طرف كمّي. فبينما أنا في البيت نائم إذ انتبهت فإذا هي تسيل دماً عبيطاً، وإذا كمّي قد امتلأ دماً. فجلست وأنا باكٍ، وقلت: قُتِل والله الحسين، والله ما كذّبني عليّ ـ عليه السّلام ـ قطّ في حديث حدّثني، ولا أخبرني بشيء قطّ أنّه يكون إلّا كان كذلك، لأنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره. ففزعت وخرجت وذلك عند

---

(٢٩٩) «ب»: رؤية.

(٣٠٠) في بعض النّسخ: تتفجّر.

الفجر. فرأيت والله المدينة وكأنّها ضباب لا يستبين فيها أثر لعين. ثمّ طلعت الشّمس فرأيت كأنّهـا كاسفـة. ورأيت كأنّ حيطان المدينة عليها دم عبيط. فجلست وأنا باكٍ وقلت: قُتل والله الحسين فسمعت صوتاً من ناحية البيت يقول:

اصـبروا آل الـرّسـول قُتـل الـفـرخ النّحـول

نـزل الـرّوح الأمـين ببـكـاء وعـويل

ثمّ بكىٰ بأعلىٰ صوته وبكيت. وأثبت عندي تلك السّاعة ـ وكان شهر المحرّم يوم عاشوراء لعشر مضين منه ـ فوجدته يوم ورد علينا خبره وتأريخه كذلك. فحدّثت هذا الحديث أُولئك الّذين كانوا معه، فقالوا: والله لقد سمعنا ماسمعت ونحن في المعركة لا ندري ماهو. فكنّا نرىٰ أنّه الخضر ـ صلوات الله عليه وعلىٰ الحسين، ولعن الله قاتله والمشنّع عليه.

وقد روي أنّ حبّابة الوالبيّة لقيت أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ومن بعده من الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ وأنّها بقيت إلىٰ أيّام الرّضا ـ عليه السّلام ـ فلم ينكر من أمرها طول العمر، فكيف ينكر للقائم ـ عليه السّلام ـ.[٣٠١]

سياق حديث حبّابة الوالبيّة نقلاً عن الكتاب المذكور أيضاً رواية عن الثّقاة، عن عبدالله بن هشام، عن عبدالكريم بن عمرو[٣٠٢] الخثعميّ، عن حبّابة الوالبيّة قالت: رأيت أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ في شرطة الخميس ومعه درّة يضرب بها بيّاعي الجرّيّ والمارماهي والزّمّير والطّافي ويقول لهم: يابيّاعي مسوخ بني إسرائيل وجند بني مروان. فقام إليه فرات بن أحنف فقال: يا أمير المؤمنين، وماجند بني مروان؟

---

(٣٠١) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٣٢، الحديث ١.

(٣٠٢) في المصدر: عمر.

فقال له: أقوام حلقوا اللّحىٰ وفتلوا الشّوارب. فلم أر ناطقاً أحسن نطقاً منه.

ثمّ اتّبعته فلم أزل أقفو أثره حتّىٰ قعد في رحبة الجامع(٣٠٣) فقلت له: يا أمير المؤمنين مادلالة الإمامة رحمك الله؟

قالت: فقال: آتيني بتلك الحصاة ـ وأشار بيده إلىٰ حصاة ـ فأتيته بها فطبع لي فيها بخاتمه.

ثمّ قال: ياحبّابة إذا ادّعىٰ مدّعٍ الإمامة فقدر أن يطبع كما رأيت فاعلمي أنّه إمام مفترض الطّاعة، والإمام لا يغرب عنه شيء يريده.

قالت: ثمّ انصرفت حتّىٰ قُبض أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ فجئت إلىٰ الحسن ـ عليه السّلام ـ وهو في مجلس أمير المؤمنين والنّاس يسألونه. فقال لي: ياحبّابة الوالبيّة.

فقلت: نعم يا مولاي.

فقال: هات ما معك.

قالت: فأعطيته الحصاة، فطبع فيها كما طبع أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ .

قالت: ثمّ أتيت الحسين ـ عليه السّلام ـ وهو في مسجد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فقرّب ورحّب. ثمّ قال لي: إنّ في الدّلالة دليلاً علىٰ ماتريدين. أفتريدين دلالة الإمامة؟

فقلت: نعم ياسيّدي.

فقال: هات مامعك.

(٣٠٣) «ر» والمصدر: المسجد.

فناولته الحصاة فطبع لي فيها. قالت: ثمّ أتيت عليّ بن الحسين ـ عليه السّلام ـ وقد بلغ بي الكبر إلىٰ أن أعييت وأنا أعدّ يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة. فرأيته راكعاً وساجداً مشغولاً بالعبادة. فيئست من الدّلالة. فأومأ إليّ بالسّبّابة. فعاد إليّ شبابي. قالت: فقلت: ياسيّدي، كم مضىٰ من الدّنيا وكم بقي؟

قال: أمّا ما مضىٰ فنعم. وأمّا مابقىٰ فلا.

قالت: ثمّ قال لي: هات مامعك.

فأعطيته الحصاة. فطبع لي فيها. ثمّ أتيت [أبا جعفر][٣٠٤] ـ عليه السّلام ـ فطبع لي فيها. ثمّ أتيت أبا عبدالله ـ عليه السّلام ـ فطبع لي فيها. ثمّ أتيت أبا الحسن موسىٰ بن جعفر ـ عليه السّلام ـ فطبع لي فيها. ثمّ أتيت الرّضا ـ عليه السّلام ـ فطبع لي فيها. ثمّ عاشت حبّابة الوالبيّة بعد ذلك تسعة أشهر ـ علىٰ ماذكره عبدالله بن هشام.[٣٠٥]

وروىٰ محمّد بن محمّد بن عصام، عن الثّقاة، عن الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ ، عن محمّد بن عليّ ـ عليه السّلام ـ[٣٠٦] قال: إنّ حبّابة الوالبيّة دعا لها عليّ بن الحسين ـ عليه السّلام ـ فردّ الله عليها شبابها، وأشار إليها بإصبعه فحاضت لوقتها ولها يومئذ مائة سنة وثلاث عشرة سنة.

قال مصنّف هذا الكتاب[٣٠٧] ـ رحمه الله ـ : فإذا جاز أن يردّ الله ـ عزّ

---

(٣٠٤) «ب» «ح»: محمّد بن عليّ.

(٣٠٥) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٣٦، الحديث ١.

(٣٠٦) «ر» والمصدر: عن محمّد بن إسماعيل بن موسىٰ بن جعفر، قال: حدّثني أبي عن أبيه موسىٰ بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ.

(٣٠٧) أي: الشّيخ الصّدوق.

وجلّ ـ علىٰ حبّابة شبابها وقد بلغت مائة سنة وثلاث عشرة سنة وتبقىٰ حتّىٰ تلقىٰ الرّضا ـ عليه السّلام ـ وبعده تسعة أشهر بدعاء عليّ بن الحسين ـ عليهما السّلام ـ فكيف لا يجوز أن يكون نفس الإمام المنتظر ـ عليه السّلام ـ يدفع الله ـ عزّ وجلّ ـ عنه الهرم، ويحفظ عليه شبابه، ويبقيه حتّىٰ يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما مُلِئت جوراً وظلماً، مع الأخبار الصّحيحة بذلك عن النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ؟![٣٠٨]

سياق حديث معمّر المغربيّ
أبي الدّنيا عليّ بن عثمان بن خطّاب بن مرّة بن مؤيّد

حدّثنا أبو سعيد عبدالله بن محمّد بن عبدالوهاب بن نصر الشّجريّ، قال: حدّثنا أبو بكر محمّد بن الفتح المزكّي[٣٠٩] وأبو الحسن عليّ بن الحسن بن حنكا اللّاشكيّ[٣١٠] وحسن بن أبي بكر، قالوا: لقينا بمكّة رجلاً من أهل المغرب. فدخلنا عليه مع جماعة من أصحاب الحديث ممّن كان حضر الموسم في تلك السّنة وهي سنة تسع وثلاثمائة، فرأينا رجلاً أسود الرّأس واللّحية، كأنّه شنّ بال، وحوله جماعة من أولاده وأولاد أولاده ومشائخ من أهل بلده، وذكروا أنّهم من أقصىٰ بلاد المغرب بقرب باهرت العليا، وشهد هؤلاء المشائخ أنّا سمعنا آباءنا[٣١١] حكوا عن آبائهم وأجدادهم أنّا عهدنا[٣١٢] هذا الشّيخ المعروف بأبي الدّنيا معمّر

---

(٣٠٨) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٣٧، الحديث ٢.

(٣٠٩) «ر»: «بن القاسم البرقيّ» بدل «بن الفتح المزكيّ».

(٣١٠) «ر»: اللّائكيّ.

(٣١١) «ر»: أنّهم سمعوا آباءهم.

(٣١٢) «ر»: أنّهم عهدوا.

ـ واسمه عليّ بن عثمان بن خطّاب بن مرّة بن مؤيّد ـ وذكر أنّه هَمْدانيّ، وأنّ أصله من صنعاء[٣١٣] اليمن، فقلنا له: أنت رأيت عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ.

فقال بيده ففتح عينيه ـ وقد كان وقع حاجباه علىٰ عينيه ـ ففتحهما كأنّهما سراجان فقال: «رأيته بعينيّ هاتين، فكنت خادماً له وكنت معه في وقعة صفّين، وهذه الشّجّة من دابّة عليّ ـ عليه السّلام ـ». وأرانا أثرها علىٰ حاجبه الأيمن، وشهد الجماعة الّذين كانوا حوله من المشائخ ومن حفدته وأسباطه بطول العمر، وأنّهم منذ وُلدوا عهدوه علىٰ هذه الحالة، وكذا سمعنا من آبائنا وأجدادنا.

ثمّ إنّا فاتحناه وسألناه عن قصّته وحاله وسبب طول عمره فوجدناه ثابت العقل يفهم مايقال له ويجيب عنه بلبّ وعقل. فذكر أنّه كان له والد قد نظر في كتب الأوائل وقرأها وقد كان وجد فيها ذكر نهر الحيوان، وأنّها تجري في الظّلمات، وأنّه مَن شَرب منها طال عمرُه، فحمله الحرص علىٰ دخول الظّلمات، فتحمّل وتزوّد حسب ماقدّر أنّه يكتفي به في مسيره، وأخرجني معه وأخرج معنا خادمين[٣١٤] باذلين وعدّة جمال لبون وروايا وزاد، وأخرجني معه وأنا يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة. فسار بنا إلىٰ أنْ وافينا طرف الظّلمات، ثمّ ذخلنا الظّلمات فسرنا فيها نحو ستّة أيّام بلياليها، وكنّا نميّز بين اللّيل والنّهار بأنّ النّهار كان يكون أضوأ قليلاً وأقلّ ظلمة من اللّيل، فنزلنا بين جبال وأودية ودكوات، وقد كان والدي ـ رحمه الله ـ وجد في الكتب الّتي قرأها أنّ مجرىٰ نهر الحيوان في ذلك الموضع، فأقمنا في تلك البقعة أيّاماً حتّىٰ فني الماء الّذي كان معنا واستقيناه

(٣١٣) في بعض النّسخ: صعيد.

(٣١٤) «ر»: حاجبين.

جمالنا، ولو لا أنّ جمالنا كانت لبوناً لهلكنا وتلفنا عطشاً، وكان والدي يطوف في تلك البقعة في طلب النّهر ويأمرنا أن نوقد ناراً ليهتدي بضوئها إذا أراد الرّجوع إلينا. فمكثنا في تلك البقعة نحو خمسة أيّام ووالدي يطلب النّهر فلا يجده، وبعد الإياس عزم علىٰ الانصراف حذراً من التّلف لفناء الزّاد والماء، والخدم الّذين كانوا معنا ضجروا وخشوا[٣١٥] التّلف فألحّوا علىٰ والدي بالخروج من الظّلمات، فقمت يوماً من الرّحل لحاجتي، فتباعدت من الرّحل قدر رمية سهم. فعثرت بنهر ماء أبيض اللّون عذب لذيذ، لا بالصغير من الأنهار ولا بالكبير، يجري جرياً ليّناً. فدنوت منه وغرفت منه بيدي غرفتين أو ثلاثاً فوجدته عذباً بارداً لذيذاً. فبادرت مسرعاً إلىٰ الرّحل وبشّرت الخدم بأنّي قد وجدت الماء. فحملوا ما كان معنا من القرب والأدوات لنملأها، ولم أعلم أنّ والدي في طلب ذلك النّهر، وكان سروري بوجود الماء لما كنّا عدمنا[٣١٦] الماء وفني ما كان معنا، وكان والدي في ذلك الوقت غائباً عن الرّحل مشغولاً بالطّلب[٣١٧]، فجهدنا وطفنا ساعة هومة[٣١٨] علىٰ أن نجد[٣١٩] النّهر فلم نهتد إليه، حتّىٰ أنّ الخدم كذّبوني وقالوا لي: «لم تصدق». فلمّا انصرفت إلىٰ الرّحل وانصرف والدي أخبرته بالقصّة فقال لي: يابنيّ هو الّذي أخرجني إلىٰ هذا المكان، وتحمّل الخطر كان لذلك النّهر، ولم أُرزَق أنا ورُزِقته أنت، وسوف يطول عمرك حتّىٰ تملّ الحياة.

ثمّ رحلنا منصرفين وعدنا إلىٰ أوطاننا وبلدنا، وعاش والدي بعد ذلك

---

(٣١٥) «ر»: وأوجسوا في أنفسهم خيفة.

(٣١٦) «ر»: فيه من عدم.

(٣١٧) «ر»: في طلب الماء.

(٣١٨) في المصدر وبعض نُسخنا: هوية.

(٣١٩) «ر»: «في طلب» بدل «على أن نجد».

سنيّات وتُوفّي[٣٢٠] ـ رحمة الله عليه ـ .

فلمّا بلغ سنّي قريباً من ثلاثين سنة وكان قد اتّصل بنا وفاة النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ووفاة الخليفتين بعده، خرجت حاجّاً، فلحقت آخر أيّام عثمان، ولمّا لقيت أصحاب النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فمال قلبي من بين جماعة أصحاب النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إلىٰ عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ فأقمت معه أخدمه وشهدت معه وقائع، وفي وقعة صفّين أصابتني هذه الشّجّة من دابّته، فما زلت مقيماً معه إلىٰ أن مضىٰ لسبيله ـ عليه السّلام ـ فألحّ عليَّ أولاده وحرمه أن أقيم عندهم فلم أقم وانصرفت إلىٰ بلدي.

وخرجت أيّام بني مروان حاجّاً وانصرفت مع أهل بلدي إلىٰ هذه الغاية لم أخرج إلىٰ[٣٢١] سفر إلّا ما كان من الملوك في بلاد المغرب يبلغهم خبري وطول عمري، فيستحضروني[٣٢٢] إلىٰ حضرتهم ليروني ويسألوني عن سبب طول عمري وعمّا شاهدت وكنت أتمنّىٰ وأشتهي أن أحجّ حجّة أُخرىٰ. فحملني هؤلاء حفدتي وأسباطي الّذين ترونهم حولي.

وذكر أنّه قد سقطت أسنانه مرّتين أو ثلاث مرّات. فسألناه أن يحدّثنا بما سمعه من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ . فذكر أنّه لم يكن له حرص ولا همّة في طلب العلم وقت صحبته لعليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ والصّحابة أيضاً كانوا متوافرين. فمن فرط ميلي لعليّ ـ عليه السّلام ـ ومحبّتي له لم أشتغل بشيء سوىٰ خدمته وصحبته. والّذي كنت أتذكّره ممّا كنت سمعته منه قد سمعه منّي عالم من النّاس ببلاد المغرب ومصر والحجاز، وقد انقرضوا

---

(٣٢٠) «ر»: ثمّ مات.

(٣٢١) «ر» والمصدر: «ما خرجت في» بدل «لم أخرج إلىٰ».

(٣٢٢) في بعض النّسخ: فيشخصوني.

وتفانوا، وهؤلاء أهل بلدي وحفدتي وأسباطي قد دوّنوه. فأخرجوا إلينا النّسخة وأخذ يملي علينا من حفظه.[٣٢٣]

حدّثنا أبو الحسن عليّ بن عثمان بن خطّاب بن مرّة بن مؤيّد الهَمْدانيّ المعروف بأبي الدّنيا معمّر المغربي ـ رضي الله عنه حيّاً وميّتاً ـ قال: حدّثنا عليّ ٱبن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ من أحبّ أهل اليمن فقد أحبّني، ومن أبغض أهل اليمن فقد أبغضني.[٣٢٤]

وحدّثنا أبو الدّنيا معمّر قال: حدّثني عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآلـه ـ: من أعـان ملهوفاً كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيّئات، ورفع له عشر درجات.

ثمّ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: من سعىٰ في حاجة أخيه المؤمن[٣٢٥] لله فيها رضىً وله فيها صلاح، فكأنّما خدم الله ألف سنة لم يقع في معصية طرفة عين.[٣٢٦]

وحدّثنا أبو الدّنيا مُعمّر المغربيّ قال: سمعت عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ يقول: أصاب النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ جوع شديد وهو في منزل فاطمة ـ عليها السّلام ـ قال عليّ: فقال لي النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: ياعليّ هات المائدة! فقدّمت المائدة، فإذا عليها خبز ولحم مشويّ.[٣٢٧]

---

(٣٢٣) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٣٨، الحديث ١.

(٣٢٤) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤١، الحديث ٢.

(٣٢٥) كذا في «ب» «ر» «المصدر» وفي سائر النسخ: المسلم.

(٣٢٦) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤١، الحديث ٣.

(٣٢٧) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤١، الحديث ٢.

حدّثنا أبو الدّنيا معمّر المغربيّ قال: سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ يقول: جُرحت في وقعة خيبر خمساً وعشرين جراحة، فجئت إلىٰ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فلمّا رأىٰ مابي من الجراحة بكىٰ وأخذ من دموع عينيه فجعلها علىٰ الجراحات، فاسترحت من ساعتي(٣٢٨).

وحدّثنا أبو الدّنيا قال: حدّثني عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: من قرأ «قل هو الله أحد» مرّة فكأنّما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرّتين فكأنّما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرّات فكأنّما قرأ القرآن كلّه.(٣٢٩)

وحدّثنا أبو الدّنيا قال: سمعت عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ يقول: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: كنت أرعىٰ الغنم، فإذا أنا بذئب علىٰ قارعة الطّريق، فقلت له: ماتصنع هاهنا؟

فقال لي: وأنت ماتصنع؟

قلت: أرعىٰ الغنم.

قال: مُرْ.

قال: فسقت الغنم. فلمّا توسّط الذّئب الغنم فإذا أنا بالذّئب قد شدّ علىٰ شاةٍ فقتلها.

قال: فجئت حتّىٰ أخذت بقفاه فذبحته وجعلته علىٰ يدي، وجعلت أسوق الغنم. فلمّا سرت غير بعيد إذا أنا بثلاثة أملاك: جبرئيل، وميكائيل، وملك الموت ـ صلوات الله عليهم ـ فلمّا رأوني قالوا: هذا محمّد بارك الله فيه. فاحتملوني

---

(٣٢٨) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤٢، الحديث ٥.

(٣٢٩) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤٢، الحديث ٦.

وأضجعوني وشقّوا جوفي بسكّين كان معهم وأخرجوا قلبي من موضعه وغسلوا جوفي بماء كان معهم بارد في قارورة حتّىٰ نقي من الدّم. ثمّ ردّوا قلبي إلىٰ موضعه وأمـرّوا أيديهم علىٰ جوفي فالتحم الشّقّ بإذن الله ـ عزّ وجلّ ـ وما حسست بسكّين ولا وجع.

قال: وخـرجت أعدو إلىٰ أمّي؛ يعني حليمة داية النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فقالت لي: أين الغنم؟ فخبّرتها بالخبر. فقالت: سوف يكون لك في الجنّة منزلة عظيمة.(٣٣٠)

وحدّثنا أبو سعيد عبدالله بن محمّد بن عبدالوهّاب، قال: ذكر أبو بكر محمّد بن أبي الفتح المزكيّ، وأبو الحسن عليّ بن الحسين اللاّشكيّ: أنّ السّلطان بمكّة لمّا بلغه خبر أبي الدّنيا تعرّض له وقال: لا بدّ لي أن أخرجك إلىٰ بغداد إلىٰ حضرة أمير المؤمنين المقتدر. فإنّي أخشىٰ أن يعتب عليَّ إن لم أُخرجك معي إليه. فسأله الحاجّ من أهل المغرب وأهل مصر والشّام أن يعفيه ولا يشخصه؛ فإنّه شيخ ضعيف فلا يُؤمَن مايحدث عليه. فأعفاه.

قال أبو سعيد: ولو أنّي حضرت الموسم في تلك السّنة لشاهدته. وخبره كان مستفيضاً شائعاً في الأمصار. وكتب عنه هذه الأحاديث المصريّون والشّاميّون والبغـداديّون ومن سائـر الأمصار ممّن حضر الموسم. وبلغه خبر هذا الشّيخ. وأحب أن يلقاه ويكتب عنه ـ نفعنا الله وإيّاهم بها ـ.(٣٣١)

وأخبرني أبو محمّد الحسن بن محمّد بن يحيىٰ بن الحسن بن جعفر بن عبدالله بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ

---

(٣٣٠) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤٢، الحديث ٧.

(٣٣١) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤٢، الحديث ٨.

فيما أجازه لي ممّا يصحّ عندي من حديثه، وصحّ عندي هذا الحديث برواية الشّريف أبي عبدالله محمّد بن الحسن بن إسحاق بن الحسين بن إسحاق بن موسىٰ بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ عليهم السّلام ـ أنّه قال: حججت في سنة عشر وثلاثمائة[٣٣٢] وفيها حجّ نصر القسوريّ صاحب[٣٣٣] المقتدر بالله ومعه عبدالله بن حمدان المكنّىٰ بأبي الهيجاء. فدخلت مدينة الرّسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ في ذي القعدة. فأصبت قافلة المصريّين وفيها أبو بكر محمّد بن عليّ الماذرائي ومعه رجل من أهل المغرب. وذكر أنّه رأىٰ أصحاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ. فاجتمع عليه النّاس وازدحموا وجعلوا يتمسّحون به وكادوا يأتون علىٰ نَفَسِهِ. فأمر عمّي أبو القاسم طاهر بن يحيىٰ ـ رضي الله عنه ـ فتيانه وغلمانه فقال: «أفرجوا عنه النّاس». ففعلوا وأخذوه فأدخلوه دار أبي سهل الطّفيّ وكان عمّي نازلها. فأُدخل وأُذن للنّاس فدخلوا، وكان معه خمسة نفر ذكر أنّهم أولاد أولاد[٣٣٤] أولاده، فيهم شيخ له نيف وثمانون سنة. فسألناه عنه.

فقال: هذا ابن ابني. وآخر له سبعون سنة.

[فقال: هذا][٣٣٥] ابن ابني. واثنين لهما ستّون سنة أو خمسون سنة أو نحوها. وآخر له سبع عشرة سنة.

فقال: هذا [ابن ابن][٣٣٦] ابني.

---

(٣٣٢) في المصدر: ثلاث عشرة وثلاثمائة.

(٣٣٣) «ب» «ح» «ر» وبعض نسخ المصدر: حاجب.

(٣٣٤) ليست في «ب» «ح» والمصدر.

(٣٣٥) أضفناه من المصدر.

(٣٣٦) أضفناه من المصدر.

ولم يكن معه فيهم أصغر منه. وكان إذا رأيته قلت ابن ثلاثين أو أربعين سنة، أسود الرّأس واللّحية، شاب نحيف الجسم، أدم ربع من الرّجال، خفيف العارضين، إلىٰ قصر أقرب.

قال أبو محمّد العلويّ: فحدّثنا هذا الرّجل ـ واسمه عليّ بن عثمان بن خطّاب بن مرّة بن مؤيّد ـ بجميع ما كتبناه عنه وسمعناه من لفظه، ومارأينا من بياض عنفقته(٣٣٧) بعد سوادها، ورجوع سوادها بعد بياضها عند شبعه من الطّعام.

قال أبو محمّد العلويّ ـ رضي الله عنه ـ : ولو لا أنّه حدّث جماعة من أهل المدينة من الأشراف والحاج من أهل مدينة السّلام وغيرهم من جميع الآفاق ماحدّثت عنه بما سمعت وسماعي منه بالمدينة وبمكّة في دار السّهميّين، في الدّار المعروفة بالمكتومة(٣٣٨)، وهي دار عليّ بن عيسىٰ بن الجرّاح. وسمعت منه في مضرب القشوري ومضرب الماذرائي [ومضرب أبي الهيجاء. وسمعت بمنىٰ بعد منصرفه من الحجّ بمكّة في دار الماذرائي](٣٣٩) عند باب الصّفا. وأراد القشوريّ أن يحمله وولده إلىٰ مدينة السّلام إلىٰ المقتدر، فجاءه فقهاء أهل مكّة فقالوا: أيّد الله الأستاد؛ إنّا روينا في الأخبار المأثورة عن السّلف أنّ المعمّر المغربيّ إذا دخل مدينة السّلام افتتنت(٣٤٠) وخربت وزال الملك، فلا تحمله وردّه إلىٰ المغرب، وسألنا مشائخ أهل المغرب ومصر، فقالوا: لم نزل نسمع من آبائنا ومشائخنا

(٣٣٧) العنفقة: شُعيرات بين الشّفة السّفلىٰ والذّقن.

(٣٣٨) في المصدر: بالمكبّريّة.

(٣٣٩) ليست في المصدر.

(٣٤٠) في المصدر: فُنيت.

يذكرون [اسم][٣٤١] هذا الرجل واسم البلد الّذي هو مقيم فيه طنجة، ذكروا أنّه كان يحدّثهم بأحاديث قد ذكرنا بعضها في كتابنا هذا.

قال أبو محمّد العلويّ ـ رضي الله عنه ـ: فحدّثنا هذا الشّيخ أعني عليّ ابن عثمان المعمّر ببدء خروجه من بلدة من[٣٤٢] حضرموت، وذكر أنّ أباه خرج هو وعمّه وأخرجا به معهما يريدان الحجّ وزيارة النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فخرجوا من بلادهم من حضرموت وساروا أيّاماً، ثمّ أخطؤوا الطّريق وتاهوا عن المحجّة. فأقاموا تائهين ثلاثة أيّام وثلاث ليال علىٰ غير محجّة. فبينما هم كذلك إذ وقعوا في جبال رمل يقال لها: «رمل عالج»، تتّصل برمل إرم ذات العماد. فبينما هم كذلك إذ وقعوا في جبال[٣٤٣] قدم طويل.

قال: فجعلنا نسير علىٰ أثرها. فأشرفنا علىٰ وادٍ، وإذا برجلين قاعدين علىٰ بئر أو علىٰ عين.

قال: فلمّا نظرا إلينا قام أحدهما فأخذ دلواً فأدلاه واستقىٰ فيه من تلك العين أو البئر واستقبلنا. فجاء إلىٰ أبي فناوله الدّلو.

فقال أبي: قد أمسينا ننيخ علىٰ هذا الماء ونفطر إن شاء الله.

فصار إلىٰ عمّي فقال له: اشرب.

فردّ عليه كما ردّ عليه أبي. فناولني وقال لي: اشرب.

فشربت. فقال: هنيئاً لك إنّك ستلقىٰ عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ. فأخبره أيّها الغلام بخبرنا وقل له: الخضر وإلياس يقرئانك السّلام. وستعمّر حتّىٰ تلقىٰ المهديّ وعيسىٰ بن مريم ـ عليهما السّلام ـ. فإذا لقيتهما فاقرأهما

(٣٤١) أضفناه من المصدر.

(٣٤٢) ليست في المصدر.

(٣٤٣) في المصدر: «نحن كذلك إذا نظرنا إلى أثر» بدل «هم كذلك... جبال».

السّلام.

ثمّ قالا: مايكونان هذان منك؟

فقلت: أبي وعمّي.

فقالا: أمّا عمّك فلا يبلغ مكّة. وأمّا أنت وأبوك فستبلغان. ويموت أبوك. وتعمّر أنت. ولستم تلحقون النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ؛ لأنّه قد قرب أجله.

ثمّ ميّلا[٣٤٤]، فوالله ماأدري أين مرّا في السّماء أو في الأرض. فنظرنا فإذا لا بئر ولا عين ولا ماء. فسرنا متعجّبين من ذلك إلىٰ أن رجعنا إلىٰ نجران. فٱعتلّ عمّي ومات بها وأتممت أنا وأبي حجّنا، ووصلنا إلىٰ المدينة فاعتلّ أبي ومات وأوصىٰ بي إلىٰ عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ . فأخذني وكنت معه أيّام أبي بكر وعمر وعثمان و[أيام][٣٤٥] خلافته، حتّىٰ قتله عبدالرّحمن بن ملجم ـ لعنه الله ـ .

وذكر أنّه لمّا حوصر عثمان بن عفّان في داره دعاني. فدفع إليّ كتاباً ونجيبا وأمرني بالخروج إلىٰ عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ وكان في ضياعه بينبع وأمـواله. فأخذت الكتاب وسرت حتّىٰ إذا كنت بموضع يقال له: «جدار أبي عناية»، سمعت قرآناً، فإذا عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ يسير مقبلاً من ينبع وهو يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٣٤٦].

فلمّا نظر إليّ قال: يا أبا الدّنيا ماوراءك؟

قلت: هذا كتاب أمير المؤمنين عثمان.

فأخذه فقرأه فإذا فيه:

---

(٣٤٤) في المصدر: مرّا.

(٣٤٥) أضفناه من المصدر.

(٣٤٦) المؤمنون: ١١٥.

فإن كنت مأكولاً فكُن أنت آكلي وإلّا فأدركني ولمّا أُمزّقُ

فلمّا قرأه قال: سِرْ سِر.

فدخل إلىٰ المدينة ساعة قتل عثمان بن عفّان. فمال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ إلىٰ حديقة بني النّجار وعلم النّاس بمكانه. فجاؤوا إليه ركضاً وقد كانوا عازمين علىٰ أن يبايعوا طلحة بن عبيدالله. فلمّا نظروا إليه ارفضّوا إليه ارفضاض الغنم يشدّ عليها السّبع. فبايعه طلحة، ثمّ الزّبير، ثمّ بايع المهاجرون والأنصار. فأقمت معه أخدمه. فحضرت معه الجمل وصفّين، وكنت بين الصّفّين واقفاً عن يمينه إذ سقط سوطه من يده. فأكببت آخذه وأدفعه إليه وكان لجام دابّته حديداً مدمّجاً. فرفع الفرس رأسه. فشجّني هذه الشّجّة الّتي في صدغي. فدعاني أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ. فتفل فيها وأخذ حفنة من تراب فتركه عليها، فوالله ماوجدت لها ألماً ولا وجعاً.

ثمّ أقمت معه حتّىٰ قُتل ـ صلوات الله عليه ـ وصحبت الحسن بن عليّ ـ عليه السّلام ـ حين ضُرب بساباط المدائن. ثمّ بقيت معه بالمدينة أخدمه وأخدم الحسين ـ عليهما السّلام ـ حتّىٰ مات الحسن مسموماً؛ سمّته جعدة بنت الأشعث ٱبن قيس الكنديّ ـ لعنها الله ـ دسّاً من معاوية.

ثمّ خرجت مع الحسين بن عليّ ـ عليه السّلام ـ حتّىٰ حضرت كربلاء، وقُتل ـ عليه السّلام ـ وخرجت هارباً بديني، وأنا مقيم بالمغرب أنتظر خروج المهديّ وعيسىٰ بن مريم ـ عليهما السّلام ـ.

قال أبو محمّد العلويّ ـ رضي الله عنه ـ: ومن عجيب مارأيت من هذا الشّيخ عليّ بن عثمان وهو في دار عمّي طاهر بن يحيىٰ ـ رضي الله عنه ـ وهو يحدّث بهذه الأعاجيب وبدء خروجه، فنظرت إلىٰ عنفقته وقد احمرّت، ثمّ

ابيضّت، فجعلت أنظر إليه لأنّه لم يكن في رأسه ولا لحيته ولا عنفقته بياض به.

قال: فنظر إلىٰ نظري إلىٰ لحيته وعنفقته فقال: ماترون أنّ هذا يصيبني إذا جعت وإذا شبعت رجعت إلىٰ سوادها.

فدعا عمّي بطعام فأُخرج من داره ثلاث موائد، فوُضعت واحدة بين يدي الشّيخ وكنت أنا أحد من جلس عليها، فكنت[٣٤٧] معه، فوُضعت المائدتان وسط الدّار وقال عمّي للجماعة: بحقّي عليكم إلّا أكلتم وتحرّمتم بطعامنا.

فأكل قوم وامتنع قوم، وجلس عمّي علىٰ يمين الشّيخ يأكل ويلقي بين يديه. فأكل أكل شابّ وعمّي يحلف عليه وأنا أنظر إليه وعنفقته تسودّ حتّىٰ عادت إلىٰ سوادها.[٣٤٨]

وحدّثنا عليّ بن عثمان بن الخطاب، قال: حدّثني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: من أحبّ أهل اليمن فقد أحبّني، ومن أبغضهم فقد أبغضني.[٣٤٩]

وممّا نقلته من الكتاب المذكور حديث عبيد بن شريد الجرهميّ.

وحدّثنا أبو سعيد عبدالله بن محمّد بن عبدالوهاب الشّجريّ، قال: وجدت في كتاب لأخي أبي الحسين[٣٥٠] بخطّه يقول: سمعت بعض أهل العلم ممّن قرأ الكتب وسمع الأخبار: أنّ عبيد بن شريد الجرهميّ ـ وهو معروف ـ عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، فأدرك النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وحسن إسلامه، وعمّر بعدما قُبض النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ حتّىٰ قدم علىٰ معاوية في أيّام

(٣٤٧) في المصدر: فجلست.

(٣٤٨) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤٣، الحديث ٩.

(٣٤٩) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤٧، الحديث ١٠.

(٣٥٠) في المصدر: الحسن.

تغلّبه وملكه، فقال معاوية: أخبرني ياعبيد عمّا رأيت وسمعت ومن أدركت وكيف رأيت الدّهر؟

فقال: أمّا الدّهر فرأيت ليلاً يشبه ليلاً، ونهاراً يشبه نهاراً، ومولوداً يولد، وميّتاً يموت، ولم أدرك أهل زمان إلاّ وهم يذمّون زمانهم. وأدركت من قد عاش ألف سنة. فحدَّثني عمّن كان قبله قد عاش ألفي سنة. وأمّا ما سمعت فحدّثني ملك من ملوك حمير: أنّ بعض ملوك التّبابعة(٣٥١) ممّن دانت له البلاد كان يقال له: «ذو سرح»، كان أُعطي الملك في عنفوان شبابه وكان حسن السّيرة في أهل مملكته، محسناً(٣٥٢) فيهم مطاعاً. فملكهم سبعمائة سنة. وكان كثيراً مايخرج في خاصّته إلىٰ الصّيد والنّزهة. فخرج يوماً في بعض تنزّهه. فأتىٰ علىٰ حيّتين إحديهما بيضاء كأنّها سبيكة فضّة، والاُخرىٰ سوداء كأنّها حممة وهما تقتتلان، وقد غلبت السّوداء البيضاء. فكادت تأتي علىٰ نَفسِها. فأمر الملك بالسّوداء فقُتلت. وأمر بالبيضاء فاحتُملت حتّىٰ انتهىٰ بها إلىٰ عين ماء نقيّ عليها شجرة، فأمر فصُبَّ عليها من الماء فسُقيت حتّىٰ رجع إليها نَفَسُها. فأفاقت فخلّىٰ سبيلها. فانسابت الحيّة ومضت، ومكث الملك يومه في تصيّده ونزهته(٣٥٣). فلمّا أمسىٰ رجع إلىٰ منزله وجلس علىٰ سريره في موضع لا يصل إليه حاجب ولا أحد. فبينما هو كذلك إذ رأىٰ شاباً آخذاً بعضادتي الباب وبه من الشّباب والجمال شيء لا يوصف. فسلّم عليه فذُعر منه الملك.

فقال له: مَنْ أنت؟ ومن أذن لك بالدّخول عليَّ في هذا الموضع الّذي لا

---

(٣٥١) هم بنو حمير، كانوا باليمن، وإنّما سمّوا تبابعة لأنّه يتبع بعضهم بعضاً، كلّما هلك واحد منهم قام بعده واحد آخر، ولم يكونوا يسمّون الملك منهم بتبّع حتّىٰ يملك اليمن.

(٣٥٢) في المصدر: سخيّاً.

(٣٥٣) «ع» «ر»: تنزّهه.

يصل إليه حاجب ولا غيره؟

فقال له الفتىٰ: لا ترع ـ أيّها الملك ـ إنّي لست بإنسيّ ولكنّي فتىً من الجنّ أتيتك لأُجازيك ببلائك الحسن الجميل عندي!

قال الملك: ومابلائي عندك؟

قال: أنا الحيّة الّتي أحييتني في يومك هذا. والأسود الّذي قتلته وخلّصتني منه كان غلاماً لنا تمرّد علينا وقد قتل من أهل بيتي عدّة، وكان إذا خلا بواحد منّا قتله، فقتلت عدوّي وأحييتني. فجئتك لأُكافئك ببلائك عندي، ونحن ـ أيّها الملك ـ الجنّ لا الجنّ.

فقال له الملك: وما الفرق بين الجنّ والجنّ؟

ثمّ انقطع الحديث من الأصل الّذي كتب أخــي(*) فلم يكن هناك تمامه.(٣٥٤)

حديث الرّبيع بن ضبع الفزاريّ

حدّثنا أحمد بن يحيىٰ المكتب، قال: حدّثنا أبو الطّيّب أحمد بن محمّد الورّاق، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن دريد الأزديّ العمانيّ: بجميع أخباره وكتبه ٱلّتي صنّفها، ووجدنا في أخباره أنّه قال: لمّا وفد النّاس علىٰ عبدالملك بن مروان قدم في من قدم عليه الرّبيع بن ضبع الفزاريّ، وكان أحد المعمّرين ومعه ابن ابنه وهب بن عبدالله بن الرّبيع شيخاً فانياً قد سقط حاجباه علىٰ عينيه وقد عصّبهما، فلمّا رآه الآذن ـ وكانوا يأذنون للنّاس علىٰ أسنانهم ـ قال له:

(*) في المصدر: «كتبته» بدل «كتب أخي».

(٣٥٤) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤٧، الحديث ١.

«ادخل أيّها الشّيخ». فدخل يدبّ علىٰ العصاة يقيم بها صلبه ولحيته[٣٥٥] علىٰ ركبتيه.

قال: فلمّا رآه عبدالملك رقّ له وقال له: اجلس أيّها الشّيخ.

فقال: ياأمير المؤمنين أيجلس الشّيخ وجدّه علىٰ الباب؟

قال: فَإِذَنْ أنت من ولد الرّبيع بن ضبع؟

قال: نعم أنا وهب بن عبدالله بن الرّبيع.

قال للآذان: ارجع فأدخل الرّبيع.

فخرج الآذن فلم يعرفه حتّىٰ نادىٰ: أين الرّبيع؟

قال: ها أنا ذا.

فقام يهرول في مشيته. فلمّا دخل علىٰ عبدالملك سلّم. فقال عبدالملك لجلسائه: وأبيكم[٣٥٦] إنّه لأشبّ الرّجلين. ياربيع أخبرني عمّا أدركت من العمر والّذي رأيت من الخطوب الماضية.

قال: أنا أقول:

ها أنا ذا آمل الخلود وقد أدرك عمري ومولدي حجرا

أنا امرؤ القيس قد سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا

قال عبدالملك: قد رويت هذا من شعرك وأنا صبيّ، قال: وأنا القائل:

إذا عاش الفتىٰ مائتين عاماً فقد ذهب اللّذاذة والفتاءُ

قال عبدالملك: وقد رويت هذا أيضاً وأنا غلام، ياربيع لقد طلبك جَدٌّ غير عاثر، ففصّل لي عمرك.

فقال: عشت مائتين سنة في الفترة بين عيسىٰ ومحمّد ـ صلّىٰ الله عليهما ـ

(٣٥٥) في المصدر: وكشحيه.

(٣٥٦) في المصدر: ويلكم.

وعشرين ومائة سنة في الجاهليّة، وستّين سنة في الإسلام.

قال أخبرني عن الفتية من قريش المتواطئي الأسماء.

قال: سل عن أيّهم شئت؟

قال: أخبرني عن عبدالله بن عبّاس.

قال: فهمٌ وعلم وعطاء وحدم[٣٥٧]، ومقرئ ضخم.

قال: فأخبرني عن عبدالله بن عمر.

قال: حلم وعلم وطول وكظم وبعدٌ من الظّلم.

قال: فأخبرني عن عبدالله بن جعفر.

قال: ريحانة طيّب ريحها، ليّن مسّها، قليل على المسلمين ضررها.

قال: فأخبرني عن عبدالله بن الزّبير.

قال: جبل وعر ينحدر منه الصّخر.

قال: لله درّك ما أخبرك بهم!

قال: قرب جواري، وكثر استخباري.[٣٥٨]

حديث شقّ الكاهن نقلاً من الكتاب المذكور أيضاً عن الرّواة المقدّم ذكرهم

عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، قال: سمعت شيوخاً من بجيلة مارأيت على سروهم ولا حسن هيئتهم يخبرون أنّه عاش شقّ الكاهن ثلاثمائة سنة. فلمّا حضرته الوفاة اجتمع عليه قومه، فقالوا له: أوصنا فقد آن أن يفوتنا بك الدّهر.

(٣٥٧) في المصدر: وحلم.

(٣٥٨) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٤٩، الحديث ١.

فقال: تواصلوا ولا تقاطعوا، وتقابلوا ولا تدابروا، [وبلّوا الأرحام][٣٥٩]، واحفظوا الذّمام، وسوّدوا الحليم، وأجلّوا الكريم، وأذلّوا اللّئيم، ووقّروا ذا الشّيبة، وتجنّبوا الهزل في مواضع الجدّ، ولا تكدّروا الإنعام بالمنّ، واعفوا إذا قدرتم، وهادنوا إذا عجزتم، وأحسنوا إذا كويدتم، واسمعوا من مشائخكم، واستبقوا دواعي الصّلاح عند إحن العداوة؛ فإنّ بلوغ الغاية في النّدامة جرح بطيء الاندمال، وإيّاكم والطّعن في الأنساب، ولا تفصحوا عن مساوئكم، ولا تودعوا عقائلكم غير مساوئكم؛ فإنّها وصمة فادحة وقصأة فاضحة، الرّفق الرّفق لا الخرق؛ فإنّ الخرق مندمة في العواقب، مكسبة للعوائب، الصّبر أبعد[٣٦٠] عتاب، والقناعة خير مال، والنّاس أتباع الطّمع، وقرائن الهلع، ومطايا الجزع، وروح الذّلّ التّخاذل، ولاتزالون ناظرين بعيون سامية[٣٦١] ما اتّصل الرّجاء بأموالكم، والخوف بأعمالكم[٣٦٢].

ثمّ قال: يا لها نصيحة زلّت عن عذبة فصيحة إن كان وعاؤها وكيعاً، ومعدنها منيعاً، ثمّ مات.

قال مصنّف هذا الكتاب[٣٦٣] ـ رضي الله عنه ـ: إنّ مخالفينا يروون مثل هذه الأحاديث ويصدّقون بها، ويروون حديث شدّاد بن عاد بن إرم، وإنّه عمّر تسعمائة سنة، ويروون صفة جنّته، وإنّها مغيّبة عن النّاس فلا ترىٰ، وإنّها في الأرض، ولا يصدّقون بقائم آل محمّد ـ صلوات الله عليه ـ ويكذّبون بالأخبار

(٣٥٩) أضفناه من المصدر.
(٣٦٠) في المصدر: أنفذ.
(٣٦١) في المصدر: نائمة.
(٣٦٢) في المصدر: بمحالّكم.
(٣٦٣) أي: الشّيخ الصّدوق ـ رحمة الله عليه ـ.

الّتي رويت فيه؛ جحوداً للحقّ، وعناداً لإله الخلق[٣٦٤].

حديث شدّاد بن عاد بن إرم
وصفة إرم ذات العماد الّتي لم يُخلَق مثلها في البلاد
نقلاً من الكتاب المذكور

أخبرنا[٣٦٥] محمّد بن هارون الزّنجانيّ في ما كتب إليّ، قال: حدّثنا معاذ ابن المثنّىٰ العنبريّ، قال: حدّثنا عبدالله [بن محمّد][٣٦٦] بن أسماء، قال: حدّثنا جويرية، عن سفيان، عن منصور، عن أبي وائل، قال: إنّ رجلاً يقال له: «عبدالله ابن فلانة»، خرج في طلب إبل له قد شردت. فبينما هو في صحاري عدن في تلك الفلوات؛ إذ هو قد وقع علىٰ مدينة عليها حصن، حول ذلك الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال. فلمّا دنا منها ظنّ أنّ فيها من يسأله عن إبله. فلم يـر داخلاً ولا خارجاً. فنزل عن ناقته وعقلها وسلّ سيفه ودخل من باب الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدّنيا أعظم منهما ولا أطول؛ وإذا خشبهما من أطيب عود، وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان. فلمّا رأىٰ ذلك أعجبه، ففتح أحد البابين ودخل فإذا هو بمدينة لم ير الرّاؤون مثلها قطّ. وإذا هو بقصور كلّ قصر منها معلّق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت، وفوق كلّ قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف مبنيّة بالذّهب والفضّة واللّؤلؤ والياقوت والزّبرجد، وعلىٰ كلّ باب من أبواب تلك القصور مصاريع مثل مصاريع باب

---

(٣٦٤) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٥٠، الحديث ١.

(٣٦٥) «ر» حدّثنا.

(٣٦٦) أضفناه من المصدر.

المدينة من عود طيّب قد نضّدت عليه اليواقيت، وقد فُرشت تلك القصور باللّؤلؤ وبنادق المسك والزّعفران. فلمّا رأىٰ ذلك ولم ير هناك أحداً أفزعه ذلك.

ثمّ نظر إلىٰ الأزقّة فإذا في كلّ زقاق منها أشجار قد أثمرت، تحتها أنهار تجري، فقال: هذه الجنّة الّتي وصف الله ـ عزّ وجلّ ـ لعباده في الدّنيا. فالحمد لله الّذي أدخلني الجنّة.

فحمل من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزّعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها؛ لأنّه كان مثبتاً عليه في أبوابها وجدرانها، وكان اللّؤلؤ وبنادق المسك والزّعفران منثوراً بمنزلة الرّمل في تلك القصور والغرف كلّها. فأخذ منها ماأراد وخرج وأتىٰ ناقته وركبها.

ثمّ سار يقفوا أثر ناقته حتّىٰ رجع إلىٰ اليمن وأظهر ما كان معه، وأعلم النّاس أمره، وباع بعض ذلك اللّؤلؤ وكان قد اصفارّ وتغيّر من طول مامرّ عليه من اللّيالي والأيّام. فشاع خبره وبلغ معاوية بن أبي سفيان فأرسل رسولاً إلىٰ صاحب صنعاء وكتب بإشخاصه. فشخص حتّىٰ قدم علىٰ معاوية. فخلا به وسأله عمّا عاين. فقصّ عليه أمر المدينة ومارأىٰ فيها وعرض عليه ماحمله منها من اللّؤلؤ وبنادق المسك والزّعفران، فقال: والله ما أُعطي سليمان بن داود مثل هذه المدينة.

فبعث معاوية إلىٰ كعب الأحبار فدعاه وقال له: يا أبا إسحاق هل بلغك أنّ في الدّنيا مدينة مبنيّة بالذّهب والفضّة وعمدها زبرجد وياقوت وحصباء[٣٦٧] قصورها وغرفها اللّؤلؤ وأنهارها في الأزقّة تجري تحت الأشجار؟

قال: كعب الأحبار: أمّا هذه المدينة صاحبها شدّاد بن عاد الّذي بناها. وأمّا

(٣٦٧) «ب»: وحصا.

المدينة فهي إرم ذات العماد الّتي وصفها الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه المنزل علىٰ نبيّه محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وذكر أنّه لم يخلق مثلها في البلاد.

قال معاوية: حدّثنا بحديثها.

فقال: إنّ عاداً الاُولىٰ ـ وليس بعاد قوم هود ـ كان له ابنان سمّىٰ أحدهما شدّاداً والآخر شديداً. فهلك عاد وبَقِيَا وَمَلَكَا وتجبّرا، وأطاعهما النّاس في الشّرق والغرب، فمات شديد وبقي شدّاد. فملك وحده ولم ينازعه أحد، وكان مولعاً بقراءة الكتب، وكان كلّما سمع بذكر الجنّة ومافيها من البنيان والياقوت والزّبرجد واللّؤلؤ رغب أن يفعل مثل ذلك في الدّنيا عتوّاً علىٰ الله ـ عزّ وجلّ ـ فجعل علىٰ صنعتها مائة وزير تحت يد كلّ واحد منهم ألف من الأعوان. فقال: انطلقوا إلىٰ أطيب فلاة في الأرض وأوسعها فاعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضّة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ. واصنعوا تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وعلىٰ المدينة قصوراً، وعلىٰ القصور غرفاً، وفوق الغرف غرفاً، واغرسوا تحت القصور في أزقّتها أصناف الثّمار كلّها، وأجروا فيها الأنهار حتّىٰ تكون تحت أشجارها فإنّي أقرأ[٣٦٨] في الكتب صفة الجنّة وأنا أحبّ أن أجعل مثلها في الدّنيا.

قالوا له: كيف نقدر علىٰ ماوصفت لنا من الجواهر والذّهب والفضّة حتّىٰ يمكننا أن نبني مدينة كما وصفت؟

قال شدّاد: ألا تعلمون أنّ ملك الدّنيا بيدي؟!

قالوا: بلىٰ.

قال: فانطلقوا إلىٰ كلّ معدن من معادن الجواهر والذّهب والفضّة، فوكّلوا بها حتّىٰ تجمعوا ماتحتاجون إليه، وخذوا جميع ماتجدونه في أيدي النّاس من

---

(٣٦٨) في المصدر: قرأت.

الذّهب والفضّة.

فكتبوا إلىٰ كلّ ملك في الشّرق والغرب. فجعلوا يجمعون أنواع الجواهر عشر سنين. فبنوا له هذه المدينة في مدّة ثلاثمائة سنة، وعمّر شدّاد تسعمائة سنة. فلمّا أتوه فأخبروه بفراغهم منها، قال: انطلقوا فاجعلوا عليها حصناً، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كلّ قصر ألف علم، يكون في كلّ قصر من تلك القصور وزير من وزرائي.

فرجعوا وعملوا ذلك كلّه له، ثمّ أتوه فأخبروه بالفراغ منها كما أمرهم به. فأمر النّاس بالتّجهيز إلىٰ إرم ذات العماد. فأقاموا في جهازهم إليها عشر سنين. ثمّ سار الملك يريد إرم. فلمّا كان من المدينة علىٰ مسيرة يوم وليلة بعث الله ـ عزّ وجلّ ـ عليه وعلىٰ جميع من كان معه صيحة من السّماء فأهلكتهم جميعاً. ومادخل إرم ولا أحد ممّن كان معه. فهذه صفة إرم ذات العماد ٱلّتي لم يُخلَق مثلها في البلاد. وإنّي لأجد في الكتب أنّ رجلًا يدخلها ويرىٰ مافيها ثمّ يخرج فيحدّث بما يرىٰ فلا يُصدَّق وسيدخلها أهل الدّين في آخر الزّمان.

قال مصنّف هذا الكتاب ـ رضي الله عنه[٣٦٩] ـ: إذا جاز أن يكون في الأرض جنّة مغيّبة عن النّاس لا يهتدي إلىٰ مكانها أحد من النّاس ولا يعلموا بها، ويعتقدون صحّة كونها من طريق الأخبار، فكيف لا يقبلون من طريق الأخبار كون القائم ـ عليه السّلام ـ الآن في غيبته؟! وإذا جاز أن يعمّر شدّاد ٱبن عاد تسعمائة سنة، فكيف لا يجوز أن يعمّر القائم ـ عليه السّلام ـ مثلها وأكثر منها؟! والخبر في شدّاد بن عاد، عن ابي وائل، والأخبار عن القائم ـ عليه السّلام ـ، عن النّبيّ والأئمّة ـ صلوات الله عليهم ـ فهل ذلك إلّا مكابرة في

(٣٦٩) أي: الشّيخ الصّدوق في كمال الدّين.

جحود الحقّ.(٣٧٠)

ووجدت في كتاب المعمّرين أنّه حُكي عن هشام بن سعد(٣٧١) الرّحّال، قال: وجدنا حجراً بالإسكندريّة مكتوباً فيه: أنا شدّاد بن عاد، وأنا الّذي شيّدت العماد، الّتي لم يخلق مثلها في البلاد، وجنّدت الأجناد، وسددت بساعدي الواد، [فبنيتهنّ](٣٧٢) إذ لا شيب ولا موت، وإذا الحجارة في اللّين مثل الطّين، وكنزت كنزاً في البحر لن يخرجه أحد حتّىٰ تخرجه أُمّة محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

وعاش ابن ربيعة بن كعب بن أُميّة مائتي سنة وأربع عشرة سنة، وقال في ذلك:

لقـد عمّـرت حتّىٰ ملّ أهلي ... ثوائي عنـدهم وسئمت عمـري

وحـقّ لمن أتـىٰ مائتـان عامـاً ... عليه وأربـعٌ من بعـد عشرِ

يمـلّ من الثّـوىٰ ويصحّ يوم ... نغاديـه ولـيلٌ بعـدُ يسـري

فأهلي سلوتي(٣٧٣) وتركت شلواً ... وبـاح بما أجنّ ضـمير صـدري

وعـاش أبو زبيد ـ واسمه المنذر(٣٧٤) بن حرملة الطّائيّ وكان نصرانيّاً ـ خمسين ومائة سنة.

وعاش نصر بن دهمان بن سليمان بن أشجع بن ريب(٣٧٥) بن غطفان مائة وتسعين سنة حتّىٰ سقطت أسنانه، وخرف عقله، وابيضّ رأسه، فحزب علىٰ قومه

---

(٣٧٠) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٥٢، الحديث ١.

(٣٧١) في المصدر: سعيد.

(٣٧٢) أضفناه من المصدر.

(٣٧٣) في المصدر: جدّتي.

(٣٧٤) في المصدر: البدر.

(٣٧٥) في المصدر: الرّيث.

أمر فاحتاجوا فيه إلىٰ رأيه وعقله، فدعوا الله أن يردّ عليه عقله وشبابه، فعاد إليه شبابه واسودّ شعره.

فقال فيه سلمة بن الحريس[٣٧٦] الأنماريّ [من][٣٧٧] أنمار [بن][٣٧٨] بغيض، ويقال: عبّاس[٣٧٩] بن مرداس السّلميّ:

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها وتسعين حولاً ثمّ قُوِّمَ فانْصَاتا
وعاد سواد الرّأس بعد بياضه وعاوده شرخ الشّباب الّذي فاتا
وراجع عقلاً بعد ما فات عقله ولكنّه من بعد ذي كلّه ماتا

وعاش شوب[٣٨٠] بن حدّاق العباديّ مائتي سنة.

وعاش جشعم بن عوف بن حذيمة دهراً طويلاً، فقال:

حتّىٰ متىٰ جشعم في الأحياءِ ليس بذي أيد ولا غناءِ
هيهات ما للموت من دواءِ

وعاش ثعلبة بن كعب بن عبدالأشهل بن الأشوس مائتي سنة، فقال:

لقد صاحبتُ أقواماً فأمسوا خفاتاً لا يُجاب لهم دُعاءُ
مضوا قصدَ السّبيلِ وخلّفوني فطالَ عليَّ بعدَهُمُ الثّواء
فأصبحتُ الغداةَ رهينَ بيتي وأخلفَني من الموت الرّجاءُ

وعاش رداة [بن كعب][٣٨١] بن ذهل بن قيس النّخعيّ ثلاثمائة سنة، فقال:

---

(٣٧٦) «ح»: الحريص، «ر»: حريص، وفي المصدر: الخُرْشب.

(٣٧٧ و ٣٧٨) أضفناه من المصدر.

(٣٧٩) في المصدر: عياض.

(٣٨٠) في المصدر: سويد.

(٣٨١) أضفناه من المصدر.

لم يبقَ باحدثة[٣٨٢] من لِدَاتي أبو بنينٍ لا ولا بناتي
ولا عقيمٍ غير ذي بتاتِ إلّا يَعُدُّ اليوم[٣٨٣] في الأمواتِ
هل مشترٍ أبيعُهُ حياتي

وعاش عديّ بن حاتم طيء عشرين ومائة سنة.

وعاش أمابا[٣٨٤] بن قيس بن الحرث بن شيبان الكنديّ ستّين ومائة سنة.

وعاش عمير بن هاجر بن عمير بن عبدالعزّىٰ بن قمير الخزاعيّ سبعين ومائة سنة، فقال:

بليتُ وأفناني الزّمانُ وأصبحتْ هنيدة قد أبريت[٣٨٥] من بعدها عشرا
وأصبحتُ مثل الفرخ لا أنا ميّتٌ فأبلىٰ ولا حيّ فأُصدِرُ لي أمرا
وقد عشتُ دهراً ماتجنّ عشيرتي لها ميّتاً حتّىٰ أخطّ له قبرا

وعاش العوّام بن المنذر بن زبيد بن قيس بن حارثة بن لأم دهراً طويلاً في الجاهليّة، وأدرك عمر بن عبدالعزيز فأُدخل عليه وقد اختلفت ترقوتاه وسقط حاجباه، فقيل له: ما أدركت؟

فقال:

ووالله ماأدري أأدركتُ أُمّةً علىٰ عهد ذي القرنين أم كنت أقدما
متىٰ تخلعا منّي القميص تبيّنا جناحيّ[٣٨٦] لم يكسين لحماً ولا دما

وعاش سيف بن وهب بن جذيمة الطّائيّ مائتي سنة، فقال:

---

(٣٨٢) في المصدر: يا خذلة.

(٣٨٣) كذا في المصدر. وفي النسخ: الموت.

(٣٨٤) في المصدر: أماباة.

(٣٨٥) في المصدر: أبقيتُ.

(٣٨٦) في المصدر: جناجئ.

ألا إنّــني رجــلٌ كاهــبٌ[٣٨٧] فلا تحـسبـوا أنّني كـاذبُ
لبسـت شبـابي فأفنيتـُـهُ فأدرَكَـني القَـدَرُ الغـالبُ
وخصـاً دفعت ومـولىً نَفَعْـ ـتُ حتّىٰ ينوبَ لـه نائبُ[٣٨٨]

وعاش أرطأة بن شهبة[٣٨٩] المزنيّ عشرين ومائة سنة، فكان يكنّىٰ أبا الوليد، فقال له عبدالملك: مابقي من شعرك يا أرطأة؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما أشرت ولا أطرت ولا أعصبت ولا يحبّني[٣٩٠] الشّعراء إلّا علىٰ إحدىٰ هذه الخصال؛ علىٰ أنّي الذي أقول:

رأيتُ المـرءَ تأكُـلُه اللّيالي كأكـلِ الأرضِ ساقطَة الحـديدِ
ومـاتُـبـقـي المـنـيّـةُ حيـن تأتي علىٰ نفسِ ابـنِ آدمَ من مزيدِ
وأعـلمُ أنّـهـا ستـكـرُّ حتّىٰ توفّي نذرَهـا بأبي الـولـيـدِ

فارتاع عبدالملك، فقال أرطأة: ياأمير المؤمنين إنّي أُكنّىٰ أبا الوليد.

وعاش عبيد بن الأبرص ثلاثمائة سنة، فقال:

فنيتُ وأفنـاني الـزّمـانُ وأصبحت لداتي بنـو نعشٍ وزهـر الفـراقدِ

ثمّ أخذه النّعمان بن المنذر يوم بؤسه فقتله.

وعاش شريح بن هانئ عشرين ومائة سنة حتّىٰ قُتِل في زمن الحجّاج بن يوسف، فقال في كبره وضعفه:

أصبحت ذا بثٍّ أُقـاسي الكـبرا قد عشت بين المشـركـين أعصـرا
ثُمّت أدركـت الـنّـبـيّ المـنـذرا وبـعـده صدّيقـه وعـمـرا

---

(٣٨٧) في المصدر: «عاجلاً ذاهبُ» بدل «رجل كاهب».

(٣٨٨) في المصدر: «يثوب له ثائب» بدل «ينوب له نائب».

(٣٨٩) في المصدر: دشهبة.

(٣٩٠) في المصدر: «لا أشرب ولا أطرب ولا أغضب ولا يجيئنى» بدل «ما أشرت.... ولا يحبّني».

ويوم مهران ويوم يسترا[٣٩١] والجمع في صفّينهم والنّهرا

هيهات ما أطول هذا العمرا

وعاش رجل من بني ضبّة يقال له: المشحاح[٣٩٢] بن سباع الضّبّيّ، دهراً طويلاً، فقال:

لقد طوّفتُ في الآفاق حتّىٰ بليتُ وآنَ لي أنّي أبيدُ

وأفناني ولا يفنىٰ نهارٌ وليلٌ كلّما يمضي يعودُ

وشهرٌ مستهلٌّ بعد شهرٍ وحولٌ بعده حولٌ جديدُ

وعاش لقمان العادي الكبير خمسمائة سنة وستّين سنة.

وعاش عمر سبعة أنسر كلّ نسر منها ثمانون عاماً، وكان من بقيّة عاد الأُولىٰ.

ورُوي أنّه عاش ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة سنة، وكان من وفد عاد الّذين بعثهم قومهم إلىٰ الحرم ليستسقوا لهم، وكان أُعطي عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ فرخ النّسر الذّكر فيجعله في الجبل الّذي هو في أصله فيعيش النّسر فيها ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فربّاه حتّىٰ كان آخرها لُبَد، وكان أطولها عمراً، فقيل فيه: طال الأبد علىٰ لُبَد.

وقد قيل فيه أشعار معروفة، وأُعطي القوّة في السّمع والبصر علىٰ قدر ذلك، وله أحاديث كثيرة.

وعاش زهير بن حبّاب بن هبل بن عبدالله [بن كنانة][٣٩٣] بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبيّ ثلاثمائة سنة.

---

(٣٩١) في المصدر: تسترا.

(٣٩٢) «ر» «ب»: المشاح، وفي المصدر: المسجاح.

(٣٩٣) أضفناه من المصدر.

وعاش مرتقيا[٣٩٤] ـ واسمه عمر بن عامر ـ وعامر هو ماء السّماء، وإنّما سُمّي ماء السّماء لأنّه كان حياة أينما نزل كمثل ماء السّماء، وإنّما سمّي مرتقيا[٣٩٥] لأنّه عاش ثمانمائة سنة، أربعمائة سنة سوقة، وأربعمائة ملكاً، فكان يلبس كلّ يوم خلعتين[٣٩٦] ثمّ يأمر بهما فيمزّقان حتّى لا يلبسهما أحد غيره.

وعاش ابن[٣٩٧] هبل بن عبدالله بن كنانة ستّمائة سنة.

وعاش أبو الطّحّان[٣٩٨] القينيّ مائة وخمسين سنة.

وعاش المستوعر بن ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم ثلاثمائة وثلاثين سنة ثمّ أدرك الإسلام فلم يسلم، وله شعر معروف.

وعاش دريد بن زيد بن نهد أربعمائة سنة وخمسين سنة، فقال في ذلك:

ألقىٰ عليّ الدّهر رجلاً ويَدَا والدّهر ما أصلح يوماً أفسدا
يصلحُهُ اليوم ويفسدْه غدا

وجمع بنيه حين حضرته الوفاة فقال: يابَنِيّ أُوصيكم بالنّاس شرّاً، لا تقبلوا لهم معذرة، ولا تقيلوا لهم عثرة.

وعاش تيم الله [بن ثعلبة][٣٩٩] بن عكاثة[٤٠٠] مائتي سنة.

[وعاش ربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عديّ بن

---

(٣٩٤) في المصدر: مزيقيا.
(٣٩٥) في المصدر: مزيقيا.
(٣٩٦) «ب» والمصدر: حلّتين.
(٣٩٧) ليست في المصدر.
(٣٩٨) في المصدر: الطّحان.
(٣٩٩) أضفناه من المصدر.
(٤٠٠) في المصدر: عكاية، «ح»: عكاشة.

فزارة مائتين وأربعين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم][٤٠١].

وعاش معدي كرب الحميريّ من آل ذي رعين[٤٠٢] مائتي سنة وخمسين سنة.

وعـاش سربة[٤٠٣] بن عبدالله الجعفيّ ثلاثمائة سنة، فقدم علىٰ عمر بن الخطّاب المدينة فقال: لقد رأيت هذا الوادي الّذي أنتم فيه وما به قطرة ولا هضبة ولا شجرة، ولقد أدركت أُخريات قوم[٤٠٤] يشهدون بشهادتكم هذه ـ يعني لا إله إلّا الله ـ ومعه ابن له يتهادىٰ، قد خرف. فقال[٤٠٥]: ياسربة[٤٠٦] هذا ابنك قد خرف وبك بقيّة. فقال: والله ماتزوّجت أُمّه حتّىٰ أتت عليَّ سبعون سنة، ولكنّي تزوّجتها عفيفة ستيرة؛ إن رضيت رأيت ماتقرّ به عيني، وإن سخطت آتتني[٤٠٧] حتّىٰ أرضىٰ، وإنّ ابني هذا تزوّج امرأة بذيئة فاحشة؛ إن رأىٰ ماتقرّ بن عينه تعرّضت له حتّىٰ يسخط، وإن سخط تلقّنه[٤٠٨] حتّىٰ يهلك[٤٠٩].

وممّا نقلته من الكتاب المذكور إسناداً عن الثّقاة أنّ أبا الحسن حمادويه بن أحمد بن طولون كان قد فُتح عليه من كنوز مصر ما لم يُرزَق أحد من قبله. فغُري[٤١٠] بالهرمين؛ فأشار عليه ثقاته وحاشيته وبطانته بأن لا يتعرّض لهذه[٤١١]

---

(٤٠١) أضفناه من المصدر.

(٤٠٢) في المصدر: يزن.

(٤٠٣) في المصدر: شرية.

(٤٠٤) في المصدر: قومي.

(٤٠٥) في المصدر: فقيل له.

(٤٠٦) في المصدر: ياشرية.

(٤٠٧) في المصدر: تأتّت.

(٤٠٨) في المصدر: تلغّبته، وفي «ب»: تلقّته.

(٤٠٩) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٥٥ ـ ٥٦٢.

(٤١٠) في المصدر: فغزىٰ.

(٤١١) في المصدر: لهدم.

الأهرام فإنّه ماتعرّض لها أحد فطال عمره. فلجّ[٤١٢] في ذلك وأمر ألفاً من الفعلة أن يطلبوا الباب. فكانوا يعملون سنة حتّىٰ ضجروا وكلّوا. فلمّا همّوا بالانصراف بعد الإياس منه وجدوا سرباً فقدّروا أنّه الباب الّذي يطلبوه. فلمّا بلغوا آخره وجدوا بلاطة قائمة من مرمر. فقدّروا أنّها الباب. فاحتالوا فيها إلىٰ أن قلبوها[٤١٣] فأخرجوها، فإذا عليها كتابة باليونانيّة. فجمعوا حكماء مصر وعلماءها. فلم يهتدوا لها، وكان في القوم رجل يُعرَف بأبي عبدالله المدينيّ أحد حفّاظ الدّنيا وعلمائها. فقال لأبي الحسن[٤١٤] حمادويه بن أحمد: أعرف في بلد الحبشة أسقفاً قد عمّر وأتىٰ عليه ثلاثمائة وستّون سنة يعرف هذا الخطّ، وقد كان عزم علىٰ أن يعلّمنيه فلحرصي علىٰ علم العرب لم أقم عليه وهو باقٍ.

فكتب أبو الحسن[٤١٥] إلىٰ ملك الحبشة يسأله أن يحمل هذا الأسقف إليه. فأجابه: إنّ هذا شيخ قد طعن في السّنّ وحطّمه الزّمان، وإنّما يحفظه هذا الهواء وهذا الإقليم، ويُخاف عليه إن نُقل إلىٰ هواء آخر وإقليم آخر ولحقته حركة وتعب ومشقّة السّفر أن يتلف، وفي بقائه لنا شرف وفرح ومسكة[٤١٦]. فإن كان لكم شيء يقرؤه أو يفسّره أو مسألة تسألوه فاكتب بذلك.

فحمل البلاطة إليه في قارب إلىٰ بلد أسوان من الصّعيد الأعلىٰ، وحُمِلت من أسوان علىٰ العجلة إلىٰ بلاد الحبشة وهي قريبة من أسوان. فلمّا وصلت قرأها الأسقف وفسّر ما كان فيها بالحبشيّة. ثمّ نُقِلت إلىٰ العربيّة فإذا فيها مكتوب:

---

(٤١٢) في المصدر: فألحّ.

(٤١٣) في المصدر: قلعوها.

(٤١٤) في المصدر: لأبي الجيش.

(٤١٥) في المصدر: أبو الجيش.

(٤١٦) في المصدر: وسكينة.

أنا الرّيّان بن دومع.

فسُئل أبو عبدالله المدينيّ عن الرّيّان من كان؟

قال: هو والد العزيز ملك يوسف النّبيّ ـ عليه السّلام ـ. واسمه الوليد بن ريّان بن دومع. وقد كان عمرُ العزيز سبعمائة سنة، وعمر الرّيّان والده ألف وسبعمائة سنة، وعمر دومع ثلاثة آلاف سنة. فإذا فيها: أنا الرّيّان بن دومع، خرجت في طلب علم النّيل لأعلم فيضه ومنبعه إذ كنت أرىٰ مفيضه. فخرجت ومعي ممّن صحبت أربعة ألف ألف[٤١٧] رجل. فسرت ثمانين سنة إلىٰ ان انتهينا إلىٰ الظّلمات والبحر المحيط بالدّنيا. فرأيت النّيل يقطع البحر ولم يكن له منفذ، وتماوت أصحابي وبقيتُ في أربعة آلاف رجل. فخشيت علىٰ ملكي. فرجعت إلىٰ مصر وبنيت الأهرام والبرانيّ وبنيت الهرمين وأودعتها كنوزي وذخائري وقلت في ذلك شعراً:

وأدرك علمي بعض ماهو كائنٌ ولا علمَ لي بالغيب واللهُ أعلمُ
وأتقنتُ ماحاولتُ إتقانَ صنعه وأحكمتُهُ واللهُ أقوىٰ وأحكَمُ
وحاولتُ علمَ النّيل من بدءِ فيضهِ فأعجزَني والمرءُ بالعجزِ مُلجَمُ
ثمانينَ شاهوراً قطعتُ مسائحاً وحولي بنو حجر وجيشٌ عرمرمُ
إلىٰ أن قطعتُ الجنَّ والإنسَ كلَّهُمْ وعارضني لجٌّ من البحر مظلمُ
فأيقنتُ أن لا مُنفِذاً بعدَ منزلي لدىٰ نهبة[٤١٨] بعدي ولا متقدّمُ
فأُبْتُ إلىٰ مُلكي وأرسيتُ ثاوياً بمصرَ وللأيّام بُؤسٌ وأنعُمُ
أنا صاحبُ الأهرامِ في مصرَ كلِّها وباني بَرانيها بها والمقدّمُ

---

(٤١٧) في المصدر: «أربعة آلاف» بدل «أربعة ألف ألف».

(٤١٨) في المصدر: «لذي همّة» بدل «لدىٰ نهبة».

تركت بها آثار كفّي وحكمتي علىٰ الدّهرِ لا تبلىٰ ولا تتثلّمُ
وفيها كنوزٌ جمّةٌ وعجائبٌ وللدّهرِ أمرٌ مرّة وتجهّمُ
وتبدىٰ كنوزي كلّها غير أنّني أرىٰ مثل هذا أن يفرّقها الدّمُ
زبرتُ مقالي في صُخورٍ قطعتُها ستبقىٰ وأفنىٰ بعدها ثمّ أُعدَمُ
سيفتح أقفالي ويُبدي عجائبي وليٌّ لربّي آخر الدّهر ينجمُ
بأكتاف بيت الله تبدو أُمورُهُ ولا بدّ أن يعلو ويسمو به السّمُ
ثمان وتسع واثنتان وأربعٌ وتسعون أُخرىٰ من قتيلٍ وملجم
ومن بعد هذا كرّ تسعون تسعة وتلك البراني تستخرّ وتُهدمُ

ثمّ إنّ أبا الحسن[٤١٩] بعد ذلك بسنة قتله طاهر الخادم علىٰ فراشه وهو سكران. ومن ذلك الوقت عُرِف خبر الهرمين ومن بناهما. فهذا أصحّ مايقال في خبر الهرمين والنّيل.

وعاش ضبيرة بن سعد بن سهم القرشيّ مائة وثمانين سنة. وأدرك الإسلام. فهلك فجأة.

وعاش لبيد بن ربيعة الجعفريّ مائة وأربعين سنة. وأدرك الإسلام فأسلم. ولمّا بلغ سبعين سنة من عمره أنشأ يقول:

كأنّي وقد جاوزتُ سبعينَ حجّةً خلعتُ بها عن منكبيَّ ردائيا

فلمّا بلغ سبعاً وسبعين سنة أنشأ يقول في ذلك:

باتت تشكّي إليّ النّفسُ مجهشةً وقد حملتك سبعاً بعدَ سبعينِ
فإنْ تُزادي ثلاثاً تبلغي أملاً وفي الثّلاثِ وفاءٌ للثّمانينِ

(٤١٩) في المصدر ونسخة «ح»: الجيش.

فلمّا بلغ تسعين سنة أنشأ يقول:

كأنّي وقد جاوزتُ تسعينَ حجّةً خلعتُ بها عنّي عذارَ لجامي
رَمَتْني بناتُ الدّهرِ من حيثُ لا أرىٰ وكيف بمن يُرمَىٰ وليس برامي
فلو أنّني أُرمَىٰ بنبلٍ رأيتُها ولكنّني أرمَىٰ بغيرِ سِهامي

فلمّا بلغ مائة وعشر سنين أنشأ يقول:

أليس في مائةٍ قد عاشَهَا رجلٌ وفي تكامُلِ عشرٍ بعدَها عمرُ

فلمّا بلغ مائة وعشرين سنة قال في ذلك:

قد عشتُ دهراً قبل مجرىٰ داحسٍ لو كان للنّفسِ اللّجوجِ خلودُ

فلمّا بلغ مائة وأربعين أنشأ يقول:

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطُولِهَا وسؤالِ هذا النّاس كيفَ لبيدُ
غُلبَ الرّجالُ وكان غير مغلّبٍ دهر طويل دائم ممدودُ
يوم إذا يأتىٰ عليَّ وليلة وكلاهما بعد المضيّ يعودُ

فلمّا حضرته الوفاة قال لابنه: يابنيّ إنّ أباك لم يمت ولكنّه فني، فإذا قُبض أبوك فأغمضه وأقبل به القبلة وسجّه[٤٢٠] بثوبه، وانظر جنفته الّتي كان يصنعها فاصنعها[٤٢١]، ثمّ احملها إلىٰ مسجدك إلىٰ من كان يغشاني عليها، فإذا قال الإمام: «سلام عليكم»، فقدّمها إليهم يأكلون منها، فإذا فرغوا فقل: احضروا جنازة أخيكم لبيد بن ربيعة فقد قبضه الله ـ عزّ وجلّ ـ.

ثمّ أنشأ يقول:

وإذا دفنتَ أباك فاجـ ـعل فوقه خشباً وطينا

---

(٤٢٠) «ب»: ووشّحه.

(٤٢١) في المصدر: «جفنتي الّتي كنت أُضيف بها فأجد صنعتها» بدل «جفنته... فاصنعها».

وصفائحاً صمّاً روا سيها تسدّد والغصونا
ليقين حرّ الوجه سف ساف التّراب ولا يقينا

وقد روي في حديث لبيد بن ربيعة في أمر الجفنة غير هذا، ذكروا أنّ لبيد ابن ربيعة جعل علىٰ نفسه كلّما هبّت الشّمال أن ينحر جزوراً في الجفنة الّتي حكوا في أوّل حديثه.

فلمّا ولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة خطب النّاس فحمد الله وأثنىٰ عليه وصلّىٰ علىٰ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ثمّ قال: أيّها النّاس قد علمتم حال لبيد بن ربيعة الجعفريّ وشرفه ومروءته وماجعل علىٰ نفسه كلّما هبّت الشّمال أن ينحر جزوراً، فأعينوا أبا عقيل علىٰ مروءته. ثمّ نزل وبعث إليه بخمسة من الجزر وأبيات شعر يقول:

أرىٰ الجزّار يشحذُ شفرَتَيْهِ إذا هبّتْ رياحُ أبي عقيلِ
طويل الباع أبلج جعفريّ كريم الجدّ كالسّيفِ الصّقيلِ
وفي ابن الجعفريّ بما لديه علىٰ الغلّاتِ والمالِ القليلِ

وقد ذُكر أنّ الجزر كانت عشرين، فلمّا أتته قال: جزىٰ الله الأمير خيراً. قد عرف الأمير أنّي لا أقول الشّعر، ولكن اخرجي يابنيّة.

فخرجت إليه بنيّة له خماسيّة، فقال لها: أجيبي الأمير.

فأقبلت وأدبرت، ثمّ قالت: نعم.

فأنشأت تقول:

إذا هبّتْ رياحُ أبي عقيل دعونا عند هبّتها الوليدا
طويلَ الباعِ أبلجَ عبشميّاً أعانَ علىٰ مروءتِهِ لبيدا
بأمثالِ الضّآب[٤٢٢] كأنَّ ركباً عليها من بني حامٍ قُعودا

(٤٢٢) في المصدر: الهضاب.

أبـا وهـب جـزاكَ اللهُ خيراً نَحَـرْنـاهـا وأطعمنـا الثَّـريدا[٤٢٣]

فقال لها لبيد: أحسنت يابنيّة لو لا أنّك سألت، قالت: إنّ الملوك لا يستحيا من مسألتهم.

قال: وأنت في هذا يابنيّة أشعر.

وعاش ذو الإصبع العدوانيّ ـ واسمه حرثان بن الحرث بن محرب[٤٢٤] بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن طرب[٤٢٥] بن عثمان [بن عناد][٤٢٦] ـ ثلاثمائة سنة.

وعاش جعفر بن قبط ثلاثمائة سنة وأدرك الإسلام.

وعاش عامر بن طرب[٤٢٧] العدوانيّ ثلاثمائة سنة.

وعاش محصن بن عتبان[٤٢٨] بن ظالم بن عمرو بن قطيعة بن الحرث بن سالم[٤٢٩] بن مازن الزّبيديّ مائتي وخمسين سنة، فقال في ذلك:

ألا ياسـلم إنّي لسـتُ منـكُمْ ولكنّي امـرؤٌ [قـومي شعوبُ][٤٣٠]
دعـاني الـدّاعـيانِ فقلتُ هيّا فقـالا كلُّ من يُدعـىٰ يجيبُ
ألا ياسـلم أعـياني قيامـي وأعيتني المكـاسبُ والـرّهـوبُ
وصـرتُ رذيّةً في الـبيتِ كَلّا تأذّىٰ بي الأبـاعـدُ والـقـريبُ

---

(٤٢٣) في المصدر: زيادة هذا البيت:

فعدْ إنّ الـكـريم له معـاد وعـهـدي بابـن أروىٰ أن تعـوّدا

(٤٢٤) «ر»: مجرب، وفي المصدر: محرث.

(٤٢٥) في المصدر: الظّرب.

(٤٢٦) ليست في المصدر، وفي نسخة «ر»: بن عبّاد.

(٤٢٧) في المصدر: الظّرب.

(٤٢٨) «ب»: عثمان، «ر» «ز»: غسّان.

(٤٢٩) في المصدر: سلمة.

(٤٣٠) في المصدر: قو تي سغوب.

كذاكَ الـدّهـر والأيّام خونٌ لها في كلِّ سائـمـةٍ نصيبُ

وعاش عوف بن كنانة الكلبيّ ثلاثمائة سنة، فلمّا حضرته الوفاة جمع بنيه فأوصاهم، فقال: يابَنيَّ ٱحفظوا وصيّتي، فإنّكم إن حفظتموها سدْتُم قومكم من بعدي.

إلهكم فٱتّقوه. ولا تخونوا ولا تحزنوا ولا تستثيروا السّباع من مرابضها فتندموا. وجاوروا[٤٣١] النّاس بالكفّ عن مساوئهم. تسلموا وتصلحوا وعفّوا عن الطّلب إليهم لئلّا تستثقلوا. وٱلزموا الصّمت إلّا من حقّ تُحمَدوا. وٱبذلوا لهم المحبّة تسلم لكم الصّدور. ولاتحرموهم المنافع فيظهروا[٤٣٢] الشّكاة. وكونوا منهم في ستر ينعم بالكم. ولا تكثروا مجالستهم فيُستخفّ بكم. وإذا نزلت بكم معضلة فاصبروا لها. والبسوا للدّهر أثوابه؛ فإنّ لسان الصّدق مع المسكنة خير من سوء الذّكر مع الميسرة. ووطّنوا أنفسكم علىٰ الذّلّة لمن ذلّ لكم؛ فإنّ أقرب الوسائل المودّة، وإنّ أبعد النّسب البغضة.

وعليكم بالوفاء وتنكّبوا العذر[٤٣٣] يأمن سربكم، وأحبّوا[٤٣٤] الحسب بترك الكـذب؛ فإنّ آفة المروءة الكذب والخُلف، ولا تُعلِموا النّاس أقتاركم فتهونوا عليهم وتخملوا.

وإيّاكم والغـربة فإنّها ذلّة. ولا تضعوا الكرائم إلّا عند الأكفاء. وٱبتغوا بأنفسكم[٤٣٥] المعـالي. ولا يختلجنّكم جمال النّسـاء عن الصّحّـة؛ فإنّ مناكح

---

(٤٣١) في المصدر: وجاوزوا.

(٤٣٢) «ر»: فتظهر.

(٤٣٣) في بعض النسخ: الغدر.

(٤٣٤) في المصدر: وأحيوا.

(٤٣٥) في المصدر: لأنفسكم.

الكرائم مدارج الشّرف. وٱخضعوا لقومكم ولا تبغوا عليهم تنالوا[٤٣٦] المنافس. ولا تخالفوهم فيما اجتمعوا عليه؛ فإنّ الخلاف يزري بالرّئيس المطاع، وليكن معروفكم لغير قومكم من بعدهم. ولا توحشوا أفنيتكم من أهلها؛ فإنّ إيحاشها إخماد النّار ودفع الحقوق. وارفضوا النّمائم بينكم، وكونوا أعواناً عند الملمّات تغلبوا. واحذروا النّجعة إلّا في منفعة لا تصابوا. وأكرموا الجار يخصب[٤٣٧] جنابكم. وآثروا حقّ الضّعيف علىٰ أنفسكم. وٱلزموا مع السّفهاء الحلم تقلّ همومكم.

وإيّاكم والفُرقة فإنّها ذلّة، ولا تكلّفوا أنفسكم فوق طاقتها إلّا المضطرّ؛ فإنّكم لاتلامون عند إيضاح العذر وبكم قوّة خير من أن تعابوا في الاضطرار منكم إليهم بالعُذرة[٤٣٨]. وجدّوا ولا تفرّطوا؛ فإنّ الجدّ مانع الضّيم. ولتكن كلمتكم واحدة تعزّوا ويُرهَب[٤٣٩] حدّكم. ولا تبذلوا الوجوه لغير مكرمة[٤٤٠] فتكلحوها. ولا تجشّموها أهل الدّناءة فتقصّروا بها. ولا تحاسدوا فتبوروا. وٱجتنبوا البخل فإنّه داء. وابنوا المعالي بالجود والأدب ومصافاة أهل الفضل والحباء، وابتاعوا التّحيّة بالبذل. ووقّروا أهل الفضيلة. وخذوا من أهل التّجارب. ولا يمنعكم من معروف صغره؛ فإنّ له ثواباً. ولا تحقّروا الرّجال فتزدروها وإنّما المرء بأصغريه: ذكاء قلبه، ولسان يعبّر عنه، وإذا خفتم داهية فالتّثبّت قبل العجلة، وٱلتمسوا بالتّودّد المنازل عند الملوك؛ فإنّ من وضعوه ٱتّضع، ومن رفعوه

(٤٣٦) في المصدر: لتنالوا.

(٤٣٧) «ر»: ليخصب.

(٤٣٨) في المصدر: بالمعذرة.

(٤٣٩) في المصدر: ويرهف.

(٤٤٠) في المصدر: مكرميها.

ارتفع. وتنبّلوا بالفعال تسمُ إليكم الأبصار. وتواضعوا[٤٤١] بالوفاء ليحبّكم ربّكم، ثمّ قال:

وما كلّ ذي لبّ يمرّئك[٤٤٢] نصحه ... ولا كلّ مؤتٍ نصحه بلبيبِ

ولكن إذا ماآستجمعا عند واحدٍ ... فحقّ له من طاعة بنصيبِ

وعاش صيفي بن رماح بن أكثم أحد بني أسيد بن عمر بن تميم مائتي وسبعين سنة، وكان يقول: لك علىٰ أخيك سلطان في كلّ حال إلّا في القتال، فإذا أخذ الرّجل السّلاح فلا سلطان عليه، وكفىٰ بالمشرفيّة واعظاً. وترك الفخر أبقىٰ للثّناء. وأسرع الجرم عقوبة البغي، وشرّ النّصرة التّعدّي، وألأم الأخلاق أضيقها. ومن الأدب كثرة العتاب، وقَرَعَ الأرضَ بالعصا فذهبت مثلاً.

لذي الحلمِ قبل اليوم ماتُقرعُ العصا ... [وما عَلِمَ الإنسانُ إلّا ليعلَما][٤٤٣]

وعاش عبّاد بن شدّاد اليربوعيّ مائة وخمسين سنة.

وعاش أكثم بن صيفي أحد بني أسيد بن عمر بن تميم ثلاثمائة وستّين سنة.

وقال بعضهم: مائة وتسعين سنة. وأدرك الإسلام فآختلف في إسلامه؛ إلّا أنّ أكثرهم لايشكّ أنّه لم يسلم، فقال:

وإنّ امرأً قد عاش تسعين حجّة ... إلىٰ مائة لم يسأم العيشَ جاهلُ

خلت مائتان غير ستّ وأربعٍ ... وذلك من عدّ اللّيالي قلائلُ

وقال محمّد بن سلمة أقبل أكثم [بن صيفي][٤٤٤] يريد الإسلام فقتله ابنه عطشاً، فسمعت أنّ هذه الآية نزلت فيه ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَىٰ ٱللهِ

---

(٤٤١) «ر»: وتواصفوا.

(٤٤٢) في المصدر: بمؤتيك.

(٤٤٣) أضفناه من المصدر.

(٤٤٤) أضفناه من المصدر.

وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ﴾(٤٤٥) ولم تكن العرب تقدّم عليه [أحداً](٤٤٦) في الحكمة. وإنّه لمّا سمع برسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بعث إليه ابنه حبيشاً، وقال له: يا بنيّ، إنّي أعظك بكلمات فخذ بهن(٤٤٧) من حين تخرج من عندي إلىٰ أن ترجع إليّ: ائت نصيبك [في](٤٤٨) شهر رجب فلا تحلّه فيستحلّ منك؛ فإنّ الحرام ليس يحرّم نفسه، إنّما يحرّمه أهله، ولا تمرّنّ بقوم ولا تسلّم عليهم ولا تنزل إلّا عند أعزّهم، وأحدث العقد مع شريفهم. وإيّاك والذّليل فإنّه هو أذلّ نفسه ولو أعزّها لأعزّه قومه، فإذا قدمت علىٰ هذا الرّجل وإنّي لأعرفه وأعرف نسبه وهو في بيت قريش وعزّ العرب وهو أحد رجلين: إمّا نبيّ، أو ذو نفس أراد ملكاً. فجزع الملك بغيره(٤٤٩). فوقّره وشرّفه، فقم بين يديه ولا تجلس إلّا بإذنه حيث يأمرك ويشير إليك؛ فإنّه إن كان ذلك كان أدفع لشرّه عنك وأقرب لخيره منك، وإن كان نبيّاً فإنّ الله لا يُحسَب(٤٥٠) فيتوهّم، ولا ينظر فيتجسّم، إنّما يأخذ الخيرة حيث يعلم، لا يُخطِيء فيُستعتَب إنّما أمره علىٰ ما يحبّ، وإن كان نبيّاً فستجد أمره كلّه صالحاً، وخبره كلّه صادقاً، وستجده متواضعاً في نفسه، متذلّلاً لربّه، فذلّ له فلا(٤٥١) تحدثنّ أمراً دوني؛ فإنّ الرّسول إذا أحدث الأمر من عنده خرج من يدي الّذي أرسله. واحفظ مايقول إذا ردّك إليّ؛ فإنك

(٤٤٥) النّساء: ١٠٠.

(٤٤٦) أضفناه من المصدر.

(٤٤٧) «ب» «ح» «ر»: فحدّثهنّ.

(٤٤٨) أضفناه من المصدر.

(٤٤٩) كذا في جميع النّسخ، وفي المصدر: «فخرج للملك بعزّة». بدل «فجزع الملك بغيره».
ومافي المصدر أنسب.

(٤٥٠) في المصدر: يُحسّ.

(٤٥١) «ر»: ولا.

إن توهّمت أو نسيت جشمتني رسولاً غيرك.

وكتب معه إليه: بٱسمك اللّهمّ، من العبد إلىٰ العبد، أمّا بعد: فأبلغنا مابلغك، فقد أتانا عنك خبر لاندري ما أصله. فإن كنت أُريت فأرنا، وإن كنت علمت فعلّمنا وأشركنا في كنزك والسّلام.

فكتب إليه رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فيما ذكروا ـ: من محمّد رسول الله إلىٰ أكثم بن صيفي؛ أحمد الله إليك، إنّ الله ـ تعالىٰ ـ أمرني أن أقول لا إله إلاّ الله، أمرني أقولها وآمر النّاس بها. والخلق خلق الله، والأمر كلّه لله خلقهم وأماتهم وهو ينشرهم وإليه المصير. أدّبتكم بآداب المرسلين. [ولتُسألُنّ عن النّبأ العظيم][452] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[453].

فلمّا جاءه كتاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال لابنه: يا بنيّ، ماذا رأيت؟

قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها.

فجمع أكثم إليه بني تميم، ثمّ قال: يا بني تميم، لا تحضروني سفيهاً، فإنّ من يسمع يخل، ولكلّ إنسان رأي في نفسه، وإنّ السّفيه واهن الرّأي وإن كان قويّ البدن، ولا خير فيمن لا عقل له، يا بني تميم كبرت سنّي ودخلتني ذلّة الكبر، فإذا رأيتم منّي حسناً فاتوه، وإذا أنكرتم منّي شيئاً فقوّموني للحقّ أستقم[454]. إنّ ٱبني قد جاءني وقد شافه هذا الرّجل فرآه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهىٰ عن المنكر، ويأخذ بمحاسن الأخلاق، وينهىٰ عن ملائمها، ويدعو إلىٰ أن يُعبَد الله ـ عزّ وجلّ ـ وحده، وتُخلَع الأوثان، ويُترَك الحلف بالنّيران. ويذكر أنّه رسول الله، وأنّ

---

(٤٥٢) ليست في المصدر.

(٤٥٣) صٓ: ٨٨.

(٤٥٤) في المصدر: «بالحقّ أستقم له» بدل «للحق أستقم».

قبله رسلاً لهم كتب. وقد علمت رسولاً قبله كان يأمر بعبادة الله وحده، وأنّ أحقّ النّاس بمعونة(٤٥٥) محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ومساعدته علىٰ أمره أنتم، فإن يكن ٱلّذي يدعو إليه حقّاً فهو لكم، وإن يك باطلاً كنتم أحقّ من كفّ عنه وستر عليه.

وقد كان أسقف نجران يحدّث بصفته، ولقد كان سفيان بن مجاشع قبله يحدّث به وسمّىٰ ابنه محمّداً، وقد علم ذووا الرّأي منكم أنّ الفضل فيما يدعو به إليه ويأمر به. فكونوا في أمره أوّلاً ولا تكونوا أخيراً، اتّبعوه تشرفوا وتكونوا سنام العرب، واتوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين؛ فإنّي أرىٰ أمراً ماهو بالهوينا، لايترك مصعداً إلّا صعده، ولا منصوباً إلّا بلغه، إنّ هذا ٱلّذي يدعو إليه لو لم يكن ديناً لكان في الأخلاق حسناً. أطيعوني واتّبعوا أمري أسأل لكم مالا ينزع منكم أبداً، إنّكم أصبحتم أكثر العرب عدداً، وأوسعهم بلداً، وإنّي أرىٰ أمراً لا يتّبعه ذليل إلّا عزّ، ولا يتركه عزيز إلّا ذلّ، اتّبعوه مع عزّكم تزدادوا عزّاً، ولايكن أحد مثلكم، إنّ الأوّل لم يدع للآخر شيئاً، وهذا أمر لهو ما بعده من سبق إليه فهو الباقي واقتدىٰ به الثّاني، فأصرموا أمركم؛ فإنّ الصّريمة قوّة والاختلاط(٤٥٦) عجز.

فقال مالك بن نويرة: خرف شيخكم.

فقال أكثم: ويل للشّجيّ من الخليّ أراكم سكوتاً، وأنّ آفة الموعظة الإعراض عنها، ويلك يا مالك، إنّك هالك، إنّ الحقّ إذا قام وقع القائم معه وجعل صرعىٰ قياماً، فإيّاك أن تكون منهم! أمّا إذا سبقتموني بأمركم فقرّبوا بعيري أركبه.

فدعا براحلته فركبها، فتبعه بنوه وبنو أخيه فقال: لهفي علىٰ أمر لن أدركه

(٤٥٥) في المصدر: بمعاونة.

(٤٥٦) في المصدر: والاحتياط.

ولم يسبقني.

وكتبت طيء إلىٰ أكثم ـ وكانوا أخواله ـ وقال آخرون: كتبت بنو مرّة ـ وهم أخواله ـ: أن اجذب[٤٥٧] إلينا ما نعيش به.

فكتب: أمّا بعد؛ فإنّي أُوصيكم بتقوىٰ الله وصلة الرّحم؛ فإنّها يثبت أصلها وينبت فرعها، وأنهاكم عن معصية الله وقطيعة الرّحم؛ فإنّها لا يثبت لها أصل ولا فرع. وإيّاكم ونكاح الحمقاء؛ فإنّ مباضعتها قذر، وولدها ضياع؛ وعليكم بالإبل فأكرموها؛ فإنّها حصون العرب، ولا تضعوا رقابها إلّا في حقّها؛ فإنّ فيها مهر الكريمة ورَقوء الدّم، وبألبانها يُتحَف الكبير ويغذو الصّغير، ولو كلّفت الإبل الطّحن لطحنت. ولن يهلك امرؤ عرف قدره، والعدم عدم العقل، والمرء الصّالح لايعدم المال، ورُبّ رجل خير من مائة، وربّ فئة أحبّ إليّ من فئتين، ومن عتب علىٰ الزّمان طالت معتبته، ومن رضي بالقسم طابت معيشته، آفة الرّأي الهوىٰ. والعادة أملك بالأدب، والحاجة مع المحبّة خير من البغضة مع الغناء، والدّنيا دول فما كان منها لك أتاك علىٰ ضعفك، وإن قصرت في طلبه. وما كان منها عليك لم تدفعه بقوّتك؛ وسوء حمل الفاقة يضع الشّرف؛ والحسد داء ليس له دواء، والشّماتة تعقب؛ ومن بَرّ يوماً بُرَّ به. والنّدامة[٤٥٨] مع السّفاهة، ودعامة العقل الحلم، وجماع الصّبر[٤٥٩] الصّبر، وخير الأمور مغبّة العفو، وأبقىٰ المودّة حسن التّعاهد، ومن يزُر غبّاً يزدد حبّاً.

---

(٤٥٧) في المصدر: احدث.

(٤٥٨) في المصدر: واللّومة.

(٤٥٩) كذا في جميع النّسخ، وفي المصدر: الأمر. وهو الأنسب.

وصيّة أكثم بن صيفي عند موته نقلاً من الكتاب المذكور

جمع أكثم بن صيفي بنيه عند موته فقال: يا بَنِيَّ، إنّه قد أتىٰ عليَّ دهر طويل وأنا مزوّدكم من نفسي قبل الممات؛ أوصيكم بتقوىٰ الله، وصلة الرّحم. وعليكم بالبرّ؛ فإنّه ينمي عليه العدد، ولا يبيد عليه أصل. ولا يمتصر فرع. وأنهاكم عن معصية الله وقطيعة الرّحم؛ فإنّه لا يثبت عليها أصل ولا ينبت عليها فرع، كفّوا ألسنتكم؛ فإنّ مقتل المرء بين فكّيه، إنّ قول الحقّ لم يدع لي صديقاً. انظروا أعناق الإبل ولا تضعوها إلّا في حقّها؛ فإنّ فيها مهر الكريمة ورَقوء الدّم، وإيّاكم ونكاح الحمقاء؛ فإنّ نكاحها قذر، وولدها ضياع. الإقتصاد في السّفر أبقىٰ للجمام، من لم يأس علىٰ مافاته ودع بدنه، من قنع بما هو فيه قرّت عينه، التّقدّم قبل التّندم. [أن][٤٦٠] أصبح عند رأس الأمر أحبّ إليّ من أن أصبح عند ذنبه، لم يهلك آمرؤ عرف قدره. العجز عند البلاء آفة التّجمّل. لم يهلك من مالك ما وعظك، ويل لعالم أمرّ من جاهله، الوحشة ذهاب الأعلام. يتشابه الأمر إذا أقبل، فإذا أدبر عرفه الكيّس والأحمق. البطر عند الرّخاء حمق، وفي طلب المعالي يكون العزّ. لا تغضبوا من اليسير فإنّه يجني الكثير. ولا تجيبوا فيما لا تُسألوا عنه، ولا تضحكوا ممّا لا يُضحَك منه. تناءوا في الدّار ولا تباغضوا. الحسد في القرب، لا تتّكلوا علىٰ القرابة فتقاطعوا؛ فإنّ القريب من قرّب نفسه، وعليكم بالمال فأصلحوه؛ فإنّه لا يصلح إلّا بواد، ولا يتّكلنّ أحدكم علىٰ مال أخيه يرىٰ فيه قضاء حاجته؛ فإنّه من فعل ذلك كان كالقابض علىٰ الماء، ومن استغنىٰ كرّم أهله[٤٦١]. وأكرموا الخيل، نعم لهو الحرّة المغزل، وحيلة من لا حيلة له الصّبر.

---

(٤٦٠) أضفناه من المصدر.

(٤٦١) في المصدر: كرم علىٰ أهله.

وعاش قردة بن ثعلبة بن نفاثة السّلوليّ مائة وثلاثين سنة في الجاهليّة، ثمّ أدرك الإسلام فأسلم.

وعاش مصاد بن جناب بن مرارة من بني عمرو بن يربوع بن حنظلة بن زيد مناة أربعين ومائة سنة.

وعاش قسّ بن ساعدة الأياديّ ستّمائة سنة، وهو الّذي يقول:

هل الغيث معطي الأمن عند نزوله بحال مسيء في الأمور ومحسنِ
ومن قد تولّىٰ وهو قد فات ذاهباً فهل ينفعنّي ليتنني ولو انّني

وكذلك يقول لبيد:

وأحلف قسْماً ليتني ولو انّني وأعيا علىٰ لقمان حكم التّدبّرِ

وعاش الحارث بن كعب المذحجيّ ستّين ومائة سنة.

قال مصنّف هذا الكتاب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ هذه الأخبار الّتي ذكرتها في المعمّرين قد رواها مخالفونا أيضاً من طريق محمّد بن السّائب، ومحمّد بن إسحاق ابن بشّار، وعوانة بن الحكم، وعيسىٰ بن يزيد بن رئاب، والهيثم بن عديّ الطّائيّ.

وقد روي عن النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أنّه قال: كلّ ما كان في الأُمم السّالفة يكون في هذه الأمّة مثله؛ حذو النّعل بالنّعل، والقُذّة بالقُذّة.

وقد صحّ هذا التّعمير في من تقدّم، وصحّت الغيبات الواقعة بحجج الله ـ عليهم السّلام ـ في مامضىٰ من القرون، فكيف السّبيل إلىٰ إنكار القائم ـ عليه السّلام ـ لغيبته وطول عمره مع الأخبار الواردة فيه عن النّبيّ والأئمّة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ[٤٦٢].

والله ما ينكر ذلك أو شيئاً من مناقبهم وفضائلهم إلّا جاحد معاند، جاهل

(٤٦٢) كمال الدّين وتمام النّعمة: ٥٥٥ ـ ٥٧٦.

بالعلم، منكر للقرآن، من لاحياء له ولا إيمان، موغر في التّيه والضّلال؛ كما قال السّيّد المرتضىٰ علم الهدىٰ ـ قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه:

وغروا في مواطن طمسوا الأعـ ـــلام فيها بأعين التّشبيهِ
وأراقوا دم الأذلّة فالقوم إلىٰ الآن في ضلال التّيهِ

وممّا ذكره أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ في بعض وصف من أشرنا إليه:

قال ـ عليه السّلام ـ: إنّ أبغض الخلائق إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ رجلان: رجل وكله الله ـ تعالىٰ ـ إلىٰ نفسه فهو جائر عن قصد السّبيل، مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هَدْيِ من كان قبله، مُضلّ لمن أقتدىٰ به في حياته وبعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته؛ ورجل قَمَشَ جهلاً، مُوضِعٌ في جهّال الأُمّة، عاد في إغباش الفتنة، عَمٍ بما في عقد الهدنة، قد سمّاه أشباه النّاس عالماً وليس به، بكّر فاستكثر من جمع، ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتّىٰ إذا ارتوىٰ من ماء آجن وأكتثر من غير طائل جلس بين النّاس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس علىٰ غيره، فإن نزلت به إحدىٰ المبهمات هيّأ لها حشواً رثّاً من رأيه، ثمّ قطع به فهو من لبس الشّبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري هل أصاب أم أخطأ؛ فإنّ أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، جاهلٌ خبّاط جهالات، عاشٍ ركّاب عشوات، لم يعضّ علىٰ العلم بضرس قاطع، يذرو الرّوايات إذراء الرّيح الهشيم... تصرخ من جور قضائه الدّماء، وتعجّ منه المواريث.

إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ أشكو من معشر يعيشون جهّالاً، ويموتون ضلّالاً، ليس فيهم سِلْعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، وتَردُ علىٰ أحدهم القضيّة في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثمّ تَردُ علىٰ غيره بعينها فيحكم فيها بخلاف قوله، ثمّ يجتمع بذلك القضاة عند الإمام الّذي استقضاهم فيصوّب

آراءهم جميعاً، وإلهم واحد، ونبيّهم واحد، وكتابهم واحد، أفأمَرَهُم الله ـ تعالىٰ ـ بالاختلاف فأطاعوه! أم نهاهم عنه فعصوه! أم أنزل الله ـ تعالىٰ ـ ديناً ناقصاً فاستعان بهم علىٰ إتمامه! أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضىٰ؟! أم أنزل الله ـ تعالىٰ ـ ديناً تامّاً فقصّر الرّسول ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بتبليغه وأدائه، والله ـ تعالىٰ ـ يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٤٦٣] وفيه تبيان كلّ شيء، وذكر أنّ الكتاب يُصدّق بعضه بعضاً، [أنّه][٤٦٤] ولا اختلاف فيه فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً﴾[٤٦٥] فإنّ القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنىٰ عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تُكشَف الظّلامات إلّا به[٤٦٦].

وقال ـ عليه السّلام ـ: قصم ظهري رجلان: عالم متهتّك، وجاهل متنسّك، هذا ينفّر النّاس بتهتّكه، وهذا يضلّ النّاس بتنسّكه.

وممّا ورد عنه ـ عليه السّلام ـ في صفة المؤمنين العارفين؛ قال ـ عليه السّلام ـ المؤمن وقور عند الهزاهز، ثبوت عند المكاره، صبور عند البلاء، شكور عند الرّخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، النّاس منه في راحة، ونفسه منه في تعب، العلم خليله[٤٦٧]، والعقل قرينه، والحلم وزيره، والصّبر أميره، والرّفق أخوه، واللّين ولده[٤٦٨].

وقال ـ عليه السّلام ـ لنوف البكاليّ: أتدري يا نوف من شيعتي؟

---

(٤٦٣) الأنعام: ٣٨.

(٤٦٤) أضفناه من المصدر.

(٤٦٥) النّساء: ٨٢.

(٤٦٦) نهج البلاغة: ٥٩.

(٤٦٧) «ر»: خليطه.

(٤٦٨) «ر»: والده.

قال: لا، والله.

قال: شيعتي الذّبل الشّفاه، الخمص البطون، ٱلّذين تُعرَف الرّهبانيّة والرّبّانيّة في وجوههم، رهبان باللّيل، أُسد بالنّهار، ٱلّذين إذا جنّهم اللّيل اتّزروا علىٰ أوساطهم، وارتدوا علىٰ أطرافهم، وصفّوا أقدامهم، وٱفترشوا جباههم، تجري دموعهم علىٰ خدودهم، يجأرون إلىٰ الله في فكاك أعناقهم، وأمّا النّهار فحلماء علماء كرام أبرار أتقياء.

يانوف، شيعتي من لم يهرّ هرير الكلب، ولم يطمع طمع الغراب، ولم يسأل النّاس ولو مات جوعاً، إن رأىٰ مؤمناً أكرمه، وإن رأىٰ فاسقاً هجره، هؤلاء والله شيعتي.

وقال نوف: عرضت لي حاجة إلىٰ أمير المؤمنين علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ فاستبعثت إليه جندب بن زهير والرّبيع بن خثيم وابن أخيه همام بن عبادة بن خثيم ـ وكان من أصحاب البرانس المتعبّدين ـ فأقبلنا إليه فألفيناه حين خرج يؤمّ المسجد، فأفضىٰ ونحن معه إلىٰ نفر متديّنين قد أفاضوا في الأحدوثات تفكّهاً، وهم يلهي بعضهم بعضاً بها. فأسرعوا إليه قياماً وسلّموا عليه، فردّ التّحيّة، ثمّ قال: مَنِ القوم؟

فقالوا: أُناس من شيعتك يا أمير المؤمنين.

فقال لهم: خيراً؟

ثمّ قال: يا هؤلاء مالي لا أرىٰ فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبّتنا؟

فأمسك القوم حياء، فأقبل عليه جندب والرّبيع فقالا له: ما سمة شيعتك يا أمير المؤمنين؟

فسكت، فقال همام ـ وكان عابداً مجتهداً ـ: أسألك بالّذي أكرمكم أهل البيت وخصّكم وحباكم إلّا ما أنبأتنا بصفة شيعتكم؟

فقال: لاتقسم فسأنبئكم جميعاً.

ووضع يده علىٰ منكب همام وقال: شيعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل، النّاطقون بالصّواب، مأكولهم القوت، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التّواضع، نجعوا لله ـ تعالىٰ ـ بطاعته، وخضعوا له بعبادته، فمضوا غاضّين أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم، واقفين أسماعهم علىٰ العلم بدنياهم، نُزّلت أنفسُهم منهم في البلاء كاّلّذي نُزّلت منهم في الرّخاء، رضوا عن الله ـ تعالىٰ ـ بالقضاء، فلولا الآجال اّلّتي كتب الله ـ تعالىٰ ـ لهم لم تستقرّ أرواحهم في أبدانهم طرفة عين شوقاً إلىٰ لقاء الله والثّواب، وخوفاً من أليم العقاب، عظم الخالق في أنفسهم وصغر مادونه في أعينهم، فهم والجنّة كمن قد رآها فهم علىٰ أرائكها متّكئون، وهم والنّار كمن رآها فهم فيها معذّبون، صبروا أيّاماً قليلة فأعقبتهم راحة طويلة، أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها، وطلبتهم فأعجزوها، أمّا اللّيل فصافّون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن، يرتّلونه ترتيلاً، يعظون أنفسهم بأمثاله، ويستشفون لدائهم بدوائه تارة، وتارة يفترشون جباههم وأكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم، تجري دموعهم علىٰ خدودهم، يمجّدون جبّاراً عظيماً، ويجأرون إليه في فكاك أعناقهم.

هذا ليلهم، وأمّا نهارهم فحلماء علماء بررة أتقياء براهم خوف بارئهم، فهم كالقداح، تحسبهم مرضىٰ أو قد خولطوا وما هم بذلك، بل خامرهم من عظمة ربّهم وشدّة سلطانه ما طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم، فإذا استفاقوا من ذلك بادروا إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ بالأعمال الصّالحة الزّكية، لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل، فهم لأنفسهم متّهمون، ومن أعمالهم مشفقون، ترىٰ لأحدهم قوّة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً علىٰ علم، وفهماً في فقه، وعلماً في حلم، وكيساً في قصد، وقصداً في غناء، وتجمّلاً في فاقة، وصبراً في

شدّة، وخشوعاً في عبادة، ورحمة في مجهود، وإعطاءً في حقّ، ورفقاً في كسب، وطلباً من حلال، وتعفّفاً في طمع، وطمعاً في غير طبع، ونشاطاً في هدىً، واعتصاماً في شهوة، وبراء في استقامة، لا يغرّه ماجهله، ولا يعدّ إحصاء ماعمله، يستبطىء نفسه في العمل، وهو من صالح عمله علىٰ وجل، يُصبِح وشغله الذّكر، ويُمسي وهمّه الشّكر، يبيت حذراً من سنة الغفلة، ويصبح فرحاً بما أصاب من الفضل والرّحمة، وإن استصعبت عليه نفسه فيما يكره لم يعطها سؤلها ممّا إليه تشره، رغبته فيما يبقىٰ، وزهادته فيما يفنىٰ، قد قرن العمل بالعلم، والعلم بالحلم، يضلّ دائماً نشاطه، بعيداً كسله، قريباً أمله، قليلاً زلله، متوقّعاً أجله، خاشعاً قلبه، ذاكراً ربّه، قانعة نفسه، عارياً جهله، محرزاً دينه، ميّتاً داؤه، كاظماً غيظه، صافياً خلقه، آمناً منه جاره، سهلاً أمره، معدوماً كبره، بيّناً صبره، كثيراً ذكره، لا يعمل شيئاً من الخير رياءً، ولايتركه حياءً، اُولئك شيعتنا وأحبّتنا ومنّا ومعنا، ألاها شوقاً إليهم.

فصاح همام صيحة ووقع مغشيّاً عليه، فحرّكوه فإذا هو قد فارق الدّنيا ـ رحمه الله تعالىٰ ـ فغُسِّل وصلّىٰ عليه أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ونحن معه[٤٦٩].

فشيعته ـ عليه السّلام ـ هذه صفتهم، وهي صفة المؤمنين.

ومن كلامه ـ عليه السّلام ـ في العلم والعقل؛ نقلاً من كتاب «مطالب السّؤول في مناقب آل الرّسول» تأليف محمّد بن طلحة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

قال ـ عليه السّلام ـ: تعلّموا العلم فإنّ تعلّمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لايعلم صدقة، وبذله لأهله قربة، فهو معالم الحلال والحرام، ومسلك إلىٰ الجنّة، ومؤنس في الوحدة، وصاحب في الغربة، ودليل

---

(٤٦٩) اُنظر هذه الخطبة في نهج البلاغة: ط١٩٣، يصف فيها المتقين، وهي تختلف عن هذه اختلافاً ملحوظاً في كثيرٍ من ألفاظها، فتأمّل.

علىٰ السّـرّاء والضّرّاء، وسلاح علىٰ الأعداء، وزين بين الأخلّاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير[٤٧٠] أئمّة يقتدىٰ بهم؛ ترمق أعمالهم، وتقتبس آثارهم، ترغب الملائكة في خلّتهم، ويسبّحون لهم في عبادتهم، ويضعون لهم أجنحتهم، ويستغفـر لهم حتّىٰ حيتـان البحـر وهوامّه، وسباع البرّ وأنعامه. فالعلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمىٰ، وقوّة الأبدان من الضّعف. يُنزِل الله ـ تعالىٰ ـ حامله منازل الأخيار؛ ويمنحه صحبة الأبرار؛ ويرفعه في الدّنيا والآخرة؛ وبالعلم يطاع الله ويُعبَد؛ وبالعلم يُعرَف ويوحّد؛ وبالعلم توصل الأرحام، ويُعرَف الحلال والحرام، فالعلم يُلهِمه الله السّعداء، ويُحرِمه الأشقياء.

وقال ـ عليه السّلام ـ: عليكم بالعلم؛ فإنّه صلة بين الإخوان، ودالّ علىٰ المـروءة، وتحفـة في المجـالس، وصاحب في السّفر، ومؤنس في الغربة. إنّ الله ـ تعـالىٰ ـ يحبّ المؤمن، العـالم، الفقيه، الزّاهد، الخاشع، الحيّ، الحليم، الحسن الخلق، المقتصد، المنصف.

وقال ـ عليه السّلام ـ: طلّاب العلم ثلاثة أصناف. فاعرفوهم بصفاتهم ونعوتهم:

صنف طلبوه للمماراة والجدل؛ وصنف طلبوه للاستطالة والحيل؛ وصنف طلبوه للتّفقّه والعمل.

فأمّـا صاحب المـماراة والجـدل فهو مؤذٍ متأذٍّ، متعرّض للمقال في أندية الرّجال، يتحلّىٰ بتذكّر العلم وخفّة الحلم، يتسربل بالتّخشّع، وتخلّىٰ عن الورع فدقّ الله من هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه.

وأمّـا صاحب الاستـطالة والحيل فذو خبّ وملق، مستطيل علىٰ أشباهه

---

(٤٧٠) «ر»: بالخير.

وأمثاله، لجوابهم هاضم، ولدينهم حاطم. فأعمىٰ الله علىٰ هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره.

وأمّا صاحب الفقه والعمل فذو كآبة وخشوع، وإنابة وخضوع، قد خشع في برنسه، وقام اللّيل في حندسه، يخشع داعياً مقبلاً علىٰ شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه. فشدّد الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه، وحباه مغفرته ورضوانه.

وقال ـ عليه السّلام ـ: من تواضع للمتعلّمين وذلّ للعلماء ساد بعلمه. فالعلم يرفع الوضيع، وتركه يضع الرّفيع، ورأس العلم التّواضع، وبصره البراء من الحسد، وسمعه الفهم، ولسانه الصّدق، وقلبه حسن النّيّة، وعقله معرفة أسباب الأمُور، ومن ثمراته التّقوىٰ، واجتناب الهوىٰ، واتّباع الهدىٰ، ومجانبة الذّنوب، ومودّة الإخوان، والاستماع من العلماء، والقبول منهم. ومن ثمراته ترك الانتقام عند القدرة، واستقباح مقارفة الباطل، واستحسان متابعة الحقّ، وقول الصّدق، والتّجافي عن سرور في غفلة، وعن فعل ما يعقب ندامة. والعلم يزيد العاقل عقلاً، ويورث متعلّمه صفات حمد؛ فيجعل الحليم أميراً، وذي المشورة وزيراً، ويقمع الحرص، ويخلع المكر، ويميت البخل، ويجعل مطلق الفحش مأسوراً، وبعيد السّداد قريباً.

وقال ـ عليه السّلام ـ: الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنط العباد من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلىٰ غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه فقه. ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر. ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر. الا لا خير في نسك ليس فيه ورع.

وقال ـ عليه السّلام ـ في وصيّة[٤٧١] لكميل بن زياد:

(٤٧١) «ح»: وصيّته.

يا كميل بن زياد، إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها. ٱحفظ ما أقول لك؛ النّاس ثلاثة: عالم ربّانيّ، ومتعلّم علىٰ سبيل نجاة، وهمج رعاع؛ أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلىٰ ركن وثيق. العلم خير من المال؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو علىٰ الإنفاق والمال تنقصه النّفقة، والعلم حاكم والمال محكوم عليه. محبّة العالم دين يدان به، يكسبه الطّاعة في حياته. وجميل الأحدوثة بعد وفاته. مات خزّان المال وهم أحياء. والعلماء باقون مابقي الدّهر؛ أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

ها إنّ هاهنا لعلماً جمّاً - وأومأ[٤٧٢] بيده إلىٰ صدره - لو أصبت له حملة، بلىٰ أصبت لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدّين للدّنيا، يستظهر بنعمة الله علىٰ عباده، وبحججه علىٰ كتابه، أو معانداً لأهل الحقّ لا بصيرة له [في أحنائه][٤٧٣]، ينقدح الشّكّ في قلبه بأوّل عارض من شبهة.ألا لا ذا ولا ذاك. فمنهوم باللّذّات بتليين القياد للشّهوات، أو مغرم بجمع الأموال والادّخار، ليسا من رعاة الدّين في شيء، أقرب شبهاً بهما الأنعام السّائمة. كذلك يموت العلم بموت حامليه.

اللّهمّ بلىٰ لن تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خافياً مغموراً لكي لا تبطل حجج الله وبيّناته وكم ذا وأين أُولئك؟ أُولئك هم الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله حججه حتّىٰ يؤدّوها إلىٰ نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم علىٰ حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما ٱستوحش منه الجاهلون، صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها متعلّقة في المحلّ الأعلىٰ. آه آه شوقاً إلىٰ رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك،

---

(٤٧٢) «ب»: وأشار.

(٤٧٣) أضفناه من المصدر.

إذا شئت فقم[٤٧٤].

وينبغي للعالم أن يكون صدوقاً ليؤمن علىٰ ما قال، وأن يكون شكوراً ليستوجب المزيد، وأن يكون حمولاً ليستحقّ السّيادة، وأن يعمل بعلمه ليقتدي النّاس به.

وقال ـ عليه السّلام ـ كن بالتّواضع بالعلم كالجاهل. وكن في الاقتصاد في النّطق كالعيي. واكتف بالكفاف من النّطق، إن غلبت علىٰ العمل فأحل علىٰ العلم تلحق بالعلماء، وإن غلبت علىٰ النّطق فأحل علىٰ الصّمت فإنّه سبيل البلغاء، الصّمت أجلب للمودّة، وأنفىٰ للحسد. كم من باك علىٰ الدّنيا طال بكاؤه منها. وكم من مصلح لها بإفساد نفسه. وكم من مستبق لها جعل نفسه مستباحة. وكم من عاجز عن نفسه بالقوّة لغيره، المجانبة تجلب المعاندة وطول الصّمت خير من مماراة الجاهل. والقطيعة خير من مواصلة أهل الشّرّ، والعلم يكشف هذه الأشياء.

يقول الفقير إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ جامع هذا الكتاب: هذه الصّفات ألّتي قد وصفها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ في المؤمنين والعلماء الحلماء البررة الأتقياء هي صفته وصفة ذرّيّته وأهل بيته وعترته، والتّرغيب ألّذي قد حثّ عليه لمن أراد طلب العلم إلىٰ مدارسته ومعرفته هو طريق واضح إلىٰ معرفتهم، والفرق بينهم وبين أعدائهم. والمعنىٰ أنّ المخاطبة في ذلك لذوي العقول والبصائر لا لمن طبع الله علىٰ قلبه، حتّىٰ عدل عن هذه الصّفات والمناقب والدّلائل. والقرب من صاحب الملّة والدّعوة. وتأكيد وصاياه وما ورد من الأخبار[٤٧٥] المرويّة عنه ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فيهم، وما نطق به الكتاب

---

(٤٧٤) أُنظر هذه الخطبة في نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٤٧، بتفاوت يسير في اللّفظ.

(٤٧٥) «ر»: أخباره.

المنزل من الله ـ تعالىٰ ـ ونصّ القرآن المجيد في تعظيمهم وتفضيلهم علىٰ غيرهم من الظّالمين العتاة البغاة الجاحدين النّاكثين المارقين القاسطين الغاصبين لحقوقهم، المنكرين لقول الله ـ تعالىٰ ـ ورسوله فيهم، المخالفين لأمر الله، لقوله ـ عزّ وجلّ ـ وأمره لعباده بطاعتهم ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأطيعوا الرَّسولَ وأولي الأمْرِ منكم﴾[٤٧٦]. فالحمد لله علىٰ هدايته لدينه، والتّوفيق لما دعا إليه من سبيله. وها أنا ذاكر بعض ما ظفرت به من مناقبهم، وما حصل لي من الأخبار النّبويّة، والأحاديث المعنعنة المسندة المرويّة عن المؤيّد بالعصمة ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ.

المائة منقبة المخصوصة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وذلك ممّا رواه الشّيخ السّعيد أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه ـ قدّس الله روحه ـ يوم الغدير من سنة إحدىٰ وستّين وثلاثمائة، يرفعه إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ممّا خصّ الله ـ تعالىٰ ـ به أمير المؤمنين ـ عليه ا لسّلام ـ :

الأوّل: انّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ خلقه من نور عظمته؛ كما قال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: خُلِقت أنا وعليّ من نور واحد.

الثاني: أنّه أجاب الله ـ عزّ وجلّ ـ في الذّر معه.

الثّالث: أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أخذ ميثاق عباده بولايته.

الرّابع: أنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ أمر بلعن أعدائه، والبراءة منهم.

الخامس: أنّ من ٱدّعىٰ الإمامة معه كان كمن ٱدّعىٰ الرّبوبيّة من دون الله والنّبوّة مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

(٤٧٦) النّساء: ٥٩.

السّادس: أنّه أمير المؤمنين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لا يُسمّىٰ بهذا الاسم من الأوّلين والآخرين غيره؛ لأنّ هذا الاسم له خاصّة.

السّابع: أنّه كان يعبد الله في أصلاب آبائه وأرحام أُمّهاته من لدن آدم.

الثّامن: أنّه منتقل من الأصلاب الطّيّبة إلىٰ الأرحام الطّاهرة.

التّاسع: أنّه وُلد في الكعبة.

العاشر: أنّه لمّا وُلد(٤٧٧) ظهر نور من عنان السّماء إلىٰ ظهر الكعبة، وسقطت الأصنام الّتي كانت علىٰ الكعبة علىٰ وجوهها، وصاح إبليس وقال: ويل للأصنام وعبدتها من هذا المولود.

الحادي عشر: أنّه ربيب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ والكائن معه حتّىٰ بُعِث بالنّبوّة.

الثّاني عشر: أنّه أوّل رجل أقرّ لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بالنّبوّة لمّا بُعِث.

الثّالث عشر: أنّه أوّل رجل صلّىٰ مع رسول الله قبل النّاس بسبع سنين.

الرّابع عشر: أنّه كان يفسّر حديث رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ويذكر حديث كلّ نبيّ.

الخامس عشر: أنّه أحد أصحاب الكساء، وأحد أصحاب يوم المباهلة.

السّادس عشر: أنّه أخو رسول الله الذّي أمر بإخائه.

السّابع عشر: أنّه خليفة الله في أرضه.

الثّامن عشر: أنّه خليفة رسول الله في حياته وبعد وفاته.

التّاسع عشر: أنّه وصيّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

العشرون: أنّه زوج سيّدة نساء العالمين.

---

(٤٧٧) زيادة: في الكعبة.

الحادي والعشرون: أنّه أبو ولدي رسول الله الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

الثّاني والعشرون: أنّه باب مدينة العلم.

الثّالث والعشرون: أنّه ٱبن أخي حمزة بن عبد المطّلب سيّد الشّهداء.

الرّابع والعشرون: أنّه أخو جعفر الطّيّار في الجنّة مع الملائكة.

الخامس والعشرون: أنّه من رسول الله كهارون من موسىٰ.

السّادس والعشرون: أنّه صاحب رسول الله في كلّ موطن.

السّابع والعشرون: أنّه عيبة علم رسول الله.

الثّامن والعشرون: أنّه صاحب حوض رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يوم القيامة.

التّاسع والعشرون: أنّه إمام المتّقين، وسيّد المسلمين.

الثّلاثون: أنّه صاحب شفاعة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

الحادي والثّلاثون: أنّه صاحب الأعراف مع الأئمّة؛ يعرفون كلًا بسيماهم.

الثّاني والثّلاثون: أنّه توقف النّاس علىٰ الصّراط يُسألون عن ولايته.

الثّالث والثّلاثون: أنّه قسيم الجنّة والنّار.

الرّابع والثّلاثون: أنّه ترك بابه في المسجد مع رسول الله وسُدَّت الأبواب كلّها.

الخامس والثّلاثون: أنّه مفرّج الكرب عن وجه رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

السّادس والثّلاثون: أنّه صاحب لواء الحمد يوم القيامة.

السّابع والثّلاثون: أنّه شريك رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ في هديه.

الثّامن والثّلاثون: أنّه صعد فوق ظهر رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ

حتّىٰ رمىٰ الصّنم الكبير من ظهر الكعبة.

التّاسع والثّلاثون: أنّه شبيه عيسىٰ بن مريم في دلالته إلاّ النّبوّة.

الأربعون: أنّه شبيه يحيىٰ بن زكريّاء في حكمه.

الحادي والأربعون: أنّه شبيه يوسف في حسنه.

الثّاني والأربعون: أنّه شبيه أيّوب في صبره.

الثّالث والأربعون: أنّه شبيه إبراهيم ـ عليه السّلام ـ في سخائه.

الرّابع والأربعون: أنّه شبيه داود ـ عليه السّلام ـ في قوّته وصوته.

الخامس والأربعون: أنّه شبيه سليمان ـ عليه السّلام ـ في بهجته وملكه.

السّادس والأربعون: أنّه شبيه لقمان ـ عليه السّلام ـ في حكمته.

السّابع والأربعون: أنّه شبيه إسماعيل ـ عليه السّلام ـ في تسليمه وصدقه.

الثّامن والأربعون: أنّه شبيه نوح ـ عليه السّلام ـ في إجابة دعائه.

التّاسع والأربعون: أنّه شبيه ذي النّون في أمره.

الخمسون: أنّه شبيه رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ في قضائه إلاّ النّبوّة.

الحادي والخمسون: أنّ جبرئيل ـ عليه السّلام ـ تمنّىٰ منزلته يوم أُحد حتّىٰ قال: وأنا منكما.

الثّاني والخمسون: أنّه نادىٰ جبريل يوم أُحد: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتىٰ إلاّ عليّ.

الثّالث والخمسون: أنّه كان إذا حارب يكون جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملك الموت بين يديه؛ فلا يرجع حتّىٰ يفتح الله عليه.

الرّابع والخمسون: أنّه سيّد المؤمنين.

الخامس والخمسون: أنّه إمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين.

السّادس والخمسون: أنّه لا يحبّه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ كافر.

السّابع والخمسون: أنّه من أبىٰ أن يواليه فقد أبىٰ أن يدخل الجنّة.

الثّامن والخمسون: أنّه أوّل من ينشقّ عنه الأرض بعد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

التّاسع والخمسون: أنّه أوّل من يدعىٰ باسمه يوم القيامة.

السّتّون: أنّه أوّل من يكسىٰ بعد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يوم القيامة.

الحادي والسّتّون: أنّه آخذ بركاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يوم القيامة.

الثّاني والسّتّون: أنّه لايجوز علىٰ الصّراط إلّا من معه براءة بولايته ـ عليه السّلام ـ.

الثّالث والسّتّون: أنّ طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله.

الرّابع والسّتّون: أنّ أمره أمر الله، ونهيه نهي الله.

الخامس والسّتّون: أنّ الملائكة تتقرّب إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ بولايته.

السّادس والسّتّون: أنّ الله أمر بطاعته وطاعة الأئمة ـ عليهم السّلام ـ من ولـده، ولم يؤمر إلّا بطاعة نبيّ أو وصي نبيّ، ويذكر حديث هام بن الهيم بن لاقيس بن إبليس ـ لعنه الله ـ.

السّابع والسّتّون: أنّه أُعطي ما أُعطي الخضر ـ عليه السّلام ـ من قطع المسافة البعيدة في المدّة اليسيرة، وقصده من المدينة إلىٰ المدائن لغسل سلمان الفارسيّ ـ رحمه الله ـ في ليلة واحدة ورجع إلىٰ المدينة، وبعد عشرين ليلة ورد الخبر بموته.

الثّـامن والسّتّون: أنّه حجّة الله الّتي قامت في السّماء والأرض والأئمّـة ـ عليهم السّلام ـ من ولده يقوم واحد بعد واحد.

التّاسع والسّتّون: أنّ مَثَلَهُ في هذه الأمّة كسفينة نوح ـ عليه السّلام ـ.

السّبعون: أنّ مثل شيعته كمثل الملائكة الّذين أطاعوا الله في السّجود لآدم، ومثل من ترك ولايته كمثل إبليس في تركه السّجود.

الحادي والسّبعون: أنّه قالع باب خيبر الرّامي به خلف ظهره أربعين ذراعاً، ثمّ جعله جسراً حمله علىٰ كفّه حتّىٰ عبر عليه جميع العسكر.

الثّاني والسّبعون: أنّه قاتل عمرو بن عبد ودّ الّذي كان يدعىٰ بألف فارس.

الثّالث والسّبعون: أنّه كان يعرف كلّ لسان ولغة.

الرّابع والسّبعون: أنّه كان يعلم منطق الطّير والبهائم.

الخامس والسّبعون: أنّ ولايته عُرِضت علىٰ بقاع الأرضين، فمن قبل ولايته طاب وزكا، ومن لم يقبل صار سباخاً.

السّادس والسّبعون: أنّه عُرضت ولايته علىٰ المياه، فما قبل ولايته طاب وعذب، ومالم يقبل صار ملحاً أجاجاً.

السّابع والسّبعون: أنّ ولايته عرضت علىٰ النّبات فما قبل ولايته صار منافعاً للنّاس، ومالم يقبل صار سمّاً قاتلاً.

الثّامن والسّبعون: أنّ من أنكر ولايته وإمامته بمنزلة من أنكر النّبوّة.

التّاسع والسّبعون: أنّ بيعته في هذه الأمّة بمنزلة بيعة حواريّي عيسىٰ بن مريم ـ عليه السّلام ـ.

الثّمانون: أنّ الشّمس كلّمته وشهدت له بإمرة المؤمنين بمشهد من أصحاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

الحادي والثّمانون: أنّ الشّمس رُدّت له مرّتين.

الثّاني والثّمانون: أنّ القمر كلّمه ليلة البدر.

الثّالث والثّمانون: أنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ زوّجه سيّدة نساء العالمين فاطمة

ـ عليها السّلام ـ فوق عرشه والملائكة شهود، نثاره من الجنّة ياقوتها وجواهرها، والملائكة يتهادونها بينهم إلىٰ يوم القيامة.

الرّابع والثّمانون: حفظه التّوراة والإنجيل والزّبور والفرقان كما أنزل الله ـ تعالىٰ ـ وتفسيرها وتأويلها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها.

الخامس والثّمانون: علمه بما كان ومايكون إلىٰ يوم القيامة. والدّليل عليه قوله ـ عليه السّلام ـ: سلوني قبل أن تفقدوني.

السّادس والثّمانون: ٱستغناؤه عن جميع النّاس، وٱفتقارهم إليه في العلوم.

السّابع والثّمانون: تسليم الملائكة عليه يوم القربىٰ.

الثّامن والثّمانون: أنّه المقاتل علىٰ تأويل القرآن كما قاتل النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ علىٰ تنزيله.

التّاسع والثّمانون: أنه قاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين.

التّسعون: إبطال السّحر علىٰ يديه حين سُحِر النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

الحادي والتّسعون: علمه بالمنايا والبلايا.

الثّاني والتّسعون: تحويل الحصا في كفّه ذهباً وجوهراً ـ عليه السّلام ـ.

الثّالث والتّسعون: معرفته بمحبّة المحبّ وبغض المبغض حين جاء إليه رجل فقال: إنّي أُحبّك، فقال ـ عليه السّلام ـ: كذبت.

الرّابع والتّسعون: أنّ اسمه كُتِب علىٰ سرادق العرش قبل أن يُخلَق آدم بألفي عام.

الخامس والتّسعون: أنه كان مع كلّ نبيّ سرّاً، ومع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ جهراً.

السّادس والتّسعون: أنّ حلقة باب الجنّة إذا ضُرِبت طنّت وقالت: يا عليّ.

السّابع والتّسعون: أنّ شجرة طوبىٰ في الجنّة في داره، وأغصانها في دور المؤمنين.

الثّامن والتّسعون: أنّه صاحب الدّلالات والمعجزات.

التّاسع والتّسعون: أنّه كتاب الله النّاطق.

المائة: أنّه مولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة؛ لقول النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

ومن مناقبه ـ عليه السّلام ـ خبر الغمامة

ماروواه أبو عبدالله بن زكريّاء بن دينار العلانيّ عن أبي جبير الأسود، عن محمّد بن عبدالله يرفعه إلىٰ سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ قال: كنّا جلوساً عند مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حين بويع عمر بن الخطّاب بالخلافة أنا وولداه الحسن والحسين ومحمّد بن الحنفيّة ومحمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر والمقداد بن الأسود الكنديّ، فبينما نحن جلوس إذ ٱلتفت إليه الحسن ـ عليه السّلام ـ وقال: يا أمير المؤمنين، إنّ سليمان بن داود ـ عليه السّلام ـ نال ملكاً لم ينله أحد من النّاس، وأعطاه الله مالم يعطه أحداً من العالمين، فهل ملكت ياأباه شيئاً من ذلك؟

فقال عليّ ـ عليه السّلام ـ: والّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة وتفرّد بالعظمة، لقد أعطىٰ الله ـ تعالىٰ ـ أباك من الملك مالم يعطه أحداً، ولم يملكه أحد قبله ولا بعده.

فقال له الحسن ـ عليه السّلام ـ: يا أمير المؤمنين، نحبّ أن ننظر إلىٰ شيء ممّا ملّكك الله من الملكوت ليزداد النّاس إيماناً مع إيمانهم.

فقال: حبّاً وكرامة.

ثمّ إنّه نهض من وقته وساعته فصلّىٰ ركعتين، ثمّ نزل إلىٰ صحن الدّار ونحن

ننظر إليه، فمدّ يده الكريمة نحو المغرب حتّىٰ بان تحت إبطيه، وردّها وفيها سحـابـة وهو يمدّها حتّىٰ أوقفها علىٰ الدّار ونحن ننظر وإلىٰ جانبها سحابة أُخرىٰ. فلمّا أوقفها علىٰ الدّار قال لها: اهبطي إلينا أيّتها السّحابة.

قال سلمان: فوالله العـظيم لقـد رأيت السّحابة وقد هبطت وهي تقول: «أشهد أنّك وصيّ نبيّ كريم؛ من شكّ فيك هلك، ومن تمسّك بك فقد سلك سبيل النّجاة. ثمّ إنّ السّحابتين تطأطئتا حتّىٰ نزلتا الأرض وصارتا كأنّهما بساط واحد، ورائحتهما كالمسك الأذفر. فقال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: قوموا وٱجلسوا علىٰ السّحابة رحمكم الله.

فقمنا وجلسنا كلّنا وأخذنا مجالسنا. ثمّ أنّ أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ نهض قائماً علىٰ قدميه وتكلّم بما لا نعلمه ولا نفهمه. فلم يستتمّ كلامه إلّا وريحاً قد دخلت تحت السّحابة فرفعتها رفعاً رفيقاً في الهواء، وإذا أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ علىٰ السّحابة الأخرىٰ جالس علىٰ كرسيّ من نور، عليه ثوبان أصفران، وعلىٰ رأسه تاج من ياقوتة حمراء، في رجليه نعلان، شراكهما من ياقوت يتلألأ، وفي يده خاتم من درّة بيضاء، يكاد نور وجهه يذهب بالأبصار.

فقال له الحسن ـ عليه السّلام ـ يا أباه إنّ سليمان بن داود كان يطاع بخاتمه وأنت يا أمير المؤمنين بماذا تطاع؟

فقال له أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ يا ولدي أنا وجه الله، وأنا عين الله، وأنا لسان الله، وأنا وليّ الله، وأنا نور الله، وأنا كنز الله في أرضه بالقدرة والمقدرة، وأنا الجنّة، وأنا النّار، وأنا سدّ ذي القرنين، وأنا جعلتهما. يا بنيّ أتريد أن أُريك خاتم سليمان بن داود ـ عليه السّلام ـ؟

قال: نعم.

قال سلمان الفـارسيّ ـ رضي الله عنـه ـ: فأدخـل أمير المؤمنين ـ عليه

السّلام ـ يده في ثيابه فٱستخرج خاتماً من ذهب وفصّه من ياقوتة حمراء، مكتوب عليه أربعة أسطر، فقال: يا ولدي هذا خاتم سليمان بن داود ـ عليه السّلام ـ أسماؤنا عليه مكتوبة.

قال سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ: فعجبنا لذلك وهالنا أمره ومنظره.

فقال الإمام عليّ ـ صلوات الله عليه ـ: ومن أيّ شيء تعجبون وما هذا بعجب؟! والله العظيم لأُرينّكم اليوم مالم ترونّه من بعدي ولارأيتموه من قبلي!

فقال له الحسن ـ عليه السّلام ـ: يا أمير المؤمنين نريد أن ترينا يأجوج ومأجوج والسّدّ ٱلّذي ينتهي إليهم.

فقال عليّ ـ عليه السّلام ـ للرّيح: سيري بنا.

قال الحسن بن عليّ ـ عليه السّلام ـ: فسمعت للرّيح دويّاً كدويّ الرّعد العاصف، حتّىٰ تحجّبت بنا في الجوّ وأمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ خلفنا ونحن ننظر إليه وهو جالس علىٰ الكرسيّ.

قال سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ: وسارت بنا الرّيح حتّىٰ دنينا من[٤٧٨] جبل شامخ مرتفع في الهواء وعليه شجرة عظيمة جافّة قد سقط ورقها وماتت. فقلنا: يا أمير المؤمنين، مابال هذه الشّجرة؟

فقال: سلوها فإنّها تخبركم بحالها.

فقال لها الحسن ـ عليه السّلام ـ: مابالك أيّتها الشّجرة؟

فلم تجبه. فقال لها أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: أيّتها الشّجر أجيبيهم بإذن الله ـ تعالىٰ ـ.

قال سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ: فوالله العظيم لقد سمعناها وهي تقول: لبّيك لبّيك يا وصيّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وخليفته من بعده

---

(٤٧٨) «ب»: «بُيّن لنا»، «ح»: «وصلنا إلىٰ» بدل «ديننا من».

حقّاً.

فقال لها: أخبريهم خبرك.

فقالت للحسن ـ عليه السّلام ـ يا أبا محمّد، كان أبوك يأتي في كلّ ليلة إليّ ويصلّي عندي ويسبّح الله ـ عزّ وجلّ ـ ورداً من اللّيل، فإذا فرغ من صلاته وتسبيحه جاءته غمامة بيضاء يفوح منها رائحة المسك وعليها كرسيّ فيجلس عليه وتسير به، وكنت أعيش بريحه في كلّ ليلة، والآن قطعني منذ أربعين ليلة لم أعرف له خبراً إلىٰ وقته هذا، ولذلك قد حلّ بي ماتراه. فأسأله بالله عليك يا مولاي لا يقطعني بعدها فقد عشت والله بروائحه في هذه السّاعة!

قال سلمان ـ رضي الله عنه ـ: فعجبنا من كلامها، فقام الإمام ـ عليه السّلام ـ ونزل عن كرسيّه ودنا من الشّجرة ومسح يده الشّريفة عليها.

قال سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ: والّذي نفسي بيده لقد سمعت لها أنيناً وحنيناً وهي تخضرّ حتّىٰ اكتست ورقاً وأثمرت بقدرة الله ـ تعالىٰ ـ وببركة الإمام ـ عليه السّلام ـ. فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا عجب.

قال: والّذي ترونه أعجب.

ثمّ عاد إلىٰ موضعه وأمر الرّيح فدخلت تحت السّحابة، فرفعتنا إلىٰ الجو حتّىٰ رأينا الدّنيا كدوران التّرس، ورأينا في الهواء ملكاً قائماً ورأسه تحت الشّمس، ورجلاه في قعر البحر، وله يد في المغرب والاُخرىٰ في المشرق، فلمّا نظر إلينا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وأنّك وصيّ نبيّ الله محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ حقّاً حقّاً بغير شكّ، ومن شكّ فيك فهو كافر.

فقلنا: يا أمير المؤمنين، من هذا الملك، وما بال يده في المشرق والأخرىٰ في المغرب؟

فقال ـ عليه السّلام ـ: هذا الملك أنا أقمته بإذن الله ـ تعالىٰ ـ في هذا الموضع، ووكّلته بظلمات اللّيل وإيضاء النّهار، فلا يزال كذلك إلىٰ يوم القيامة. وذلك أنّي أعطاني الله ـ عزّ وجلّ ـ تدبير أمر الدّنيا. فأنا اُدبّرها بإذن الله ـ تعالىٰ ـ ثمّ سارت(٤٧٩) الرّيح بنا حتّىٰ وقفنا علىٰ يأجوج ومأجوج.

فقال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ للسّحابة اهبطي تحت هذا الجبل ـ وهو جبل شامخ أسود كأنّه قطعة ليل دامس، يفور منه دخان ـ فقال الإمام ـ عليه السّلام ـ: أنا صاحب هذا علىٰ هؤلاء العبيد.

قال سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ: فرأيتهم ثلاثة أصناف: صنف طوال طول كلّ واحد منهم عشرين ذراعاً في عرض عشرة أذرع، والصّنف الآخر طول كلّ واحد منهم مائة ذراع في عرض سبعين ذراع، والصّنف الثّالث يفترش اُذنه تحته والاُخرىٰ فوقه يلتفّ بها.

ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: يا ريح سيري بنا إلىٰ جبل قاف.

فسارت بنا حتّىٰ انتهينا إلىٰ جبل من ياقوتة حمراء وهو محيط بالدّنيا عليه ملك في صورة بني آدم وهو موكّل بجبل قاف. فلمّا نظر إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ قال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في الكلام؟

فقال ـ عليه السّلام ـ له: أنا اُخبرك بما تريد التّكلّم به وتسألني عنه، تريد أن آذن لك في زيارة صاحبك. وقد أذنت لك بإذن الله ـ جلّ جلاله ـ لي.

فأسرع الملك وقال: بسم الله الرّحمٰن الرّحيم.

ثمّ طار وجعل يمشي علىٰ الجبل إلىٰ أن غاب عن أعيننا. ثمّ نظرنا إلىٰ شجرة جافّة مثل الشّجرة الاُولة فسألناه عنها. فقال ـ عليه السّلام ـ: سلوها.

فسألها الحسن ـ عليه السّلام ـ وقال لها: أقسمت عليك بحقّ أمير المؤمنين

---

(٤٧٩) «ر»: صارت.

ـ عليه السّلام ـ إلاّ أخبرتِنا خبرك؟

قال سلمان ـ رضي الله عنه ـ: فكلّمت الحسن بلسان طلق وقالت: السّلام عليك يا أبا محمّد، قد كنت أفتخر علىٰ سائر الشّجر وذلك أنّ أباك ـ عليه السّلام ـ كان يأتي في كلّ ليلة في الثّلث الأوّل من اللّيل يظلّ عندي يصلّي ويسبّح الله ـ تعالىٰ ـ ثمّ يأتيه فرس فيركبه ويمضي، وكنت أعيش بروائحه وقد قطعني منذ أربعين ليلة فصرت إلىٰ ما ترىٰ.

فقال الحسن ـ عليه السّلام ـ: أسألك يا أمير المؤمنين بالله وبحقّ جدّي محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إلاّ سألت الله ـ تعالىٰ ـ في ردّها كما كانت.

فمسح يده المباركة عليها، ثمّ قال لها: يا شاهان.

فسمعنا لها حنيناً وهي تقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّك أمير المؤمنين في الأمّة المباركة الطّيّبة، ووصيّ رسول ربّ العالمين، من تمسّك بك نجا، ومن تخلّف عنك فقد هوىٰ.

ثمّ اخضرّت وأورقت، فجلسنا تحتها ساعة وهي خضرة نضرة. ثمّ قلنا: يا أمير المؤمنين، أين ذهب الملك الموكّل بقاف؟

فقال ـ عليه السّلام ـ: كنت بالأمس علىٰ جبل الظّلمة فسألني الملك الموكّل به في زيارة هذا الملك فأذنت له، فاستأذنني الملك الآخر في هذا اليوم علىٰ أن يكافئه وقد أذنت له.

فقلنا: يا أمير المؤمنين، مايزالون عن مواضعهم إلاّ باذنك؟

فقال: والّذي رفع السّماء بغير عمد ما أظنّ أحداً منهم يزول عن موضعه بغير إذني إلاّ واحترق.

فقلنا: يا أمير المؤمنين، ما اسم الملك الموكّل بقاف؟

فقال: اسمه برخائيل.

فقلنا: أليس كنت جالساً معنا في منزلك، فأيّ وقت كنت في قاف؟! فقال: غمّضوا أعينكم.

فغمّضناها، فقال: افتحوها.

ففتحناها فإذا نحن بمكّة. فقلنا: لقد بلغناها ولم يشعر بنا أحد. إنّ هذا لشيء عجيب! وليس عجيباً من وصيّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

فقال ـ عليه السّلام ـ: والله إنّي أملك من الملكوت مالو عاينتموه لقلتم أنت أنت، وأنا عبد مخلوق من الخلائق أنكح وآكل وأنام!

ثمّ أمر السّحابتين فسارتا بنا إلىٰ أن وصلنا إلىٰ روضة خضراء كأنّها من رياض الجنّة، وإذا نحن بشابّ يصلّي بين قبرين. فقلنا: يا أمير المؤمنين، من هذا الشّابّ؟

فقال: هذا أخي صالح ـ عليه السّلام ـ وهذان قبرا أبويه يعبد الله ـ تعالىٰ ـ بينهما.

فلمّا نظر إلينا صالح ـ عليه السّلام ـ لم يتمالك نفسه حتّىٰ وافىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وقبّل صدره وجعل يبكي ويشكو إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وهو يسكّنه حتّىٰ سكن من بكائه. فقلنا: يا أمير المؤمنين، ماباله يبكي؟

فقال: سلوه.

فسأله الحسن ـ عليه السّلام ـ: ما يبكيك أيّها العبد الصّالح؟

فقال: إنّ أباك كان يمرّ بي في كلّ يوم عند وقت الغداة فيصلّي ويسبّح الله، فكنت أزداد في العبادة كلّ مارأيته يعبد الله ـ عزّ وجلّ ـ وأقوىٰ علىٰ التّعب، وقد انقطع عنّي منذ عشرة أيّام فساءني ذلك وغمّني، فلمّا رأيته لم أتمالك من نفسي شيئاً من شدّة شوقي إليه.

فقلنا: يا أمير المؤمنين، هذا هو العجب أعجب من كلّ مارأينا؛ أنت معنا

وتأتي في كلّ يوم إلىٰ هذا الموضع وإلىٰ هذا الفتىٰ؟

فقال ـ عليه السّلام ـ أتحبّون أن أُريكم سليمان بن داود ـ عليه السّلام ـ؟

قلنا: نعم.

فقام وقمنا ومشينا علىٰ قاف إلىٰ بستان لم يُرَقطّ مثله ولا أحسن منه. فيه من جميع الفاكهة والأنهار. يجري فيه الماء. والأطيار تسبّح الله ـ تعالىٰ ـ بلغاتها وأنغامها. فلمّا نظرت الأطيار إلىٰ أمير المؤمنين علـيّ ـ عليه السّلام ـ جعلت ترفرف علىٰ رأسه، وإذا بسرير في وسط البستان من الفيروزج عليه شابّ ملقىٰ علىٰ ظهره وليس في يده خاتم، عند رأسه ثعبان وتحت رجليه ثعبان. فلمّا نظر الثّعبانان إلىٰ أمير المؤمنين عليّ ـ عليه السّلام ـ جعلا يتمرّغان علىٰ قدميه. فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا هو سليمان بن داود ـ عليه السّلام ـ ؟

قال: نعم.

ثمّ أخرج الخاتم ٱلّذي كان معه وجعله في يد سليمان ـ عليه السّلام ـ ثمّ قال له: قم بإذن الله ٱلّذي يحيي العظام وهي رميم، وهو الله ٱلّذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم الواحد القهّار ربّ السّموٰات والأرض وربّ آبائي الأوّلين.

فقام سليمان ـ عليه السّلام ـ قائماً يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله؛ أرسله بالهدىٰ ودين الحقّ ليظهره علىٰ الدّين كلّه ولو كره المشركون. وأشهد أنّك وصيّ رسول الله حقّاً، الهادي المهديّ، ٱلّذي سألت الله ـ تعالىٰ ـ به وبمحبّته ومحبّة أهل بيته فآتاني الملك، فصلّىٰ الله عليكم، وإنّي من محبّيكم، ولولا ذلك ماملكت الملك ٱلّذي آتاني الله.

فلمّا سمعنا ذلك قبّلنا قدميه. ثمّ جلس عند رأسه ساعة وعاد سليمان إلىٰ حاله الأوّل، وقام الإمام ـ عليه السّلام ـ وقمنا، فقلنا: يا أمير المؤمنين، ماوراء جبل قاف؟

قال: أربعين دنياً كلّ دنيا بقدر أربعين دنياً من دنياكم هذه.

فقلنا: يا أمير المؤمنين، كيف تملك وتعلم بهذه الأشياء؟

قال ـ عليه السّلام ـ: أعلم ذلك بالاسم الأعظم ٱلّذي إذا كُتِب علىٰ ورق الزّيتون وطُرِح علىٰ النّار فلم يحترق، وبأسمائنا الّتي إذا كُتِبت علىٰ اللّيل اظلمّ وعلىٰ النّهار فأضاء وٱستنار، أنا المحنة النّازلة الواقعة علىٰ الأعداء، وأنا الطّامّة الكبرىٰ. وأسماؤنا مكتوبة علىٰ السّماوات فأقامت، وعلىٰ الأرض فانسطحت، وعلىٰ الرّياح فذرت، وعلىٰ البرق فلمع، وعلىٰ النّور فسطع، وعلىٰ الرّعد فخشع. وأسماؤنا مكتوبة علىٰ جبهة إسرافيل ٱلّذي جناحه في المشرق والآخر في المغرب، وهو يقول: سبّوح قدوّس ربّ الملائكة والرّوح.

ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: غمّضوا أعينكم.

فغمضناها، ثمّ قال: ٱفتحوها.

ففتحناها وإذا نحن بمدينة لم نر أكبر منها. ذات أسواق عامرة. وأهلها قوم طوال. كلّ واحد كأنّه النّخلة السّحوق[٤٨٠]. فقلنا: يا أمير المؤمنين، من هؤلاء؟

فقال: هؤلاء بقيّة قوم عاد. وهم كفّار لا يؤمنون بالله ولا بيوم الحساب. فإنّ أحببتم أن أُريكم آباءهم في هذا الموضع، ولقد مضيت بقدرة الله وٱقتلعت مدينتهم وهي من مدائن الشّرق وأتيت بها وأنتم لا تشعرون، وقد أحببت أن أُقاتلهم بين أيديكم؟

فقلنا: يا أمير المؤمنين، تقاتلهم بغير حجّة؟

فقال: لا ولكن بحجّة.

ثمّ دعاهم إلىٰ الإيمان فأبوا، فحمل عليهم وحملوا عليه ليقتلوه ونحن نراهم وهم لايرونا فتباعد عنهم، ثمّ دنا منّا ومسح يده الشّريفة علىٰ أبداننا ثمّ دعاهم

(٤٨٠) أي: الطّويلة.

إليه فلم يؤمنوا، فزعق فيهم زعقة.

قال سلمان ـ رضي الله عنه ـ: فو ٱلّذي نفسي بيده، لقد ظننت أنّ الأرض ٱنقلعت[٤٨١]، والجبال تدكدكت، ورأينا صواعق قد خرجت من فيه حتّىٰ تركتهم صرعىٰ كأعجاز نخل.

ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ: أتحبّون أن أُريكم ماهو أعظم من هذا؟

فقلنا: يا أمير المؤمنين، مالنا من قوّة، فلعن الله من لايؤمن بالله ورسوله وبك، ثمّ إنّه صاح بالسّحابة فإذا هي قد أقبلت.

فقال: ٱجلسوا.

فجلسنا، وجلس علىٰ الأخرىٰ وتكلّم بكلام لا نفهمه. فما ٱستتمّ كلامه حتّىٰ سارت بنا في الجوّ. ثمّ حططنا[٤٨٢] في دار أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ لطرفة عين، ونزلنا والمؤذّن يؤذّن الظّهر، وكنّا قد مضينا عند طلوع الشّمس.

فقلنا: هذا هو العجب؛ كنّا في قاف ورجعنا في خمس ساعات مضت من النّهار؟!

فقال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وٱلّذي نفسي بيده لو أردت أن أقطع بكم الدّنيا جميعها[٤٨٣] والسّماوات والأرض في أقلّ من لمح البصر لفعلت ذلك بإذن الله ـ تعالىٰ ـ وعظمته وجلاله وبركة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وأنا وصيّه وخليفته في أُمّته من بعده ولكن أكثر النّاس لايفقهون.

قال سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ: والله إنّها لمعجزات كبار يا أمير المؤمنين، صلّىٰ الله عليك وعلىٰ ذرّيّتك الطّاهرين، لعن الله من غصبك حقّك

---

(٤٨١) في بقيّة النّسخ: انقلبت.

(٤٨٢) «ر»: حطنا.

(٤٨٣) «ر»: جميعاً.

وجحدك وأعرض عنك، وضاعف عليهم العذاب الأليم.

ومن مناقبه ـ عليه السّلام ـ خبر الدّهقان في قتال النّهروان:

يُروىٰ بعد حذف الأسانيد أنّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ لمّا خرج إلىٰ قتال النّهروان نزل بقرية تدعىٰ بنهر نيل بين المنزل والنّهروان، فلمّا عرس خفقت بوقات العسكر وقرعت طبولهم، فقال: ماالخبر؟

قالوا: وارد ورد آخر العسكر يقول: البشرىٰ لأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ، فلمّا مثل بين يديه قال: ما[٤٨٤] بشراك؟

قال: إنّ القوم لمّا بلغهم نزولكم بهذا المنزل ولّوا أكتافهم منهزمين، وقد منحك الله ـ تعالىٰ ـ ذلك.

فقال له: كذبت. والله ماتعدّوا النّخلات ولا تجاوزوا الإبلات، ولايكون ذلك إلّا غداة عند زوال الشّمس بعد القتال، وأنّهم لايبقىٰ منهم إلّا عشرة، ولا يُقتَل من عسكرنا إلّا عشرة.

قال: وكان ممّن تلقّاه شرسفيل بن سوار كاهن المدائن وكان من عظماء الفرس، وكانت الفرس تعظّمه وترجع إلىٰ قوله، فجاء وقبّل ركاب أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ثمّ عاد وقف موقف مثله لمثله ونادىٰ مسمعاً: يا أمير المؤمنين ارجع عمّا قصدت، واعلم أنّ يومك هذا يوم مميت قد اقترن فيه كوكبان، وشرف كيوان في برج الميزان، وانقدحت من برجك النّيران، وليست الحرب اليوم لك بصالح في مكان، وهذا اليوم أوّل القران؛ تناحست فيه النّجوم الطّالعات، وسعد أصحاب النّحوس، ولزم الحكيم الاستخفاء والقعود.

فقال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: أيّها الدّهقان المنبئ عن الأخبار،

---

(٤٨٤) ليست في «ب» «ح».

المحذّر من الأقدار، هل تعلم ماكان البارحة من قصّة الميزان، وأيّ نجم حلّ في برج السّرطان؟

فاستخرج إصطرلاباً كان في كمّه وجعل ينظر فيه، فتبسّم أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وقال: يادهقان هل أنت تعلم مسير(٤٨٥) الجاريات؟

قال: لا علم لي بذلك يا إمام.

قال: فتقضي علىٰ الثّابتات؟

قال: لا علم لي بذلك يا إمام.

قال: فكم بين السّاعات المستقيات والسّاعات المعوجّات في قدر شعاع المدبرات من تحصيل العشيّ والغدوات؟

قال: لا علم لي بذلك يا إمام.

قال: فتعلم يادهقان أنّ المُلك ٱنتقل من بيت إلىٰ بيت بالصّين، واُقلب ندماصيل، واحترقت دور بالزّنج، وطفح جبّ سرنديب، وهاج نمل السّح، وتردّىٰ حصن الأندلس بمن فيه، وفقد ديّان اليهود بابلة، وهزم بطريق الرّوم بأرمينية، وانهدم ميزان الهند، وسقطت شرافات القسطنطينة، وعُمي شعيب الرّاهب، أفعالم أنت بهذه الحوادث ٱلّتي أحدثها الفلك في شرقها وغربها؟

قال: لا علم لي بذلك يا إمام.

قال: يا دهقان فأظنّك حكمت علىٰ قران المشتري بزحل لمّا ٱستنار لك في الغسق وظهر تلألؤ شعاع المرّيخ في السّحر وسار وٱتّصل جرمه بجرم القمر، وذلك دليل علىٰ ٱستحقاق ألف من البشر كلّ يوم يولد ويموت مثلهم.

قال: لا علم لي بذلك يا إمام.

قال: يادهقان أتعلم من يموت اليوم؟

---

(٤٨٥) «ح»: سير.

قال: لا علم لي بذلك يا إمام.

فالتفت أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ إلىٰ رجل عن يمينه وقال: هذا ممّن يموت اليوم.

وكان ذلك الرّجل سعد بن مسعدة الحارثيّ وكان جاسوساً لمعاوية. فظنّ أنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ قد شعر به. فتكسّرت نفسه في صدره ومات لوقته.

فقال: يا دهقان ألم أُرك عين القدرة والتّقدير؟

قال: بلىٰ يا أمير المؤمنين.

قال: ورأيت الحقّ حقاً؟

قال: بلىٰ يا مولاي.

فقال ـ عليه السّلام ـ: أنا وصحبي لا شرقيّون ولا غربيّون، وإنّما نحن ناشئة القطب. وما زعمت أنّه يقدح من برج إلىٰ برج فكان يجب أن تحكم به لي لا عليّ. أمّا نوره وناره فعندي. يا دهقان هذه مسألة عميقة فاحسبها ولُذْ بها إن كنت عارفاً بالأدوات والأكوار. أما لو فعلت ذلك لعلمت أنّك تحصي عدد عقد القصب من هذه الأجمة ـ وكان قد لحظ عن يمينه أجمة ـ.

فعند ذلك خرّ الدّهقان له ساجداً. فقال ـ عليه السّلام ـ: ماهذا السجود! لا تضلّنّ، ياهذا اسجد لله وتضرّع إليه بنا تكن في الآخرة من المخلصين، وإنّك قد سمعت خيراً فقل خيراً، ثمّ لا يهلكنّك ماسمعت.

ثمّ سار من وقته وساعته فوجد القوم في مكانهم، فلم يكن زوال الشّمس في اليوم ٱلّذي ذكره ـ عليه السّلام ـ فقاتلهم حتّىٰ لم يبق منهم إلاّ عشرة، ولم يُقتَل من عسكره إلاّ عشرة(٤٨٦).

[إن كنت تنكر ياهذا فضائله فاسمع فضائله في هل أتىٰ وكفىٰ](٤٨٧)

(٤٨٦) انظر هذا الخبر في تفسير نور الثّقلين ٤:٤٠٧ بتفاوت يسير.

(٤٨٧) أضفناه من «ر».

ومن مناقبه ـ عليه السّلام ـ ماوردت بها الأحاديث المرويّة، واتّصلت بها الأخبار عن النّبيّ المختار ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ الأئمّة الأطهار ما ادلهمّ ليل، وعسعس فجر، وأضاء نهار، من ذلك استخراج الأحاديث الأربعين عن سيّد المرسلين في(٤٨٨) مناقب أهل بيته المكرمين؛ نقلاً من كتاب بخزانة مشهد أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ استخرجه ونسخه السّعيد المرحوم جلال الدّين محمّد بن المعمّر الطّاهر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ونقلته أنا من تلك النّسخة من(٤٨٩) يد مملوكه وعتيقه آتش الرّوميّ، وهو رواية أسعد بن إبراهيم الأربليّ ـ عفا الله عنه ـ ماصورته:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

قال الرّاجي رحمة ربّه، المستغفر من ذنبه؛ أسعد بن إبراهيم بن الحسن بن علـيّ الأربليّ: كنت سمعت علىٰ كثير من مشائخ الحديث أنّ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال: من حفظ عنّي أربعين حديثاً بعثه الله ـ تعالىٰ ـ يوم القيامة فقيهاً عالماً، ومن روى عنّي أربعين حديثاً كنت شفيعاً له يوم القيامة. فحفظت ماشاء الله ـ تعـالىٰ ـ من الأحاديث، وأنا لا أعلم إلىٰ أيّ الأحاديث أشار رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآلـه ـ إلىٰ أن لقيت سلطان المحدّثين ذا الحسبين والنّسبين الحسين(٤٩٠) أبا الخطّاب بن دحية بن خليفة الكلبيّ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وسمعت عليه موطّأ مالك، وسألته عن الأحاديث الّتي أراد بها النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أنّ الإنسان إذا حفظها بعثه الله ـ عزّ وجلّ ـ يوم القيامة فقيهاً عالماً، وإلىٰ أيّ الأحـاديث أشار ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ؟ قال: إنّ السّؤال سُئل عنه محمّد بن

---

(٤٨٨) «ب» «ح» من.

(٤٨٩) «ب» «ح»: علىٰ.

(٤٩٠) ليس في «ب» «ح» «ع».

إدريس الشّافعيّ الإمام المطلبيّ ـ رضي الله عنه ـ فقال: هي مناقب أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ .

وروي عن الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل أنّه قال: ما أعلم أنّ أحداً أعظم منّة علىٰ الشّافعيّ من الشّافعيّ، وإنّي لأدعو الله ـ تعالىٰ ـ في أدبار صلواتي أن يغفر له منذ سمعت منه أنّ الأربعين حديثاً أراد بها النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ مناقب أهل بيته ـ عليهم السّلام ـ.

ثمّ قال الإمام أحمد بن حنبل: وقرّ في نفسي أن قلت: من أين صحّ عند الشّافعيّ هذا؟! فرأيت في المنام تلك اللّيلة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وهو يقول لي: يا أحمد، لاتشكّ في قول ٱبن إدريس في ماروواه عنّي.

قال أسعد: فقرأت عليه جميع الأحاديث المشهورة المسندة المرويّة في مناقب أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ فأراني جزءاً صغيراً فيه أحاديث غريبة سمعتها عليه، ورواها عن الثّقاة. فلمّا سكنت محميّة بغداد وتدبّرتها، وأحمدت جنابها الرّحب وتخيّرتها، وشملتني من صدقات ديوانها العزيز ـ مجّده الله تعالىٰ ـ نعم بتّ مستمرئاً أخلاقها، ومستذرئاً أكنافها، سألني جماعة من المؤمنين أن أجمع لهم ماورويته من الأحاديث ٱلّتي ذكرتها مختصرة مسندة معنعنة بحذف الأسانيد المطوّلة، فأجبت إلىٰ ذلك إجابة من رغب في جزيل الثّواب، ولبّىٰ دعوة الأخلاّء والأصحاب، والله الموفّق للصّواب، وقلت:

حدّثني الشّيخ الإمام الحافظ الفاضل الحسيب النّسيب جمال الدّين أبو الخطّاب عمر ذو الحسبين والنّسبين الحسين بن دحية الكلبيّ المغربيّ الأندلسيّ ـ رحمه الله ـ بقراءة المبارك بن موهوب الأربليّ، سنة عشر وستّمائة في مجلس واحد.

الحديث الأوّل: يسنده إلىٰ أبي جعفر ميثم التّمّار، قال: كنت جالساً بين يدي

أمير المؤمنين علـيّ بن أبي طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بالكوفة، وحوله جماعة من أصحاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إذ قدم عليه رجل طوال عليه قباء خزّ أدكن، وقد اعتمّ بعمامة صفراء وتقلّد بسيفين، فنزل عن جواده وحيّا تحيّة الملوك، ثمّ قال: أيّكم الإمام الأورع، والبطين الأنزع، المولود في الحرم، العالي الهمم، الكريم الشّيم؟ أيّكم حيدر أبو تراب، قالع الباب، وهازم الأحزاب؟

فأشار بعض الحاضرين إلىٰ أمير المؤمنين علـيّ ـ عليه السّلام ـ وقال: هذا مرادك وإرشادك.

فتقدّم إلىٰ علـيّ ـ عليه السّلام ـ وقال: إنّي رسول إليك من قوم لهم أعراق صميمة، وقبائل كريمة، وفضائل جسيمة، يقال لهم: العقيمة، وكان لأميرهم المكنّىٰ بطاعن الأسنّة ولد تُرَىٰ الشّمس من غرّته، ولا يحبّ الدّنيا إلّا لمحبّته، وقد وجد الولد الجليل وهو قتيل لا يُعرَف من قتله، ولا يُفهَم من جدّله، وقد وقع بين القبائل بسببه الوقائع الدّامغة بشياطين الفتن البازغة، وتعدّت الفتن إلىٰ رجم الغيب، وران علىٰ القلوب ٱختلاف الشّك والرّيب، وقد ٱرتضوا بإنفاذ المقتول إليك، والحكم بما يعتمدون في ٱتّباعه عليك، ولهم حسن الظّنّ فيك وفي معجزك أن تعرّفهم من قتله، وإلّا يقع السّيف بين القبائل وأنت جدير بحلّ المشكلات، وحقن الدّماء بين المسلمين والمسلمات؟

فقال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ: وأين المقتول؟

فأحضر تابوتاً وأخرج منه شابّاً مسجّىً بالدّيباج والأطلس والخزّ، يضوع منه أرج العنبر والنّدّ(٤٩١)، فقام ـ عليه السّلام ـ وصلّىٰ وأطال في صلاته، ثمّ ٱلتفت وقال: هذا قتله عمّه حريث. وسببه أنّه زوّج ابنته وقد تزوّج عليها بحضرته فحنق عليه فقتله.

---

(٤٩١) النّدّ: نوع من النّبات، يتبخّر بعوده.

قال الأعرابيّ: هو ذلك. وإنّما نريد أوضح من هذا؛ أن تستنطقه ليبين معجزك والسّرّ المودع فيك.

فقام أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وجعل يصلّي ويتضرّع وسمعناه يقول: إلهي أنت أحييت ميّت بني إسرائيل ببعض لحم بقرة وقلت: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾[٤٩٢] وإنّي لأضربه ببعضي وأعلم أنّ بعضي عندك أكرم ـ ووكزه برجله اليمنىٰ ـ ثمّ ناداه: قل بإذن الله من قتلك وأنا عليّ بن أبي طالب الوصيّ.

ثمّ قالها ثانية وثالثة، فوٱلّذي بعث محمّداً ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بالحقّ لقد نطق الميّت بكلام خفيّ سمعه من كان حاضراً، وقال: قتلني عمّي حريث.

ثمّ أمسك فوقع جماعة علىٰ وجوههم سجّداً لعليّ ـ عليه السّلام ـ، فقال ـ عليه السّلام ـ: السّجود لله أولىٰ، وإنّما تكلّم بإذن الله، وادّعوا فيه ما ٱدّعوا.

وهذا الحديث رواه عامّة محدّثي الكوفة.

الحديث الثّاني: بإسناده عن عمّار بن خالد، عن إسحاق بن الأزرق، عن عبدالملك بن سليمان، قال: ووجد في ذخيرة مزماري أحد حواريّي المسيح ـ عليه السّلام ـ رقّ فيه مكتوب بالقلم السّريانيّ منقول من التّوراة؛ أنه لمّا تشاجر موسىٰ ـ عليه السّلام ـ والخضر ـ عليه السّلام ـ في قصّة السّفينة والغلام والجدار، ورجع موسىٰ إلىٰ قومه سأله أخوه هارون عمّا ٱستعلمه من الخضر وشاهده من عجائب البحر، قال: بينما أنا والخضر علىٰ شاطىء البحر إذ سقط بين أيدينا طائر أخذ في منقاره جرعة ورمىٰ بها نحو الشّرق[٤٩٣]، وأخذ ثانية ورماها في الغرب[٤٩٤]، وثالثة ورمىٰ بها نحو السّماء، ورابعة ورماها إلىٰ الأرض، ثمّ أخذ

(٤٩٢) البقرة: ٧٣.

(٤٩٣) «ب»: المشرق.

(٤٩٤) «ب»: المغرب.

خامسة وعاد ألقاها في البحر. فبهتنا لذلك. فسألت الخضر عن ذلك فلم يجب. وإذا نحن بصيّاد يصطاد فنظر إلينا وقال: مالي أراكما في فكر وتعجّب من الطّائر؟

قلنا: هو ذلك.

قال: أنا رجل صيّاد قد علمت وأنتما نبيّان ما تعلمان؟!

قلنا: ما نعلم إلّا ما علّمنا الله.

قال هذا طائر في البحر يُسمّىٰ مسلم؛ لأنّه إذا صاح يقول في صياحه: مسلم، فإشارته رمي الماء من منقاره إلىٰ المشرق والمغرب إشارة أن يُبعَث نبيّ بعدكما تملك أُمّته المشرق والمغرب، ويصعد إلىٰ السّماء ويدفن في الأرض. وأمّا رميه الماء في البحر يقول: إنّ علم العالم عند علمه مثل هذه القطرة. ويرث علمه وصيّه وابن عمّه. فسكن ماكنّا فيه من المشاجرة، واستقلّ كلّ واحد منّا علمه بعد أن كنّا معجبين بأنفسنا. ثمّ غاب الصّيّاد عنّا. فعلمنا أنّه ملك بعثه الله ـ تعالىٰ ـ إلينا ليعرّفنا بقصّتنا؛ حيث ادّعينا الكمال.

الحديث الثّالث: يرويه أبو الفوارس أحمد بن حمزة النّيليّ بالإسناد إلىٰ سفيان الثّوريّ، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، قال: حضرت مجلس أنس ابن مالك وهو مكفوف البصر وفيه وضح، فقام إليه رجل من القوم وكأنّه كان بينه وبين أنس إحنة، وقال له: يا صاحب رسول الله، ماهذه السّمة الّتي أراها بك؟ فوالله الّذي بعث محمّداً ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ نبيّاً، لقد حدّثني أبي عن النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أنّ الله ـ تعالىٰ ـ قد بيّن أنّ البرص والجذام ما يبتلىٰ به مؤمن، ونرىٰ بك وضحاً؟!

فأطرق أنس إلىٰ الأرض وعيناه تذرفان بالدّمع، وقال: أمّا الوضح فإنّه من دعوة دعاها عليّ أمير المؤمنين عليّ بي أبي طالب ـ عليه السّلام ـ.

فقام إليه جماعة سألوه أن يحدّثهم بالحديث. قال: لمّا أُنزلت سورة الكهف

سأل الصّحابة النّبيّ ـ صلّیٰ الله عليه وآله ـ أن يريهم أهل الكهف. فوعدهم ذلك. فبينما هو جالس في بعض الأيّام وقد أُهدي له بساط من قرية يقال لها: هندف من قریٰ الشّام، وقد حضر الصّحابة وذكّروه بوعده. فقال ـ صلّیٰ الله عليه وآله ـ: أحضروا عليّاً، فلمّا حضر قال لي: يا أنس ابسط البساط، وأمر الصّحابة أن يجلسوا عليه. فلمّا جلسوا عليه رفع يديه إلیٰ السّماء ساعة وسأل الله ـ تعالیٰ ـ وأمر عليّاً ـ عليه السّلام ـ أن يكتّف القوم ويسأل الله معه كما يسأل أن يبعث له ملائكة أربعة يحملون البساط وعليه الصّحابة إلیٰ أن ينظروا أهل الكهف فما كان إلّا ساعة وٱرتفع البساط.

قال أنس: وأنا معهم. وسرنا في الهواء إلیٰ الظّهر، فوقف البساط. ثمّ وقعنا علیٰ الأرض، فشاهدنا أهل الكهف، وكان عليّ ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يأمر البساط أن يمضي كما يريد. فكأنّه كان يعرف الكهف. وقال: انزلوا نصلّي. فنزلنا وأمّ بنا وصلّينا. وتقدّمنا إليهم. فرأينا قوماً نياماً تضيء وجوههم كالقناديل، وعليهم ثياب بيض، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، فملئنا منهم رعباً، فتقدّم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ فقال: السّلام عليكم. فردّوا عليه السّلام. فتقدّم الجماعة وسلّموا فلم يردّوا عليهم السّلام. فقال لهم عليّ ـ عليه السّلام ـ: لِمَ لاتردّوا علیٰ صحابة رسول الله ـ صلّیٰ الله عليه وآله ـ السّلام؟

فقال أحدهم: سل ٱبن عمّك ونبيّك.

ثمّ قال عليّ ـ عليه السّلام ـ للجماعة: خذوا مجالسكم.

فلمّا أخذوا قال عليّ ـ عليه السّلام ـ: يا ملائكة الله ٱرفعوا البساط.

فرُفع وسرنا في الهواء ما شاء الله. ثمّ قال: ضعونا لنصلّي الظّهر، فإذا نحن بأرض ليس بها ماء نشرب ولا نتوضّأ. فركز برجله الأرض فنبع ماء عذب

فتوضّأنا وصلّينا وشربنا، فقال علـيّ ـ عليه السّلام ـ: ستدركون صلاة العصر مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وسار بنا إلىٰ العصر، فإذا نحن علىٰ باب مسجد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ. فلمّا رآنا هنّأنا بالسّلامة وقال: تحدّثوني أم أُحدّثكم؟

وجعل يحدّثنا كأنّه كان معنا. وقال: يا علـيّ لمّا سلّمت عليهم ردّوا السّلام، وسلّم أصحابي فلم يردّوا، فسألتهم عن ذلك قالوا: سل ٱبن عمّك ونبيّك.

ثمّ قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لا يردّون السّلام إلّا علىٰ نبيّ أو وصيّ.

ثمّ قال: اشهد لعلـيّ يا أنس.

فلمّا كان يوم السّقيفـة استشهـدني علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ وقال: يا أنس، ٱشهد لي بيوم البساط.

قلت له: إنّي نسيت.

قال: إن كنت كتمتها بعد وصيّة رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فرماك الله ببياض في عينك ووجهك، ولظىً في جوفك، وأعمى بصرك، فبرصت وعميت، وكـان أنس لايطيق الصّيام في شهر رمضان ولا في غيره من حرارة بطنه، ومات في البصرة، وكان يطعم كلّ يوم مسكيناً.

الحديث الرّابع: بإسناده، قال: حدّثنا محمّد النّوفليّ، عن أبيه، وكان خادماً للإمام علـيّ بن موسىٰ بن جعفر الرّضا ـ عليهم السّلام ـ قال: حدّثني أبي، عن جدّه باقر علوم الأنبياء، قال: حدّثني أبي زين العابدين، قال: حدّثني أبي سيّد الشّهداء، قال: حدّثني أبي سيّد الأوصياء، قال: حدّثني أخي وحبيبي سيّد الأنبياء ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال: يا علـيّ من سرّه أن يلقىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وهو مقبل

عليه راضٍ عنه فليتولاّك وذرّيّتك إلىٰ من اسمه اسمي[٤٩٥]، يختم الله به الأرض وهداتها.

الحديث الخامس: بإسناده إلىٰ جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: كان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ في مسجده ومعه أصحابه، إذ أقبل أمير المؤمنين علـيّ ٱبن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ والحسن عن يمينه والحسين عن شماله، فقام النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قائماً وقبّل علـيّاً ـ عليه السّلام ـ وعانقه، ثمّ قبّل الحسن والحسين ـ عليهما السّلام ـ وأجلسهما علىٰ فخذيه وجعل يقول: بأبي أنتما، وبـأبي أباكما، وبأبي أمّكما، ثمّ قال: أيّها النّاس إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يباهي بهما وبأبيهما وبالأبرار من ولدهما ملائكته في كلّ يوم، ٱللّهمّ من أطاعني فيهم وحفظ وصيّتي ٱللّهمّ ٱجعله معي في درجتي. ٱللّهمّ ومن عصاني فيهم فٱحرمه رحمتك وبعّد بيني وبينه، ثمّ ذرفت عيناه.

الحديث السّادس: يرفعه إلىٰ جابر بن عبدالله الأنصاريّ، قال: حدّثني علـيّ ابن أبي طالب ـ عليه السّـلام ـ بمحضر من جماعـة، ونحن نأكل تمراً يُسمّىٰ الصّيحانيّ، قال: أتدرون لم سُمّي الصّيحانيّ؟

قلنا: ٱللّهمّ لا.

قال: خرجت أنا ورسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إلىٰ صحراء المدينة، فلمّا وصلنا الحدائق من النّخل صاحت نخلة بنخلة: هذا النّبيّ المصطفىٰ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وذلك علـيّ المرتضىٰ ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ثمّ صاحت ثالثة برابعة هذا كموسىٰ وهذا كهارون.

ثمّ صاحت خامسة بسادسة: هذا خاتم الأنبياء وهذا سيّد الأوصياء.

فنظر رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إليَّ متبسّماً وقال: يا أبا الحسن، أما

---

(٤٩٥) «ر»: كاسمي.

تسمع؟

قلت: بلىٰ.

قال: فما تسمّي هذا النّخل؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: نسمّيه الصّيحانيّ، لأنّها صاحت بفضلي وفضلك.

الحديث السّابع: يرفعه إلىٰ مهديّ بن سابق، قال: حدّثنا[٤٩٦] الإمام علـيّ ابن موسىٰ الرّضا ـ عليه السّلام ـ عن أبيه، عن جدّه، عن آبائه، عن الحسين بن علـيّ ـ عليهم السّلام ـ قال: من قضايا أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ أنّ ثوراً قتـل حماراً في عهـد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فطالب صاحب الحمار بقيمته وتحاكما إلىٰ جميع الصّحابة. فلم يفصل بينهما أحد. وجاءا إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ والصّحابة حوله. فجعل يقول لواحد واحد: ماتقول؟

فمنهم من قال: يؤخذ الثّور، ومنهم من قال غير ذلك، فقال: آتوني بعلـيّ.

فلمّا حضر شرحوا له القضيّة[٤٩٧]، فقال: إن كان الثّور هجم علىٰ الحمار وهو غافل لزم أصحاب الثّور قيمة الحمار، وإن كان الحمار دخل علىٰ الثّور فلا ضمان عليه.

فرفع النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يده إلىٰ السّماء وقال: الحمد لله الّذي منّ عليَّ بمن يقضي بقضاء النّبيّين.

الحـديث الثّامن: يرفعه إلىٰ عبدالله بن حـمّاد الأنصاريّ، عن عبدالله بن سنان، عن جعفر بن محمّد الصّادق، عن أبيه محمّد، عن أبيه علـيّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علـيّ ـ عليهم السّلام ـ قال: حدّثني عمر بن الخطّاب قال:

---

(٤٩٦) «ع»: حدّثني.

(٤٩٧) «ب»: القصّة.

سمعت رسـول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول: فضل علـيّ علىٰ هذه الاُمّة كفضل شهر رمضان علىٰ سائر الشّهور، ألا وإنّ له لأجراً عليًّ، اللّهم أجزه عنّي جزاء مثلك لمثله. طوبىٰ لمن أحبّه. طوبىٰ لمن نصره. طوبىٰ لمن أطاعه، ـ قالها ثلاثاً ـ.

الحديث التّاسع: عن جميل بن صالح، عن جعفر بن محمّد الصّادق، عن آبـائه ـ عليهم السّلام ـ عن جعفر بن عبدالله الأنصاريّ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآلـه ـ: فاطمـة مهجـة قلبي. فاطمة بضعة منّي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلهـا نور بصـري، والأئمّة من ولدها اُمناء ربّي، وحبله الممدود. من ٱعتصم بهم نجا. ومن تخلّف عنهم هوىٰ.

الحديث العاشر: يرفعه إلىٰ شريح بن عبيد الحضرميّ، عن كعب الأحبار، قال: بينما رجلان جالسان في زمن عمر بن الخطّاب؛ إذ مرّ بهما رجل مقيّد وهو عبد لبني نوفل. فتحازرا في ثقل قيده وقدّر كلّ واحد وزنه وحزرا. فقال أحدهما: امرأته طالق ثلاثاً إن لم يكن وزنه كما قلت.

وحلف الآخـر مثـل ذلك. وأشكل الأمر بينهما. وقال كلّ واحد منهما: أن يطلّق امرأته. فمضيا إلىٰ مولىٰ العبد وعرّفاه الحديث وسألاه عن ثقل القيد ووزنه فأخفاه. ومضيا إلىٰ عمر بن الخطّاب. وقصّا عليه ذلك قال: اذهبوا إلىٰ علـيّ بن أبي طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وقصّوا عليه القصّة.

فأحضر العبد ودعا بجفنة وصبّ فيها ماءاً، وأمر بقيد الغلام فشدّ به خيط، واُدخل القيد ورجلاه في الجفنة، ثمّ صُبّ الماء فيها حتّىٰ امتلأت وقال: ارفعوا القيد.

فرفع القيد حتّىٰ خرج من الماء، ثمّ دعا بزبر من الحديد فوضعها في الماء حتّىٰ تراجع الماء إلىٰ موضعه حين كان القيد فيه، ثمّ قال: زنوا هذا الحديد فإنّه

وزن القيد.

وبلغ عمر بن الخطّاب ما جرىٰ من علـيّ ـ عليه السّلام ـ فقال: الحقّ لايُغطّىٰ، الحقّ لا يُغطّىٰ ـ قالها ثلاثاً ـ.

الحديث الحادي عشر: يرفعه إلىٰ غيلان بن طارق المكّيّ، عن أنس بن مالك، قال: قدم أسقف نجران علىٰ عمر بن الخطّاب لأداء الجزية، فدعاه عمر ٱبن الخطّاب إلىٰ الإسلام. قال: يا عمر أنتم تقولون إنّ لله جنّة عرضها كعرض السّماوات والأرض، فأين تكون النّار؟

قال: فسكت عمر وكان علـيّ ـ عليه السّلام ـ حاضراً، فقال له: جاوبه يا ابن عمّ رسول الله.

فقال له: أرأيت إذا جاء اللّيل أين يكون النّهار؟ قال الأسقف: أخبرني[٤٩٨] يا عمر عن بقعة في الأرض طلعت فيها الشّمس ساعة ولم تطلع قبل ذلك ولا تطلع بعد ذلك. قال عمر: سل علـيّاً ـ عليه السّلام ـ.

قال علـيّ ـ عليه السّلام ـ: هو البحر حيث ٱنفلق لموسىٰ ووقعت الشّمس فيه ولم تقع قبل ذلك ولا تقع بعده.

قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن شيء في أهل الدّنيا تأخذ منه مهما أخذت ولا ينقص بل يزيد؟

قال: ٱلقرآن والعلوم.

قال: أخبرني عن أوّل دم وقع علىٰ وجه الأرض.

قال علـيّ ـ عليه السّلام ـ: نحن ما نقول إنّه دم هابيل ٱلّذي قتله أخوه قابيل، ولكنّه دم حيض حوّاء، ودم نفاسها.

---

(٤٩٨) «ب»: خبّرني.

قال الأسقف: بقيت مسألة واحدة؛ أخبرني أين الله؟

فغضب عمر. قال عليّ ـ عليه السّلام ـ: لا تغضب أنا أجيبه. فمتىٰ غضبت ظنّ أنّ عندنا عجزاً.

وقال: كنّا عند رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ذات يوم إذ أتاه ملك قال له: من أين أُرسلت؟

قال: من فوق سبع سماوات، من عند ربّي.

ثمّ أتاه ملك آخر فقال له: من أين أتيت؟

قال: من تحت سبع أرضين، من عند ربّي.

ثمّ أتاه ملك آخر فقال: من أين أُرسلت؟

قال: من مشرق الشّمس، من عند ربّي.

ثمّ أتاه ملك آخر فقال له: من أين أقبلت؟

قال: من مغرب الشّمس، من عند ربّي، إنّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في كلّ مكان وفي كلّ زمان وأوان، لا تحصره جهة، وسع كرسيّه السّماوات والأرض، ليس كمثله شيء وهو السّميع العليم، لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء.

فأسلم الأسقف علىٰ يده.

الحديث الثّاني عشر: بإسناده عن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن وهب، عن جعفر بن محمّد الصّادق، عن آبائه ـ عليهم السّلام ـ عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إنّ الله ـ تعالىٰ ـ اختار لي ولأهل بيتي سبعين ألف ملك من الملائكة يقال لهم: الكروبيّين، يطوفون بقبري وقبور أهل بيتي. ويعرجون إلىٰ السّماء بأعمال زوّارنا. ويصلّون علينا وعلىٰ زوّارنا. ومن زار عليّاً ـ عليه السّلام ـ فقد زارني.

الحديث الثّالث عشر: يرفعه عن عكرمة، عن عبدالله بن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال: مارفع الله الغيث عن بني إسرائيل وبلاهم بالخوف والجوع والنّقص في الأنفس والأموال والثّمرات إلّا بسوء راياتهم في أنبيائهم وأوصيائهم، والله يرفع الغيث ببغض علـيّ وأهل بيته ـ عليهم السّلام ـ.

الحديث الرّابع عشر: عن أبي صالح، عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: كنّا عند رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إذ جاء أعرابيّ وقف عليه وسلّم سلاماً حسناً، ثمّ قال: أيّكم رسول الله؟

قال: أنا يا أعرابيّ.

قال: جاء منـك رسول يدعونا إلىٰ الإسلام فأسلمنا، ثمّ أمرتنا بالصّلاة والصّيام والجهـاد فرأينـاه حسناً فأجبنا، ثمّ نهيتنا عن الزّنا والسّرقة والكذب والغيبة والمنكر فانتهينا، ثمّ قال لنا رسولك أن نحبّ صهرك علـيّ بن أبي طالب، فما السّرّ في ذلك وما نراه عبادة؟

قال بخمس خصال:

أحـدها: أنّي كنت جالساً يوم بدر بعد أن غزونا إذ هبط جبرئيل ـ عليه السّلام ـ وقال: إنّ الله ـ تعالىٰ ـ يقرئك السّلام ويقول: باهيت بعلـيّ ـ عليه السّـلام ـ اليوم ملائكتي وهو يجول بين الصّفوف ويقول: الله أكبر، الله أكبر، والملائكة تكبّر معه، فوعزّتي وجلالي لا أُلهم حبّه إلّا لمن[٤٩٩] أحبّه، ولا أُلهم بغضه إلّا لمن أبغضه.

والثانية: أنّي كنت يوم أُحد جالساً وقد فرغنا من جهاز عمّي حمزة إذ أتاني

---

(٤٩٩) «ر»: مَنْ.

جبرئيل ـ عليه السّلام ـ وقال: يا محمّد، يقول لك ربّك: قد افترضت الصّلاة والصّوم ووضعتها عن المريض والمسافر، وقد فرضت الحجّ ووضعته عن المقلّ المقنع، وفرضت الزّكاة ووضعتها عمّن لا يملك شيئاً، وجعلت حبّ علـيّ ـ عليه السّلام ـ ليس فيه رخصة.

والثّالثة: أنّه من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني دخل النّار.

والرّابعة: أنّ الله ـ تعالىٰ ـ ألقىٰ في روعي أنّ حبّه شجرة طوبىٰ.

والخامسة: أنّ جبريل ـ عليه السّلام ـ قال لي: إذا كان يوم القيامة نُصب لك منبر عن يمين العرش، والنّبيّون كلّهم عن يسار العرش وبين يديه، ونُصب لعلـيّ ـ عليه السّلام ـ كرسيّ إلىٰ جانبك إكراماً له. فمن هذه خصائصه إذا أحببت قوماً أُوثر أنّهم يحبّوه.

قال الأعرابيّ: وأين علـيّ ـ عليه السّلام ـ؟

فدعا به النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فلمّا حضر قام الأعرابيّ وقبّل بين عينيه وقال: أشهد أنّ ٱلّذي مدحك به ٱبن عمّك لصدقٌ.

الحديث الخامس عشر: عن شعبة، قال: سمعت زيد بن علـيّ ـ عليه السّلام ـ قال: جاء رجل من أهل البصرة إلىٰ علـيّ بن الحسين ـ عليهما السّلام ـ قال له: يا علـيّ، إنّ جدّك علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ قتل المسلمين.

فهملت عينا علـيّ دموعاً حتّىٰ بلّت ثوبه، ورفع رأسه وقال: يا أهل البصرة، والله ماقتل علـيّ مسلماً قطّ، وإنّما قوم كتموا الكفر خوفاً من السّيف، وأظهروا الإسلام طمعاً في النّجاة والغنيمة، فلمّا وجدوا علىٰ الكفر أعواناً

أظهروه، وقد علمت صاحبة الخدر[٥٠٠] والمستحفظون من آل محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أنّ أصحاب الجمل وأصحاب صفّين لُعنوا علىٰ لسان النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وقد خاب من ٱفترىٰ، وسمعت أبي سيّد الشّهداء يقول: جاءت امرأة منقّبة إلىٰ أمير المؤمنين علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ وهو علىٰ المنبر وقد قتل أخاها وأباها قالت: هذا قاتل الأحبّة، فقال أمير المؤمنين علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ: سمعت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول: ستأتين إليك امرأة وأنت تخطب النّاس وتقول: هذا قاتل الأحبّة. فإنّها ثديّة مذكّرة لا تحيض كما تحيض النّساء،علىٰ هَنِّها شيء مدلّىٰ، وأظنّها هذه، ففتّشوها فالنّبيّ لا يكذب. فأخذها عمر بن الحارث وأدخلها داره وأمر زوجته ونساء أُخريات أن يفتّشوها. فإذا شيء علىٰ مركبها مدلّىٰ. قالت: والله لقد اطّلع عليّ علىٰ شيء لم يطّلع عليه أبي ولا أُمّي. فجاء الحارث وأعلم علـيّاً ـ عليه السّلام ـ قال: إنّها من أهل النّار.

الحديث السّادس عشر: عن أبي الزّبير، عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ، قال: كنّا جلوساً عند رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إذ ورد أعرابيّ شعث الحال، رثّ الثّياب، كأنّما خرج من تحت التّراب، فحيّا بتحيّة بائس فقير، وأنشد مشيراً إلىٰ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ:

أتيتك والعذراء تبكي برنّة ... وقد ذهلت أمّ الصّبيّ عن الطّفلِ
وأخت وبنتان وأمّ كبيرة ... وقد كنت من فقري أُخالط في عقلي
وقد مسّني عري وفقر وفاقة ... وليس لنا مال يمرّ ولا يحلي
وما المنتهىٰ إلاّ إليك مقرّباً ... وأين فرار النّاس إلاّ إلىٰ الرّسلِ

(٥٠٠) «ر»: الخدور.

فلمّا سمع النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ شعر الأعرابيّ بكىٰ، ثمّ قال: معاشر النّاس إنّ الله ساق إليكم ثواباً، وقاد إليكم أجراً جزيلاً، والجزاء من عند الله ـ تعالىٰ ـ عرف. من يضاهي عرْف أبي إبراهيم الخليل؟

وكان علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ في ناحية المسجد يصلّي ركعات ينتفل[٥٠١] بها تطوّعاً، فأومأ إلىٰ الأعرابيّ أن يدنو منه فدنا منه. فدفع إليه خاتمه وهو في الصّلاة ولم يصبر إلىٰ أن يتمّ صلاته اغتناماً لسرعة الثّواب. فنزل الوحي في الحـال علىٰ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآلـه ـ أن اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٥٠٢].

فقال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: معاشر النّاس، من فيكم اليوم عمل خيراً ذكره الله ـ تعالىٰ ـ من فوق سبع سماوات؟

قالـوا: مامنّـا من عمل اليوم خيراً إلّا ابن عمّك علـيّ ـ عليه السّلام ـ تصدّق بخاتمه علىٰ الأعرابيّ وهو قائم يصلّي لم يقطع صلاته.

فقال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: وجبت لابن عمّي العرْف، وأنزل الله فيه مدحاً.

وقـرأ عليهم الآية، فتصدّق النّاس في ذلك اليوم علىٰ الأعرابيّ بأربعمائة خاتم، فانطلق الأعرابيّ وهو يقول: وهذا أيضاً من بركاتك يا حيدر.

الحديث السّـابـع عشـر: هذا الحـديث يرويه[٥٠٣] محمود بن عبداللّطيف الخجنديّ، بإسناده إلىٰ محمّد بن شعيب، عن أبي هريرة، قال: مرّ علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ علىٰ نفر من قريش فتغامزوا عليه، فدخل علىٰ رسول الله

---

(٥٠١) «ر»: يتنفّل.

(٥٠٢) المائدة: ٥٥.

(٥٠٣) «ب» «ح»: برواية.

ـ صلّىٰ الله عليه وآلـه ـ وشكىٰ إليه. فخرج رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ غضباناً[٥٠٤] ممتعضاً، وقال: يا معشر قريش، لِمَ إذا ذُكِر النّبيّ وآله قست قلوبكم، واربدّت[٥٠٥] وجوهكم حسداً وكفراً؟! والّذي نفسي بيده لو عمل أحدكم عمل سبعين نبيّاً مادخل الجنّة حتّىٰ يحبّ هذا أخي وابن عمّي وولده وأشار إلىٰ علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ ثمّ قال: إنّ لله حقّاً لا يعلمه إلّا أنا وهذا. وإنّ لي حقاً لايعلمه إلّا الله وهذا. وإنّ لهذا حقّاً لا يعلمه إلّا الله وأنا.

الحديث الثّامن عشر: يرفعه محمّد بن أحمد التّبريزيّ إلىٰ العلاء بن رزين إلىٰ الفضـل بن يسـار، عن محمّـد بن علـيّ البـاقر، عن أبيه، عن جدّه ـ عليهم السّلام ـ قال: لمّا رجع أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ من قتال أهل النّهروان وسار إلىٰ أن قطع أرض بابل ولم يصلّ العصر بها لأنّه قال: ما صلّىٰ في هذه الأرض نبيّ ولا وصيّ، وتـدلّت الشّمس للغروب ومعه غلامه جويرية، فقال له: هات الماء لأتوضّأ للصّلاة.

قال جويرية: فقدّمت إليه الأدواء فتوضّأ، ثمّ قال: أذّن لصلاة العصر.

فقلت: يا أمير المؤمنين، قد غربت الشّمس إلّا بعضها، وقربت صلاة المغرب!

فقال ـ عليه السّلام ـ: أذّن وما عليك.

فأذّنت وهو يحرّك شفتيه، فرجعت الشّمس ووقفت. فكبّر النّاس وقام وصلّىٰ والنّاس يصلّون وراءه. فلمّا فرغ من صلاته سارعت الشّمس إلىٰ مغيبها كأنّها سراج في طست، وغابت واشتبكت النّجوم، فالتفت إليّ وقال: أذّن الآن للمغرب يا ضعيف اليقين.

---

(٥٠٤) «ح»: غضِباً.

(٥٠٥) في بقية النّسخ: وارتدّت.

وفي حديث آخر: أنّ الشّمس رُدّت له بمكّة علىٰ عهد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وكان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ موعوكاً. فوقع رأسه في حجر أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وحضر وقت صلاة العصر فلم يبرح، وما طاب قلبه يزعج النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ. فاستيقظ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وقد غابت الشّمس. فقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: اللّهمّ إنّ عليّاً كان في طاعتك، فردّ علينا الشّمس حتّىٰ نصلّي أنا وهو العصر. فردّها الله ـ تعالىٰ ـ بيضاء نقيّة حتّىٰ صلّينا، ثمّ غربت.

وذكر هذا الحديث محمّد بن إدريس الشّافعيّ.

الحديث التّاسع عشر: يرفعه محمّد بن الحسن الطّوسيّ إلىٰ الحسن بن عليّ العسكريّ، قال: لمّا فتح النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ مكّة وٱستقام له الأمر ودخل النّاس تحت طاعته ٱجتمع إليه جماعة من قريش وقالوا: يا رسول الله، من شأن الأنبياء إذا ٱجتمع لهم الأمر أن ينصّوا علىٰ وصيّ يقوم بأمرهم من بعده.

فقال: سأناجي اللّيلة ربّي وأسأله أن يأتي آية واضحة لا مرية فيها.

فلمّا أصبح قال: قد وعدني ربّي أن يبيّن في هذه اللّيلة من يكون الوصيّ بآية بيّنة ينزلها من السّماء.

فلمّا فرغ النّاس من صلاة العتمة ومضىٰ كلّ واحد منهم إلىٰ منزله وكانت ليلة مظلمة، فإذا بنجم قد سقط علىٰ دار عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ فأضاء الأُفق، وكبّر النّاس، وبقي النّجم ساعة زمانيّة. فقام النّاس من مضاجعهم يهرعون إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ويقولون: أهذه الآية ٱلّتي وُعدت أن تنزل اللّيلة؟

قال: نعم.

قالوا: فبما تأمرنا؟

قال ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: قال الله ـ تعالىٰ ـ خصّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ بهذا وأبان أنّه الوصيّ. فمن أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني.

فخرجوا وواحد منهم يقول: هذا يحبّ ابن عمّه عليّاً. وله فيه هوىٰ. وقد ركبت عليه الغواية فيه حتّىٰ لو تمكّن أن يجعله نبيّاً من بعده.

فأنزل الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(٥٠٦).

الحديث العشرون: يرفعه القاضي محمّد بن الحسين الأستراباديّ إلىٰ الأعمش، إلىٰ أبي وائل، إلىٰ عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: لمّا خلق الله ـ تعالىٰ ـ آدم، سأل ربّه أن يريه من يكون من ذرّيّته من الأنبياء والأوصياء والمقرّبين إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ. فأنزل الله عليه صحيفة قرأها كما علّمه الله ـ تعالىٰ ـ إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ اسم النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وجد عنده اسم عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ فقال: أو هذا نبيّ ولا نبيّ بعد محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

قيل له: بل هذا وارث علمه ووصيّه.

فلمّا وقع آدم في الخطيئة وتوسّل إلىٰ ربّه جعل عليّاً ـ عليه السّلام ـ ممّن توسّل به وبأهل بيته ـ عليهم السّلام ـ.

الحديث الحادي والعشرون: يرفعه إلىٰ القاضي ابن شاذان، إلىٰ أبان بن تغلب الكنديّ، عن جعفر بن محمّد الصّادق، عن آبائه ـ عليهم السّلام ـ قال: كان أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ يخطب علىٰ منبر الكوفة يوم جمعة إذ سمع

(٥٠٦) النّجم: ١ ـ ٤.

أصـواتـاً عالية، ورأىٰ النّـاس يهرعون ويخرجون من الجامع، فسأل عن الخبر فقالوا: قد جاءنا ثعبانٌ كالتّنّين العظيم ينفخ في النّاس ولا يتمكّن أحد من قتله. وجـاء الثّعبان إلىٰ باب المسجد الجامع فقال علـيّ ـ عليه السّلام ـ: لاتقتلوه. وأوسعوا له فلن يضرّ أحداً منكم.

ولم يزل الثّعبان يخترق الصّفوف إلىٰ أن وصل المنبر، ثمّ صعد درجة درجة إلىٰ أن وصل إلىٰ أقدام أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ وجعل يتمرّغ عليها، ونفخ ثلاث نفخات سمعها من كان قريباً من المنبر؛ ثمّ انساب ونزل ولم يدر أحد أين مضىٰ. ولم يقـطع ـ عليه السّلام ـ خطبته. فلمّا فرغ من صلاة الجمعة استند في المحراب يدعو.

فقال له الجماعة: ما ضرّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ لو أخبرنا خبر الثّعبان؟

قال ـ عليه السّلام ـ: إنّه من الجنّ. وذكر أنّ ولده قتله رجل من الأنصار ٱسمـه جابـر بن سميع عنـد خفّان من غير أن يتعرّض إليه ولده بسوء، وقد استوهبت دم ولده.

فقام إليه رجل طوال فقال: أنا الرّجل ٱلّذي قتل الحيّة في الموضع المشار إليه، ومنذ قتلتها لا أقدر أستقرّ في مكان؛ لأنّني إن نمت أسمع صيحة[٥٠٧] وهدّة. وقد هربت إلىٰ مسجد الكوفة وأنا نائم به منذ سبع ليال.

فقـال له أمـير المؤمنـين ـ عليه السّـلام ـ: الآن لابأس عليك خذ جملك واعقره في مكان قتلت الثّعبان وامض عنه.

الحـديث الثّـاني والعشرون: يرفعه إلىٰ عبدالله التّنوخيّ، إلىٰ صعصعة بن

---

(٥٠٧) «ب» «ح» «ر» «ع»: ضجّة.

صوحان، قال: أمطرت المدينة فخرج رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ومعه أبو بكر. فسمع عليّ ـ عليه السّلام ـ أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قد خرج، فالتحق به وساروا قليلاً مسير فرحة بالمطر بعد جدب. فرفعُ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ طرفه إلىٰ السّماء وقال: اللّهمّ أطعمنا شيئاً من فاكهة الجنّة!

فإذا هو برمّانة تهوي من السّماء. فأخذها رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ومصّها حتّىٰ ارتوىٰ منها وناولها عليّاً ـ عليه السّلام ـ فمصّها حتّىٰ روي منها، والتفت إلىٰ أبي بكر وقال: لولا أنّه لا يأكل من ثمار الجنّة في الدّنيا أحد[٥٠٨] إلّا نبيّ أو وصيّ لأطعمتك منها.

فقال أبو بكر: هنيئاً لكما يا عليّ.

الحديث الثّالث والعشرون: يرفعه إلىٰ إبراهيم بن أدهم بن علقمة، عن عبدالرّحمٰن بن عوف قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: لمّا أُسري بي وكُشِف لي عن الجنّة رأيت قصر عليّ بين القصور كالكوكب الدّريّ. وما مررت بمكان إلّا وأسمع فيه: هذا المؤيّد بابن عمّه وليّ الله، أيّده الله به.

الحديث الرّابع والعشرون: يرفعه إلىٰ سهل بن سهل السّاعديّ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إنّ الله يحبّ من عباده أهل الحقّ، وجعل الحقّ مرّاً لدىٰ أهل الجهل، ومبغّضاً لأهل الباطل، وزينة المنافقين. ألا وإنّ الحقّ مع عليّ، وإنّه ليحمل علىٰ الصّعبة وهي علىٰ المؤمنين سهلة. فأنصاره أنصار الله؛ لأنّه نصر حزب الله ونبيّه.

الحديث الخامس والعشرون: عن زيد بن العوّام، وعن أبي أمامة قالا: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: إذا كان يوم القيامة جيء بميزان العالم وحبّ

---

(٥٠٨) ليست في «ح».

عليّ كفّتاه، وحبّ الحسن والحسين خيوطه، وحبّ فاطمة ـ عليها السّلام ـ علاقته، يوزن به محبّة المحبّ والمبغض لي ولأهل بيتي. ثمّ قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ﴾(٥٠٩).

الحديث السّادس والعشرون: بالإسناد عن أبي سعيد الخدريّ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إذ هبّت زوبعة عظيمة هائلة تراكم غبارها واظلمّ نهارها، والنّاس يهرعون من هولها ودويّها، ورأسها في عنان السّماء. فوقفت بإزاء رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ. فخرج منها شيطان وصورته لا توصف من الرّعب لمن رآها(٥١٠). وقال: السّلام عليك يا رسول الله. أنا عرفطة، أسلمت علىٰ يدك. وأحفظ كلام الله. ونحن الّذين ذكرنا الله في كتابه في قوله تعالىٰ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّه اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾(٥١١) وقد وقع بيني وبين قوم ارتدّوا عن عهد الله وعهدك، وثارت الفتنة، وجلت المحنة، ونحن قوم مؤمنون.

ثمّ أمسك ووقف لا يتحرّك. فقال له رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: وأين القوم؟

قال: بوادي الأطواد وأرض الضّرم.

فقال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ادعوا عليّاً.

فلمّا حضر ورأىٰ الشّيطان ظنّ أنّ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ دعاه لقتله. فاخترط ذا الفقار وهمّ أن يضرب العفريت. فمنعه النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وقال: امض معه، وأصلح بين القوم، وذكّرهم بكتاب الله وسنّته.

---

(٥٠٩) القارعة: ٦ ـ ٩.

(٥١٠) «ب»: يراها.

(٥١١) الجنّ: ١.

فركب أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ جواده وتقلّد سيفه وتأبّط رمحه. وسار والعفريت أمامه إلىٰ أن غاب عن العيون. فقال قوم: إنّ علـيّاً ـ عليه السّلام ـ سيهلك هذه المرّة ولا يعود.

وغاب ذلك اليوم والثّاني والثّالث والرّابع والخامس والسّادس. فكثر القول فيه. وتحزّب النّاس أحزاباً. وفرح قوم من قريش، وشرق بدمع الحزن قوم. ففي اليوم السّابع حضر النّاس إلىٰ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فنظر إلىٰ وجوههم. فعلم ما هجس في خواطرهم بسبب علـيّ ـ عليه السّلام ـ. فقال: هذه السّاعة يصل علـيّ.

فـما اُستتمّ كلامه إلّا وعلـيّ قد أقبل. فتهلّل وجه رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وقال: تعبت يا علـيّ. أتحدّثني أم أحدّثك؟

قال: بل حدّثني.

فجعل رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يحدّثه بكلّ ما جرىٰ له وهو يقول: صدقت، صدقت.

فقام رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وقبّل بين عينيه وقال: شكرك الله فوق سبع سماواته وباهىٰ بك ملائكته.

الحديث السّابع والعشرون: يرفعه إلىٰ سعد بن أبي وقّاص قال: كنّا مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بفناء الكعبة؛ إذ خرج ممّايلي الرّكن اليمانيّ شيء عظيم هائل أكبر من الفيل وهو علىٰ صورته. ففزعنا. فقال له النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: لُعنت وخُزيت.

فقلنا: ماهذا يا رسول الله؟

فقال: هذا إبليس.

فسارع إليه أمير المؤمنين علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ ولزم ناصيته وٱخترط سيفه وهمّ أن يضربه. فقال له رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: أما علمت أنه من المنظرين؟

فتركه. ثمّ قال علـيّ ـ عليه السّلام ـ: يا إبليس لمن تحبّ ولمن تبغض؟

قال: وٱلّذي جعلني من المنظرين إنّني لا أُحبّ محبّك ولا أبغض باغضك؛ لأنّه مابغضك أحد إلّا وقد شاركت فيه أُمّه. وسأستعين عليك بأحزابي يسبّونك ويقـاتلونك؛ لأنّي جئت أسأل محمّداً حاجة صدفتني وأخذت ناصيتي، فسأنكد عيشك بأحزابي وأُقاتلك بهم ولبنيك.

ثمّ مضىٰ حتّىٰ غاب عن العيون.

الحديث الثّامن والعشرون: عن زيد بن أرقم وعمّار بن ياسر قالا: كنّا عند علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ فسمعنا ضجّة[٥١٢] عظيمة ومازالت تزيد إلىٰ أن وصلت إلىٰ باب المسجد. فخرج أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ومعه ذو الفقار وقال: ماهذه الضّجّة[٥١٣]؟

فرأينا هودجاً ومعه كتيبة من الفرسان حوله، تقدّمهم فارس عليه زيّ ملوك العرب وأولي المفاخر والرّتب وهو يقول: أين كشّاف الكرب؟ أين علـيّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب؟

قلنا: هذا.

فترجّـل عن جواده وتـرجّل أصحابه وسلّموا علىٰ أمير المؤمنين. ثمّ تقدّم الفـارس وقـال: يا ابن أبي طالب، قد أتيناك لأمرٍ دهم، وخطب نزل، أنا سيّد

---

(٥١٢) «ح» «ر»: صيحة.

(٥١٣) «ح» «ر»: الصّيحة.

قبائل عرب الشّام، ولي في هذا الهودج بنت قد خطبها سادات العشائر وهي عندي كريمة وما غابت عنّي ليلاً ولا نهاراً، وهي بكر بتول، وقد حملت من غير بعل ولا طمث ولا فكّ ختم، وتحدّث النّاس فيها، وقد اجتمعت العربان علىٰ أنّك عالم بهذه السّريرة، حلّال هذه المشكلة.

فدخل أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ إلىٰ دار عطّاف بن أسد وهي قريبة من المسجد وأحضر الصّبيّة وسألها عن حالها. فبكت وقالت: يا أمير المؤمنين، والله إنّني كما خلقني ربّي، وأرىٰ فيَّ ثقل كأنّه حمل، وفي بطني نتوء كالحبلىٰ.

فقال عليّ ـ عليه السّلام ـ لأبيها: هل قريتك من أعمال دمشق قرية وهي ٱلّتي تُعرَف بأسعار؟

قال: إي والله.

قال: إنّ لها نهراً وفيه علق كثير كبار؟

قال: نعم.

قال: أظنّ بنتك بلعت علقة وهي صغيرة وكبرت في بطنها معها، فهل يقدر أحدكم علىٰ قطعة ثلج؟

قال الجماعة: ومن أين لنا ذلك وبيننا وبين الثّلج عدّة أيّام!

فقام ـ عليه السّلام ـ وصلّىٰ ركعات ورفع طرفه إلىٰ السّماء وتكلّم بكلمات ومدّ يده إلىٰ السّماء وردها وفيها قطعة ثلج، ثمّ أمر بإحضار داية من الكوفة.

فلمّا حضرت قال لها: ضعي هذا الثّلج ممّايلي فرج هذه البنت فإنّها ترمي علقة كبيرة.

فأخذت الدّاية الصّبية وفعلت كما أمرها أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ. فرمت علقة كبيرة. وأقبلت الدّاية بالجارية إلىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ

والعلقة ملفوفة كالمولود، فلمّا وُضعت العلقة بين يديه ورآها أبو الجارية كبّر وهلّل وألقىٰ عمامته وقال: أشهد أنّك تعلم مافي الأرحام.

قال علـيّ ـ عليه السّلام ـ: ذلك هو الله.

فقال له: أنت والله معجز ٱبن عمّك ووصيّه.

الحديث التّاسع والعشرون: يرفعه عن عبدالله بن رافع قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: إنّ لكلّ واحد من الصّحابة جنّة ولعلـيّ جنّتان: جنّة له، وجنّـة لبنيه ولشيعتـه، واسمهـا الحسنىٰ. وقرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾[٥١٤] وبها عين السّلسبيل، وأنا بها خير كفيل.

الحديث الثّلاثون: يرفعه إلىٰ النّعمان بن ثابت الكوفيّ، عن عبدالله بن أبي أوفىٰ، عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال: لمّا فتح خيبر، قيل له: إنّ بها حبراً قد مضىٰ من عمره مائة سنة وعنده علم التّوارة.

فأحضـره النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآلـه ـ وقـال له: أصدقني صورة الحال وذكري في التّوراة وإلّا ضربت عنقك.

فتغـرغـرت عينـاه بالدّموع وقال: إن صدقتك قتلني قومي، وإن كذبتك قتلتني أنت.

قال: قل وأنت في أمان الله ـ تعالىٰ ـ وأماني.

قال: أُريد الخلوة بك.

قال: لست أريد أنا إلّا أن تقول جهراً.

قال: في سفـرٍ من أسفار التّوراة اسمك ونعتك وأتباعك وإنّك تخرج من جبال هاران، ويُذكَر اسمك علىٰ كلّ مشترف، علامتك بين كتفيك، يأتي من ولدك

(٥١٤) اللّيل: ٥ ـ ٦.

اثنا عشر سبطاً، تُؤيَّد بابن عمّك واسمه العليّ، ويبلغ ملك أُمّتك المشرق والمغرب، ويفتح خيبر آية من آيات الله، ويقلع الباب ويعبر الجيش على ساعده، فإن كان فيك وفيه هذه الصّفات فأنا أُسلم؟

فقال له النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أمّا العلامة والشّامة فهي هذه ـ وكشفها وهي بين كتفيه ـ.

وقال له: هذا عليّ ـ عليه السّلام ـ.

فقال له: أنت جدّلت مرحباً الأعظم؟

قال: بل الأحقر. أنا جدّلته بقوّة ربّي وحوله.

قال: مدّ يدك، أنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ ابن عمّك محمّداً هذا رسول الله، وأنّك معجزه وآيته، ويخرج منك اثنا عشر نقيباً كنقباء بني إسرائيل، فاكتب لي عهداً ولقومي، فإنّي من أبناء داود ـ عليه السّلام ـ.

فكتب له.

الحديث الحادي والثّلاثون: يرفعه إلىٰ عبدالله بن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ قال: لمّا رجعنا من حجّة الوداع جلسنا مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ في مسجده، قال: أتدرون ما أُريد أن أقول لكم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إنّ الله منّ علىٰ ٱلّذين هداهم بي، وأنّا أمنّ علىٰ ٱلّذين هديتهم بابن عمّي وأهل بيتي. ألا ومن اهتدىٰ بهم نجا، ومن ضلّ عنهم هلك وغوىٰ. الله الله في عترتي[٥١٥] وأهل بيتي؛ فاطمة بضعة منّي، وولداها عضداي، وأنا وبعلها كالضّوء من الضّوء. ٱللّهمّ ٱرحم من رحمهم، ولا تغفر لمن ظلمهم.

---

(٥١٥) «ب»: عشيرتي.

ثمّ دمعت عينه. قال: كأنّي أشاهد الحال ـ والله أعلم ـ.

الحديث الثّاني والثّلاثون: يرفعه عن وائل إلىٰ نافع، عن أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول: مامن قوم اجتمعوا يذكرون فضل محمّد وآل محمّد إلّا هبطت ملائكة السّماء تستغفر لهم. فإذا تفرّق القوم عرجت الملائكة بما قالوه فتتأرج أقطار السّماء بأرج الحديث. قال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾(٥١٦).

الحديث الثّالث والثّلاثون: عن عبدالله بن خالد بن سعيد بن العاص قال: كنت مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ وقد خرج من الكوفة؛ إذ عبر علىٰ القرية الّتي يقال لها: النّخيلة. فخرج منها خمسون رجلاً من اليهود وقالوا: إن كنت الوصيّ وفيك معجز محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فإنّا قد قرأنا في كتبنا القديمة أنّ في هذه الأرض بعينها صخرة عليها مكتوب أسماء عزيزة، وأنّه يظهرها عزيز، ولا يخرجها من التّراب إلّا أبو تراب. فإن كنت كذلك فعرّفنا موضعها.

فقال: اتبعوني.

فتبعه النّاس واليهود حتّىٰ دخل في البريّة. فرأىٰ تلال رمل. فقال: انزلوا. فنزلوا وهناك جفر فيه ماء، فتوضّأ وصلّىٰ وبات يدعو الله ولم ينم. فلمّا كان عند الصّبح هبّت ريح علىٰ الرّمل كما تهبّ في طريق مكّة نسفت إحدىٰ تلال الرّمل. فقال لليهود: احفروا.

فحفروا وبانت صخرة عظيمة وليس عليها كتابة. قال لهم: الكتابة في الصّوب الّذي علىٰ الأرض.

---

(٥١٦) فاطر: ١٠.

فجاء أربعون رجلاً ليقلبوها فما أطاقوا. فتقدّم أمير المؤمنين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ورفعها وقلبها فبانت الكتابة وهي بالعبريّ. فحضر حبرهم وقرأها وعليها مكتوب أسماء أصحاب الشّرائع آدم وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمّد ـ عليهم السّلام ـ. فأسلم اليهود وقالوا عند إسلامهم: مذكور أيضاً في التّوراة أنّك تُقتَل غيلة وتُدفَن في هذه الأرض.

فقال ـ عليه السّلام ـ: ﴿كَانَ ذٰلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً﴾[٥١٧].

الحديث الرّابع والثّلاثون: يرفعه إلىٰ عليّ بن محمّد بن جمهور، عن أبيه، عن جعفر بن بشير، عن موسىٰ بن جعفر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قال: إنّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ كان يسعىٰ في أرض صلبة صلد فإذا هو بدرّاج بها. فعجب منه لأنّ الدّرّاج لايكون إلّا في أرض معشبة. فصاحه بيده. فجاء حتّىٰ سقط بين يديه. فمدّ يده وأخذه، فصار الدّرّاج يحرّك منقاره ويصيح غير صياحه. فألقاه من يده، فجعل يتمرّغ بين يديه، ثمّ انتصب وأومأ إليه وجعل يحرّك منقاره وأمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ يقول له: نعم نعم.

فطار الدّراج وهو يقول بلسان فصيح: عليّ عليّ عليّ.

وزاد في هذا الحديث ابن أخت أُمّ سلمة وقال: منهم من قال: إنّ الدّرّاج كان ملكاً، ومنهم من قال: كان جنّيّاً.

الحديث الخامس والثّلاثون: يرفعه إلىٰ رفاعة قال: حدّثني عمّي جميع بن عمر، قال: دخلت علىٰ عائشة مع أبي وأنا غلام، فذكرنا[٥١٨] لها عليّاً ـ عليه السّلام ـ قالت: ما رأيت رجلاً أحبّ إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ منه.

الحديث السّادس والثّلاثون: يرفعه إلىٰ عبادة الأنصاريّ قال: سمعت رسول

(٥١٧) الإسراء: ٥٨.

(٥١٨) «ر»: فذكر.

الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول: سمعت أخي جبرئيل ـ عليه السّلام ـ يقول: لو اجتمعت النّاس علىٰ حبّ علـيّ بن أبي طالب لما خلق الله النّار.

وهذا حديث قد ورد في كثير من كتب الأحاديث المسندة المعنعنة.

الحديث السّابع والثّلاثون: يرفعه إلىٰ ابن الأبقع الأسديّ، وكان من غلمان أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ قال: كنّا مع أمير المؤمنين علـيّ ـ عليه السّلام ـ في فلاة، فجاء اللّيل فطلب موضعاً يأوي إليه، فنزل ونزل من كان معه وكان راكب بغلة، فنـزل عنها وقعد، ووقفت أنا لازم شكيمة البغلة، فما كان إلّا ساعة وإذا بالبغلة ترفـع أُذنيهـا وتخبط بيديهـا، ثمّ جذبتني، فأحسّ أمـير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ بالحركة فاستيقظ وكان نائماً وقال: ما هذا؟

فقلت: قد شخصت البغلة ورفعت أُذنيها!

فنظر إليها وقال: لقد أحسّت بالسّبع وربّ الكعبة.

وقـام متقلّداً سيفه وجعل يخطو. فرأىٰ السّبع فصاح به فوقف، وتقدّم إليه فجعل السّبع يلحس رجليه ويفعل كما يفعل السّنّور من القرقرة. فلزم أُذنه وقال له: ما الّذي جاء بك إلينا؟

فسمعنا من السّبع كلاماً وهمهمة. فالتفت إلينا وقال: أتدرون مايقول السّبع؟

قلنا: لا والله، بل قد خفنا منه.

قال ـ عليه السّلام ـ: إنّه قد استأذنني أن يمضي اللّيلة ويأكل سنان بن وائل بالقادسيّة، وأخبرني أنّه متسلّط علىٰ من يبغض محمّداً وآل محمّد، وأنّ هذا سنان حاربني بصفّين بعد أن عاهدني ونكث.

ثمّ قال ـ عليه السّلام ـ للسّبع: امض لشأنك.

فمضىٰ السّبع، وبتنا تلك اللّيلة، ورجع أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ إلىٰ مستقرّه. فجاء الخبر من القادسيّة أنّ السّبع أتىٰ سنان عند صلاة الفجر وهو علىٰ سطح داره مضطجع فأكله ولم يترك منه سوىٰ رأسه. ومضىٰ من كان مع علـيّ ـ عليه السّـلام ـ إلىٰ القادسيّة وأخبروا أهل القادسيّة بما جرىٰ لعلـيّ ـ عليه السّلام ـ مع السّبع.

الحديث الثّامن والثّلاثون: بالإسناد قال: أخبرنا الإمام الحافظ جعفر بن سعد بن محمّد بن محمود المشّاط، قال: أخبرني والدي، قال: حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن أبي بكر، قال: حدّثنا القاضي أبو سعيد بن أحمد المرزبانيّ، عن حمزة السّابوريّ(٥١٩)، عن محمّد بن جرير الطّبريّ بإسنادهم إلىٰ عطاء بن يسار إلىٰ ٱبن عبّاس أنّ علـيّاً ـ عليه السّلام ـ كلّم صخرة ووقف عليها فأخبرته أنّ تحتها عين ماء قد سدّت بها، وكان أصحابه قد هلكوا من العطش وأشرفوا علىٰ التّلف.

فقال: إنّ هذه الصّخرة أخبرتني أنّ تحتها عين ماء مسدودة.

فجاء جماعة من الرّجال ليرفعوها فلم يقدروا. فجاء أمير المؤمنين ـ عليه السّـلام ـ ورفع الصّخرة. ففاض الماء من تحتها وروىٰ النّاس، وسقىٰ الجيش خيولهم وكراعهم وملأوا الرّوايا وتركها علىٰ حالها.

الحديث التّاسع والثّلاثون: بإسناده إلىٰ المقداد بن الأسود الكنديّ، قال: كنت مع رسـول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وهو متعلّق بأستار الكعبة ويقول: اللّهمّ اعضدني، وشدّ أزري، واشرح صدري، وارفع ذكري.

فنزل جبرئيل ـ عليه السّلام ـ وقال: اقرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٥٢٠) بعلـيّ.

---

(٥١٩) «ر»: النيسابوريّ.

(٥٢٠) الإنشراح: ١ ـ ٤.

فقالها النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لابن مسعود فألحقها في مصحفه فأسقطها عثمان.

الحديث الأربعون: بإسناده إلىٰ أُمّ المؤمنين عائشة قالت: كنت يوماً عند رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فمدح أبا بكر وأثنىٰ عليه، ثمّ مدح عمر وأثنىٰ عليه، ثمّ مدح عثمان وأمسك، فقلت له: يا رسول الله، ما أراك تمدح عليّاً؟!

قال: مه يا عائشة، أرأيت من يمدح نفسه ـ وكانت فاطمة عليها السّلام حاضرة ـ.

وهذا حديث قد مُلئت به كتب الحديث المسندة المعنعنة بالرّوايات الصّحيحة.

وروي من طريق آخر: أنّ فاطمة ـ عليها السّلام ـ قالت له: أراك تمدح أبا بكر وعمر ولم تمدح عليّاً؟! قال لها: أرأيت من يمدح نفسه.

[الأربعين عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ لجمال الدين يوسف بن حاتم الفقيه الشّاميّ]

وممّا نقلته في المعنىٰ من مجموع جمال الدّين يوسف بن حاتم الفقيه الشّاميّ ـ رحمه الله ـ ما ترجمته كتاب الأربعين عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

الحديث الأوّل: عن ابن عمر قال: سألت النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عن علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ فقال: مابال أقوام يذكرون من له منزلة كمنزلتي؟! ألا ومن أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أحبّني رضي الله عنه، ومن رضي الله عنه كافأه بالجنّة(٥٢١).

ألا ومن أحبّ عليّاً تقبّل الله صلاته وصيامه وقيامه، واستجاب الله دعاءه.

ألا ومن أحبّ عليّاً استغفرت له الملائكة، وفُتِحت له أبواب الجنّة؛ يدخل من أيّ باب شاء بغير حساب.

ألا ومن أحبّ عليّاً لا يخرج من الدّنيا حتّىٰ يشرب من الكوثر، ويأكل من شجرة طوبىٰ، ويرىٰ مكانه من الجنّة.

ألا ومن أحبّ عليّاً هوّن الله عليه سكرات الموت، وجعل قبره روضة من رياض الجنّة.

ألا ومن أحبّ عليّاً أعطاه الله في الجنّة بعدد كلّ عرق في بدنه حوراء، ويشفع في ثمانين من أهل بيته، وله بكلّ شعرة في بدنه مدينة في الجنّة.

ألا ومن أحبّ عليّاً بعث الله ملك الموت إليه برفق، ودفع الله ـ عزّ وجلّ ـ

---

(٥٢١) «ع»: الجنّة.

عنه هول منكر ونكير، ونوّر قبره، وبيّض وجهه.

ألا ومن أحبّ عليّاً أظلّه الله في ظلّ عرشه مع الصّدّيقين والشّهداء.

ألا ومن أحبّ عليّاً نجّاه الله من النّار.

ألا ومن أحبّ عليّاً تقبّل الله حسناته، وتجاوز عن سيّئاته، وكان والله في الجنّة رفيق حمزة سيّد الشّهداء.

ألا ومن أحبّ عليّاً أثبت الله الحلم في قلبه، وأجرىٰ علىٰ لسانه الصّواب، وفتح الله له أبواب الرّحمة.

ألا ومن أحبّ عليّاً سُمّي في السّماوات أسير الله في الأرض.

ألا ومن أحبّ عليّاً ناداه ملك من تحت العرش: أن يا عبد الله، استأنف العمل فقد غفر الله لك الذّنوب كلّها.

ألا ومن أحبّ عليّاً جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر.

ألا ومن أحبّ عليّاً وضع الله علىٰ رأسه تاج الكرامة.

ألا ومن أحبّ عليّاً مرّ علىٰ الصّراط كالبرق الخاطف.

ألا ومن أحبّ عليّاً وتوالاه كتب الله له براءةً من النّار، وجوازاً علىٰ الصّراط، وأماناً من العذاب.

ألا ومن أحبّ عليّاً لا يُنشَر له ديوان، ولا يُنصَب له ميزان، ويقال له: ادخل الجنّة بغير حساب.

ألا ومن أحبّ آل محمّد أمن من الحساب والميزان والصّراط.

ألا ومن أحبّ آل محمّد صافحته الملائكة، وزارته الأنبياء، وقُضي له كلّ حاجة كانت عند الله ـ عزّ وجلّ ـ.

ألا ومن مات علىٰ حبّ آل محمّد فأنا كفيله بالجنّة ـ قالها ثلاثاً ـ.

وروي أنّ حمّاد بن زيد كان يفتخر[٥٢٢] بهذا الحديث ويقول: هو الأصل لمن يقرّ به.

الحديث الثّاني: عن راذان قال: سمعت أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ في الرّحبة وهو يقول: أُنشد الله رجلاً سمع النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول ماقال إلّا وقام. فقام ثلاثة عشر رجلاً. فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه. اللّهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه.

الحديث الثّالث: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: نحن بنو عبدالمطّلب سادات أهل الجنّة أنا وعليّ وجعفر وحمزة والحسن والحسين والمهديّ ـ عليهم السّلام ـ.

الحديث الرابع: عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: سدّوا الأبواب كلّها إلّا باب عليّ ـ وأومأ بيده إلىٰ بابه ـ.

الحديث الخامس: عن أسماء بنت عميس أنّها كانت تغزو مع النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قيل لها: ماكنت تصنعين معه؟

قالت: كنت أحرز السّقا[٥٢٣] وأداوي الجرحىٰ وأكحل العين الرّمداء، وإنّ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ صلّىٰ بنا العصر فانثنىٰ بنا قبل أن يسلّم، وأوحىٰ الله إليه فاحتبس بعليّ ـ عليه السّلام ـ وقد كان دخل في الصّلاة ولم يكن أدرك أوّلها، فلمّا انصرف النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وقد طال ذلك حتّىٰ غربت الشّمس فقال له: يا عليّ ماصلّيت؟

---

(٥٢٢) «ب»: يفخر.

(٥٢٣) «ر»: السّقاية.

قال: لا، كرهت أن أطرحك في التّراب.

فقال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ اللّهمّ أرددها عليه.

فرجعت الشّمس بعدما غربت حتّىٰ صلّىٰ ـ عليه السّلام ـ.

الحديث السّادس: عن موسىٰ بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه ـ عليهم السّلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: لمّا أُسري بي رأيت علىٰ باب الجنّة مكتوباً بالذّهب لا بماء الذهب: لا إله إلّا الله، محمّد حبيب الله، عليّ وليّ الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، علىٰ باغضيهم[٥٢٤] لعنة الله.

الحديث السّابع: عن ابن عبّاس في تفسير قول الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾[٥٢٥]؛ يعني به الجنّة، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥٢٦]؛ يعني به ولاية عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ.

الحديث الثّامن: عن سعد بن مالك قال: خلّف النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عليّاً ـ عليه السّلام ـ فقال: أتخلّفني؟

فقال: ألا ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟

قال: رضيت، رضيت.

الحديث التّاسع: عن عبدالله بن بريدة قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: أمرني الله بحبّ أربعة وأخبرني أنّه يحبّهم، وإنّك يا عليّ منهم ـ قالها ثلاثاً ـ: أبو ذرّ، والمقداد، وسلمان.

الحديث العاشر: عن الرّضا ـ عليه السّلام ـ عن آبائه قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لعليّ ـ عليه السّلام ـ: يا عليّ إنّك قسيم النّار وإنّك

---

(٥٢٤) «ع»: باغضهم.

(٥٢٥ و ٥٢٦) يونس: ٢٥.

تقرع باب الجنّة.

الحديث الحادي عشر: عن أبي سعيد الخدريّ قال: كنّا جلوساً في المسجد فخرج علينا رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فجلس إلينا، فكأنّ علىٰ رؤوسنا الطّير فلا يتكلّم أحد منّا، فقال: إنّ منكم رجلاً يقاتل النّاس علىٰ تأويل القرآن كما قاتلتُ علىٰ تنزيله.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟

قال: لا.

قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟

قال: لا ولكنّه خاصف النّعل في الحجرة.

فخرج إلينا علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ ومعه نعل رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يصلحها.

الحديث الثّاني عشر: عن بهر بن حكيم، عن جدّه، عن النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أنّه قال: لمبارزة علـيّ لعمرو بن عبدودّ يوم الخندق أفضل من عمل أُمّتي إلىٰ يوم القيامة.

الحديث الثّالث عشر: عن أنس قال: نظر النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إلىٰ علـيّ ـ عليه السّلام ـ فقال: أنا وعلـيّ حجّة الله علىٰ خلقه.

الحديث الرّابع عشر: عن شريك قال: كنت عند سليمان الأعمش في مرضته الّتي(٥٢٧) قُبض فيها(٥٢٨) إذ دخل علينا ابن أبي ليلىٰ وابن شبرمة وأبو حنيفة، فقال: يا سليمان الأعمش اتّق الله وحده لا شريك له، واعلم أنّك في أوّل يوم من أيّام الآخرة وآخر يوم من أيّام الدّنيا، وقد كنت تروي في علـيّ بن أبي طالب

---

(٥٢٧) «ع»: «مرضه الّذي» بدل «مرضته التي».

(٥٢٨) «ع»: فيه.

ـ عليه السّلام ـ أحاديث لو أمسكت عنها لكان أفضل؟

فقال سليمان الأعمش: لمثلي يقال هذا؟ اقعدوني اسندوني!

ثمّ أقبل علىٰ أبي حنيفة، فقال: ياأبا حنيفة، حدّثني أبو المتوكّل الناجيّ، عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: إذا كان يوم القيامة يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ لي ولعليّ: أدخلا الجنّة من أحبّكما، والنّار من أبغضكما، وهو قول الله ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٥٢٩].

قال أبو حنيفة: قوموا بنا لا يأتي بشيء هو أعظم من هذا.

قال الفضل: سألت الحسن ـ عليه السّلام ـ فقلت: من الكفّار؟

فقال: الكافر بجدّي رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

قلت: ومن العنيد؟

قال: الجاحد حقّ عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ.

الحديث الخامس عشر: عن رزين حبش قال: سمعت عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ يقول: والّذي فلق الحبّة وتردّىٰ بالعظمة، إنّه لعهد النّبي الاُمّي ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إليّ أنّه لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق.

الحديث السّادس عشر: عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: لمّا خلق الله تعالىٰ آدم ونفخ فيه الرّوح عطس آدم، فاُلهم أن قال: الحمد لله ربّ العالمين.

فأوحىٰ الله أن: يا آدم حمدتني فوعزّتي وجلالي لولا عبدان اُريد أن أخلقهما في آخر الدّنيا ماخلقتك.

قال أيْ ربّ فمتىٰ يكونان وما سمّيتهما؟

---

(٥٢٩) ق: ٢٤.

فأوحىٰ الله ـ تعالىٰ ـ أن ارفع رأسك. فرفع رأسه فإذا تحت العرش مكتوب: لا إله إلّا الله، محمّد نبيّ الرّحمة، علـيّ مفتاح الجنّة. أُقسم بعزّتي أنّي أرحم من توالاه وأُعذّب من عاداه.

الحديث السّابع عشر: عن ابن عبّاس قال: سألت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عن الكلمات الّتي تلقّاها آدم ـ عليه السّلام ـ من ربّه ـ عزّ وجلّ ـ فتاب عليه، قال: سأل بحقّ محمّد وعلـيّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليَّ. فتاب عليه.

الحديث الثّامن عشر: عن ابن مريم، عن علـيّ ـ عليه السّلام ـ قال: انطلق بي رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إلىٰ الأصنام، فقال: اجلس. فجلست إلىٰ جنب الكعبة. ثمّ صعد رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ علىٰ منكبي ثمّ قال: انهض. فنهضت به. فلمّا رأىٰ ضعفي تحته قال: اجلس. فجلست، فأنزلته عنّي وجلس لي رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ثمّ قال: يا علـيّ اصعد علىٰ منكبي. فصعدت علىٰ منكبه. ثمّ نهض بي رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فلمّا نهض بي خُيّل لي أنّي لو شئت لمست السّماء. وصعدت علىٰ الكعبة. وتنحّىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ. فألقيت صنمهم إلّا صنمهم الأكبر؛ صنم قريش وكان من نحاس موتّد بأوتاد الحديد إلىٰ الأرض.

فقال لي رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: عالجه.

فعالجته. فما زلت أُعالجه ورسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول: إيهاً إيهاً إيهاً يا أبا الحسن.

فلم أزل أُعالجه حتّىٰ استمكنت منه، فقال لي: دقّه.

فدققته وكسرته ونزلت.

الحديث التّاسع عشر: عن ابن عبّاس أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ

قال: لو اجتمع النّاس علىٰ حبّ عليّ بن أبي طالب ـ سلام الله عليه وآله ـ لما خلق الله النّار.

الحديث العشرون: عن جعفر بن محمّد، عن أبيه ـ عليهما السّلام ـ عن ابن عبّاس قال: نظر علـيّ ـ عليه السّلام ـ في وجوه النّاس فقال: إنّي لأخو رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ووزيره، ولقد علمتم أنّي أوّلكم إيماناً بالله ورسوله ثمّ دخلتم بعدي في الإسلام رسلاً وإنّي لابن عمّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وأخوه، وشريكه في نسبه(٥٣٠)، وأبو ولده، وزوج ابنته سيّدة نساء أهل الجنّة، وقد عرفتم أنّا ماخرجنا مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ مخرجاً ورجعنا إلّا وأنا أحبّكم إليه، وأوثقكم في نفسه، وأشدّ نكاية في العدوّ(٥٣١)، ولقد رأيتم بعثته إيّاي ببراءة ووقفته يوم غدير خمّ وقيامه إيّاي معه ورفعته يدي بيده، ولقد آخىٰ بين المسلمين فما اختار لنفسه أحداً غيري، ولقد قال: أنت أخي وأنا أخوك في الدّنيا والآخرة، ولقد أخرج النّاس من المسجد وتركني، ولقد قال لي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

الحديث الحادي والعشرون: عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن الحسين بن علـيّ ـ عليهم السّلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: لمّا أُسري بي إلىٰ السّماء وأُنتهي بي إلىٰ حجب النّور كلّمني ربّي ـ جلّ جلاله ـ وقال لي: يا محمّد بلّغ علـيّ بن أبي طالب منّي السّلام وأعلمه أنّه حجّتي علىٰ عبادي بعدك؛ به أسقي العباد الغيث، وبه أدفع عنهم السّوء، وبه أحتجّ عليهم يوم يلقوني فإيّاه فليطيعوا، ولأمره فليأتمروا، وعن نهيه فلينتهوا؛ أجعلهم عندي في مقعد صدق،

---

(٥٣٠) «ب»: النّسبة.

(٥٣١) «ح»: عدوّي.

وأُبيح لهم جنّاتي، وإن لا يفعلوا أُسكنهم ناري مع الأشقياء من أعدائي ثمّ لا أُبالي.

الحديث الثّاني والعشرون: عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: والّذي نفسي بيده ماوجّهت عليّاً قطّ في سريّة إلّا ونظرت إلىٰ جبرئيل ـ عليه السّلام ـ في سبعين ألفاً من الملائكة عن يمينه وإلىٰ ميكائيل ـ عليه السّلام ـ في سبعين ألفاً عن يساره وإلىٰ ملك الموت أمامه وإلىٰ سحابة تظلّه حتّىٰ يُرزَق حسن الظّفر.

الحديث الثّالث العشرون: قال: سُئل جابر بن عبدالله عن عليّ ـ عليه السّلام ـ قال: ذلك خير البشر.

الحديث الرّابع والعشرون: عن عليّ بن موسىٰ الرّضا، عن آبائه ـ عليهم السّلام ـ قال: سُئل رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عن هذه الآية ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ﴾[٥٣٢] قال: من النّبيّين أنا، ومن الصّديقين عليّ بن أبي طالب، ومن الشّهداء حمزة وجعفر، ومن الصّالحين الحسن والحسين ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً﴾[٥٣٣] المهديّ منّا أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ.

الحديث الخامس والعشرون: عن سليمان الأعمش قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور في اللّيل فقلت في نفسي: ماوجّه إليّ في هذا الوقت إلّا ويريد منّي أن يسألني عن فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ ولعلّي إن أخبرته بها قتلني. فلبست أكفاني وتحنّطت بحنوطي وخرجت حتّىٰ أتيته. فدخلت عليه وهو ملقىٰ علىٰ قفاه. فسلّمت فردّ السّلام وقال: ادن منّي يا سليمان.

(٥٣٢ و٥٣٣) النّساء: ٦٩.

فدنوت منه. فصرت غير بعيد، فقال لي: اجلس.

فجلست. فشمّ منّي رائحة الكافور. فقال لي: يا سليمان، متحنّطاً؟

فقلت: الصّدق منجاة يا أمير المؤمنين؟

فقال: هو ذاك.

فقلت: ماوجهّ إليّ أمير المؤمنين في هذا الوقت إلّا ليسألني عن فضائل عليّ ٱبن أبي طالب فلعلّي إن أخبرته بها قتلني، فلبست ثياب أكفاني وتحنّطت بحنوطي وجئت.

قال: فاستوىٰ جالساً كالمرعوب وهو يقول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

ثمّ قال: يا سليمان كم تروي من فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ حديثاً[٥٣٤]؟

قلت كثيراً يا أمير المؤمنين.

قال: والّذي بعث محمّداً ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ نبيّاً لأُحدّثنّك عن فضائل أمير المؤمنين عليّ ـ عليه السّلام ـ حديثين لم تسمع بمثلهما إلّا أن تكون سمعتهما.

قلت: أفِدْني يا أمير المؤمنين أفادك الله.

قال: كنت هارباً من بني أُميّة وإنّي لأسير بكوفة وعليَّ أطمار رثّة إذْ مررت في وقت صلاة العشاء بمسجد يُعرَف بمسجد حمران في بني قوبان، فقلت في نفسي: لو دخلت هذا المسجد فصلّيت مع القوم عشاء. فدخلت المسجد فجلست إلىٰ شيخ له هيبة ولم أعلم حتّىٰ صار إليه غلامان. فقال: مرحباً بكما وبمن

---

(٥٣٤) «ب» «ع»: حدّثنا.

سمّاكما[٥٣٥] علـيّ. فقلت لشابّ كان إلىٰ جانبي: يا فتىٰ من الشّيخ؟ ومن هذان الغلامان؟

قال لي: ليس في هذه المدينة أحد يحبّ علـيّاً حبّه.

قال: فدنوت منه فقلت: ألا أقرّ عينك؟

قال: إنّ أقررت عيني أقررت عينك.

فقلت: حدّثني أبي عن جدّي قال: كنّا جلوساً مع النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ في المسجد، فدخلت فاطمة ـ عليها السّلام ـ باكية، فقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: يا بنيّة مايبكيك؟

قالت: يا رسول الله غاب عنّي الحسن والحسين في هذه اللّيلة فما أدري أين هما.

فقال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: لاتبكي فإنّ لهما ربّاً أحفظ وأرأف بهما منّي ومنك.

فولّت فاطمة ـ عليها السّلام ـ راجعة إلىٰ منزلها، وتغشّىٰ النّبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ماكان يتغشّاه عند هبوط الوحي وسرىٰ عنه وهو يضحك حتّىٰ بدت نواجـذه، ثمّ قال: هذا حبيبي جبرئيل ـ عليه السّلام ـ يخبرني عن الله ـ عزّ وجلّ ـ أنّ ابنيَّ الحسن والحسين في حظيرة لبني النّجّار وقد وكلّ الله ـ عزّ وجلّ ـ بهما ملكاً من الملائكة جعل أحد جناحيه تحتهما وأظلّهما بالآخر.

ثمّ قام النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يجرّ رداءه وقال لأصحابه: قوموا لننظر إليهما علىٰ الصّفة.

فأتاهما النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فوجدهما نائمين والملك موكل بهما أحد

---

(٥٣٥) «ر»: أسماكما.

جناحيه تحتها والآخر قد أظلّها به. فانكبّ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقبّلها ويبكي فرحاً بما رآهما عليه، ثمّ أيقظها، فحمل الحسن علىٰ منكبه الأيمن وحمل الحسين علىٰ منكبه الأيسر. فلمّا خرج من الحظيرة اعترضه أبو بكر فقال: يا رسول الله أعطني أحد الغلامين أحمله عنك.

فقال: يا أبا بكر نِعْمَ الحامل ونعم المحمول وأبوهما خير منهما.

ثمّ اعترضه عمر بن الخطّاب فقال له مثل ما قال أبو بكر، فردّ عليه ردّه علىٰ أبي بكر. ثمّ قال: والّذي نفسي بيده، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لأُشرّفكما(٥٣٦) في هذا اليوم كما شرّفكما الله ـ عزّ وجلّ ـ من فوق عرشه.

ثمّ قال: يا بلال هلمّ علىٰ النّاس.

فنادىٰ بلال الصّلاة جامعة. فدخل النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ المسجد وصلّىٰ ركعتين، ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: أيّها النّاس ألا أخبركم بخير النّاس أباً وخير النّاس أُمّاً؟

فقالوا: بلىٰ يارسول الله.

قال: الحسن والحسين. أبوهما شابّ يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. وأُمّها فاطمة بنت رسول الله. أيّها النّاس ألا أُخبركم بخير النّاس خالاً وخالة؟

قالوا: بلىٰ يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما رقيّة بنت رسول الله. أيّها النّاس ألا أُخبركم بخير النّاس عمّاً وعمّة؟

قالوا: بلىٰ يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين عمّهما جعفر ذو الجناحين المحلّىٰ بهما؛ يطير في الجنّة

---

(٥٣٦) «ع»: لأُشرفنّكما.

حيث يشاء، وعمّتها أُمّ هانىء بنت أبي طالب. أيّها النّاس ألا أُخبركم بخير النّاس جدّاً وجدّة؟

قالوا: بلىٰ يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين جدّهما رسول الله وجدّتهما خديجة بنت خويلد سيّدة نساء أهل الجنّة.

قال أبو جعفر: فكساني الشّيخ حلّته وحملني علىٰ بغلته وأعطاني ألف درهم، وقال: يا فتىٰ، قد أقررت عيني أقرّ الله عينك. وبهذه المدينة أخ لي مبغض لعليّ ٱبن أبي طالب، مفرط فأْته فحدّثه لعلّ الله ـ تعالىٰ ـ أن يردّه من عقائده.

فقلت: أرشدني إلىٰ منزله رحمك الله وصفه لي.

ففعل. قال: فركبت البغلة وانصرفت أُريد منزل الرّجل. فلمّا انتهيت إليه إذا بقربه مسجد وقد اجتمع فيه جماعة لصلاة الفجر. فقلت: أبدأ بحقّ الله فأقضيه.

قال: فنزلت عن(٥٣٧) البغلة. فدخلت المسجد. فصلّيت ركعتي الفجر وجلست أنتظر الإقامة. فدخل المسجد شابّ علىٰ رأسه عمامة فقام يركع إلىٰ جانبي. فلمّا سجد سقطت العمامة عن رأسه. فنظرت إلىٰ رأسه فإذا قحف خنزير، فلمّا صلّيت أخذت بيده فقلت: ماهذا ٱلّذي أرىٰ بك من سوء الحال؟!

فقال: أنت صاحب أخي ٱلّذي حدّثته من فضائل عليّ بن أبي طالب فكساك حلّته، وحملك علىٰ بغلته، وأعطاك مالاً؟

قلت: وأنت أخوه؟

قال: نعم.

---

(٥٣٧) «ح»: من.

وأخذ بيدي. فلمّا خرجنا من المسجد وصرنا عند باب منزله قال: ترىٰ هذه الدّار وهذا الدّكان الّذي علىٰ بابها؟

قلت: نعم.

قال: كنت أنا أُوذّن في كـلّ يوم علىٰ هذا الدّكّان للصّلاة الخمس، وكنت مولعاً أن ألعن علـيّاً ـ عليه السّلام ـ بعد كلّ أذان مائة مرّة، فلمّا كان أمس وقت صلاة الظّهر وكان يوم جمعة لعنته مائة مرّة، بل كما نقل قال: ألف مرّة. قال: وإنّي كالنّائم علىٰ هذا الدّكّان بين النّائم واليقظان؛ إذ رأيت كأنّ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أقبل ومعه أصحابه حتّىٰ صعد إلىٰ هذا الدّكّان. فجلس وجلس أصحابه والحسن والحسين قائمان، في يد الحسن كأس وفي يد الحسين إبريق. فرفع النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ رأسه إلىٰ الحسين وقال: يا حسين اسقني.

فمدّ يده إلىٰ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فشرب، ثمّ قال: اسق أصحابي.

فسقاهم رجلاً رجلاً. فلمّا شربوا جميعاً قال لهما النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: اسقيا النّائم علىٰ الدّكّان.

قال: فبكا الحسن والحسين ـ عليهما السّلام ـ.

فقال لهما النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ مايبكيكما؟

فقالا: يا رسول الله، كيف نسقي من يلعن أبانا بعد أن يؤذّن في كلّ وقت صلاة مائة مرّة. وأقرب مالعنه السّاعة ألف مرّة.

قال: فرأيت النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قد وثب إليّ مغضباً يجرّ رداءه فضربني برجله ثمّ قال: قم غيّر الله مابك من صورة اللّهمّ أو خلقه.

فقلت: ياهذا لقد رأيت موعظة وقد ضمنت لأخيك أن أحدّثك.

فقال: قل ماتشاء(٥٣٨).

---

(٥٣٨) «ب» «ح» «ع»: تشاءه.

فقلت: حدّثني أبي عن جدّي قال: كنّا جلوساً عند النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إذ أقبلت فاطمة ـ عليها السّلام ـ باكية، فقال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: مايبكيك يا بنيّة؟

قالت: يا رسول الله عيّرتني نساء قريش وزعمن أنّك زوّجتني معدماً لامال له.

قال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: وٱلّذي بعثني بالحقّ نبيّاً يا بنيّة، ما زوّجتك حتّىٰ زوّجك الله من فوق عرشه وأشهد علىٰ ذلك جبرئيل وميكائيل ـ عليهما السّلام ـ.

ثمّ قال: يا سليمان، هل سمعت مثل هذا الحديث؟ قلت: لا.

قال الأعمش: يا أمير المؤمنين الأمان.

قال: لك الأمان.

قلت: يا أمير المؤمنين فما تقول في قتل ولد هذين؟

قال: فانكبّ طويلاً ينكت في الأرض بإصبعه. ثمّ قال: ويحك يا سليمان الملك عقيم.

قال سليمان ـ رحمه الله ـ: فقمت وأنا أقول في نفسي: بئس الحجّة أعددت للوقوف بين يدي الله ـ جلّ جلاله ـ.

الحديث السّادس والعشرون: عن جابر، قال: ناجىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ علـيّاً ـ صلوات الله عليه ـ يوم الطّائف وأطال نجواه. فقال أحد الرّجلين للآخر: لقد طال نجواه مع ابن عمّه. فبلغ ذلك النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فقال: ما انتجيته ولكنّ الله انتجاه.

الحديث السّابع والعشرون: عن أنس قال: خرجت مع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ نتماشىٰ حتّىٰ انتهينا إلىٰ بقيع الفرقد فإذا نحن بسدرة عارية لا

نبات عليها. فجلس رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ تحتها. فإذا قد أورقت الشّجرة وأثمرت واستظلّت علىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فتبسّم ـ عليه السّلام ـ وقال لي: يا أنس ادع لي عليّاً.

فعدوت حتّىٰ أنتهيت إلىٰ منزل فاطمة ـ عليها السّلام ـ فإذا بعليّ ـ عليه السّلام ـ يتناول شيئاً من الطّعام، فقلت: أجب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فقال: لخير أُدعىٰ.

فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: فجعل عليّ ـ عليه السّلام ـ يمشي ويهرول علىٰ أطراف أنامله حتّىٰ تمثّل بين يدي رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ. فجذبه رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وأجلسه إلىٰ جنبه. فرأيتهما يتحدّثان ويضحكان، ورأيت وجه عليّ ـ عليه السّلام ـ قد استنار. فإذا أنا بجام مرصّع باليواقيت والجواهر، وللجام أربعة أركان؛ علىٰ الرّكن الأوّل منه مكتوب: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، وعلىٰ الرّكن الثّاني: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب وليّ الله، وسيفه علىٰ النّاكثين والقاسطين والمارقين، وعلىٰ الرّكن الثّالث: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله أيّده بعليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ وعلىٰ الرّكن الرّابع: نجا المعتقدون لدين الله، الموالون لأهل بيت رسول الله، وإذا في الجام رطب وعنب ولم يكن أوان الرّطب ولا أوان العنب. فجعل رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يأكل ويطعم عليّاً ـ صلوات الله عليه ـ حتّىٰ إذا شبع ارتفع الجام. فقال لي رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: يا أنس ترىٰ هذه السّدرة؟

قلت: نعم.

قال: قد قعد تحتها ثلاثمائة وثلاثة عشر نبيّاً وثلاثمائة وثلاثة عشر وصيّاً ما في النّبيّين أوجه منّي ولا في الوصيّين وصيّ أوجه من عليّ بن أبي طالب. يا أنس

من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ إبراهيم في وقاره، وإلىٰ سليمان في قضائه، وإلىٰ يحيىٰ في زهده، وإلىٰ أيّوب في صبره، وإلىٰ إسماعيل في صدقه؛ فلينظر إلىٰ عليّ بن أبي طالب. يا أنس مامن نبيّ إلّا وقد خصّه الله بوزير وقد خصّني الله ـ تعالىٰ ـ بأربعة؛ اثنين في السّماء، واثنين في الأرض. فأمّا اللّذان في السّماء فجبرئيل وميكائيل، وأمّا اللّذان في الأرض فعليّ بن أبي طالب وعمّي حمزة ـ عليهما السّلام ـ.

الحديث الثّامن والعشرون: عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: كنّا عند رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وهو جالس إلىٰ الكعبة، فأقبل عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ فقال النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: قد أتاكم أخي، ثمّ التفت إلىٰ الكعبة فضربها بيده وقال: وٱلّذي بعثني بالحقّ نبيّاً، إنّ هذا وشيعته الفائزون يوم القيامة.

ثمّ قال: إنّه أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ وأعدلكم في الرّعيّة، وأقسمكم بالسّويّة، وأعظمكم عند الله مزيّة.

قال: ونزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[٥٣٩].

الحديث التّاسع والعشرون: عن صفوان بن يحيىٰ قال: قال لي أبو جعفر محمّد ـ عليه السّلام ـ: من اعتصم بالله ـ عزّ وجلّ ـ هُدي. ومن توكّل علىٰ الله ـ جلّ وعزّ ـ كُفي. ومن قنع بما رزقه الله ـ جلّ وعزّ ـ نجا. فاتّقوا الله عباد الله ما استطعتم، وأطيعوا وسلّموا الأمر لأهله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ

(٥٣٩) البيّنة: ٧.

﴿ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ﴾[٥٤٠] وهم شيعة علـيّ ـ عليه السّلام ـ. حدّثني بذلك أبي، عن أبيه، عن أمّ سلمة زوج النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال: قالت: أقرأني رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ﴾، فقلت: يا رسول الله، من أصحاب النّار؟

فقال: مبغضو علـيّ وذرّيته.

قلت: يا رسول الله من الفائزّون؟

قال: شيعة علـيّ هم الفائزون.

الحديث الثّلاثون: عن أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ أنّه سمع رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول لعلـيّ بن أبي طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: أنت أوّل من آمن بي[٥٤١]. وأنت أوّل من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصّدّيق الأكبر، وأنت الفـاروق ٱلّذي يفرق بين الحقّ والباطل. وأنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفّار.

الحـديث الحـادي والثّلاثون: عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لعلـيّ: يا علـيّ، النّاس خُلقوا من شجر شتّىٰ وخُلقتُ أنا وأنت من شجرة واحدة. وذلك أنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ قال ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾[٥٤٢] حتّىٰ إذا بلغ يُسقَىٰ بماء واحد. هكذا قرأها رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

الحديث الثّاني والثّلاثون: عن أنس قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لعلـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ: لو كان بعدي نبيّ يُنتظَر كان علـيّ

---

(٥٤٠) الحشر: ١٩ ـ ٢٠.

(٥٤١) «ب» زيادة: وأنت الفاصل.

(٥٤٢) الرّعد: ٤.

ابن أبي طالب.

وعن جابر قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لعليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ: أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي؟! ولو كان لكنته.

الحديث الثّالث والثّلاثون: عن أُمّ سلمة زوج النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله، رضي الله عنها ـ أنّها قالت: نزلت هذه الآية في بيتها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٥٤٣]. فأمرني النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أن أرسل إلىٰ عليّ وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ فلمّا أتوه اعتنق عليّاً بيمينه، والحسن بشماله، والحسين علىٰ بطنه، وفاطمة عند رجليه، ثمّ قال: اللّهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً. قالها ثلاث مرّات.

قلت: فأنا يا رسول الله؟

قال: إنّك إلىٰ خير إن شاء الله تعالىٰ.

الحديث الرّابع والثّلاثون: عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال في مرضه: ادع لي أخي.

فدُعي له عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ. فستره بثوبه وانكبّ عليه، فلمّا خرج من عنده قيل له: ما قال لك؟

قال: علّمني ألف باب يُفتَح لي من كلّ باب ألف باب.

الحديث الخامس والثّلاثون: عن عبدالله بن ثمامة قال: سمعت عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله، ولم يقلها أحد قبلي

---

(٥٤٣) الأحزاب: ٣٣.

ولا يقولها أحد بعدي.

الحديث السّادس والثّلاثون: عن كعب الأحبار قال: جاء عبدالله بن سلام إلىٰ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فقال: يا محمّد، ما اسم علـيّ فيكم؟

فقال له النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: علـيّ عندنا الصّديق الأكبر.

قال عبدالله: أشهد أن لا إله إلاّ الله. وأشهد أنّ محمّداً رسول الله. إنّا لنجد عندنا في التّوراة: محمّد نبيّ الرّحمة، علـيّ مقيم الحجّة.

الحديث السّابع والثّلاثون: عن عبدالله قال: خرج رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ من بيت زينب بنت جحش. فأتىٰ بيت أُمّ سلمة وكان يومها من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ. فلم يلبث أن جاء علـيّ ـ عليه السّلام ـ فدقّ الباب دقّاً خفيفاً. فأثبت النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ الدّقّ وأنكرته أُمّ سلمة.

فقال لها النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: قومي فافتحي له الباب.

فقالت: يا رسول الله من هذا ألّذي بلغ من خطره ما أفتح له الباب أتلقّاه بمعاصمي وقد نزلت فيَّ آية من كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ؟

فقال لها ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ كهيئة المغضب: إنّ طاعة الرّسول كطاعة الله، ومن عصىٰ رسول الله فقد عصىٰ الله. إنّ بالباب رجلاً ليس ببرق ولا علق يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. لم يكن ليدخل حتّىٰ ينقطع الوحي.

قالت: فقمت وأنا أختال في مشيتي وأنا أقول: بخ بخ، من ذا ألّذي يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. ففتحت له الباب فأخذ بعضادتي الباب، حتّىٰ إذا لم يسمع حسّاً ولا حركة وصرت في خدري استأذن فدخل.

فقال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: يا أُمّ سلمة تعرفينه؟

قلت: نعم يا رسول الله، هذا علـيّ بن أبي طالب.

قال: صدقت؛ سيّدٌ لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة علمي. اسمعي واشهدي هو قاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين من بعدي. فاسمعُي واشهدي، وهو قاضي عداتي. فاسمعي واشهدي، وهو والله محيي سنّتي. فاسمعي واشهدي لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام وألف عام بين الرّكن والمقام ثمّ لقىٰ الله مبغضاً لعليّ بن أبي طالب وعترتي لكبّه الله علىٰ منخره في النّار يوم القيامة.

الحديث الثّامن والثّلاثون: عن سفيان الثّوريّ في قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾[٥٤٤] قال: فاطمة وعليّ، يخرج منهما الحسن والحسين ـ عليهما السّلام ـ.

الحديث التّاسع والثّلاثون: عن عمّار بن ياسر ـ رحمه الله ـ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: من آمن بي وصدّقني صدّق بولاية عليّ بن أبي طالب. من والاه[٥٤٥] فقد والاني. ومن والاني فقد والىٰ الله ـ عزّ وجلّ ـ. ومن أبغضه فقد أبغضني. ومن أبغضني فقد أبغض الله ـ عزّ وجلّ ـ.

الحديث الأربعون: عن ٱبن عبّاس قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآلـه ـ لو أنّ الغياض أقـلام، والبحـر مداد، والجنّ والإنس حسّاب وكتّاب، ماأحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

وأمّا سبب ٱختيار الأربعين حديثاً فهو ما روي عن موسىٰ بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه ـ عليهم السّلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: من حفظ عنّي من أُمّتي أربعين حديثاً من السّنّة كنت له شفيعاً؛ يعني بها فضائل عليّ بن أبي طالب وأهل بيته ـ عليهم السّلام ـ.

---

(٥٤٤) الرّحمٰن: ١٩ ـ ٢٠.

(٥٤٥) «ح»: تولّاه.

[أربعون حديثاً من مجموع جمال الدين يوسف بن حاتم الفقيه الشّاميّ]

يتلوها أربعون حديثاً أيضاً عن النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ نقلاً من المجموع المقدّم ذكره ممّا تلاه أبو المفضّل(٥٤٦) محمّد بن سعيد ـ أعانه الله ـ.

الحديث الأوّل: عن الحسن بن يقطين، عن أبيه، عن جدّه قال: ولي علينا بالأهواز رجل من كتّاب يحيىٰ بن خالد وكان عليَّ بقايا من خراج كان فيه زوال نعمتي وخروجي من ملكي. فقيل لي: إنّه ينتحل هذا الأمر فخشيت أن ألقاه مخافة ألّا يكون علىٰ ما بلغني. فأقع في مالا يتهيّأ لي الخلاص منه. وخرجت منه هارباً إلىٰ مكّة. فلمّا قضيت حجّي جعلت طريقي المدينة. فدخلت علىٰ الصّادق ـ صلوات الله عليه ـ فقلت له: يا سيّدي إنّه ولي بلدي فلان بن فلان وبلغني أنّه يوميء إليكم ويتوالاكم أهل البيت، وقد بلغني عنه أمر فخشيت أن ألقاه مخافة أن لايكون ما بلغني حقّاً ويكون فيه خروجي عن ملكي وزوال نعمتي. فهربت منه إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وإليكم.

فقال: لا بأس عليك، وكتب رقعة صغيرة:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، إنّ لله في ظلّ عرضه ظلالاً لايملكها إلّا من نفّس عن أخيه المؤمن كربة وأعانه بنفسه أو صنع إليه معروفاً ولو بشقّ تمرة، وهذا أخوك والسّلام.

ثمّ ختمها ودفعها إليّ وأمرني أن أُوصلها إليه. فلمّا رجعت إلىٰ بلدي صرت ليلاً إلىٰ منزله فآستأذنت عليه وقلت: رسول الصّادق ـ عليه السّلام ـ:

فإذا أنابه قد خرج إليّ حافياً. فلمّا بصرني(٥٤٧) سلّم عليَّ وقبّل مابين عينيّ.

(٥٤٦) «ب» «ح»: الفضل.

(٥٤٧) «ب» «ح»: نظرني.

ثمّ قال: يا سيّدي أنت رسول مولاي؟

قلت: نعم.

قال: فداك عينيّ إن كنت صادقاً.

فأخذ بيدي ثمّ قال لي: يا سيّدي كيف خلّفت مولاي ـ عليه السّلام ـ.

قلت: بخير.

قال: الله.

قلت: والله حتّىٰ أعادها عليّ ثلاثاً.

ثمّ ناولته الرّقعة فقرأها وقبّلها ووضعها علىٰ عينيه، ثمّ قال: يا أخي مُرْ بأمرك.

قلت: عليّ في جريدتك كذا وكذا ألف درهم وفيه عطبي وهلاكي.

فدعا بالجريدة فمحا عنّي كلّ ماكان فيها، وأعطاني براءة منها. ثمّ دعا بصناديق ماله فناصفني عليها ثمّ دعا بدوابّه فجعل يأخذ دابّة ويعطيني دابّة، ودعا بثيابه فجعل يأخذ ثوباً ويعطيني ثوباً حتّىٰ شاطرني جميع ملكه. وجعل يقول: يا أخي هل سُررت؟

فأقول: إي والله وزدت عليّ السّرور. فلمّا كان أيّام الموسم قلت: والله لا كافأت هذا الأخ بشيء أحبّ إلىٰ الله ورسوله من الخروج إلىٰ الحجّ والدّعاء له والمصير إلىٰ مولاي وسيّدي وشكره عنده ومسألته الدّعاء له.

فخرجت إلىٰ مكّة وجعلت طريقي علىٰ مولاي. فلمّا دخلت عليه رأيت السّرور في وجهه وقال: يافلان ماخبرك مع الرّجل؟

فجعلت أُورد عليه خبري معه وجعل يتهلّل وجهه ويبين السّرور فيه.

فقلت له: يا سيّدي سرّك في ماآتاه إليّ سرّه الله في جميع أموره.

فقال: إي والله لقد سرنّي. والله لقد سرّ آبائي. والله لقد سرّ أمير المؤمنين. والله لقد سرّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ والله لقد سرّ الله في عرشه.

الحديث الثاني: عن صفوان بن مهران الجمّال قال: دخل زياد بن مروان العبديّ علىٰ مولاي موسىٰ بن جعفر ـ عليهما السّلام ـ. فقال لزياد: أتتقلّد لهم عملاً؟

فقال: بلىٰ يا مولاي.

فقال: ولم ذاك؟

قال: فقلت: يا مولاي إنّي رجل لي مروءة وعليَّ عيلة وليس لي مال.

فقال ـ عليه السّلام ـ: يا زياد والله إنّي لئن أقع من السّماء إلىٰ الأرض فأتقطّع قطعاً ويفصّلني الطّير بمناقيرها مفصلاً مفصلاً أحبّ إليّ من أن أتقلّد لهم عملاً.

فقلت: إلاّ لماذا يا مولاي؟

فقال: إلاّ لإعزاز مؤمن أو فكّ أسره. إنّ الله وعد من يتقلّد لهم عملاً أن يضرب عليه سرادق من نار حتّىٰ يفرغ الله من حساب الخلائق. فامض وأعزز إخوانك واحداً واحداً والله من وراء ذلك يفعل مايشاء.

الحديث الثالث: عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبدالله ـ عليه السّلام ـ: إنّ لله ـ عزّ وجلّ ـ مع ولاة الجور أولياء يدفع بهم من أوليائه؛ أُولئك هم المؤمنون حقّاً.

الحديث الرابع: عن المفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبدالله ـ عليه السّلام ـ: مامن سلطان إلاّ ومعه من يدفع الله به عن المؤمنين؛ أُولئك أوفر حظّاً في الآخرة.

الحديث الخامس: عن صفوان بن مهران قال: كنت عند أبي عبدالله ـ عليه

السّلام ـ إذ دخل عليه رجل من الشّيعة فشكىٰ إليه الحاجة. فقال له: مايمنعك عن التّعرّض للسّلطان فتدخل في بعض أعماله؟

فقال: إنّكم حرّمتموه علينا.

فقال: خبّرني عن السّلطان؛ لنا أو لهم؟

قال: بل لكم.

قال: أهم الدّاخلون علينا أمّ نحن الدّاخلون عليهم؟

قال: بل هم الدّاخلون عليكم.

قال: فإنّما هم قوم اضطرّوكم فدخلتم في بعض حقّكم.

فقال: إنّ لهم سيرة وأحكاماً.

قال: أليس قد أجرىٰ لهم النّاس علىٰ ذلك؟

فقال: بلىٰ.

قال: أجروهم عليه في ديوانهم وإيّاكم وظلم مؤمن.

الحديث السّادس: قال: شكا رجل إلىٰ أبي الحسن موسىٰ بن جعفر ـ صلوات الله عليه ـ قال: شيعة ولد الحسين أخيك أكثر مالاً منكم وأنتم تشكون الحاجة؟

قال: أُولئك يتعرّضون للسّلطان وعمله ونحن لا نتعرّض له.

قال: إذا دخلتم في عمل السّلطان فتصلون إخوانكم وتدفعون عنهم؟

قال: منّا من يفعل ذلك.

قال: إذا دفعتم عن إخوانكم ووصلتموهم وعضدتموهم وواسيتموهم فلا بأس وإن لم تفعلوا ذلك فلا ولاكرامة.

الحديث السّابع: عن عليّ بن موسىٰ بن جعفر ـ عليهم السّلام ـ قال:

كتب إلىٰ أبي الحسن ـ عليه السّلام ـ إنّ قوماً من مواليك يدخلون في عمل السّلطان فلا يؤثرون علىٰ إخوانهم أحداً، وإن نابت أحداً من مواليك نائبة قاموا بها. فكتب: أُولئك هم المؤمنون حقّاً؛ عليهم صلوات من ربّهم ورحمة، وأُولئك هم المهتدون.

الحديث الثّامن: عن الحلبيّ قال: قلت لأبي عبدالله ـ عليه السّلام ـ: يكون الـرّجـل من أصحـابنـا مع هؤلاء في ديوانهم فيخرجون إلىٰ بعض النّواحي فيصيبون غنيمة.

قال: يقتضي منها إخوانه.

الحديث التّاسع: قال: كتب علـيّ بن يقطين إلىٰ أبي الحسن موسىٰ ـ عليه السّـلام ـ يستـأذنـه في الخروج من عمل السّلطان. فأجابه: إنّي لا أرىٰ لك الخروج من عمله؛ فإنّ لله علىٰ أبواب الجبابرة من يدفع عن أوليائه وهم عتقاؤه من النّار كما قال.

الحديث العاشر: عن أبي الجارود عن أبي جعفر ـ صلوات الله عليه ـ قال: سألته عن عمل السّلطان والدّخول معهم في ماهم فيه. فقال: لابأس إذا وصلت أخوانك وعدت أهل ولايتك.

الحديث الحادي عشر: عن معاوية بن عمّار قال: كان عند أبي عبدالله ـ عليه السّلام ـ جماعة، فسألهم: هل فيكم من يدخل في عمل السّلطان؟

قالوا: ربّما دخل الرّجل منّا فيه.

قال: كيف مواساة من دخل في عمل السّلطان لإخوانهم وإدخالهم المنافع عليهم؟

قالوا: لانعرف ذلك منهم.

قال: إذا كانوا كذلك فابرؤوا منهم.

الحديث الثّاني عشر: عن الكابليّ عن أبي عبدالله ـ عليه السّلام ـ قال: من سوّد اسمه في ديوان بني شيصبان حشره الله يوم القيامة مسوداً وجهه، إلّا من دخل في أمرهم علىٰ معرفة وبصيرة منه وينوي الإحسان إلىٰ أهل ولايته.

الحديث الثّالث عشر: عن علـيّ الأسديّ قال: ولّيت البحرين. فأصبت مالاً كثـيراً. فأنفقت واشـتريت ضياعاً كثيرة ورقيقاً وأُمّهات أولادي ونسائي وقوّمتهم، وحملت خُمس ذلك المال ودخلت علىٰ أبي جعفر ـ عليه السّلام ـ فقلت له: جعلت فداك، ولّيت البحرين فأصبت مالاً كثيراً. فاشتريت ضياعاً ورقيقاً وأُمّهات أولادي ونفقت وهذا خمس ذلك المال وأمّهات أولادي ونسائي ورقيقي وقد أتيتك بهم.

قال: أمّـا حيث أتيت به كلّه قد قبلتُ ما جئت به وحلّلتك من أُمّهات أولادك ونسائك وما أنفقت وضمنت لك عليّ وعلىٰ آبائي الجنّة.

الحديث الرّابع عشر: عن علـيّ ابن يقطين قال: قال أبو الحسن موسىٰ بن جعفر ـ عليهما السلام ـ اضمن لي واحدة أضمن لك ثلاثاً: اضمن لي أن لا يأتي أحد من موالينا في دار الخلافة إلّا قمت له بقضاء حاجته أضمن لك ألّا يصيبك حرّ السّيف أبداً، ولا يظلّك سقف سجن أبداً، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً.

قال الحسن: فذكرت لمولاي ـ عليه السّلام ـ كثرة تولّي أصحابنا أعمال السّلطان واختلاطهم بهم.

قال: مايكون أحوال إخوانهم معهم؟

قلت: مجتهد ومقصّر.

قال: من أعزّ أخاه في الله وأهان أعداءه في الله وتولّىٰ ما استطاع نصيحته أُولئك يتقلّبون في رحمة الله، ومثلهم مثل طير يأتي بأرض الحبشة في كلّ صيفة يقال له: القدم فيبيض ويفرخ بها. فإذا كان وقت الشّتاء صاح بفراخه فاجتمعوا

إليه وخرجوا معه من أرض الحبشة. فإذا قام قائمنا ٱجتمع إليه أولياؤنا من كلّ أوب. ثمّ تمثّل بقول عبدالمطّلب:

فإذا ما بلغَ الدّور إلىٰ مُنتهىٰ الوقت أتىٰ الطّير فدمْ
بكتابٍ فُصّلت آياتُهُ وبتبيانِ أحاديث الأُممْ

الحديث الخامس عشر: عن زيد الشّحّام قال: كنت عند أبي عبدالله ـ عليه السّلام ـ إذ سأل عن رجل من أهل الكوفة فقيل له: مات.

فقال: رحمه الله ولقّاه نضرة وسروراً.

فقال: رجل من القوم أخذ منّي دنانير في وقت ولايته للسّلطان فغلبني عليها.

فتغيّر وجه أبي عبدالله ـ عليه السّلام ـ وقال: أترىٰ أنّ الله يأخذ وليّاً لعليّ ٱبن أبي طالب فيلقيه في النّار من أجل دنانيرك؟!

فقال: إنّه كان يتغلّب للسّلطان.

قال: كان يحسن إلىٰ إخوانه.

فقال الرّجل: هو من ذلك في حلّ.

قال أبو عبدالله ـ عليه السّلام ـ: ألا كان ذلك قبل الآن.

الحديث السّادس عشر: روىٰ أبو أمامة عن النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أنّه قال: من قطع مال امرئ مسلم بيمينه حرّم الله عليه الجنّة وأوجب له النّار.

قيل: وإن كان شيئاً يسيراً؟

قال: وإن كان سواكاً.

الحديث السّابع عشر: عن حمدان بن أعين عن الصّادق جعفر بن محمّد ـ عليه السّلام ـ قال: مامن دولة تتداول من الدّول إلّا ولنا ولأوليائنا فيها ناصر

يتقرّبون إليه بحوائجهم. فإن كان فيها مسرعاً كان لنا وليّاً ومن السّلطان بريئاً. وإن كان فيها متوانياً كان منّا بريئاً وللسّلطان وليّاً.

الحديث الثّامن عشر: عن عائشة قالت: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: الموت غنيمة، والمعصية مصيبة. والفقر راحة. والغنىٰ عقوبة. والعقل هديّة الله ـ عزّ وجلّ ـ. والجهل ضلالة. والظّلم ندامة. والطّاعة لله قرّة العين. والبكاء من خشية الله ـ عزّ وجلّ ـ النّجاة من النّار. والضّحك هلاك البدن. والتّائب من الذّنب كمن لا ذنب له.

الحديث التّاسع عشر: قال سفيان الثّوريّ: أوحىٰ الله ـ تعالىٰ ـ إلىٰ بعض الأنبياء إذا رأيت عاقلاً فكن له خادماً.

الحديث العشرون: عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة من قتل نبيّاً، أو قتله نبيّ، أو قتل أحد والديه، أو عالم لا يُنتفَع بعلمه.

الحديث الحادي والعشرون: عن أنس بن مالك قال: كان من دعاء رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: اللّهمّ انفعني بما علّمتني، وعلّمني، ما ينفعني، وارزقني علماً تنفعني به. جعلنا الله من العالمين العاملين إنّه أرحم الرّاحمين.

الحديث الثّاني والعشرون: عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: علماء أُمّتي رجلان: رجل آتاه الله ـ عزّ وجلّ ـ علماً فطلب به وجه الله والدّار الآخرة، وبذله للنّاس، ولم يأخذ عليه طمعاً، ولم يشتر به ثمناً قليلاً، فذلك تستغفر له الحيتان في البحار والطّير في جوّ السّماء، ويقدم علىٰ الله شريفاً؛ ورجل آتاه علماً فبخل به علىٰ عباد الله ـ تعالىٰ ـ وأخذ عليه طمعاً واشترىٰ به ثمناً قليلاً فذلك يُلجَم بلجام من نار يوم القيامة، وينادي عليه ملك من الملائكة

علىٰ رؤوس الأشهاد: هذا فلان بن فلان آتاه الله ـ عزّ ذكره ـ علماً في دار الدّنيا فبخل به علىٰ عباد الله ـ تعالىٰ ـ حتّىٰ يفرغ من الحساب.

الحديث الثّالث والعشرون: قال أمير المؤمنين علـيّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ عن النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أنه قال: من طلب العلم لله ـ عزّ وجلّ ـ لم يصب منه باباً إلّا ازداد به ذلّاً في نفسه، وفي النّاس تواضعاً، ولله خوفاً، وفي الـدّين اجتهاداً. فذلك الّذي ينتفع بالعلم[٥٤٨] فليتعلّمه. ومن طلب العلم للدّنيا والمنزلة عند النّاس والحظوة عند السّلطان لم يصب منه باباً إلّا إزداد به في نفسه عظمة، وعلىٰ النّاس استطالة، وبالله اغتراراً، ومن الدّنيا حظّاً. فذلك لا ينتفع بالعلم. فليكفّ وليمسك من الحجّة علىٰ نفسه والنّدامة والحسرة يوم القيامة.

الحديث الرّابع والعشرون: رُوي عن كعب الأحبار قال: أوحىٰ الله ـ تعالىٰ ـ إلىٰ موسىٰ ـ عليه السّلام ـ يا موسىٰ حبّبني إلىٰ خلقي.

قال: وكيف أُحبّبك إلىٰ خلقك؟

قال: ذكّرهم آلائي ونعمائي؛ إنّه من لقيني وهو يعرف أنّ النّعمة منّي والشّكر من عندي استحييت أن أُعذّبه بناري.

الحـديث الخامس والعشرون: عن الزّهري قال: حدّثني جدّي قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ من نشر عِلماً فله مثل أجر من عمل به.

الحديث السّادس والعشرون: عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: من زار عالماً فكأنّما زارني. ومن صافح عالماً فكأنّما صافحني. ومن جالس عالماً فكأنّما جالسني. ومن جالسني في الدّنيا أُجلسه معي يوم القيامة. وإذا جاء الموت يطلب صاحب العلم وهو يطلب العلم مات شهيداً. ومن أراد

---

(٥٤٨) «ع»: بعلمه.

رضاي فليُكرم صديقي.

قالوا: يا رسول الله، من صديقك؟

قال: صديقي طالب العلم وهو أحبّ إليّ من الملائكة. فمن أكرمه فقد أكرمني. ومن أكرمني فقد أكرم الله. ومن أكرم الله فله الجنّة. فإنّه ليس شيء أحبّ إلىٰ الله - عزّ وجلّ - من هذا العلم. ومذاكرة العلم ساعة أحبّ إلىٰ الله - عزّ وجلّ - من عبادة عشرة آلاف سنة. وطوبىٰ لطالب العلم يوم القيامة.

الحديث السّابع والعشرون: عن الحسن بن علي - عليهما السّلام - قال: قال رسول الله - صلّىٰ الله عليه وآله -: من جاءته منيّته وهو يطلب العلم فمات علىٰ ذلك فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة.

الحديث الثّامن والعشرون: عن أمير المؤمنين - عليه السّلام -، عن النّبيّ - صلّىٰ الله عليه وآله - أدلّكم علىٰ الخلفاء من أُمّتي ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي؛ هم حملة القرآن والأحاديث عنّي وهم في الله ولله - عزّ وجلّ -. ومن خرج يوماً في طلب العلم فله أجر سبعين نبيّاً.

الحديث التّاسع والعشرون: قال أنس: قال رسول الله - صلّىٰ الله عليه وآله - من خرج من بيته يطلب باباً من العلم ينتفع به قلبه أو يعلّمه غيره كتب الله - عزّ وجلّ - له بكلّ خطوة عبادة ألف سنة صيامها وقيامها، وحفّته الملائكة بأجنحتها، وصلّىٰ عليه طير السّماء، وحيّتان البحر، ودوابّ البرّ، ونزل من الله منزلة سبعين شهيداً، وكان خيراً له من ثمانين غزوة.

الحديث الثّلاثون: عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله - صلّىٰ الله عليه وآله -: مذاكرة العلم ساعة من اللّيل أحبّ إليّ من أن أُصلّي اللّيل أجمع.

الحديث الحادي والثّلاثون: قال رسول الله - صلّىٰ الله عليه وآله -: الفقه

حتم واجب علىٰ كلّ مسلم. ومن عبر بحراً في طلب العلم أعطاه الله أجر سبعين حجّة وسبعين عمرة ويهوّن عليه الموت. والفقيه الواحد أشدّ علىٰ الشّيطان من ألف قائم وألف صائم. وعالـم يُنتفَع به خير من ألف عابد.

الحديث الثّاني والثّلاثون: قال عطاء: إنّ رجلاً من أهل المدينة قدم علىٰ أبي الدّرداء بدمشق في طلب حديث بلغه أنّه يحدّثه عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ. فقال له أبو الدّرداء: ما جاء بك يا أخي؟

قال: طلب حديث بلغني أنّك تحدّث به عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ.

فقال: ما جاء بك تجارة ولا جئت تطلب حاجة؟

قال: لا ولا جئت إلّا في طلب هذا الحديث.

قال أبو الدّرداء: فإنّي سمعت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول: من سلك طريقاً يطلب به علماً سلك به طريقاً إلىٰ الجنّة. وإنّ الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضىً به. وإنّه يستغفر للعالم مافي السّماوات والأرض حتّىٰ الحيتان في جوف المـاء. ولفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب. وإنّ العلماء ورثة الأنبياء؛ إنّ الأنبياء لم يورّثوا دنانير ولا دراهم، ولكن ورّثـوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظٍّ وافر. وموت عالم مصيبة لاتُجبَر، وثلمة لاتُسدّ، وهو نجم طمس، وموت قبيلة أيسر من موت عالم.

الحديث الثّالث والثّلاثون: عن أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ قال: العالم والمتعلّم في الأجر سواء يأتيان يوم القيامة كفرسي رهان.

الحديث الرّابع والثّلاثون: عن أبي أمامة قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ إذ أتاه رجل فقال: يا رسول الله، أخبرني عن رجل أحبّ العباد إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ بعد النّبيّين والمرسلين؟

فقال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: ليس من امّتي أحد أحبّ إلىٰ الله ـ عزّ وجلّ ـ من العلماء والمتعلّمين؛ لأنّهم ٱلّذين يحيون سنّتي من بعدي. اُولئك يأتون يوم القيامة فرحين مستبشرين تستقبلهم أعمالهم بأحسن ماخلق الله ـ عزّ وجلّ ـ وجهاً، وأطيبه ريحاً. فبشّرهم ربّهم برحمة منه ورضوان ليس عليهم حساب. اُولئك الآمنون من عذاب الله ـ عزّ وجلّ ـ المقرّبون إلىٰ أعظم الثّواب.

وقال ـ عليه السّلام ـ: الدّنيا ملعونة ملعون ما فيها إلّا ذاكر الله وعالماً متعلّماً.

الحديث الخامس والثّلاثون: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: سيأتيكم أقوام من أقطار الأرض يسألونكم الحديث فحدّثوهم ولو لله ولو عرفتم الله حقّ معرفته لزالت الجبال بدعائكم.

الحديث السّادس والثّلاثون: عن أبي عمران قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: من تعلّم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به كان أفضل من أن يصلّي ألف ركعة ركوعاً، ومن تعلّم باباً من العلم ليعلّمه النّاس ابتغاء وجه الله ـ عزّ وجلّ ـ أعطاه الله ـ عزّ وجلّ ـ أجر سبعين نبيّاً.

الحديث السّابع والثّلاثون: قال أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ العلم خير من المال؛ لأنّ المال تنقصه النّفقة، والعلم يزكو[٥٤٩] علىٰ الإنفاق.

الحديث الثّامن والثّلاثون: عن مالك بن دينار عن خلاس بن عمرو، عن أبي الدّرداء قالا: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: إنّ إلهي يقول: إنّي أنا الله لا إلـه إلّا أنا مالك الملك ومالك الملوك. قلوب الملوك بيدي. فإن العباد أطاعوني حوّلت قلوب الملوك عليهم بالرّأفة والرّحمة. وإن العباد عصوني حوّلت

(٥٤٩) «ب»: يربو، وفي بعض النّسخ الاُخرىٰ: يزداد.

قلوب الملوك عليهم بالسّخط والنّقمة فساموهم سوء العذاب. فلا تشغلوا أنفسكم بالدّعاء علىٰ العباد ولكن أشغلوا أنفسكم بالذّكر والتّضرّع إليّ أكفكم.

الحديث التّاسع والثّلاثون: عن أنس قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربعة وعشرون ساعة. لله في كلّ ساعة ستّمائة ألف عتيق من النّار. ومن مات يوم الجمعة فهو شهيد ووُقي عذاب القبر. وإنّ الله ليس بتارك أحداً من المسلمين إلّا غفر له؛ ومن قرأ سورة الدّخان ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له.

الحديث الأربعون: عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: ثلاثة لا يكترثون للحساب ولا تفزعهم الصّيحة ولا يحزنهم الفزع الأكبر: حامل القرآن المؤدّي إلىٰ الله بما فيه، يقدم علىٰ الله سيّداً شريفاً؛ ومؤذّن أذّن تسع سنين لايأخذ علىٰ أذانه طمعاً؛ وعبد مملوك أحسن عبادة ربّه وأدّىٰ حقّ مولاه. وإذا كان عند الأذان فُتِحت أبواب السّماء واستجيب الدّعاء. وإذا كان عند الإقامة لم تُردّ دعوة.

[ألف كلمة من كلام خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ نقلاً عن كتاب الشهاب أبو عبدالله محمّد بن سلامة القضاعيّ]

يتلو هذه الأحاديث النّبويّة ألف كلمة من كلام خير البريّة ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أحببت أن أضعها في هذا الكتاب [٥٥٠]، وهي المترجمة بكتاب «الشّهاب» نقلاً من نسخة عتيقة مقابلة ماصورته:

---

(٥٥٠) «ر»: الباب.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

قال القاضي الإمام أبو عبدالله محمّد بن سلامة بن جعفر بن عليّ القضاعيّ ـ رحمة الله عليه ـ: الحمد لله القادر الفرد الحكيم الفاطر الصّمد الكريم، باعث نبيّه محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، وجاعله للنّاس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ الّذين أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

أمّا بعد: فإنّ في الألفاظ النّبويّة والآداب الشّرعيّة جلاء لقلوب العارفين، وشفاء لأدواء الخائفين؛ لصدورها عن المؤيّد بالعصمة، المخصوص بالبيان والحكمة، الّذي يدعو إلىٰ الهدىٰ، ويبصّر من العمىٰ، ولا ينطق عن الهوىٰ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أفضل ما صلّىٰ علىٰ أحد من عباده الّذين اصطفىٰ.

وقد جمعت في كتابي هذا ممّا سمعته من حديث رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ ألف كلمة من الحكمة في الوصايا، والآداب، والمواعظ، والأمثال. قد سلمت من التّكلّف مبانيها، وبَعُدَت عن التّعسّف معانيها، وبانت بالتّأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميّزت بهدىٰ النّبوّة عن بلاغة البلغاء، وجعلتها مسرودة يتلو بعضها بعضاً، محذوفة الأسانيد، مبوّبة أبواباً علىٰ حسب تقارب الألفاظ، ليقرب تناولها ويسهل حفظها. ثمّ زدتها مائتي كلمة فصارت ألف كلمة ومائتي كلمة. وختمت الكتاب بأدعية مرويّة عنه ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ وأفردت للأسانيد جميعها[٥٥١] كتاباً يُرجَع في معرفتها إليه. وأنا أسأل الله ـ تعالىٰ ـ أن يجعل ما اعتمدته من ذلك خالصاً لوجهه، ومقرّباً من رحمته، بحوله وقوّته.

---

(٥٥١) «ب»: جميعاً.

﴿باب﴾

الأعمال بالنّيّات.

المجالس بالأمانة.

المستشار مُؤتمن.

العِدَة عطيّة.

العِدة دَيْن.

الحرب خدعة.

النّدم توبة.

الجماعة رحمة، والفرقة عذاب.

الأمانة غنىً.

الدِّين النّصيحة.

الحسَب المال، والكرم التّقوىٰ.

الخير عادة، والشّرّ لجاجة.

السّماح رباح، والعسر شؤم.

الحزم سوء الظّنّ.

الولد مبخلة مجبنة.

البذاء من الجفاء.

القرآن هو الدّواء.

الدَّين شَينُ الدِّين.

الدّعاء هو العبادة.

التّدبير نصف العيش.

التّودّد نصف العقل.

الهمّ نصف الهرم، وقلّة العيال أحد اليسارين.

حُسن السّؤال نصف العلم.

السّلام قبل الكلام.

الرّضاع يغيّر الطّباع.

البركة مع أكابركم.

ملاك العمل خواتمه.

كرم الكتاب ختمه.

ملاك الدّين الورع.

خشية الله رأس كلّ حكمة.

الورع سيّد العمل.

مطلُ الغنيّ ظلم، ومسألة الغنيّ نار.

التّحدّث بالنّعم شكر.

انتظار الفرج بالصّبر عبادة.

الصّوم جُنّة

الزّعيم غارم.

الرّفق رأس الحكمة.

كلمة الحكمة ضالّة كلّ حكيم.

البرّ حسن الخلق.

الشّباب شعبة من الجنون.

النّساء حبائل الشّيطان.

الخمر جماع الإثم.

الغلول من جمر جهنّم.

النّياحة من عمل الجاهليّة.

الزّنا يورث الفقر.

زناء العيون النّظر.

الحُمّىٰ رائد الموت.

الحُمّىٰ من فيح جهنّم.

الحُمّىٰ حظّ كلّ مؤمن من النّار.

القناعة مال لاينفد.

الأمانة تجرّ الرّزق.

الخيانة تجرّ الفقر.

الصُّبْحَة(٥٥٢) تمنع الرّزق.

العمائم تيجان العرب.

الحياء خير كلّه.

الحياء لايأتي إلّا بالخير.

المسجد بيت كلّ تقيّ.

آفة الحديث الكذب، وآفة العلم النّسيان، وآفة الحلم السّفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الشّجاعة البغي، وآفة السّماحة المنّ، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر، وآفة الدِّين الهوىٰ.

السّعيد من وُعِظ بغيره، والشّقيّ من شقي في بطن أُمّه.

كفّارة الذّنب النّدامة.

---

(٥٥٢) أي: نوم الغداة.

الجمعة حجّ المساكين.

الحجّ جهاد كلّ ضعيف، وجهاد المرأة حسن التّبعّل.

طلب الحلال جهاد.

العلم لا يحلّ منعه.

موت الغريب شهادة.

الشّاهد يرىٰ مالا يرىٰ الغائب.

الدّال علىٰ الخير كفاعله.

ساقي القوم آخرهم شرباً.

كلّ معروف صدقة.

مداراة النّاس صدقة.

الكلمة الطّيّبة صدقة.

ماوقىٰ به المرء عرضه كُتِب له به صدقة.

الصّدقة علىٰ القرابة صدقة وصِلَةٌ.

الصّدقة تمنع ميتة السّوء.

صلة الرّحم تزيد في العمر.

صدقة السّرّ تطفىء غضب الرّبّ.

فعل المعروف يقي مصارع السّوء.

الرّجل في ظلّ صدقته حتّىٰ يقضىٰ بين النّاس.

الصّدقة تطفىء الخطيئة كما يطفئ الماء النّار.

المعتدي في الصّدقة كمانعها.

التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له.

الظّلم ظلمات يوم القيامة.

كثرة الضّحك تميت القلب.

في كلّ كبد حرّىٰ أجر.

العلماء أُمناء الله علىٰ خلقه.

رأس الحكمة مخافة الله.

الجنّة دار الأسخياء.

الجنّة تحت ظلال السّيوف.

الجنّة تحت أقدام الأُمّهات.

الدّعاء بين الأذان والإقامة لايُردّ.

كسب الحلال فريضة بعد الفريضة.

أعظم النّساء بركة أقلّهنّ مؤنة.

المؤمن مرآة المؤمن.

المؤمن أخو المؤمن.

المؤمن يسير المؤنة.

المؤمن كيّس فطن حذر.

المؤمن من أمنه النّاس علىٰ أنفسهم وأموالهم.

المؤمن غِرّ كريم، والفاجر خَبٌّ لئيم.

المؤمن يأكل في مِعاً واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء.

المؤمنون هيّنون ليّنون.

الشّتاء ربيع المؤمن.

الدّعاء سلاح المؤمن.

الصّلاة نور المؤمن.

الدّنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر، والحكمة ضالّة كلّ مؤمن.

نيّة المؤمن خير من عمله.

هديّة الله إلىٰ المؤمن السّائل علىٰ بابه.

تحفة المؤمن الموت.

شرف المؤمن قيامه باللّيل، وعزّه استغناؤه عن النّاس.

عَلَمُ الإيمان الصّلاة.

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه.

المسلمون يد واحدة علىٰ من سواهم.

العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قائده، والبرّ أخوه، والصّبر أمير جنوده.

الغيرة من الإيمان.

الحياء من الإيمان.

الصّبر نصف الإيمان.

الحكمة يَمانِيَةٌ.

الإيمان قيد الفتك.

الموت كفّارة لكلّ مسلم.

طلب العلم فريضة علىٰ كلّ مسلم.

كلّ المسلم علىٰ المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله.

حرمة مال المسلم كحرمة دمه.

المهاجر من هجر مانهاه الله عنه.

المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالىٰ.

الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتّبع نفسه هواها وتمنّىٰ علىٰ الله.

المرء كثير بأخيه.

المرء علىٰ دين خليله.

المرء مع من أحبّ.

كرم المرء دينُهُ، ومروءتُه عقله، وحسبه خُلُقُهُ.

من حُسْنِ إسلام المرء تركُه مالا يعنيه.

النّاس كأسنان المشط.

النّاس معادن كمعادن الذّهب والفضّة.

النّاس كإبلٍ مائةٍ لاتجد فيها راحلة واحدة.

الغنىٰ اليأس ممّا في أيدي النّاس.

رأس العقل بعد الإيمان هو التّودّد إلىٰ النّاس.

كلّ امرئٍ حسيب نفسه.

كلّ ما هو آتٍ قريب.

كلّ عين زانية.

كلّ شيء بقدر حتّىٰ العجز والكيس، أو الكيس والعجز.

كلّ صاحب علم غرثان إلىٰ علم.

ولكلّ شيء عماد وعماد هذا الدّين الفقه.

كلّ مشكل حرام، وليس في الدّين إشكال.

كلّ مسكر حرام.

كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته.

لكلّ غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته.

أوّل ما يقضىٰ بين النّاس يوم القيامة في الدّماء.

أوّل ما يُحاسب به الصّلاة.

أوّل ماتفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ماتفقدون الصّلاة.

الودّ يتوارث، والبغض يتوارث.

حبّك للشّيء يعمي ويصمّ.

الهديّة تذهب بالسّمع والبصر.

الخير معقود في نواصي الخيل إلىٰ يوم القيامة.

حسن الخيل في شقرها.

السّفر قطعة من العذاب.

طاعة النّساء ندامة.

البلاء موكّل بالقول.

الصّيام نصف الصّبر، وعلىٰ كلّ شيء زكاة وزكاة الجسد الصّيام.

الصّائم لا تُردّ دعوته.

الصّوم في الشّتاء الغنيمة الباردة.

السّواك يزيد الرّجل فصاحة.

جمال الرّجل فصاحة لسانه.

الإمام ضامن، والمؤذّن مؤتمن.

المؤذّنون أطول النّاس أعناقاً يوم القيامة.

شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي.

الأنصار كَرِشي وعَيْبتي.

يد الله علىٰ الجماعة.

الصّمت حُكْمٌ. وقليلٌ فاعلُهُ.

الرّزق أشدّ طلباً للعبد من أجله.

الرّفق في المعيشة خير من بعض التّجارة.

التّاجر الجبان محروم. والتّاجر الجسور مرزوق.

حسن الملكة نماء. وسوء الملكة شؤم.

فضوح الدّنيا أهون من فضوح الآخرة.

القبر أوّل منزل من منازل الآخرة. والصّبر عند الصّدمة الأُولىٰ.

دفن البنات من المكرمات.

معترك المنايا مابين السّتّين إلىٰ السّبعين.

المكر والخديعة في النّار.

اليمين الفاجرة تدع الدّيار بلاقع.

اليمين الكاذبة مَنْفَقَةٌ للسّلعة، ومَمْحَقَةٌ للكَسْب.

اليمين علىٰ نيّة المُسْتَخْلِف.

الحلف حِنْثٌ أو نَدَم.

السّلام تحيّة لملّتنا وأمان لذمّتنا.

علم لاينفع ككنز لايُنفَق منه شيء.

الطّاعم الشّاكر له مثل أجر الصّائم الصّابر.

الصّلاة قربان كلّ تقيّ.

بين العبد والكفر ترك الصّلاة.

موضع الصّلاة من الدّين كموضع الرّأس من الجسد.

صلاة القاعد علىٰ النّصف من صلاة القائم.

الزّكاة قنطرة الإسلام.

طيب الرّجال ماظهر ريحه وخفي لونه. وطيب النّساء ما ظهر لونه وخفي ريحه.

التّراب ربيع الصّبيان.

الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

الصّدق طمأنينة، والكذب ريبة.

القرآن غنىٰ لا فقر بعده ولا غنىٰ دونه.

الإيمان بالقَدَر يذهب الهمّ والحزن.

الزّهد في الدّنيا يُريح القلب والبدن. والرّغبة في الدّنيا تُكثر الهمّ والحزن. والبطالة تُقسي القلب.

العالم والمتعلّم شريكان في الخير.

علىٰ اليد ما قبضت حتّىٰ تؤدّي.

الولد للفراش وللعاهر الحجر.

الضّيافة علىٰ أهل الوَبَر، وليست علىٰ أهل المَدَرْ.

للسّائل حقّ ولو جاء[٥٥٣] علىٰ فرس.

أَيُّ داءٍ أَدْوىٰ من البُخْلِ.

العائِدُ في هبته كالكلب يَعودُ في قيئه.

---

(٥٥٣) «ح» كان.

النّظر إلىٰ الخضرة تزيد في البصر. والنّظر إلىٰ المرأة الحسناء يزيد في البصر.

أُمّتي الغرّ المحجّلون يوم القيامة من آثار الوضوء.

التّصفيق للنّساء. والتّسبيح للرّجال.

النّظرة سهم مشؤوم[٥٥٤] من سهام إبليس.

الشّؤم في المرأة والفرس والدّار.

نعمتان مغبون فيهما كثير من النّاس: الصّحّة، والفراغ.

ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب.

الجُبْنُ والجُرْأَةُ غَرائِز يضعهما الله حيث يشاء.

من كنز البرّ كتمان المصائب والأمراض والصّدقة.

من سعادة المرء أن يشبه أباه.

من سعادة المرء حسن الخلق.

أهل المعروف في الدّنيا هم أهل المعروف في الآخرة.

الخازن الأمين ٱلّذي يعطي ما أمر به طيبةً من نفسه أحد المتصدّقين.

السّلطان ظلّ الله في الأرض يأوي إليه كلّ مظلوم.

كلام ابن آدم كلّه عليه لا له إلّا ما كان أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو ذكر الله ـ عزّ وجلّ ـ.

التّودّد والاقتصاد والصّمت جزء من ستّة وعشرين جزءاً من النّبوّة.

الأنبياء قادة. والفقهاء سادة. ومجالستهم زيادة.

المتشنّع بما لايملك كلابس ثوبي زور.

الوضوء قبل الطّعام ينفي الفقر، وبعده ينفي الهمّ ويصحّ البصر.

---

(٥٥٤) في المصدر: مسموم.

القاصّ ينتظر المقت. والمسمع إليه ينتظر الرّحمة. والتّاجر ينتظر الرّزق. والمحتكر ينتظر اللّعنة.

السّعادة كلّ السّعادة طول العمر في طاعة الله تعالىٰ.

الشّقيّ كلّ الشّقيّ من أدركته السّاعة، لم يمت وهو حيّ.

الويل كلّ الويل لمن ترك عياله بخير وقدم علىٰ ربّه بشرّ.

دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره علىٰ نفسه.

ثلاث دعوات مستجابات لاشكّ فيهنّ: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد علىٰ ولده.

القضاة ثلاثة: قاضيان في النّار، وقاض في الجنّة.

خصلتان لاتكونان في منافق: حسن سمت، وفقه في الدّين.

خصلتان لاتجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخُلق.

عينان لاتمسّهما النّار: عين بكت في جوف اللّيل من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله.

منهومان لايشبعان: طالب علم، وطالب دنياً.

الشّيخ شابّ في حبّ اثنين: في حبّ طلب الحياة، وكثرة المال.

أربعة يبغضهم الله يوم القيامة: البيّاع الحلّاف، والفقير المختال، والشّيخ الزّاني، والإمام الجائر.

ثلاث مهلكات وثلاث منجيات؛ فالثّلاث المهلكات: شحّ مطاع، وهوىً متّبع، وإعجاب المرء بنفسه. والثّلاث المنجيات: خشية الله في السّرّ والعلانية، والقصد في الفقر والغنىٰ، والعدل في الرّضا والغضب.

المُستبّان ما قالا فهو علىٰ البادي حتّىٰ يعتدي المظلوم.

أنا فرطكم علىٰ الحوض.

أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة ـ وأشار بالسّبّابة والوسطىٰ.

أنا المدبّر(٥٥٥) والموت المغيّر. والسّاعة الموعد.

﴿باب﴾
من صمت نجا

من تواضع لله رفعه الله. ومن تكبّر وضعه الله.

من يَتَأَلَّ علىٰ الله يكذبه. ومن يغفر يغفر الله له. ومن يعف يعف الله عنه. ومن يصبر علىٰ الرّزيّة يعوّضه الله. ومن يكظم غيظه يؤجره الله. ومن قدّر رَزَقَه الله. ومن بذّر حرمه الله.

من نوقش للحساب عُذِّب.

من بدا جفا. ومن اتّبع الصّيد غفل. ومن اقترب من أبواب السّلطان افتتن.

من قُتِل دون ماله فهو شهيد. ومن قُتل دون أهله فهو شهيد. ومن قُتل دون دينه فهو شهيد. ومن يرد الله به خيراً يصب منه. ومن يرد الله به خيراً يفقّهه في الدّين.

من اشتاق إلىٰ الجنّة سارع إلىٰ الخيرات. ومن أشفق من النّار لهي عن الشّهوات. ومن زهد في الدّنيا هانت عليه المصيبات.

من مات غريباً مات شهيداً. ومن اعتزّ بالعبيد أذلّه الله.

من غشّنا فليس منّا.

---

(٥٥٥) في المصدر: النّذير.

من رمانا باللّيل فليس منّا.

من لم يأخذ شاربه فليس منّا.

من أحدث في أمرنا هذا ماليس فيه فهو ردّ.

من تأنّ أصاب أو كاد. ومن عجّل أخطأ أو كاد. ومن يزرع خيراً يحصد رغبة. ومن يزرع شرّاً يحصد ندامة. ومن أيقن بالخلف جاد بالعطيّة.

من أحبّ أن يكون أكرم النّاس فليتّق الله. ومن أحبّ أن يكون أقوىٰ النّاس فليتوكّل علىٰ الله. ومن أحبّ أن يكون أغنىٰ النّاس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده. ومن همّ بذنب ثمّ تركه كانت له حسنة.

من آتاه الله خيراً فَلْيُرَ عليه.

من سرّه أن يسلم فليلزم الصّمت.

من كثر كلامه كثر سقطه. ومن كثر سقطه [كثرت ذنوبه. ومن كثرت ذنوبه][556] كانت النّار أولىٰ به.

من رُزق من شيء فليلزمه.

من أُنزلت إليه نعمة فليشكرها.

من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير.

من عزّىٰ مصاباً فله مثل أجره.

من فطّر صائماً كان له مثل أجره.

من رفق بأُمّتي رفق الله به.

من عاد مريضاً لم يزل في غرفة الجنّة.

من دعا علىٰ من ظلمه فقد انتصر.

---

(٥٥٦) أضفناه من المصدر.

من مشىٰ مع ظالم فقد أجرم.

من تشبّه بقوم فهو منهم.

من طلب العلم تكفّل الله برزقه.

من لم ينفعه علمه ضرّه جهله.

من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

من جُعِل قاضياً فقد ذُبح بغير سكّين.

من حمل سلعة(٥٥٧) فقد برئ من الكبر.

من يُشَادّ هذا الدّين يغلبه.

من كذّب بالشّفاعة لم ينلها يوم القيامة.

من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن.

من صام الأبد فلا صام.

من خاف أدلج. ومن أدلج بلغ المنزل.

من يَشْتَهِ كرامة الآخرة يدع زينة الدّنيا.

من كثرت صلاته باللّيل حسن وجهه بالنّهار.

من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته. ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه.

من أهان سلطان الله أهانه الله. ومن أكرم سلطان الله أكرمه [الله](٥٥٨).

من أحبّ عمل قوم خيراً كان أو شرّاً كان كمن عمله.

من استعاذكم بالله فأعيذوه. ومن سألكم بالله فأعطوه. ومن دعاكم فأجيبوه. ومن أتىٰ إليكم معروفاً فكافئوه، وإن لم تجدوا فادعوا له حتّىٰ تعلموا أنّكم قد كافأتموه.

---

(٥٥٧) في المصدر: سلعته.

(٥٥٨) أضفناه من المصدر.

من مشىٰ منكم إلىٰ طمع فليمش رويداً.

من عمّره الله ستّين سنة فقد أعْذَر إليه في العمر.

من أصبح لاينوي ظلم أحد غفر الله له ماجنىٰ وإن لم يستغفر.

من ألقىٰ جلباب الحياء فلا غيبة له.

من ساءته خطيئته غفر الله له وإن لم يستغفر.

من خاف الله خوّف الله منه كلّ شيء. ومن لم يخف الله خوّفه الله من كلّ شيء.

من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه. ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

من سُئِل عن علم يعلمه فكتمه أُلجم بلجامٍ من نار.

من استطاع منكم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل.

من فُتح له باب خير فلينتهزه؛ فإنّه لايدري متىٰ يُغلَق عنه.

من كظم غيظاً وهو يقدر علىٰ إنفاذه ملأه الله أمناً وإيماناً.

من سرّه أن يجد طعم الإيمان فليحبّ المرء، ولا يحببه إلّا لله ـ عزّ وجلّ ـ.

من أصاب مالاً من تَهاوُشٍ أذهبه الله في نهابِر.

من أُعطي حظّه من الرّفق فقد أُعطي حظّه من خير الدّنيا والآخرة.

من آثر محبّة الله ـ عزّ وجلّ ـ علىٰ محبّة النّاس كفاه الله مؤنة النّاس.

من فارق الجماعة شبراً خلع ربقة الإسلام من عنقه.

من فارق الجماعة واستذلّ الإمارة لقي الله ولا وجه له عنده.

من فارق الجماعة مات ميتةً جاهليّة.

[من فارق الجماعة][٥٥٩] لم يكن له يوم القيامة حجّة.

(٥٥٩) في المصدر: من نزع يده من الطّاعة.

من سرّه أن يسكن بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة.

من أقال نادماً بيعته أقاله الله ـ تعالىٰ ـ عثرته.

من كفّ لسانه عن أعراض النّاس أقاله الله عثرته يوم القيامة.

من فرّق بين والدة وولدها فرّق الله بينه وبين أحبّته يوم القيامة.

من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة.

من يسّر علىٰ معسر يسّر الله عليه في الدّنيا والآخرة.

من أنظر معسراً وتواضع له أظلّه الله تحت ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه.

من كان ذا لسانين في الدّنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار.

من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنّما نظر في النّار.

من كان آمراً بمعروف فليكن أمره ذلك بمعروف.

من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه.

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره.

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت.

من أسلم علىٰ يده رجل وجبت له الجنّة.

من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدّنيا والآخرة.

من فرّج عن أخيه كربة من كرب الدّنيا فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن ستر علىٰ أخيه ستره الله في الدّنيا والأخرة. والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه.

من بنىٰ مسجداً ولو مثل مفحص قطاة بنىٰ الله له بيتاً في الجنّة.

من طلب علماً فأدركه كُتِب له كفلان من الأجر. ومن طلب علماً فلم يدركه

كُتِب له كفل من الأجر.

من سمّع النّاس بعلمه سمّع الله به مسامع خلقه يوم القيامة وحقّره وصغّره.

من طلب الدّنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب.

من أُولِيَ معروفاً فلم يجد جزاء إلاّ الثّناء فقد شكره. ومن كتمه فقد كفره.

من أُولي معروفاً فليكافىء به، فإن لم يستطع فليذكره، فإن ذكره فقد شكره.

من أولىٰ رجلاً من بني عبدالمطّلب معروفاً في الدّنيا فلم يقدر أن يكافئه كافأته عنه يوم القيامة.

من رأىٰ عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها.

من انقطع إلىٰ الله كفاه الله كلّ مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب.

من انقطع إلىٰ الدّنيا وكله الله إليها.

من طلب محامد النّاس بمعاصي الله عاد حامده من النّاس ذامّاً.

من التمس رضا الله بسخط النّاس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه النّاس. ومن التمس رضا النّاس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه النّاس.

من مات علىٰ خير عمله فارجـوا له خيراً. ومن مات علىٰ سيّيء عمله فخافوه عليه ولا تأيسوا.

من أذنب ذنباً في الدّنيا فعوقب به فالله أكرم من أن يثنّي عقوبته علىٰ عبده. ومن أذنب ذنباً فستره الله عليه وعفا عنه في الدّنيا فالله أعدل من أن يعود في شيء قد عفا عنه.

من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله.

من أحسن صلاته حين يراه النّاس ثمّ أساءها حين يخلو فتلك استهانة

استهان بها ربّه.

من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلّا بعداً.

من حاول أمراً بمعصية كان أفوت لما رجا وأقرب لمجيء ما اتّقىٰ.

من حلف علىٰ يمين فرأىٰ خيراً منها فليكفّر عن يمينه ثمّ ليفعل الّذي هو خير.

من ابتُلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهنّ كنّ له ستراً من النّار.

من قتل عصفوراً عبثاً جاء يوم القيامة وله صراخ عند العرش يقول: يا ربّ سل هذا فيم قتلني في غير منفعة.

من سأل النّاس أموالهم تكثّراً فإنّما هي جمر، فليستقلّ منه أو ليستكثر.

من سأل عن ظهر غنىً فصداع في الرّأس وداء في البطن.

من مشىٰ إلىٰ طعام لم يُدعَ إليه فقد دخل سارقاً، وخرج مُغيراً.

من كان وصلة لأخيه المسلم إلىٰ ذي سلطان في منهج برّ أو تيسير عسير أعانه الله علىٰ إجازة الصّراط يوم تُدحَض فيه الأقدام.

من لعب بالنّردشير فهو كمن غمس يده في لحم الخنزير ودمه.

من نزل علىٰ قوم فلا يصومنّ تطوّعاً إلّا بإذنهم.

من انتهر صاحب بدعة مُلئ قلبه أمناً وإيماناً. ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر.

من أصبح معافاً في بدنه آمناً في سربه عنده قُوتُ يومه فكأنّما حيزت له الدّنيا.

من وُليَ شيئاً من أمر المسلمين فأراد الله به خيراً جعل معه وزيراً صالحاً إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه.

من عامل النّاس فلم يظلمهم وحدّثهم فلم يَكْذِبْهُم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممّن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أُخوّته، وحرمت غيبته.

من حفظ مابين لحييه وما بين رجليه دخل الجنّة.

من كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار.

﴿باب﴾

حُفَّت الجنّة بالمكاره، وحُفَّت النّار بالشّهوات.

وجبت محبّة الله علىٰ من أُغضب فحلم.

بُعِثتُ بجوامع الكلم. ونُصِرتُ بالرّعب.

نُصِرتُ بالصّبا وأُهلِكت عاد بالدّبور.

يعجب ربّك من الشّابّ ليست له صبوة.

كما تكونوا يولّىٰ عليكم.

يُبعَث النّاس يوم القيامة علىٰ نيّاتهم.

يُبعَث شاهد الزّور يوم القيامة مدلعاً لسانه في النّار.

رحم الله امرأ أصلح من لسانه.

رحم الله عبداً قال فغنم، أو سكت فسلم.

رحم الله المتخلّلين من أُمّتي في الوضوء والطّعام.

أبىٰ الله أن يرزق عبده المؤمن إلّا من حيث لايعلم.

كاد الفقر أن يكون كفراً. وكاد الحسد أن يغلب القدر.

خُصّ بالبلاء من عرف النّاس. وعاش فيهم من لم يعرفهم.

يُطبَع المؤمن علىٰ كلّ خلق ليس الخيانة والكذب.

تبنو ن مالا تسكنو ن. وتجمعو ن مالا تأكلو ن. وتأملو ن مالا تدركو ن. كم مِنْ مستقبل يوماً لايستكمله، ومنتظر غداً لا يبلغه.

عجبتُ لغافل لا يُغفَل عنه. وعجبت لطالب دنياً والموت يطلبه. وعجبتْ لضاحكٍ مِلْءَ فيه ولا يدري أأرضىٰ الله أم أسخطه.

يا عجباً كلّ العجب للمصدّق بدار الخلود وهو يسعىٰ لدار الغرور.

عجباً للمؤمن [لا يرضىٰ بقضاء الله][٥٦٠]. فوالله لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلّا كان خيراً له.

اقتربت السّاعة ولا يزداد النّاس علىٰ الدّنيا إلّا حرصاً ولا تزداد منهم إلّا بعداً.

يهرم ٱبن آدم وتشبّ منه اثنتان: الحرص علىٰ المال، والحرص علىٰ العمر.

جُبلت القلوب علىٰ حبّ من أحسن إليها وبُغض من أساء إليها.

جفَّ القلم بالشّقيّ والسّعيد، وفُرِغ من أربع: الخَلق، والخُلق، والأجل، والرّزق.

فرغ الله إلىٰ كلّ عبد من خمس: من عمله، وأجله، وأثره، ومضجعه، ورزقه لا يتعدّاهنّ عبد.

جفّ القلم بما أنت لاقٍ.

تجدون من شرّ النّاس ٱلّذي يلقىٰ هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.

يذهب الصّالحون أسلافاً حتّىٰ لا يبقىٰ إلّا حثالة كحثالة التّمر والشّعير لا يبالي الله بهم.

يتبصّر أحدكم القذىٰ في عين أخيه ويدع الجذع في عينه. كبرت خيانة أن

---

(٥٦٠) أضفناه من المصدر.

تحدّث أخاك حديثاً هو لك به مصدّق وأنت له كاذب.

كأنّ الحقّ فيها علىٰ غيرنا وجب. وكأنّ الموت فيها علىٰ غيرنا كُتِب. وكأنّ الّذين نشيّع من الأموات سفر عمّا قليل إلينا عائدون؛ نبوّئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنّا مخلّدون بعدهم؛ قد نسينا كلّ واعظة، وأمّناً كلّ جائحة.

طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب النّاس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، وجانب أهل الذّلّ والمعصية.

طوبىٰ لمن ذلّ في نفسه، وحسنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السّنّة ولم يعدها إلىٰ بدعة.

طوبىٰ لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن النّاس شرّه.

طوبىٰ لمن عمل بعلمه.

ابن آدم عندك مايكفيك وتطلب مايطغيك! ابن آدم لا بقليلٍ تقنع، ولا من كثيرٍ تشبع.

طوبىٰ لمن هُدي للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع.

﴿باب﴾

اشفعوا تؤجروا.

سافروا تصحّوا وتغنموا.

يسّروا ولا تعسّروا، وسكّنوا ولا تنفّروا.

قاربوا وسدّدوا.

زُرْغِبّاً تزدد حبّاً.

قيّدها وتوكّل.

ابدأ بمن تعول.

أُخْبُرْ تقلَهُ.

ثق بالنّاس رويداً.

قيّدوا العلم بالكتاب.

أقلل من الدَّين تعش حرّاً، وأقلل من الذّنوب يهن عليك الموت، وانظر في أيّ نصاب تضع ولدك؛ فإنّ العِرْق دسّاس.

كن ورعاً تكن أعبد النّاس، وكن قنعاً تكن أشكر النّاس. وأحبّ للنّاس ما تحبّ لنفسك تكن مؤمناً. وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً. وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً. واعمل بفرائض الله تكن عابداً. وارض بقسم الله تكن زاهداً.

ازهد في الدّنيا يحبّك الله. وازهد في ما في أيدي النّاس يحبّك النّاس.

كن في الدّنيا كأنّك غريب أو كأنّك عابر سبيل، وعدّ نفسك في أصحاب القبور، ودع مايريبك إلىٰ مالا يريبك.

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.

ارحم من في الأرض يرحمك من في السّماء.

اسمح يُسمح لك. اسبغ الوضوء يزداد في عمرك. وسلّم علىٰ أهل بيتك يكثر خير بيتك.

استعفف عن السّؤال ما استطعت.

قل الحقّ وإن كان مرّاً.

اتّق الله حيث كنت. وأتبع السّيّئة الحسنة تمحها. وخالق النّاس بخلق حسن.

صلوا أرحامكم ولو بالسّلام.

تهادوا تزدادوا حبّاً. وهاجروا تورثوا أبناءكم مجداً. وأقيلوا الكرام عثراتهم.

تهادوا فإنّ الهديّة تذهب وحر الصّدر(٥٦١).

تهادوا تحابّوا.

تهادوا فإنّ الهديّة تذهب بالسُّخْمَة.

تهادوا فإنّ الهديّة تذهب بالضّغائن.

اطلبوا الخير عند حسان الوجوه.

بلّغوا عنّي ولو آية. وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.

اتّقوا فراسة المؤمن؛ فإنّه ينظر بنور الله ـ تعالىٰ ـ.

اتّقوا الحرام في البنيان؛ فإنّه أساس الخراب.

أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم.

قولوا خيراً تغنموا. وٱسكتوا عن شرّ تسلموا.

تخيّروا لنطفكم.

أكثروا من ذكر هادم اللّذّات.

روّحوا القلوب ساعة بساعة.

اعتمّوا تزدادوا حلماً.

اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له.

تزوّجوا الودود الولود فإنّي مكاثر بكم الأمم يوم القيامة.

تسحّروا؛ فإنّ في السّحور بركة.

اتّقوا النّار ولو بشقّ تمرة.

---

(٥٦١) «ر»: الصّدور.

اتّقوا الشّحّ؛ فإنّ الشّحّ أهلك من كان قبلكم.

أعروا النّساء يلزمن الحجال.

استوصوا بالنّساء خيراً فإنّهنّ عوان عندكم.

حصّنوا أموالكم بالزّكاة. وداووا مرضاكم بالصّدقة. وأعدّوا للبلاء الدّعاء.

اغتنموا الدّعاء عند الرّقة؛ فإنّها رحمة.

ألحوّا بياذا الجلال والإكرام.

التمسوا الرّزق في خبايا الأرض.

تفرّغوا من هموم الدّنيا ما استطعتم.

كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه.

اطلبوا الفضل عند الرّحماء من أُمّتي تعيشوا في أكنافهم.

اطلبوا الخير دهركم، وتعرّضوا لنفحات رحمة الله؛ فإنّ لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده.

اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم.

نوّروا بالفجر؛ فإنّه أعظم للأجر.

تمسّحوا بالأرض فإنّها بكم برّة.

دعوا النّاس يرزق الله بعضهم من بعض.

استعينوا علىٰ أُموركم بالكتمان.

استعينوا علىٰ إنجاح الحوائج بالكتمان لها.

التمسوا الجار قبل شراء الدّار، والرّفيق قبل الطّريق.

تداووا فإنّ الّذي أنزل الدّاء أنزل الدّواء.

احثوا التّراب في وجوه المدّاحين.

أحسنوا إذا وليتم، واعفوا عمّا ملكتم.

أطعموا طعامكم الأتقياء، وأولوا معروفكم المؤمنين.

استعيذوا بالله من طمع يهدي إلىٰ طبع.

تعشّوا ولو بكفّ حشف؛ فإنّ ترك العشاء مهرمة.

انظروا من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلىٰ من هو فوقكم؛ فإنّه أجدر ألاّ تزدروا نعمة الله عليكم.

أحبب حبيبك هوناً ما عسىٰ أن يكون بغيضك يوماً ما

وأبغض بغيضك هوناً ما عسىٰ أن يكون حبيبك يوماً ما

أُوصيك بتقوىٰ الله فإنّها رأس أمرك. وعليك بالجهاد فإنّه رهبانيّة أُمّتي. وليردّك عن النّاس ما تعرف من نفسك. واخزن لسانك إلّا من خير؛ فإنّك بذلك تغلب الشّيطان.

أقرأ القرآن مانهاك. فإذا لم ينهك فلست تقرأه.

أدّ الأمانة إلىٰ من ائتمنك ولا تخن من خانك.

أعطوا الأجير أجرته قبل أن يجفّ عرقه.

احفظ الله يحفظك.

احفظ الله تجده أمامك.

تقرّب إلىٰ الله في الرّخاء يعرفك في الشّدّة. واعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. واعلم أنّ الخلائق لو اجتمعوا أن يعطوك شيئاً لم يرد الله أن يعطيك لم يقدروا عليه، أو يصرفوا عنك شيئاً أراد الله أن يصيبك به لم يقدروا علىٰ ذلك، فإذا سألت فاْسأل الله تعالىٰ، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أنّ النّصر مع الصّبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر

يسراً. واعلم أنّ القلم قد جرىٰ بما هو كائن.

عش ماشئت فإنّك ميّت. وأحبب من أحببت فإنّك مفارقه. واعمل ماشئت فإنّك مجزيّ به.

اصنع المعروف إلىٰ من هو أهله وإلىٰ من ليس هو أهله؛ فإن أصبت أهله فهو أهله، وإن لم تصب أهله فأنت أهله.

اشتدّي أزمة تنفرجي.

أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً.

بشّر المشّائين في الظّلم باللّيل إلىٰ المساجد بالنّور التّام يوم القيامة.

عليك بذات الدِّين تربت يداك.

عليكم من الأعمال بما تطيقون؛ فإنّ الله لا يملّ حتّىٰ تملّوا.

إذا وزنتم فأرجحوا.

إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.

إذا جاءكم الزّائر فأكرموه.

إذا غضبت فاسكت.

إذا أحبّ أحدكم أحداً فليعلمه.

إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الأخير منهما.

إذا تمنّىٰ أحدكم فلينظر إلىٰ مايتمنّاه؛ فإنّه لا يدري ما كُتِب له من أمنيته.



ما عال من اقتصد.

ما أعزّ الله بجهل قطّ، ولا أذلّ بحلم قطّ.

ما نُزِعت الرّحمة إلاّ من شقيّ.

ماشقي عبد قطّ بمشورة، ولا سعد باستغناء رأي.

ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه.

ماخاب من استخار. ولا ندم من استشار. ولا عال من اقتصد.

ما رُزِق العبد رزقاً أوسع عليه من الصّبر.

ما خالطت الصّدقة مالاً إلاّ أهلكته.

ما نقص مال من صدقة ولا عفا رجل عن مظلمة إلاّ زاده الله بها عزّاً.

ما تركت بعدي فتنة أضرّ علىٰ الرّجال من النّساء.

ما أصرّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرّة.

ما أحسن عبد الصّدقة إلاّ أحسن الله الخلافة علىٰ تركته.

ما رأيت مثل النّار نام هاربها، ولا مثل الجنّة نام طالبها.

ما كان الرّفق في شيء قطّ إلاّ زانه. ولا كان الخرق في شيء قطّ إلاّ شانه.

ما زان الله عبداً بزينة أفضل من عفاف في دينه وفرجه.

ما عظمت نعمة الله علىٰ عبد إلاّ عظمت مؤنة النّاس عليه.

ما ستر الله علىٰ عبد في الدّنيا ذنباً فيعيّره به يوم القيامة.

ما أكرم شابّ شيخاً لسنّه إلاّ قيّض الله له عند سنّه من يكرمه.

ما امتلأت دارٌ حبرةً إلاّ امتلأت عبرةً. وما كانت فرحة إلاّ يتبعها ترحة.

ما استرعىٰ الله عبداً رعيّة فلم يحطها بنصيحة إلاّ حرّم الله عليه الجنّة.

مامن عبد يسترعيه الله رعيّة ثمّ يموت يوم يموت غاشّاً لرعيّته إلاّ حرّم الله عليه الجنّة.

ما من رجل من المسلمين أعظم أجراً من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره

بذات الله ـ تعالىٰ ـ.

ما من مؤمن إلّا وله ذنب يصيبه الفينة بعد الفينة لايفارقه حتّىٰ يفارق الدّنيا.

ما طلعت شمس قطّ إلّا بجنبها ملكان يقولان: اللّهمّ عجّل لمنفق خلفاً، وعجّل لممسك تلفاً.

ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم بأسرع فيها من حبّ الشّرف والمال في دين المرء المسلم.

ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من فقه في دين.

ما من عمل يُعصَىٰ الله فيه أسرع عقوبة من بغي. وما من شيء أُطيع الله فيه بأعجل ثواباً من صلة الرّحم.

ما فتح رجل علىٰ نفسه باب مسألة إلّا فتح الله عليه باب فقر.

ما ينتظر أحدكم من الدّنيا إلّا غنىً مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدّجّال فالدّجّال. أشرّ منتظراً، والسّاعة فالسّاعة أدهىٰ وأمرّ.

ما يصيب المؤمن وصب ولا نصب ولا سقم ولا أذىً ولا حزن حتّىٰ الهمّ يهمّه إلّا كفّر الله له به خطاياه.

ما تزال المسألة بالعبد حتّىٰ يلقىٰ الله وما في وجهه مزعة لحم.



لا يُلدَغ المؤمن من جحر مرّتين.

لايَشكر الله من لا يشكر النّاس.

لايردّ القضاء إلّا الدّعاء.

لايزيد في العمر إلّا البرّ.

لا حليم إلّا ذو عثرة. ولا حكيم إلّا ذو تجربة.

لا فقر أشدّ من الجهل. ولا مال أعود من العقل. ولا مظاهرة أوثق من المشاورة. ولا عقل كالتّدبير. ولا حسب كحسن الخلق. ولا ورع كالكفّ. ولا عبادة كالتّفكّر.

لا إيمان كالحياء والصّبر.

لا يُتْمَ بعد حُلُم.

لا حلف في الإسلام. ولا صرورة في الإسلام.

لا هجرة بعد الفتح.

لا إيمان لمن لا أمانة له. ولا عهد لمن لا دين له.

لا رقية إلّا من عين أو حمّة.

لا هجرة إلّا بعد ثلاث.

لا كبيرة مع استغفار. ولا صغيرة مع إصرار.

لا فاقة لعبد يقرأ القرآن. ولا غناء له بعده.

لا همّ إلّا همّ الدّين. ولا وجع إلّا وجع العين.

لا ينتطح فيها عنزان.

لا يقي حذرٌ من قَدَر.

لا يفتك مؤمن.

لا يفلح قوم تملكهم امرأة.

لا ينبغي لمؤمن أن يذلّ نفسه.

لا ينبغي للصّديق أن يكون لعّاناً.

لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً عند الله.

لا يصلح الملق إلّا للوالدين والإمام العادل.

لا تصلح الصّنيعة إلّا عند ذي حسب أو دِين، كما لا تصلح الرّياضة إلّا في النّجيب.

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

لا يدخل الجنّة عبد لا يأمن جاره بوائقه.

لا يدخل الجنّة قتّات.

لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً.

لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث.

لا تحلّ الصّدقة لغنيّ ولا لذي مرّة قويّ.

لا يهلك النّاس حتّىٰ يعذروا من أنفسهم.

لا يستقيم إيمان عبد حتّىٰ يستقيم قلبه. ولا يستقيم قلبه حتّىٰ يستقيم لسانه.

لا يؤمن عبد حتّىٰ يحبّ لأخيه مايحبّ لنفسه من الخير.

لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتّىٰ يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

لا يستكمل العبد الإيمان حتّىٰ يكون فيه ثلاث خصال: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسه، وبذل السّلام.

لا يستكمل أحدكم حقيقة الإيمان حتّىٰ يخزن لسانه.

لا يرحم الله من لا يرحم النّاس.

لا يشبع المؤمن من دون جاره.

لا يشبع عالم من علم حتّىٰ يكون منتهاه الجنّة.

لا يزداد الأمر إلّا شدّة، ولا الدّنيا إلّا إدباراً، ولا النّاس إلّا شحّاً. ولا تقوم السّاعة إلّا علىٰ شرار النّاس.

ولا مَهْديّ إلّا من يصلّي خلفه عيسىٰ بن مريم.

لا يأتي علىٰ النّاس زمان إلّا والّذي بعده شرّ منه.

لا تقوم السّاعة حتّىٰ يقلّ الرّجال وتكثر النّساء.

لا يستر عبد في الدّنيا إلّا ستره الله ـ تعالىٰ ـ يوم القيامة.

لا خير في صحبة من لايرىٰ لك من الحقّ(٥٦٢) مثل ما ترىٰ له.

لا يذهب حبيب عبد فيصبر ويحتسب إلّا دخل الجنّة.

لا يبلغ العبد أن يكون من المتّقين حتّىٰ يدع مالا بأس به حذراً لما به البأس.

لا تزال طائفة من أُمّتي علىٰ الحقّ ظاهرين حتّىٰ يأتي أمر الله.

لا تزال نفس الرّجل معلّقةً بدَيْنه حتّىٰ يُقضَىٰ عنه.

لا يزال العبد في صلاة ما انتظر الصّلاة.

لا تظهر الشّماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك.

لا تسبّوا الدّهر؛ فإنّ الله هو الدّهر.

لا تسبّوا السّلطان فإنّه ظلّ الله في الأرض.

لا تسبّوا الأموات فتؤذوا الأحياء.

لا تسبّوا الأموات فإنّهم قد أفضوا إلىٰ ماقدّموا.

---

(٥٦٢) «ر»: الحسن.

لا تمسح يدك في ثوب من لاتكسو.

لا يردّ الرّجل هديّة أخيه؛ فإن وجد فليكافئه.

لا تردّوا السّائل ولو بشقّ تمرة.

لا تغتابوا المسلمين ولا تتّبعوا عوراتهم.

لا تخرقنّ علىٰ أحد ستراً.

لا تحقرنّ من المعروف شيئاً.

لا تواعد أخاك موعداً فتخلفه.

لا يتمنّنّ أحدكم الموت لضرّ نزل به.

لا يموتنّ أحدكم إلّا وهو يحسن الظّنّ بالله ـ عزّ وجلّ ـ.

لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً.

لا تكـونـوا عتّابين ولا مدّاحين ولا طعّانين ولا متوانين ولا تعجبوا بعمل عاملٍ حتّىٰ تنظروا بم يُختَم له.

لا يعجبنّكم إسلام رجل حتّىٰ تعلموا كنه عقله.

لا تجعلوني كقدح الرّاكب.

لا يمنعنّ أحدكم مهابة النّاس أن يقوم بالحقّ إذا علمه.

لا يخلونّ رجل بامرأة فإنّ ثالثهما الشّيطان.

لا ترضينّ أحداً بسخط الله، ولا تحمدنّ أحداً علىٰ فضل الله.

لا تذمّنّ أحـداً علىٰ مالم يؤتك الله؛ فإنّ رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص، ولا يردّه عنك كراهة كاره.

لا تسـأل الإمـارة فإنّـك إن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها، وإن أُعطيتها عن مسألة وُكلت إليها.

لا تقـوم السّـاعة حتّىٰ يكون الولد غيظاً، والمطر فيضاً، ويفيض اللّئام، ويغيض الكرام غيضاً، ويجترئ الصّغير علىٰ الكبير، واللّئيم علىٰ الكريم.

لن يهلك أمرؤ بعد مشورة.

لن تهلك الرّعيّة وإن كانت ظالمة مسيئة إذا كانت الولاة هادية مهديّة.

فصل

إيّاك وما يُعتذر منه.

إيّاكم والمدح؛ فإنّه الذّبح.

إيّاك ومحقّرات الذّنوب؛ فإنّ لها من الله طالباً.

إيّاك ومشارة النّاس؛ فإنّها تظهر العرّة، وتدفن الغرَّة.

إيّاكم وخضراء الدّمن.

إيّاكم والدَّين؛ فإنّه همّ باللّيل، ومذلّة بالنّهار.

إيّاكم والظّنّ؛ فإنّ الظّنّ أكذب الحديث.

إيّاكم ودعوة المظلوم وإن كان كافراً.

﴿باب﴾

إنّ من البيان لسحراً. وإنّ من الشّعر لحكماً. وإنّ من القول عيالاً؛ وإنّ مِن طلبِ العلم جهلاً.

إنّ من أُمّتي أُمّة مرحومة.

إنّ حسن العهد لمن الإيمان.

إنّ حسن الظّنّ من حسن العبادة.

إنّ العلماء ورثة الأنبياء.

إنّ الدِّين يسر.

إنّ دين الله الحنيفيّة السّمحة.

إنّ أعجل الطّاعة ثواباً صلة الرّحم.

إنّ الحكمة تزيد الشّريف شرفاً.

إنّ محرّم الحلال كمحلّ الحرام.

إنّ أحساب أهل الدّنيا هذا المال.

إنّ لصاحب الحقّ مقالاً.

إنّ مكارم الأخلاق من أعمال أهل الجنّة.

إنّ أحسن الحسن الخلق الحسن.

إنّ مولىٰ القوم من أنفسهم.

إنّ المعونة تأتي للعبد من الله علىٰ قدر المؤنة، وإنّ الصّبر يأتي علىٰ قدر المصيبة.

إنّ أبرّ البِرّ أن يصل الرّجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولّي الأب.

إنّ أكثر أهل الجنّة البُلّه.

إنّ أقلّ ساكني الجنّة النّساء.

إنّ الشّيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدّم.

إنّ أشكر النّاس لله أشكرهم للنّاس.

إنّ إعطاء هذا المال فتنة وإمساكه فتنة.

إنّ عذاب هذه الاُمّة جُعِل في دنياها.

إنّ الرّجل ليُحرَم الرّزق بالذّنب يصيبه.

إنّ من عباد الله من لو أقسم علىٰ الله لأبرّه.

إنّ لله عباداً يعرفون النّاس بالتّوسّم.

إنّ لله عباداً خلقهم لحوائج النّاس.

إنّ حقّاً علىٰ الله لا يرفع شيئاً إلّا وضعه.

إنّ لجواب الكتاب حقّاً كردّ السّلام.

إنّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب.

إنّ أطيب ما أكل الرّجل من كسبه. وإنّ ولده من كسبه.

إنّ قليل العمل مع العلم كثير، وكثير العمل مع الجهل قليل.

إنّ العبد ليدرك بحسن الخلق درجة الصّائم القائم.

إنّ لكلّ دين خلقاً وإنّ خلق هذا الدّين الحياء.

إنّ لكلّ شيء شرفاً وإنّ أشرف المجالس ما استقبل به القبلة.

إنّ لكلّ أُمّة فتنة وإنّ فتنة أُمّتي المال. وإنّ لكلّ ساع غاية وغاية كلّ ساع الموت.

إنّ لكلّ عامل[٥٦٣] شِرّة، ولكلّ شرّة فترة.

إنّ لكلّ قول مصداقاً، ولكلّ حقّ حقيقة.

إنّ لكلّ ملك حمىً وحمىٰ الله محارمه.

إنّ لكلّ شيء معدناً ومعدن التّقوىٰ قلوب العارفين.

إنّ لكلّ شيء قلباً وقلب القرآن يسٓ.

إنّ لكلّ نبيّ دعوة دعاها[٥٦٤] لأُمّته وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأُمّتي يوم القيامة.

---

(٥٦٣) في المصدر: عابد.

(٥٦٤) في المصدر: دعا بها.

إنّ الرّجل ليؤجر في نفقته كلّها إلاّ شيئاً جعله في التّراب أو البناء.

إنّ الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب.

إنّ أكثر ما يُدخِل النّاس النّار الأجوفان: الفم، والفرج.

إنّ أكثر ما يُدخِل النّاس الجنّة تقوىٰ الله وحسن الخلق.

إنّ الدّين بدأ غريباً وسيعود كما بدأ؛ فطوبىٰ للغرباء.

إنّ الفتنة تجيء فتنسف العباد نسفاً ينجو العالم منها بعلمه.

إنّ العين لتدخل الرّجل القبر، وتدخل الجمل القدر.

إنّ الّذي يجرّ ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة.

إنّ الله يحبّ الرّفق في الأمر كلّه.

إنّ الله جميل يحبّ الجمال.

إنّ الله يحبّ الملحّين في الدّعاء.

إنّ الله يحبّ الأبرار الأتقياء الأخفياء.

إنّ الله يحبّ المؤمن المحترف.

إنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين.

إنّ الله يحبّ معالي الأُمور وأشرفها، ويكره سفسافها.

إنّ الله يحبّ أن تُؤتىٰ رُخَصُه كما يحبّ أن تُتَرك معاصيه.

إنّ الله يحبّ البصر النّافذ عند مجيء الشّهوات، والعقل الكامل عند نزول الشّبهات، ويحبّ السّماحة ولو علىٰ تمرات، ويحبّ الشّجاعة ولو علىٰ قتل حيّة. وإنّ ربّك يحبّ المحامد.

إنّ الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر.

إنّ الله يبغض العِفْرِيَةَ النِّفْرِيَةَ الّذي لم يزرأ في جسمه ولا ماله.

إنّ الله يحبّ السّهل الطلق.

إنّ الله كره لكم العبث في الصّلاة، والرّفث في الصّيام، والضّحك عند المقابر.

إنّ الله ينهاكم عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السّؤال.

إنّ الله يغار للمسلم فليغر.

إنّ الله لا يرحم من عباده إلاّ الرّحماء.

إنّ الله ليذر بالصّدقة سبعين ميتة من السّوء.

إنّ الله لينفع العبد بالذّنب يذنبه.

إنّ الله ليؤيّد هذا الدّين بالرّجل الفاجر.

إنّ الله ليرضىٰ عن العبدَ أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشّربة فيحمده عليها.

إنّ الله إذا أنعم علىٰ عبد نعمة أحبّ أن تُرىٰ عليه.

إنّ الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من النّاس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء.

إنّ الله يُعطي الدّنيا علىٰ نيّة الآخرة، وأبىٰ أن يعطي الآخرة علىٰ نيّة الدّنيا.

إنّ الله يستحي من العبد أن يرفع إليه يديه فيردّهما خائبتين.

إنّ الله جعل لي الأرض مسجداً وطهوراً.

إنّ الله زوىٰ لي الأرض فرأيت مشـارقها ومغاربها، وإنّ ملك أمّتي سيبلغ مازوي لي منها.

إنّ الله تجاوز لأُمّتي عمّا حدّثت به أنفسها مالم تكلّم به أو تعمل به.

إنّ الله بقسطه وعدله جعل الرّوح والفرج في اليقين والرّضا، وجعل الهمّ

والحزن في الشّكّ والسّخط.

إنّ الله كتب الغـيرة علىٰ النّسـاء، والجهاد علىٰ الرّجال، فمن صبر منهم احتساباً كان له مثل أجر الشّهيد.

إنّ الله عند لسان كلّ قائل.

إنّ الله لايرضىٰ عمل عبد حتّىٰ يرضىٰ قوله.

إنّ الله إذا أراد بقوم خيراً ابتلاهم.

إنّي ممسك بحُجزكم عن النّار وتتقاحمو ن فيها تقاحم الفراش والجنادب.

إنّا لا نستعمل علىٰ عملنا من أراده.

إنّك لا تدع شيئاً اتّقاء الله إلّا أعطاك الله خيراً منه.

إنّ من موجبات المغفرة إدخال السّرور علىٰ أخيك المؤمن.

إنّ الدّنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فلينظر كيف تعملون.

إنّ لقلب ابن آدم بكلّ واد شعبة فمن اتّبع قلبه الشّعب كلّها لم يبال الله في أيّ واد أهلكه.

إنّ هذا الدّين متين فأوغل فيه برفق، ولا تُبغِّض إلىٰ نفسك عبادة الله؛ فإنّ المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقىٰ.

إنّ من السّنّة أن يخرج الرّجل مع ضيفه إلىٰ باب الدّار.

إنّ روح القـدس نفث في رُوعي أنّ نفسـاً لم تمت حتّىٰ تستكمل رزقها، فاتّقوا الله وأجملوا في الطّلب.

إنّ ممّا أدرك النّـاس من كلام النّبـوّة الأُولىٰ: [إذا لم تستحيي فاصنـع ماشئت][٥٦٥]، إنّ المصلّي ليقرع باب الملك، وإنّه من يُدِمْ قرعَ الباب يُوشك أن

---

(٥٦٥) أضفناه من المصدر.

يُفتَح له.

إنّ في الصّلاة لشغلاً.

إنّما أخاف علىٰ أُمّتي الأئمّة المضلّين.

إنّما الأعمال بالخواتيم.

إنّما بقي من الدّنيا بلاء وفتنة.

إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد. قيل: فما جلاؤها؟ قال: ذكر الموت، وتلاوة القرآن.

ألا إنّ عمل الجنّة حَزْنٌ بربوة، ألا إنّ عمل النّار أو قال الدّنيا سهل بشهوة.

﴿باب﴾

ليس الخبر كالمعاينة.

ليس لفاسق غيبة.

ليس لعرق ظالم حقّ.

ليس من خُلق المؤمن الملق.

ليس بعد الموت مستعتب.

ليس منّا من تشبّه بغيرنا.

ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن.

ليس منّا من لم يوقّر الكبير، ويرحم الصّغير، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر.

ليس منّا من وسّع الله عليه ثمّ قتّر علىٰ عياله.

ليس بكذّاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً ونمىٰ خيراً.

﴿باب﴾

خير الذّكر الخفيّ، وخير الزّاد مايكفي[٥٦٦].

خير العبادة أخفاها.

خير المجالس أوسعها.

خير دينكم أيسره.

خير الصّدقة ماكان عن ظهر غنىً.

خير العمل ما ينفع. وخير الهدىٰ ما اتُّبع.

خير ما أُلقي في القلب اليقين.

خير النّاس أنفعهم للنّاس.

خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه.

خير الـرّفقاء أربعة. وخير الطّلائع أربعمائة. وخير الجيوش أربعة آلاف. وخيركم خيركم لأهله.

خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه.

خيركم من يرجىٰ خيره، ويُؤمَن شرّه.

خير بيوتكم بيت فيه يتيم مكرم.

خير المال سكّة مأبورة، وفرس مأمورة.

خير شبابكم من تشبّه بكهولكم. وشرّ كهولكم من تشبّه بشبابكم.

خير صفوف الرّجال أوّلها. وخير صفوف النّساء آخرها، وشرّها أوّلها.

---

(٥٦٦) «ر»: بلغ.

اليد العليا خير من اليد السّفلىٰ.

ماقلّ وكفىٰ خير ممّا كثر وألهىٰ.

الدّنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة.

الوحدة خير من جليس السّوء، والجليس الصّالح خير من الوحدة. وإملاء الخير خير من السّكوت. والسّكوت خير من إملاء الشّرّ.

استتمام المعروف خير من ابتدائه.

خياركم كلّ مُفتّن توّاب.

خياركم أحسنكم قضاءً.

عمل قليل في سنّة خير من عمل كثير في بدعة.

خيار المؤمنين القانع، وشرارهم الطّامع.

خيار أُمّتي علماؤها. وخيار علمائها حلماؤها.

خير أُمّتي أحدّاؤها الّذين إذا غضبوا رجعوا.

أفضل الصّدقة علىٰ ذي الرّحم الكاشح.

أفضل الصّدقة إصلاح ذات البين.

أفضل عبادة أُمّتي قراءة القرآن.

أفضل الجهاد كلمة حقّ عند أمير جائر.

أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عمّن ظلمك.

أفضل العبادة الفقه.

أفضل الدّين الورع.

فضل العلم أفضل من العبادة.

ما من عمل أفضل من إشباع كبد جائع.

ما تقرّب العبد إلىٰ الله بشيء أفضل من سجود خفيّ.

ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن.

أحبّ العباد إلىٰ الله الأتقياء الأخفياء.

أحبّ الله عبداً سمحاً بائعاً ومشترياً وقاضياً ومقضيّاً(٥٦٧).

ما صلّت امرأة صلاة أحبّ إلىٰ الله من صلاتها في أشدّ بيتها ظلمة.

ما من جرعة أحبّ إلىٰ الله من جرعة غيظ كظمها رجل، أو جرعة صبر علىٰ مصيبة. وما من قطرة أحبّ إلىٰ الله من قطرة دمع من خشية الله، أو قطرة دم أُهريقت في سبيل الله.

نعم الشّفيع القرآن لصاحبه يوم القيامة.

نعم الهديّة الكلمة من كلام الحكمة.

نعم المال النّخل الرّاسيات في الوحل؛ المطعمات في المَحْل.

نعم صومعة المسلم بيته.

أصدق الحديث كتاب الله. وأوثق العرىٰ كلمة التّقوىٰ. وأحسن الهدىٰ هدى الأنبياء. وأشرف الموت قتل الشّهداء.

أطيب الطّيب المسك.

سيّد أدامكم الملح.

أسرع الدّعاء إجابة دعوة غائب لغائب.

لقلب ابن آدم أسرع تقلّباً من القِدْر إذا استجمعت غلياً.

حبّذا المتخلّلون من أُمّتي.

---

(٥٦٧) في المصدر: مقتضياً.

﴿باب﴾

بئس مطيّة الرّجل زعموا.

شرّ الأُمور محدثاتها. وشرّ العمىٰ عمىٰ القلب. وشرّ المعذرة حين يحضر الموت. وشرّ النّدامة يوم القيامة. وشرّ المأكل مال اليتيم. وشرّ المكاسب كسب الرّبا.

شرّ ما في الرّجل شحّ هالع، أو جبن خالع.

أعمىٰ العمىٰ الضّلالة بعد الهدىٰ. ومن أعظم الخطايا اللّسان الكذوب.

ما ملأ آدميّ وعاءً شراً من بطن.

﴿باب﴾

مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح؛ من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق.

مثل أُمّتي مثل المطر لا يُدرىٰ أوّله خير أم آخره.

مثل المؤمن مثل النّخلة لا تأكل إلّا طيّباً، ولا تضع إلّا طيّباً.

مثل المؤمن القويّ مثل النّخلة. ومثل المؤمن الضّعيف كخامة الزّرع.

مثل المؤمن كمثل السّنبلة تحرّكها الرّيح فتقوم مرّة وتقع أُخرىٰ. ومثل الكافر مثل الأرزة لاتزال قائمة حتّىٰ تنقعر.

مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكىٰ بعضه تداعىٰ سائره بالسّهر والحمّىٰ.

مثل القلب مثل ريشة بأرض فلاة تقلّبها الرّياح.

مثل القرآن مثل الإبل المعقّلة؛ إن عقلها صاحبها أمسكها، وإن تركها ذهبت.

مثل المنافق كمثل الشّاة العائرة بين الغنم.

مثل المرأة كالضّلع؛ إن أردت تقيمه كسرته، وإن استمتعت به استمتعت وفيه أَوَدٌ.

ما مثلي ومثل الدّنيا إلّا كراكبٍ قال[٥٦٨] في ظلّ شجرة في يوم حارّ ثمّ راح وتركها.

ما الدّنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه السّبّابة في اليمّ فلينظر بم يرجع.

﴿باب﴾

إذا أراد الله بعبد خيراً عسّله.

إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة.

إذا أحبّ الله عبداً حماه الدّنيا كما يظلّ أحدكم يحمي سقيمه الماء.

إذا استشاط السّلطان تسلّط الشّيطان.

إذا نصح العبد لسيّده أحسن عبادة ربّه وكان له الأجر مرّتين.

إذا تقارب الزّمان انتقىٰ الموت أُمّتي كما ينتقي أحدكم خيار الرّطب من الطّبق.

إذا اشتكىٰ المؤمن أخلصه ذلك من الذّنوب كما يخلص الكير الخَبَثَ الحديد.

إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتّىٰ ينفُذ قضاؤُهُ وقَدَرُه.

---

(٥٦٨) من القيلولة.

﴿باب﴾

كفىٰ بالسّلامة داءً.

كفىٰ بالموت واعظاً.

كفىٰ باليقين غنىً.

كفىٰ بالعبادة شغلاً.

كفىٰ بالمرء إثماً أن يُضيع من يَقُوت.

كفىٰ بالمرء إثماً أن يحدّث بكلّ ماسمع.

كفىٰ بالمرء سعادة أن يُوثَقَ به في أمر دينه ودنياه.

﴿باب﴾

ربّ مبلّغ أوعىٰ من سامع.

ربّ حامل فقهٍ إلىٰ من هو أفقهُ منه.

ألا ربّ نفس جائعة عارية في الدّنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة.

ألا ربّ نفس طاعمة ناعمة في الدّنيا عارية يوم القيامة.

ألا ربّ مكرم لنفسه وهو لها مهين.

ألا ربّ مهين لنفسه وهو لها مكرم.

ألا ربّ شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً.

ربّ قائم ليس له من قيامه إلاّ السّهر، وربّ صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع والعطش.

ربّ طاعم شاكر أعظم أجراً من صائم صابر.

﴿باب﴾

لولا أنّ السُّؤّال يكذبون ما قُدِّس من ردّهم.

لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم طويلاً.

لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم لما أكلتم سميناً قطّ.

لو نظرتم إلىٰ الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

لو كان المؤمن في جحر فأرة لقيّض الله له فيه من يؤذيه.

لو كانت الدّنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ كافراً منها شربة ماء.

لو أنّ لابن آدم واديين من مال لابتغىٰ إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التّراب، ويتوب الله علىٰ من تاب.

لو أنّكم تتوكّلون علىٰ الله حقّ توكّله لرزقكم كما يُرزَق الطّير؛ تغدو خماصاً، وتروح بطاناً.

لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أشدّ من ذلك؛ العُجب العُجب.

لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم ويدخلهم الجنّة.

﴿باب يتضمّن كلمات رويت عن رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عن الله ـ عزّ وجلّ ـ﴾

يقول تعالىٰ:

أنا عند ظنّ عبدي بي. وأنا مع عبدي إذا ذكرني.

وجبت محبّتي للمتحابّين فيّ والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ.

لا إله إلّا الله حصني من دخله أمن عذابي.

اشتدّ غضبي علىٰ من ظلم من لايجد ناصراً غيري.

يا دنيا مرّي علىٰ أوليائي لا تَحْلَوْلي لهم فتفتنيهم، اخـدمي من خدمني، وأتعبي يا دنيا من خدمك.

من أهان لي وليّاً فقد بارزني للمحاربة. وما تردّدت في شيء أنا فاعلهُ، ماترددتُ في قبض نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت، وأنا أكره مساءته، ولابدّ له منه.

ما تقرّب إليّ عبدي المؤمن بمثل الزّهد في الدّنيا. ولا تعبّد لي بمثل أداء ما افترضته عليه.

يا موسىٰ إنّـه لم يتصنّـع المتصنّعـون بمثـل الزّهد في الدّنيا، ولم يتقرّب المتقرّبون بمثل الورع عمّا حرّمت عليهم، ولم يتعبّدني المتعبّدون بمثل البكاء من خيفتي(٥٦٩).

هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلّا السّخاءُ وحسنُ الخُلق فأكرموه بهما ما صحبتموه.

إذا وجّهت إلىٰ عبدي مصيبة في نفسه أو ماله أو ولده فاستقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنشر له ديوْاناً، أو أنصب له ميزاناً.

الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منها ألقيته في النّار.

﴿باب﴾
﴿الدّعاء ٱلّذي يختم به كتاب الشّهاب﴾

اللّهمّ إنّي أعوذ بك من علم لاينفع، وقلب لايخشع، ودعاء لايسمع، ونفس لاتشبع؛ أعوذ بك من شرّ هؤلاء الأربع.

---

(٥٦٩) «ب»: خشيتي.

اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أضِلّ أو أُضلّ، أو أذِلّ أو أُذلّ، أو أظلِم أو أُظلَم، أو أجهل أو يُجهَل عليّ.

اللّهم إنّي أسألك تعجيل عافيتك، وصبراً علىٰ بليّتك، وخروجاً من الدّنيا إلىٰ رحمتك.

اللّهمّ خر لي واختر لي.

اللّهمّ كما حسّنت خَلقي حسّن خُلقي.

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّي.

اللّهمّ اغفر لي ما أخطأت، وما تعمّدت، وما أسررت، وما أعلنت، وما جهلت، وما علمت.

اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرورهم، وأدرأ بك في نحورهم، بك أُحاول، وبك أُقابل، وبك أصول.

اللّهمّ قِني واقية كواقية الوليد.

اللّهمّ أذقت أوّل قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً.

اللّهمّ بارك لأُمّتي في بكورها، إليك انتهت الأماني يا صاحب العافية.

ربّ تقبّل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي.

اللّهمّ إنّي أسألك عيشة سويّة، وميتة نقيّة، ومردّاً غير مخزٍ ولا فاضح؛ برحمتك يا أرحم الرّاحمين. وصلّىٰ الله علىٰ محمّدٍ وآله الطّيّبين الطّاهرين.

قد تمّ الكتاب بعون الملك الوهّاب[٥٧٠]

---

(٥٧٠) جاء في آخر نسخة «ر»: تمّ كتاب الشّهاب، وبإتمامه تمّ المجلّد الأوّل من كتاب المجموع الرّائق؛ في اليوم السّادس من العشر الثّالث من شهر ذي القعدة الحرام لسنة ١١٠٢ هـ.ق.

